

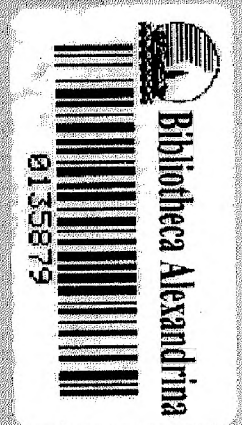
العربى

دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب

تأليف
يوهان فكت
مع تعليقات المستشرق الألماني شينالر

ترجمة وقدم له وعلو عليه وصنع فهرسته
الدكتور رمضان عبد الوهاب
أستاذ العلوم اللغوية بكلية الآداب
جامعة عين شمس

الناشر
مكتبة الخانجي بمصر
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م



العربية

دراسات في اللغة واللهجات والأساليب

تأليف
يوهان فكت
مع تعليقات المستشرق الألماني شينالر

ترجمة وقدم له د. علوة عليه وصنع فهرسه
الدكتور رمضان عبد النواب
أستاذ العلوم اللغوية بكلية الآداب
جامعة عين شمس



الناشر
General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

مكتبة الخانجي بمصر
١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة المترجم

عرفت هذا الكتاب في أصله الألماني ، وأنا أحضر للدكتوراه في ميونخ ، حينما أهداني مؤلفه نسخة منه ، أعتر باقتنائها ، وكنت عقدت العزم على ترجمته إلى العربية ، بعد الفراغ من الدراسة ، وعلمت بعد ذلك أن المرحوم الدكتور عبد الحليم النجار ، قد سبقني إلى تولى هذا العمل العظيم ، وانتشرت ترجمته ، وأفاد منها قراء العربية في الشرق والغرب .

وعند ما نفذت نسخ تلك الترجمة ، وفكر الأستاذ الفاضل نجيب الخانجي في إعادة طبع الكتاب ، عرضت عليه أن أعيد ترجمته من جديد ، مضيفاً إليه تعليقات أستاذي ، شيخ المستشرقين في الوقت الحاضر ، بروفيسور « شبيتالر » رئيس معهد اللغات السامية بجامعة ميونخ ، وما تجمع لدى من ملاحظات على مادة الكتاب وقضاياها ، وتصحيح شيء من التصحيف والتحريف وبعض الأخطاء التي وقعت في ترجمته ، فرحب بالفكرة ترحيباً بالغاً . وكان لتشجيعه وغيرته العظيمة على العربية وتراثها ، أكبر الأثر في ظهور هذا الكتاب ، بالصورة التي هو عليه الآن ، فله الشكر على ما قدم ويقدم ، في سبيل خدمة العربية ، لغة الكتاب الكريم .

والكتاب دائرة معارف واسعة ، يحتاج من مترجمه إلى الكثير من الصبر والجهد ، ومراجعة الكثير من المصادر ، لتحقيق هذا النص أو ذاك ، من نصوصه الكثيرة ، الممتدة عبر عصور العربية الخالدة . ولقد التزمت الدقة في التعبير عما أراده المؤلف ، وحاولت البحث عن المصطلح العربي المناسب ، لترجمة المصطلحات الإفرنجية ، التي عالج بها المؤلف قضايا العربية وتطورها . وكان المترجم الأول ، قد ترك شيئاً غير قليل من هوامش النص بلا ترجمة ،

إذ كان يراه غير مهم للقارئ العربى ، كما كان يخصص هذه الهوامش أحياناً ، تلخيصاً شديداً . ولكننى آثرت ترجمة هذه الهوامش المتروكة ، إلا ما ندر ، وفاء لحق المؤلف على قارئ كتابه . ولا شك أننى أفدت كثيراً من بعض الصياغة البارة ، والعبارات الطلية ، التى تغلب بها المرحوم الدكتور النجار ، على جفاف الأسلوب الألمانى وجمله المعقدة .

أما تعليقات بروفيسور « شبيتالر » ، فإن قسماً منها يخص النظرية ، التى بنى عليها « فك » كتابه ، وهذه ترجمتها ووضعها عقب هذه المقدمة . كما أن قسماً آخر منها ، يخص قضايا جزئية فى الكتاب ، وهذه ترجمتها وجعلتها فى أماكنها من الحواشى ، معزوة إليه .

وبعد ، فهذه ترجمة أخرى جديدة ، مزينة ومحقة ، لعمل رائد من أعمال المستشرقين الألمان ، الذين امتازوا بالصبر والدقة فى الدراسات اللغوية ، ترجمة شد من أزرى فى التصدى لها ، ذكرى الصداقة الوفية ، التى كانت بينى وبين المؤلف ، حتى قضى نحبه .

ربنا لا ترغ قلوبنا بعد إذ هديتنا ، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب .

د . رمضان عبد الثواب

تعليقات المستشرق الألماني

أنطون شيبينالر^(٢)

قدم « فك » بكتابه : « العربية » إلى المتخصصين في علم العربية ، عملاً لم يقدم مثله من قبل . وإذا كان العنوان الفرعي للكتاب هو : « دراسات في اللغة والأساليب العربية » ، كما أن فصوله الأربعة عشر (بالإضافة إلى الملحق الذي يتضمن دراسة معجمية دلالية لكلمة « لحن » واشتقاقاتها) تعد بصورة أو أخرى عملاً رائداً في حقيقة الأمر ؛ فإن الكتاب في مجموعه ليس في الواقع إلا نوعاً من تأريخ التطور للعربية ، أو على وجه الدقة ، للعربية المولدة ، إذا أخذنا بما قاله « فك » من أن العربية المولدة بدأت « حينما انتقلت العربية ، بعد وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) مباشرة ، عن طريق الغزوات الكبرى ، في العهد الإسلامي الأول ، إلى خارج حدودها القديمة ، في مواطن لغوية أجنبية » .

وقد تعقب « فك » تاريخ العربية ، ابتداء من العصر الأموي والعباسي ، وانتهاء بعصور السلاجقة والسييل المغولي الذي « أكمل حلقة الختام في مراحل الانحلال اللغوي ، التي بدأت بظهور السلاجقة » ، لكي يشير في « نظرة خاطفة » إلى الطريق الذي سلكه تطور العربية الأدبية ، في القرون التالية حتى العصر الحاضر .

ولأنه لمن غير الممكن ، التحدث بالتفصيل ، عن كيفية استيفاء « فك » لجوانب الموضوع ، فقد استطاع المؤلف بالقراءة الواسعة المستفيضة ، التي ربما لم تتوفر في الوقت الحاضر ، إلا لقلّة من المتخصصين ،^(٢) وبالشواهد التي لا تحصى من المصادر العربية الأصيلة التي لم تجمع إلا بجهد سنوات — أن يقدم إلينا عرضاً حياً مثيراً ، يشوق القارئ دائماً ، للأحوال والظروف التي

(١) نشرها في الجزء العاشر من مجلة : Bibliotheca Orientalis ٣/٤ (مايو /

يولية ١٩٥٣) ص ١٤٤ - ١٥٠

(٢) قائمة مصادر الكتاب تحتوي على أكثر من ٢٥٠ كتاباً معظمها بالعربية .

تقلبت فيها اللغة العربية والتاريخ الإسلامى ، وكذلك للتأثيرات المتعددة للبيئات المجاورة المتغيرة دائماً ، على اللغة والأدب ؛ فمن تخطيط تاريخى للحضارة ، إلى بحوث معجمية ، وتحليلات أدبية وأسلوبية ، تختلط بملاحظات إعرابية ، ونصوص غير مجهولة لنا تعرض فى سياق جديد ، ومادة غير معروفة من قبل ، تساق للبرهنة فى أصالة .

وإن نظرة على الفهارس المتنوعة (للأشخاص والموضوعات والكلمات والآيات القرآنية) التى ألحقت بالكتاب ، والتى تجعل منه بالتأكيد مرجعاً عربياً ، لتعطى صورة تقريبية عن اتساع المادة التى عاجلها المؤلف فيه .

والكتاب مهدي إلى أستاذ العربية القديم ، المستشرق الألمانى « أوجست فيشر » . وكاتب هذه التعليقات ، مدين للكتاب بالكثير من الفوائد ، والعديد من التوجيهات ، التى خرج بها من قراءته ، مع الشكر .

ولأنه لمن المتوقع مع كثرة الموضوعات المعالجة فى الكتاب ، أن نجد من القراء من يخالف رأيه رأى المؤلف فى بعض الأحيان ، وهذا أمر لا يمكن تجنبه ، فى ميدان ينذر أن تتفق فيه الآراء ، رغم البحوث الكثيرة القيمة التى تناولته .

ولئننى أسمح لنفسى بمناقشة بعض النقاط الأساسية ، التى لا أنفق فيها مع المؤلف ، فإن له رأياً فى مشكلة الإعراب التى تناقش كثيراً ، أعلنه فى الفصل الأول ، وفى مواضع أخرى من كتابه ، فهو يرى أن التصرف الإعرابى كان حياً فى عتقوانه لدى البدو ، فى القرن الرابع الهجرى/ العاشر الميلادى . وقد اعتمد فى ذلك على الأخبار التى رواها العرب فى هذا الشأن ، وعلى البقايا المتجمدة من هذا التصرف الإعرابى فى لهجات البدو المعاصرة .

ولكننى لا أتق فى صدق هذه الأخبار على الإطلاق ؛ فإنه بصرف النظر عن أن ملاحظة لهجات البدو المعاصرة ، لا تؤدى إلى الخروج بهذه النتيجة^(١)

(١) المادة الموجودة عندنا من لهجات البدو ، تعد قليلة ، وغير متكافئة القيمة فى نظرى ، فلا تكون أساساً ثابتاً للبحث ، بالإضافة إلى أن مثل هذا البحث ، لم يقم به أحد — فيما أعلم — حتى الآن .

فإن الأخبار العربية التي يعتمد « فك » عليها ، لا يمكن في نظري أن تؤخذ على معناها الحقيقي^(١) ؛ فإنني لا أميل إلى القول بأن العربية ، كما نعرفها من الشعر العربي القديم ، تساوى تماماً في كل شيء لغة البدو على الإطلاق^(٢) ، وهذا يعني ببساطة أن هذه الأخيرة لا تحتاج إلا إلى الإيقاع والوزن ، لكي تصبح شعراً .

بل على العكس من ذلك ، أنا مقتنع بأن العربية في عصور صحيحة قبل العصور التي نعرفها فيها ، قد أصابها ذلك التغير الذي نلاحظه بوضوح في العصر الإسلامي ، كلما تقادم به العهد ، والذي يتضح لكل واحد في اللهجات المعاصرة ؛ فإنه لا شيء في اللهجات الحديثة ، على الأقل في ميداني الأصوات والبنية ، إلا وله أصل مباشر أو غير مباشر ، في العصر الإسلامي المبكر ، بقدر ما نراه في الخط ، أو في عبارات المعاصرين من الرواة . وهذا يعني أن اللهجات في فترة تمتد أكثر من ١٢٠٠ عام ، لم يظهر فيها تطور ملحوظ في أية مسألة من تلك المسائل المهمة ، كترك التصرف الإعرابي في الاسم والفعل . فليس هناك ما يمنع ، بل على العكس من ذلك ، كل شيء يدل على إمكان أن يكون الوضع اللغوي في القرن الأول الإسلامي ، قد نشأ بطريقة مماثلة قبل ذلك بكثير . وإن العثور على دلائل مادية من هذا العصر القديم ، هو أصعب بكثير من أدلة العصور المتأخرة ؛ لأنه ليس بين أيدينا من الأخبار اللغوية عن هذا العصر ، شيء خالص لا يشك في أمر تنقيحه وتهذيبه .

ثم إن ما نستطيع استخلاصه بأنفسنا من القرآن الكريم والشعر العربي ، وما أخبرنا به اللغويون العرب عن لهجات البدو أحياناً ، إذا ما عاجلناه بالقدر اللازم من الحرص والحذر ، يكفي لرسم صورة عن اللهجات العربية القديمة ، تذكرنا — كما يقول فوللرز « في كثير من النقط الجوهرية بلهجات الخطاب العربية ، المعروفة لنا في العصور المتعاقبة والعصر الحاضر »^(٣) .

(١) ما يلى لا يعرض من تصورى إلا إطاره العام ، ولا يمكن في هذا الحيز الضيق أن يشرح التفاصيل . وإنى لأرجو أن أتناول المشكلة كلها بالتفصيل في مكان آخر .
(٢) انظر مثلاً : مقالات في علم اللغات السامية لتولدكه BSS ١٤/٢
(٣) في كتابه : « اللهجات الشعبية واللغة الأدبية » ١٧٧ وإننى أوافق فوللرز على العموم في كثير من النقط ، غير أننى أختلف معه أساساً في نظريته إلى العربية ولغة القرآن .

وإذا صدر المرء عن الرأى الحماسى القائل بأن اللهجات العربية القديمة ، تتفق فى كل شىء مع العربية الفصحى ، فإنه يجب عليه بالطبع أن يجتهد فى تأويل النصوص التى لا تلائم هذا الرأى ، أو يحكم بشذوذها . غير أنه إذا حاول أن يستبين الموقف ، دون اللجوء إلى هذا الرأى المبني على الظن ، فإنه يجب عليه أن ينظر إلى مثل هذه النصوص على اعتبار أنها بقايا لهجات حقيقية ، كانت تعيش إلى جانب العربية ^(١) .

أما هذه العربية نفسها ، فهى تلك اللغة القديمة الحقيقية ، التى تعود إلى ما قبل التاريخ ^(٢) ، والتى ترفعت عن لهجات الخطاب منذ زمن ، ورويت لنا كابراً عن كابر ، فى نصوص محددة تماماً . هى تلك اللغة التى يمكن أن تعرف بقول الباقلانى : أشعار أهل الجاهلية ، وكلام الفصحاء والحكماء من العرب . . . كلام الكهان ، وأهل الرجز والسجع ، وغير ذلك من أنواع بلاغتهم ، وصنوف فصاحتهم ^(٣) .

وعلى هذا النحو تنزل اللهجات والعربية ، بحسب قيمة كل منهما ، منزلتين مختلفتين تماماً ، وتمثلان طائفتين لغويتين مختلفتين ، وتعد إحداهما بالنسبة للأخرى بمنزلة العامية ولغة الحياة العامة ، من الفصحى أو اللغة الأدبية على نحو ما . ولكنها ليست كما يزعم « جاير » ^(٤) Geyer « العامية التى يتكلمها السوق ، بإزاء لغة الخاصة والطبقات الراقية ، والمثقفين ، ولغة الأدب » .

(١) يماثل هذا ما كتبه هارتمان عن الموشح ٢١٦ - ٢١٧ وبعضه فى نقد نولدكه .

(٢) هذا التعبير يؤخذ كما هو . ويذهب فيشر إلى جعل لهجة معينة أساساً للعربية القديمة . انظر مجلة ZDMG ٦٦٢/٥٩ - ٦٦٤ سنة ١٩٠٥ وتكلمة ديتريش حسبها أخبر فك فى مجلة ZDMG ١٠٢/١٥٨ سنة ١٩٥٢) وهو صواب كذلك من حيث المبدأ . غير أنه يبدو من السير جداً ، تحديد مكان هذه اللهجة ، بل يكاد تحديد زمانها يكون أمراً مستحيلاً ، كما أنه من المحال معرفة متى تم استقلالها عن لهجات الخطاب اليومية ؟ وعلى أية صورة حدث هذا ؟ وفى أى زمان اعترفت بها اللهجات الأخرى ، وصار من اللازم فى ظروف معينة استعمالها لغة فصحى .

(٣) إعجاز القرآن ، على هامش الإتيقان للسيوطى (القاهرة ١٣٤٣ هـ) ٣١/١ ؟

(٤) فى مجلة : Göttingische Gelehrte Anzeigen (سنة ١٩٠٩) ٩/١٦
فى نقده لكتاب فولرز Vollers .

حقاً ، يمكن للمرء بشيء من التأمل أن يقول بالفرق في طريقة الكلام تبعاً للوضع الاجتماعي للمتكلم ، غير أن هذه التفرقة لا تكون عامة ، وهذا يعني أن أحد النبلاء ، يمكن أن يتقن اللغة الفصحى ، تماماً كما يتقنها أحد العامة . وكان تعلم هذه اللغة حسب قواعدها ، والتحدث بها ، أمراً راجعاً إلى الاستعداد الطبيعي لالتقاط الحاسة السمعية ، للخصائص التي تفرق اللغة الشعرية عن لغة الحديث اليومي . وهذا الاستعداد يمكن أن يوجد لدى العامة والخاصة على السواء^(١) .

وهذه اللغة الفصحى تعد — كما يقول « بريتوريوس^(٢) » Practorius لغة فنية خالصة ، وتعلو بما لها من طبيعة مميزة على كل اللهجات . غير أنها إذ تجرى على ألسنة المتحدثين بهذه اللهجات ، فإنها لم تخل من تأثير تلك اللهجات فيها باستمرار ، ولعلها اختلفت من جهة إلى أخرى تبعاً لذلك . غير أن الجهود المنظمة ، والعاملة على طرد القاعدة ، للغويين المتأخرين ، استطاعت طمس هذه الاختلافات طمساً تاماً .

ولنعد مرة أخرى إلى نقطة البداية ، فإنه إذا كان اللغويون العرب في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، لا يزالون يذهبون إلى البدو ليدرسوا لغتهم ، فإن هذا يعني بالطبع أنهم يبحثون هناك عما يفتقدونه في المدن . وهو « العربية » . والمقصود بها في هذه الحالة ، هو لغة الشعر العربي القديم على الأخص ، التي ظلت حية تروى عن هؤلاء البدو أمداً طويلاً . غير أن هذا فيما يبدو ، لا يعني أن تلك « العربية » تساوى لغة التخاطب عند البدو ، فإن اللغويين العرب لم يكتفوا بهذه اللغة الأخيرة ؛ لأنهم كانوا يرمون إلى غرض آخر مختلف ، فلقد كان الشيء الوحيد المستأثر بجهود اللغويين العرب

(١) ولا يعارض هذا أن سادة القول : الكاهن والخطيب والشاعر ، من خاصة القوم في الغالب . ومن المهم جداً ملاحظة ابن جني — وإن كانت في سياق مختلف — عن الاستعداد اللغوي الطبيعي عند البدو على الإطلاق . انظر اقتباس المزهري (طبعة القاهرة ١٢٨٢ هـ) ٢/٢٤٩ عن الخصائص : « أترأه (أي البدوي) لا يحسن بطبعه وقوة نفسه ولفظ حسه هذا القدر ؟ » وبعده في السطر التاسع من أسفل الصفحة : « قوة حس هؤلاء القوم ، وأنهم قد يلاحظون بالمنة والطباع ، مالا نلاحظه نحن على طول المباحثة والسماع » .

(٢) في مجلة LCBLL (سنة ١٨٩٩) ١٤٠٤ وانظر كذلك تاريخ الأدب العربي لبروكلمان

دائماً هو العربية الفصحى^(١). وإذا حدث هذا فلا عجب أن يجد اللغويون الإعراب عند البدو حقاً ، ولكن أن يستخلص من ذلك أنه لا وجود للغة بلا إعراب عند البدو على الإطلاق ، فذلك أمر غير مقبول وحجة واهية^(٢) .

ومن غير المقبول عندى كذلك ، بناء على كل ما سبق ، أن تكون لغة البدو المشتركة الناشئة في أماكن مختلفة ، بسبب اجتماع القبائل والعشائر المتباينة في حياة مشتركة ومجتمعات مغلقة - أساساً خرجت منه عربية القرون المتأخرة الفصحى ، ولا أستطيع الربط بين لهجاتهم وما وضعه النحاة المتأخرون من قواعد العربية .

ويرى « فك » بعد ذلك أن القرآن الكريم معرب إعراباً كاملاً ، ويؤيد كلامه بأمثلة من القرآن ، يراها شواهد مؤكدة على ذلك ، وهي ما يلاحظ فيه من جمل مفرداتها حرة الحركة ، وذلك لا يحدث إلا في لغة معربة . وإنه لا يشك على الإطلاق ، في أن محمداً صلى الله عليه وسلم ، قد قرأ القرآن الكريم بالإعراب ، ولكن الدليل على ذلك ليس هو حرية حركة المفردات في داخل الجملة ، وإنما يكمن الدليل في أن القرآن ليس أقل في الدرجة من أقوال الشعراء والخطباء والكهان ، وهي أقوال لم تصنع بلهجات انخطاب العامة ، بل صيغت بالعربية الفصحى^(٣) .

(١) وكذلك الكتب المؤلفة في « لحن العامة » إنما هي وسيلة إلى غرض هو إثبات الصحة اللغوية ، وليست غرضاً مستقلاً ، كما أن هذه الكتب ، لا تروى لنا شيئاً عن لهجة البدو . غير أنه من الجدير بالملاحظة على أية حال ، حديث اللغويين عن « السليقية » ، وهي عبارة عن اللغة « التي يسترسل فيها المتكلم على سليقته من غير تعمد لإعراب ، ولا تجنب لحن » (اللسان ٢٧/١٢) ولا يعنى هذا عندى إلا أن العربية بلا إعراب كانت موجودة أحياناً لدى البدو كذلك . وانظر أيضاً (اللسان ٢٧/١٢) : « السليقي من الكلام ما تكلم به البدوي بطبعه ولغته » . ويشير « فك » إلى هذا الموضوع ، غير أنه يفهمه بمعنى آخر .

(٢) ومثل ذلك عندى من النتائج المضللة كذلك ، استنهاد نولدكه (BSS آخر الصفحة الرابعة) برواية سيوييه عن الأعراب ؛ لأن هذا النثر المروى يبدو أنه من « لغة الحياة اليومية العادية » . ويبدو أن هذه الجمل قد صيغت للاختبار ، ثم حملت على من سئل في هذا الاختبار (انظر مثلاً التصريف : مررت بـ ١٦٧/١ من ١٨ الذي اقتبسه نولدكه) .

(٣) لم يخطئ « هارتمان » Hartmann في مقاله عن الموشع ١/٢١٧ حين يتحدث عن « لغة الشعر المقدسة » ، وكذلك يرى جاير (في المرجع السابق ص ١٨) أنه من المستحيل أن يكون القرآن الكريم ، قد نزل باللهجة الشعبية ، لأسباب مماثلة . وانظر كذلك : « صيغة الوقف في العربية القديمة » لبركلاند Berkeland ص ١٩ السطر التاسع من أسفل .

وأنا لا أعتقد في أن حرية الكلمات في داخل الجملة ، تدل بالتأكيد على وجود الإعراب ، ولنتذكر أنه يوجد عموماً في كل لغة نظام مألوف من ترتيب الكلمات في الجملة ، غير أنه يلتزم في حدود معينة ، ففي أحوال كثيرة لا يرتبط هذا إلا بأهمية كل جزء من أجزاء الجملة على حدة ، فيتحرك بناء على تلك الأهمية في داخل الجملة^(١) . ويمكن للنهايات الإعرابية في ظروف معينة ، أن تساعد على الفهم السريع للمعنى الذي يفيد السياق والنبز الناتج عن هذا السياق ، غير أنها ليست ضرورية أو فيصلاً في ذلك^(٢) .

وهكذا لا يصبح أيضاً في هذا العموم ، أن يعزو « فك » إلى وضع الكلمات في داخل الجملة ، وظيفة إعرابية ، في مقابل النهايات الإعرابية . صحيح أن اللغة الأدبية ، مع بعض الكلمات والأبنية ، التي تعبر بطريقة إعرابية تختلف عنها مع الإعراب بالحركات (مثل : أبو / أبى / أبا ، ومثل : ون / ين في نهايات جمع المذكر) ، بدأت تخلط الحالات الإعرابية ، غير أن هذا لا يعنى إلا أن اللغة أصبحت ذات حالة إعرابية واحدة غير متغيرة ، ولا تفهم كما لو كانت صيغة مختلفة في لغة حية غير متصرفة ، بل ليست إلا صيغة واحدة ثابتة .

وإذا قرأ المرء أو سمع إلى جانب ذلك صيغة إعرابية قديمة في استعمال خاطيء ، فإن ذلك لا يكون إلا حذقة صياغية ، نشأت من اعتقاد أن الصيغة ليست حية في اللهجات ، ولهذا تعد غريبة على الإحساس اللغوى الطبيعي ، ولكنها بنيت على نمط صيغ أدبية معروفة .

(١) ومع ذلك تخرج بالطبع تلك الحالات التي لا يلتزم فيها الترتيب العادى إلا بسبب الوزن أو القافية . ولا يجوز مطلقاً أن يستخدم الشعر للإشارة إلى الترتيب غير المألوف بالمعنى السابق ، وهذا مبدأ لا يمكن أن يؤكد بصورة قاطعة بالنسبة إلى العربية . وكل شروحنا للنحو العربى تتميز بصورة أو بأخرى ، بعدم مراعاة هذا المبدأ ، وإن كان السبب في ذلك معروفاً بوضوح ، وهو استخدام الشواهد القديمة قدر الإمكان ، وهذه الشواهد ليست إلا شواهد شعرية .

(٢) يصدر المرء في الحكم على هذه المشكلة بسهولة عن التراث المكتوب الذى يحتوى على علامات ظاهرة ، كالنهايات الإعرابية ، ترغب وتقدر كثيراً . وفي اللغات الميتة لا يعتمد المرء في الحقيقة : إلا على التراث المروى وحده ، غير أنه في اللغات الحية التي يمكن أن تدرس بالكلام والحديث ، تلعب العوامل السمعية المختلفة دوراً . والخبرات التي يكتسبها المرء ، يجب أن تراعى مع اللغات الميتة ، في دائرة أكثر اتساعاً من ذي قبل ، عند الحكم على ظروفها وأحوالها .

أما المثال الذى ساقه « فك » للتدليل على أهمية الإعراب ، وهو قوله تعالى : « وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ » (سورة النساء ٤ / ٨) ، فإنه ليس مثالا صالحاً ؛ لأن « أولو » ليس من ناحية الصيغة إلا حالة رفع ، فلا نحوض إذن فى وظيفته الإعرابية .

وأما المثال الآخر الذى ساقه « فك » فى هذه المناسبة كذلك ، كما ذكره ابن الأثير فى المثل السائر^(١) ، وهو قوله تعالى : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » (سورة فاطر ٣٥ / ٢٨) ، فإنه يمكن أن يضبط برفع « الله » ونصب « العلماء » غير أنه يتنافى العقل . بيد أن الفهم الصحيح لا يتيسر بترتيب آخر للكلمات ؛ فإنه لا بد من وضع كلمة : « العلماء » فى نهاية الجملة ، إذا أريد الاحتفاظ بالمعنى المقصود ، الذى يجعل النبر على هذه الكلمة ، فإذا جعلت الجملة : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ الْعُلَمَاءُ » كانت من قصر الفاعل على المفعول . ووضع الفاعل فى آخر الجملة إنما ينشأ بالضرورة من أصل وضع تركيب « إنما » ؛ إذ المعنى : جزء الناس الذى يخشى الله هو العلماء .

ونعرج فى هذا المقام على استخدام غير المتكلمين بالعربية للعربية ، من الأقوام الذين خضعوا للإسلام ، فى عصر الفتوحات الإسلامية الأولى ؛ فإن « فك » يفسر نطق غير العرب للعربية بلا إعراب ، بأنهم لم يألفوا فى لغاتهم ظاهرة التصرف الإعرابى ، فتركوا الحركات الأخيرة ، لصعوبتها عليهم ؛ غير أن ذلك يفترض قدرة على التجريد ، تعتمد على اطلاع لغوى على بناء المورفيمات العربية الخاصة بذلك ، وهو أمر لم يكن متوفراً لدى هؤلاء .

وأسهل من هذا تفسير هذه الظاهرة ، بسماع تلك الشعوب للعربية فى صورة غير معربة ؛ ولذلك لم يكن أمامهم صور أخرى يحاكونها ، ولم يكن عند هؤلاء قدرة على التفرقة بين العامية والفصحى . ويعد القرآن الكريم هو النموذج الأول والوحيد لفترة طويلة لهذه اللغة الفصحى ، ويعرفه هؤلاء المسلمون الجدد معرفة جيدة ، ويقرءونه على نمط هذه اللغة .

تمهيد

لم يحدث حدث في تاريخ اللغة العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام . ففي ذلك العهد - قبل أكثر من ١٣٠٠ عام - عند ما رتل محمد صلى الله عليه وسلم القرآن على بنى وطنه بلسان عربي مبين ، تأكدت رابطة وثيقة بين لغته والدين الجديد ، كانت ذات دلالة عظيمة النتائج في مستقبل هذه اللغة . ولا ينحصر هذا في الدور الذى لعبته العربية منذ ذلك الوقت في العالم الإسلامى كافة ، من حيث صارت لغة الدين والحضارة على الإطلاق ، بل يتجاوزه بمقدار أعظم إلى النتائج التى تركتها غزوات الفتح على أيدي البدو تحت راية الإسلام في لغتهم . وبذلك صارت العربية لغة الطبقات السائدة الموجّهة في دولة سرعان ما امتدت رفعتها - في أوج اتساعها وانتشارها بعد سنة ٧٠٠ م - من أسبانيا غرباً ، إلى أواسط آسيا نحو المشرق . وقد زحفت العربية مع الفاتحين البدو فاستقرت في بعض أقاليم الدولة العربية الفتية ، واضطرت إلى الانسحاب بأخرة من بعض آخر ، كما كانت هناك مناطق استعاض سكانها الأصليون من العربية لإحياء ما بلى من لهجاتهم على مر الزمن ، وأخيراً أخرى بقيت فيها العربية لغة العلم المعتمدة فحسب . ولم يؤثر سقوط الدولة العربية (الأموية) سنة ٧٥٠ م في مكانة اللغة العربية ؛ بل لقد شهد عصر الازدهار في أوائل الدولة العباسية أقصى درجات العناية بالقواعد العربية ، ثم شهد ، على أثر ذلك مباشرة ، العصر الذهبي للأدب العربي ؛ كما أن انحلال الدولة العباسية إلى دويلات عديدة مستقلة ، ذلك الانحلال الذى أخذ نهايته في حوالى سنة ٩٣٥ م ، لم يزعزع من مكانة العربية ، التى رُبِطت إذ ذاك جميع أقطار المدينة الإسلامية ، على أنها اللغة الأصيلة للعلم والأدب ، برباط جامع وثيق . حقاً لقد رفع العصر السلجوقي بشرق العالم الإسلامى من شأن اللغة الفارسية الحديثة ، فجعلها اللغة الرسمية ، لغة السياسة الدولية (الدبلوماسية) ، وترجمان الثقافة العالية ، والأدب الرفيع ؛ ولم يعترف بالعربية إلا على أنها لغة الدين والفلسفة الكلامية فحسب ؛ كما أن الأحداث

السياسية قد دفعت مصر إلى أن تتبوأ مكانة الرياسة بين البلدان الناطقة بالضاد بعد الحروب الصليبية وهجوم المغول ؛ وهى مكانة عرف وادى النيل كيف يحتفظ بها إلى هذا اليوم ؛ بيد أن مقام العربية باعتبارها اللغة المعتمدة للعلم والأدب قد بقى حتى هذا العصر الحديث ثابت الأركان ، وطيد الدعائم ؛ ولم يجرؤ إلا بعض دعاة الإصلاح الإسلاميين على توجيه نقدهم اليوم - دون جدوى - إلى عقيدة اللغة العربية الفصحى .

هذه العقيدة التى جعلت من العربية الفصحى نموذجاً مفروضاً ، ومثلاً أعلى يقتفيه كل كاتب عربى ، جعلت من العسير بمكان أن نحصل على صورة واضحة للنمو والتطور الذى أصاب العربية ، ككل لغة حية ، فى مدة تربو على ثلاثمائة وألف عام . ولقد تكفلت القواعد التى وضعها النحاة العرب فى جهد لا يعرف الكلل ، وتضحية جديرة بالإعجاب ، بعرض اللغة الفصحى وتصويرها فى جميع مظاهرها ، من ناحية الأصوات ، والصيغ ، وتركيب الجمل ، ومعانى المفردات على صورة محيطة شاملة ؛ بحيث بلغت القواعد الأساسية عندهم مستوى من الكمال لا يسمح بزيادة لمستزيد . ولا تزال القواعد الأساسية المذكورة تعد اللغة العربية لغة متصرفة بمعنى الكلمة ، محافظة على نهايات الإعراب والتصرفات المختلفة ، كالضمة فى حالة رفع الاسم والفعل ، والكسرة فى حالة خفض الاسم ، والفتحة فى حالة نصب الاسم والفعل إلخ . ولما كانت علامات الإعراب هذه قد تلاشت منذ أجيال عديدة فى العالم العربى كله ، سواء على لسان عامة الشعب ، فى القرى والمدن ، أم فى شتى أساليب الكلام الجارى على ألسنة الطبقات المثقفة ، بل فى لهجات البدو أنفسهم ، فقد صار الإعراب هو الفارق الذى يميز عند المثقفين العرب بين العربية الفصحى وجميع القوالب والأساليب المولدة ، حتى اللهجات الدارجة ، واللغات العامية ، بيد أن هذا الإعراب ، أى الطريقة الخاصة التى كان ينطق عرب البادية على مقتضاها ، هى فى ذاتها سطحية ، بحيث لا تكفى وحدها لتكون ميسماً مميزاً للغة الفصحى . وليس من النادر أن نجد إعراب مجرد حلقة فارغة يقصد منها إلى إعرارة نوع من التعبير ، فى قالب مخالف للفصحى فى جوهره ، مسحة زائفة من الفصحى ، وإذن فجوهر القالب اللغوى وحقيقته هو

الذى يميز الطابع الصحيح للعربية الفصحى . ومن هنا يصح أن نقول : إن التحرر من الإعراب قرينة أكيدة على العربية المولدة ، لا العكس ، أى أنه ليست العربية المولدة منحصرة في التحرر من الإعراب .

لقد احتفظت العربية الفصحى ، في ظاهرة التصرف الإعرابى ، بسمة من أقدم السمات اللغوية التى فقدتها جميع اللغات السامية — باستثناء البابلية القديمة — قبل عصر نموها وازدهارها الأدبى . وقد احتدم النزاع حول غاية بقاء هذا التصرف الإعرابى في لغة التخاطب الحى . فأشعار عرب البادية — قبل الإسلام وفي عصوره الأولى — ترينا علامات الإعراب مطردة كاملة السلطان . كما أن الحقيقة الثابتة من أن النحويين العرب كانوا — حتى القرن الرابع الهجرى والعاشر الميلادى على الأقل — يختلفون إلى عرب البادية ليدرسوا لغتهم ، تدل على أن التصرف الإعرابى كان في أوج ازدهاره آنذاك^(١) . بل لا تزال حتى اليوم نجد في بعض البقايا الجامدة من لهجات العرب البداءة ظواهر الإعراب . أما أن أقدم أثر من آثار النثر العربى ، وهو القرآن ، قد حافظ أيضاً على غاية التصرف الإعرابى ، فهذا أمر ، وإن لم يكن من الوضوح والجلالة بدرجة الشعر ، الذى لا تترك أوزانه مجالاً للشك في إعراب كلماته ، فإن حرية الحركة في بناء جمل القرآن لا تترك أثراً للشك في إعرابه كذلك . انظر مثلاً سورة فاطر ٣٥ / ٢٨ : « إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ » .

وسورة التوبة ٩ / ٣ : « أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ » .

وسورة البقرة ٢ / ١٢٤ : « وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ » .

وسورة النساء ٨ / : « وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ » .

فمثل مواقع الكلمات في هذه الآيات (كالاستعمال اللاتينى *matrem amat filia*)

الأم تُحِبُّ الْبِنْتَ) لا يمكن أن يكون إلا في لغة لا يزال الإعراب فيها حياً صحيحاً . يضاف إلى ذلك شهادة القرآن نفسه ، كما في سورة النحل ١٦ / ١٠٣ : « وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ » . وصريح من هذا أنه لم يقم عند محمد ومعه شره فرق هام بين لغة القرآن ولغة العرب ، أى قبائل البدو . ولا يمنع ذلك أنه كانت هناك فروق

(١) انظر أمثلة لذلك في الفصلين السادس والتاسع من هذا الكتاب .

بين لهجة مكة ولهجات البادية ، وبين هذه الأخيرة بعضها مع بعض . فهي هي ذى قواعد رسم المصحف تدل على أن مكة قد تحررت من تحقيق الحمز ، كما أن لغة القرآن تختلف اختلافاً غير يسير عن لغة الشعراء ، فهي تعرض ، من حيث هي أثر لغوى ، صورة فذة لا يدانيها أثر لغوى في العربية على الإطلاق^(١) . ففى

(١) على أساس هذا الاختلاف بنى كارل فولرز K. Vollers فى كتابه : Volkssprache und Schriftsprache im alten Arabien, Strassburg 1906 نظريته اللافئة للأنظار ، من أن القرآن كان فى بادىء الأمر بلسان محمد ، يعنى بلهجة مكة الحالية من ظواهر الإعراب ، وأنه يدين بأسلوبه الذى وصل إلينا ، إلى تنقيح خاصع للقواعد التى اعتمدت فى العربية على الأخص من حيث الإعراب . وهذه النظرية التى تناووها نولدكه Nöldeke بنقد يرفض التسليم بها فى كتابه : Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910 1 — 5 فى كتابه : The Cairo Geniza, London 1947, p. 78 - 84 . وقد ساق كاله هنا ، وبالتفصيل وبسط فى مقاله The Qur'an and the Arabiya المنشور فى الكتاب التذكارى لتكريم المستشرق « جولدتسيهر » ، ص ١٦٣ - ١٨٢ ، عدداً من النصوص والروايات التى تحت المسلمين على مراعاة الإعراب فى ترتيب القرآن : نعم لا تدل هذه الروايات على أن القرآن فى حياة محمد قرئ فى أوساط المسلمين دون إعراب ، - وقد عرف النقاد المسلمون أنها موضوعة مزيفة ، وأبقوها بعيدة عن الكتب المعتمدة - ولكنها تدل على أن ترك الإعراب قد حصل فى وقت متأخر ، وأن النحاة رأوا من الضرورى أن يعملوا على محاربتها . وقد ساق كاله ، فى كتابه السالف الذكر ، نقلا عن الفراء المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، فى نص عربى يتضمن بعض هذه الروايات مع بيان لهذا النحوى الكوفى الضليغ فى موضوع بلاغة القرآن . وفى هذا يؤيد الفراء مذهب أهل السنة من أن القرآن نزل بأفصح اللغات ، ويرد على بعض علماء الشعر ، ورواة الأخبار التاريخية عن عرب البادية ، الذين لا يريدون أن يلتصقوا الإعجاز القرآن فى قوالبه اللغوية بل يرون كمال الفصاحة فى لغة عرب البادية ، ثم يختلفون (الكوفيون والبصريون والمدنيون والمكيون) . حول أى القبائل أفصح ؟ حسب اختلاف جوار كل منهم لقبيل من العرب ، فيذهب الفراء رداً على جميع هؤلاء إلى أن لغة قريش أفصح أساليب العربية على الإطلاق . ومن ينكر عقيدة الإعجاز اللغوى فى القرآن أهل الاعتزال من علماء اللغة . وقد أخذ تفسير الإعجاز القرآنى عند المعتزلة مذاهب شتى (انظر : Goldziher, Muh. Studien 2, 401) كما أن آراء المعتزلة انتشرت انتشاراً بعيداً بين علماء اللغة من أواخر القرن الثانى ، بحيث لم يعد ، كما يرى السنى المحافظ إبراهيم الحربى ، المتوفى ٢٨٥ هـ ، غير أربعة من نخبة البصريين الذين لا يتعلق الشك بثقتهم وصحة مذهبهم (انظر تاريخ بغداد ١٨/١٠) وكان الفراء نفسه يميل إلى الاعتزال ، ولكن ذلك لم يمنعه من موافقة مذهب أهل السنة فى موضوع إعجاز القرآن كما ذكر . وقد روى عنه أنه أنحى بشدة اللائمة على أبى عبيدة فى محاولته تفسير مجاز القرآن من الوجهة اللغوية (تاريخ بغداد ١٣/٢٥٥) .

القرآن ، لأول مرة في تاريخ اللغة العربية ، ينكشف الستار عن عالم فكري ، تحت شعار التوحيد ، لا تعد لغة الكهنة والعرافين الفنية المسجوعة إلا نموذجاً واهياً له ، من حيث ظاهر وسائل الأسلوب ، ومسالك المجاز في اللفظ والدلالة ، على حين أن هذا الأثر العظيم ، الذي وجد التعبير الموأثم لمضمون جديد برُمته ، إنما يصور مجهوداً لمحمد صلى الله عليه وسلم جدّ أصيل^(١) ، لا ينقص من قيمته أن محمداً نفسه كان يرى أنه وحى إلهي تلقاه في أوقات الاستغراق الديني . والاستعمالات القرآنية الخاصة ، التي تحتوى هي أيضاً على مخالفات للقواعد العامة ، تعد في مستوى مغاير للشذوذ المختلف المراتب ، بالنسبة للتصرف الإعرابي ، في العربية الفصحى والعربية المولدة . وقد بدأ التطور إلى العربية المولدة حينما انتقلت العربية بعد وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) مباشرة عن طريق الغزوات الكبرى في العهد الإسلامي الأول ، إلى خارج حدودها القديمة ، في مواطن لغوية أجنبية .

= وقد عالج Kahle آراء الفراء مرة أخرى في مقاله : The arabic Readers of the Koran (Jurnal of Near Eastern Studies 8, 1947, p. 65-71) . وأراد أن يعتبر من منكرى إعجاز القرآن اللغوي ، قراء القرآن الأولين في المدن الإسلامية الكبرى ، الذين رحلوا لمخالطة عرب البادية الخيميين في جوارهم ، قصداً إلى دراسة رواياتهم عن شعراء البدو ، ووضع قواعد مستنبطة من لغة الشعر لقراءة النص القرآني على مثالها ، وهو يفترض أن هذه الضرورات العملية هي التي أوجدت الباعث إلى جمع شعر الجاهلية وكتابتها في أوائل العصر الإسلامي . وعلى أساس هذه المادة التي تم جمعها ، وضعت لغة نموذجية ، كان الإعراب من ميزات ، ومن ثم أدخل الإعراب في قراءة القرآن . وانظر في الرد على هذا الرأي الفاسد لباول كاله : كتابنا فصول في فقه العربية ٣٣٣ - ٣٣٦ (المترجم) .

(١) هذا على ما يعتقده الغربيون من أن القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم . ولا تخفى مخالفة هذا لعقيدة الإسلام (النجار) .

العلاقات اللغوية في عهد الدولة العربية (الأموية)

٦٣٢ / ١١ - ٧٥٠ / ١٣٢

كانت هجرة القبائل العربية ، عقب وفاة محمد (صلى الله عليه وسلم) سنة ٦٣٢ / ١١ ، إيذاناً بشروق شمس عصر جديد للغة العربية . ففي مدة بضع عشرات من السنين حلت قبائل البادية ، في غزوات الفتح ، لهجاتها نحو الشمال إلى فلسطين وسورية وبلاد الرافدين حتى جبل طوروس وجبال أرمينية ، ونحو الشرق ، عبر العراق ، إلى إيران ، ونحو الغرب ، عبر شبه جزيرة سيناء ، إلى مصر وشمال أفريقيا ، ولم تكد تمضي مائة عام على وفاة محمد (عليه السلام) حتى امتدت الدولة إلى سفوح البرانس في المغرب ، وإلى أواسط آسيا على شواطئ نهر الهند في المشرق ؛ وهذا التغلغل الذي قامت به اللغة العربية ، إلى مناطق كانت تستوطنها لغات أخرى ، لم يكن ليحدث دون تأثير أو تغيير ، وإن اختلفت نتائج هذه العلاقات الجديدة ، حسب اختلاف الأحوال ، في مظاهرها وظواهرها . ولقد احتفظت كثير من القبائل البدوية في البلدان المفتوحة كذلك ، بطريقة حياتها البدوية ؛ وحافظت بذلك على سلامة لهجاتها وخلوصها . ولهذا كان لا يزال ممكناً في أوائل العهد العباسي ، أن يلاقي المرء من جنوبي البرتغال في الغرب ، إلى خراسان في الشرق ، قبائل عربية ، وأن يسمع من أفواهاها عربية بدوية خالصة ، لا تشوبها هجنة ولا عجمة^(١) . ومن جانب آخر لقد أدى عهد الفتح إلى بث روح من القوة في صميم العربية ، وإلى توحيد لهجات البدو أنفسهم . فعلى غرار البدو من غير العرب ، كقبائل الترك مثلاً ، لم تكن لهجات القبائل البدوية بالجزيرة العربية بعيدة الاختلاف من الوجهة اللغوية بحيث لا يمكن التفاهم ، حتى بين القبائل المتباعدة بعضها عن بعض في السكنى والجوار ؛ إذ إن أغلب الفروق - فيما يظهر - كانت في الأصوات ، والأبنية ، والمعاني ؛ أو على الأقل هذه هي الفروق التي لفتت

(١) انظر الفصلين السادس والتاسع من هذا الكتاب .

أنظار اللغويين العرب، الذين نعتهم على أخبارهم وحدها في معارفنا عن اللهجات البدوية^(١). ومن تلك الفروق — مثلاً — : العننة، أى النطق المفخم للهمزة^(٢)؛ والسكسكة، وشبهتها الكشكشة، أى إبدال السين أو الشين من الكاف؛ والتلتلة، أى كسر حرف المضارعة؛ [والعجعة، أى] قلب الياء المشددة جيماً في النسبة [مثلاً]؛ وأخيراً الأمثلة التي لا حصر لها من استعمال لفظ عند قبيلة، في صيغة تخالف صيغته عند أخرى، أو بمعنى يختلف كذلك. فهذه الخصائص اللهجية، قد صُفِّلت إلى حد بعيد في عهد الفتوحات التي وُحِّدت القادريين على حمل السلاح من مختلف القبائل في سبيل التعاون في الجهاد. يضاف إلى ذلك أن السياسة الواسعة الأفق التي امتاز بها الخليفة الثاني، عمر العبرى، المؤسس الحقيقي للدولة الإسلامية الكبرى (حكم ٦٣٥/١٣ — ٦٤٤/٢٣) قامت بقسط لا يستهان به في سبيل توحيد اللغة، وإنشاء لسان مشترك بين قبائل البدو جميعاً؛ كما حفظت العربية من الاضمحلال والانحلال. فلكى يحفظ عمر شعبه العربى من التلاشى في جماهير الشعوب المغلوبة، التي تفوقهم بكثرة العدد حرم عليهم أن يمتلكوا الضياع في الأقاليم الجديدة، أو أن يتخذوها لهم وطناً ومقاماً؛ كما جعلهم بمعزل عن المدن الكبيرة في البلدان المفتوحة، ما عدا سورية التي كانت استعربت إلى حد كبير قبل الإسلام، عن طريق القبائل العربية التي هاجرت إليها^(٣)، فأسكنهم في معسكرات من الخيام، كانت نواة للمدن العظمى في العالم الإسلامى، التي نشأت في بضع عشرات من السنين، كالבصرة والكوفة، والفسطاط، وغيرها. وبينما كانت تقيم هنا مختلف القبائل والعشائر في جوار قريب، اكتسبت أيضاً لهجاتهم قوة وفتوة، ونشأت لغة بدوية مشتركة وضعت الأساس لعربية القرون المتأخرة الفصحى.

حقاً لم يكن ممكناً أن يبقى حد فاصل، بين الفاتحين العرب والمغلبيين على أمرهم من غير العرب، قائماً على الدوام. لقد كانت توجد في جميع الأقاليم مناطق زراعية، لم يكن لأحد من السكان الأصليين عليها حق قانونى : الضياع

(١) يقدم كثير من النصوص : H. Kofler : WZKM (Wiener Zeitschrift für Kunde des Morgenlandes) Band 47 - 49.

(٢) ليس هذا التعبير مصيباً، لأن العين ليست صوتاً مفخماً (شبتالر). والصواب أن يقال : أى إبدال الهمزة عيماً (المترجم).

(٣) انظر لفهاوزن : (Skizzen, 6, 51 ff. b) Reich 83 Wellhausen : a

الملكية للأسر المبعدة من الحكم ؛ الأملاك التي انقرض ملاكها ؛ التركات التي هرب أصحابها أو نفوا ؛ إلى غير ذلك . هذه الضياع والأملاك احتازها ولاية الأمر في العهد الجديد على صورة إقطاعيات . وهذه الطبقة السائدة ، من الملاك العظام ، كانت على اتصال دائم بالسكان الوطنيين ، مهما كان هؤلاء - من حيث قلة العدد - أضعف من أن يؤثروا أثراً ظاهراً في تكييف العلاقات اللغوية وتغييرها . بل لقد كانت أكثر من ذلك كثيراً تلك الطائفة التي تلتحق بكل جيش عربي من غير العرب ، من العبيد ، والخدم ، والتجار ، والباعة وغيرهم ، ممن كانوا يقدمون الخدمات المختلفة لسادتهم الجدد ، ويخلقون بذلك مشكلة لغوية غير هينة . ومن هنا نشأت بالضرورة لغة للتفاهم ، لا يمكن أن نصورها بسهولة كافية إذا ضربنا لها مثلاً : *lingua franca* ، أو *Pidgin - English* أو غيرهما من اللغات المصطنعة لتقريب التفاهم عند الضرورة ^(١) وقد استعانت لغة التفاهم المذكورة بأبسط وسائل التعبير اللغوي ، فبسّطت المحصول الصوتي ، وصوغ القوالب اللغوية ، ونظام تركيب الجملة ، ومحيط المفردات ؛ وتنازلت عن التصرف الإعرابي ، واستغنت بذلك عن مراعاة أحوال الكلمة وتصريفها ، كما ضحت بالفرق بين الأجناس النحوية ، واكتفت ببعض القواعد القليلة الثابتة عن مواقع الكلمات في الجملة ، للتعبير عن علاقات التركيب . وفي أي صورة كانت تصدر هذه اللغة الجديدة ؟ هذا ما تشير إليه قصة تاجر الدواب ، الذي باع جنود المسلمين دواب رديئة ، فاستنطقه الحجاج ، فأجابه : « شريكاتنا في هوازا وشريكاتنا في مداينها وكما تجي تكون » ؛ أي أن هذه الدواب قد وصلت على ما هي عليه من رداءة من شركائه في بلادهم بالأهواز والمدائن ^(٢) . ولم تكن أقل من ذلك عدداً تلك الجماعات غير العربية ، التي وقعت في الأسر في أثناء حروب الفتح ، والتي دخلت معسكرات الفاتحين وبيوتهم عبيداً وإماء ، فوجدت نفسها فجأة وسط

(١) *lingua franca* اصطلاح أوربي يقابله في بلاد الشرق تعبير : اللغة الإفريقية ، وهي خليط من الكلمات الإيطالية والفرنسية واليونانية وغيرها ، يستعمله المشاركة في التفاهم مع الأوربيين . و *Pidgin - English* اصطلاح على لهجة إنجليزية مبسطة محورة من القواعد اللغوية ، يجري التفاهم بها بين الإنجليز والأجانب ، على الأخص في بلاد الشرق الأقصى . و *Pidgin* كلمة محرفة عن : *business* الإنجليزية (التجار) .

(٢) البيان للمحافظ ٦٨/١ و عيون الأخبار لابن قتيبة ١٦٠/٢

جماعة تتحدث العربية ، واضطرت إلى استعمال لسان السادة ولهجتهم . وبهذا عانت العربية على لسان غير العرب من تغييرات هددت بالمسخ صورة وقعها وجرسها ، وطبيعة تكوينها وتركيبها في الصميم . وتفاصيل هذا التطور غير معلومة لنا ، بسبب انعدام أخبار المعاصرين . بيد أن المؤلفات المتأخرة عن ذلك قد حفظت لنا مقداراً كبيراً من الأخبار عن الأخطاء اللغوية ، التي وإن كان كل منها على التفصيل ليس بذى قيمة خاصة ، إلا أنها في مجموعها تؤكد نوعاً من الخصائص والسمات بصورة مستفيضة ، بحيث يجوز لنا أن نعتبرها طابعاً مميزاً لهذا التطور . وهكذا نجد أن غير العرب يستبدلون بأصوات عربية معينة ، أخرى أسهل عليهم ، بحيث كان العربي يدرك من ذلك التبديل ما إذا كان الناطق فارسياً أو نبطياً . وقبل كل شيء ، نجد التعارض مع قواعد النحو والتصريف العربي للأسماء والأفعال كثير الذكر في الأخبار ، دليلاً على أن ترك التصريف الإعرابي كان من أول السمات على الخطأ في طريقة التعبير . هذا ، ولم تكن هناك لغة واحدة بين اللغات التي التقت بها العربية في عهد الفتح ، كانت محتفظة بنظام تصريفها القديم ؛ ولهذا كان من الشاق العسير على الأجانب الذين اضطروا إذ ذاك إلى استخدام العربية ، أن يتابعوا القواعد والنظم المعقدة للجملة العربية القديمة ؛ فأثروا التصريف بوساطة أساليب التعبير التقريبية ، التي اعتادوها في لغاتهم الأصلية ، وحذفوا حركات الإعراب الأخيرة . ومن المعلوم أن الروايات العربية تقرر أوائل النحو العربي بأبي الأسود الدؤلي (المتوفى ٦٨٩/٦٩) ، الذي يقال إنه وضع أسس هذا العلم ، إما بدافع من نفسه ؛ أو بأمر من والي الأموي زياد بن أبيه ؛ أو بإرشاد من الخليفة على نفسه ، لحفظ لغة القرآن من الفساد ، على السنة الداخلين حديثاً في الإسلام^(١) . وعلى الرغم من أن هذه الروايات المتفرقة المتضاربة غير تاريخية بالمعنى الصحيح ، فإن فيها ما يشير إلى أن اتحاذ المسلمون الجدد لغة العرب لساناً لهم كان هو الدافع الأول للملاحظات النحوية . . . وإلى أي حد كانت صعوبات التصريف الإعرابي هي الموجّهة لقواعد النحو

(١) طبقات ابن سلام ٥ وإرشاد الأريب ٢٨٠/٤ ونزهة الألباء ٣-١٣ والمثل السائر لابن الأثير (١٢٨٢ هـ) ٧ . وقد ساق ابن قتيبة في عيون الأخبار ١٥٨/٢ كلمة منسوبة لأبي الأسود في الفن .

الناشئة ؟ هذا ما تدل عليه الاصطلاحات التي ترتب الظواهر اللغوية ترتيباً سطحياً بحتاً بالنظر إلى حركات أو آخر الكلمات ، بقطع النظر عن اختلاف وظيفة النحوية فيها هو ذا الخليل بن أحمد (المتوفى ١٦٠ هـ ، أو ١٧٠ هـ) ، أقدم علماء النحو ، الذي أنقذت مصادفة سعيدة ^(١) اصطلاحاته ، يستعمل الرفع في الاسم المضموم المنون ، وكذلك الخفض في الاسم المجزور المنون ، والنصب في الاسم المفتوح المنون ؛ على حين يسمى بقية الحركات العارية من التنوين في الأحوال والصيغ المختلفة ، بأسماء الحركات العامة ، أى الضم والكسر والفتح ، كما أنه يسمى بالجر حركة الكسر التي تربط بين آخر الصيغة الفعلية وهمزة الوصل ^(٢) . ولا يوجد عنده ما يدل على تأثير النظرية القائلة بأن اختلاف حركات الكلمات المتصرفة متوقف على العامل النحوي ، إلا في التفرقة التي جعلها بين التوقيف ، أى عدم الحركة في أو آخر الحروف وما شاكلها ، والجزم ، أى سكون الفعل المجزوم . وعند تلميذه سيبويه نجد التقسيم الثنائي إلى معرب ومبني قد انتقل إلى المصطلحات كذلك ، فهو يطلق الرفع والجر والنصب على النهايات الإعرابية التي تتعاور الكلمات المعربة ، ويستخدم الضم والكسر والفتح للحركات وأواخر الكلمات المبينة ^(٣) . ولكن لا تفرقة عنده ولا عند البصريين المتأخرين ^(٤) بين الاسم والفعل المرفوعين ، والمنصوبين ، في تسمية الحركة ؛ والفعل غير التام يسمى المضارع أى المشابه للاسم في تصرفه ؛ ولا توجد عنده اصطلاحات خاصة لأحوال الاسم ، وتغيرات الفعل ، بل تصرف الاسم والفعل بوجه عام . وإذن فالإعراب ، أى التعريب أو الاستعراب اللغوي ، بمعنى النطق على طريقة العرب الخالص ، يتجلى في الدقة التامة في مراعاة دقائق التصرف الإعرابي .

هذا ، واتخاذ العبيد والجواري لإدارة المنازل في العهد الإسلامي المبكر ، يجد ما يشبهه في الدور الذي لعبه الرقيق من الزنوج ^(٥) بوجه خاص في

(١) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ص ٣٠ وما بعدها .

(٢) عبارة مفاتيح العلوم (عن الخليل) : والجر ما وقع في أعجاز الأفعال المجزومة عند استقبال ألف الوصل نحو لم يذهب الرجل هـ .

(٣) سيبويه (١٣١٦ هـ) ٢/١

(٤) انظر أيضاً مفاتيح العلوم ص ٢٩ .

(٥) انظر في هذا الموضوع : B, Moritz : Arabien 47

الجاهلية . فالمَثَلُ الذي نجده في شاعر المعلقة « عنترة » وغيره من أغربة العرب^(١) ، أى المنتمين إلى آباء من العرب وأمّهات من زنوج أفريقية ، يدل على أن الزنوج سرعان ما يصبغون ألسنتهم بلغة ساداتهم . ولا بد أن يكون اختلاف الألسنة في المدن التجارية ، لكثرة سكانها الأخلاط ، كما في مكة مثلاً ، أقوى من ذلك كثيراً . وتحتوى آية سورة النحل (١٠٣/١٦) ، في الطور المكى الثالث ، على إشارة عابرة إلى اللغة الأجنبية : « لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ لِإِيْنِهِ أَعْجَمِيٌّ » ، أى الرجل الذى توهّمه أعداء محمد معلماً له . ومن أقدم حواربى الرسول بُعد بلال الحبشى ، أول مؤذن في الإسلام . وهناك صحابى قديم آخر من صحابة الرسول : صُهَيْب بن سنان ، وهو وإن كان عربى الأصل إلا أنه اختطفه البيزنطيون في طفولته فربوه ، ولذلك كان ينطق العربية بلكنة بيزنطية^(٢) . كما يروى عن معاصر ثالث للرسول : سُحَيْم المشهور بعبد بنى الحَسَحَاس ، الشاعر المشهور ، أنه كان يرتطن لكنه أجنبية ، ولكن نظراً إلى أنه صار في عهد مبكر بطل رواية غرامية ، لم تعد التفاصيل التى تخبر عن لكنته النوبية أو الحبشية جديرة بالثقة^(٣) . وعلى الرغم من ذلك فقد كان عدد أمثال هؤلاء الأجانب من القلة بحيث لم يكن لهم تأثير في طابع العربية^(٤) . ولكن الأمر كان مختلفاً بالنسبة إلى أسرى الحروب في العهد الأول للفتوحات الإسلامية . فقد كان عدد هؤلاء وفيراً ، وأخذ في الازدياد ، إذ كانوا يتمتعون بحقوق النسب والمصاهرة ، وكان لهم أن يشتروا أنفسهم ،

(١) نقائض جرير والفرزدق ص ٣٧٢

(٢) الإصابة لابن حجر (١٣٢٨ هـ) ١٩٥/٢ . ورواية الجاحظ (البيان ٣٢/١) أن صهيياً كان يقول : إنك لهائن ، يريد إنك لخائن ، تشير فقط إلى أن العرب قد لفت نظرهم في اللهجة الرومية إبدال الخاء هاء .

(٣) الجاحظ (البيان ٣٢/١) وانظر الكامل للمبرد (١٠/٣٦٦) يروى مثلاً لذلك قوله : سمرت ، بدلاً من شمريت . أغاني ٢/٢٠ ، روى عنه : أهسنت بدلاً من أحسنت . وعلى النقيض من ذلك روى عنه ابن قتيبة (الشعر والشعراء ص ٢٤١) وابن جنى في سر الصناعة كما في خزانة الأدب ٢٥٧/٢) أحسنتك ، بدلاً من أحسنت ، أى أنه يصوغ الضمير المتصل للمفرد المتكلم حل

مثال اللغة الحبشية . انظر في هذا : Nöldeke, BSSW 21, Anm 2.

(٤) انظر كذلك نطق أحد العبيد السود في حكاية ذكرها الفضل بن سلمة في الفاخر (رقم ١٦٣) وفيها كثير من الألفاظ التى تدل على عدم تمكن الأجانب من العربية (شبيتالار) .

ويحرروا رقابهم ، كما كان يعدد قربة إلى الله تحريرهم بالإعتاق . وقد تألفت من هؤلاء العتسقى أو الموالى، بعد أجيال قليلة، الطبقات الدنيا والوسطى من المجتمع الإسلامى ، وامتلكت العناصر الطامحة من هذه الطبقات زمام اللغة التى تنطقها الطبقة العربية العليا ، على حين بقى السواد الأعظم عند أسلوب لغوى دارج ، ظهرت فيه ، بواسطة ترك التصرف الإعرابى قبل كل شئ ، سمات العربية المولدة . ومن هذه اللغة الدارجة فى القرن الأول ، التى أخذت — كما يبدو — بعض الخصائص المحلية فى المدن المختلفة ، نشأت اللهجات المتأخرة فى المدن الإسلامية .

استمر احتكاك العربية بلغات العالم المحيط بها بضعة قرون ، خرجت منها تدريجاً بمحصولها الحالى . ففى بادئ الأمر ، قدمت العربية لأقاليم دولة الخلافة مجرد خيوط واهية فى شبكة تتألف خيوطها الأساسية من التعبيرات المتعارفة لدى السكان الأصليين . وقد كانت قوة تلك الخيوط العربية موقوفة على قوة الجيوش العربية ، والإمدادات اللاحقة بها ؛ كما كانت تتناقص بوجه عام كلما ازداد البعد عن الوطن القديم . وقد هاجرت مع قبائل البدو ، الذين فتحت لهم غزوات الفتح مراعى جديدة لم تكن سعتها وعظمتها فى حسابان ، لهجاتهم ولحونهم حتى حدود الدولة . وإزاء هذا تمسك السكان الأصليون فى أول الأمر بلهجاتهم البالية . فقد كان الفلاحون ، الذين يسميهم الكتّاب المسلمون بالأنباط^(١) ، والذين كانوا يؤلفون فى المنطقة اللغوية الآرامية جمهور السكان الزراع ، ينطقون اللهجات الآرامية . وأمثال هؤلاء النبط كانوا يوجدون فى سورية ، على الرغم من أن هذا الإقليم كان قد شهد هجرة عربية قوية قبل الإسلام ؛ وفى بلاد الرافدين ، وفى الأرض الزراعية الخصيبة من سواد العراق . وكذلك فى المدن لم تتغير العلاقات اللغوية إلا بمقدار الزيادة التى أضافتها العربية الجديدة إلى ما فيها من تعدد الألسنة . وفى أى صورة من البطء أخذت العلاقات تتغير ؟ يدل على ذلك الحقيقة الثابتة ، من أن اللغة اليونانية فى غربى الدولة ، والفارسية فى شرقها ، ظلتا قرناً كاملاً لسان الحكم والإدارة ، وحتى فى المدن الناشئة فى مواضع المعسكرات العربية ، كالبصرة والكوفة ، كان سيل العناصر

Nöldeke, ZDMG 25, 124 ff. (١)

الإيرانية من القوة بحيث كانت اللغة الفارسية تحتل مكان التصدر في القرن الأول . ففي البصرة كانت أسماء الأمكنة المنسوبة إلى الأشخاص تختتم عادة بمقطع : - آن^(١) ؛ وهكذا كانت تسمى القواطع الكثيرة بأسماء أصحابها ، مثل : مهلبان ، أمستبان (نسبة إلى أبي أمية) ، جعفران (نسبة إلى أم جعفر) ، عبد الرحمان ، عبسيد اللان ويوجد بين أسماء القنوات الهامة بالبصرة صبيغ ، مثل : خالندان ، طلحتان ؛ وأشهر الأمثلة من هذا النوع اسم : رباط عبّادان^(٢) . وفي الفرق العسكرية الساسانية التي انضمت إلى العرب ، بقيت الفارسية لغة الخدمة في الجيش ، على حين كان بعضهم ، ولا سيما الزُط ، والسيابجة ، والأندغار ، يحملون أسماء قبائلهم الهندية ، التي انتظموا منها في الجندية^(٣) . وكان الفارس منهم يحمل اللقب الفارسي لمرتبته ، وهو : أسوار^(٤) ، الذي جمعه العرب على أساورة ، ونسبوا إليه : أسواريّ . وفي هذه الأوساط نشأ عبيد الله بن زياد (حوالي ٣٠ - ٦٧ هـ) الذي صار فيما بعد والياً على العراق^(٥) ، إذ كانت أمه مرجانة (مرجريت^(٦)) - ويدل الاسم على أن أصلها غير عربي - قد تزوجت الفارس شيرويه^(٧) : Sheroe ،

-
- (١) Grundriss der iranischen Philologie 1 2, 176, Nöldeke ZA 12, 183
(٢) أخذت هذه الأمثلة من الباب الخاص بتقسيم البصرة في كتاب البلاذري ص ٣٤٦-٣٧٢ وفيه كثير غير ذلك . ومن هنا أيضاً أخذ ياقوت القائمة التي ذكرها في معجم البلدان ١/٦٤٥ ولا يمنع هذا من وجود تسميات عربية محضة مثل : المسبارية (بلاذري ص ٣٦٤) .
(٣) البلاذري ص ٣٧٥ وانظر أيضاً : G. Ferrand EI (Enzykl. des Islam) IV, 214 und 1336
Ed. Sachau في مجلة التذكارية لسخاو ٢٨٥
(٤) في البهلوية : asvār وفي الفارسية الحديثة (سفار) وفي القواميس (أسفار) انظر :
P. Horn Grundriss der neupersischen Etymologie 165 Nr 749.
(٥) انظر : Zettersteen EI, IV 1066
(٦) يرجع لفظ مرجان بوساطة اللغة الآرامية (مرجانيتا) إلى اللغة اليونانية انظر : Sachau
على المغرب لجو اليتي ص ٦٥ .
(٧) Sheroe شيرويه بالعربية أحد الأسماء الكثيرة التي عالجها بالتفصيل Nöldeke في : Persische Studien I (SWA 16, I) 4 ff. . ومما يدل على معرفة العرب بأن لفظ : شير معناه الأسد ، قول ابن منذر (المتوفى سنة ١٩٨ هـ) في رجل اسمه شيرويه : وسمى الليوث بالفارسية (أغانى ٢٧/١٧) . وكان القصر الذي بناه شيرويه المذكور لمرجانة ، يسمى بالفارسية : هزاردار أي ذو الألف باب (بلاذري ٣٥٩) .

وسمح لها أبوه ، زياد بن أبيه ، أن تحتفظ بطفلها معها ، ولذلك كان عبيد الله ينطق عربية غير فصيحة^(١) ، فيقال إنه كان ينطق الهاء بدلا من الحاء ، والكاف بدلا من القاف — كما روى عن مولى لأبيه أيضاً ، وهو : « فِيل » الغنى ، أنه كان ينطق الهاء بدل الحاء ، والهمز بدل العين^(٢) — وأنه (عبيد الله) قال عن الأرض : است الأرض ، وأمر الجنود يوماً فقال لهم : افتحوا (أى سُلُّوا) سيوفكم ؛ مما دعا ابن مفرغ الشاعر أن يسخر منه بقوله :

ويومَ فتحتَ سيفَكَ من بعيدٍ أضعتَ وكلَّ أمرِكَ للضياع

ويروى أن معاوية أوصى زياداً ، الذى كان خطيباً مفوهاً^(٣) ، أن يصلح من لسان ابنه ؛ وإن كان روى أيضاً أنه عند ما ذكر لمعاوية لحن عبيد الله بمعنى الخطأ فى اللغة ، أجاب بأنه يجد لحنه (على التورية) أظرف^(٤) .

وحياة ابن مفرغ^(٥) الآنف الذكر تقدم دليلاً آخر على الدور الذى لعبته اللغة الفارسية بالبصرة . ذلك الرجل الذى عدّ نفسه — دون حق — من الحميريين ، والذى نسبت إليه تبعة أسطورة « تُبِع »^(٦) ، صحب سنة ٥٦ هـ^(٧)

(١) البيان للباحظ ٣٢/١ ؛ ٢/٢ ؛ والمعارف لابن قتيبة (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١١٨ ؛ والكامل للمبرد ٣٦٦ .

(٢) البيان للباحظ ٣٣/١ وعيون الأخبار ١٥٩/٢

(٣) البيان للباحظ ٢/٢ وعيون الأخبار ١٦٥/١ ويرى صاحب الأغاني (١٧/٦٦) أن الشعر قيل فى أخيه عباد بن زياد وفى أبيه من قصيدة طويلة .

(٤) كانت لخطبته التى افتتح بها ولايته على البصرة شهرة واسعة ، انظر : Wellhausen Das arab. Reich S 77 . وقد ذكر الرواة بعد ذلك اسمه مقترناً بأوائل النحو العربى ، نزهة الألباء ١٣ وإرشاد الأريب ٢٨٠/٤ ، كما رويت أخبار جمّة عن دقة إحساسه فى الأمور اللغوية . البيان للباحظ ٥/٢ ؛ ٢٦/١ وعيون الأخبار ١٥٩/٢ وصبح الأعشى ١٦٩/١ والوزراء للبهشيارى (BAHGI) ص ٢٢ ، وإن كانت مثل هذه الأخبار مروية أيضاً عن الحسن البصرى . (٥) الأمل للقالى ٥/١ والملاحن لابن دريد ٦ والأضداد لابن الأنبارى (القاهرة ١٣٢٥) ص ٢٠٨ ؛ وخزانة الأدب ١٤/٢ وغيرها .

(٦) انظر : A. Ebermann : Die Perser unter den arabischen Dichtern der Umayyadenzeit OLZ 30, 1149

(٧) الأغاني ١٧/٥٢

(٨) Zambaur, Manuel de généalogie 47

نَبَّاد بن زياد إلى خراسان ، ولكنه وقع معه في خصومة ، فأخذ يحقر أسرة زياد منذ ذلك الوقت في أبشع صورة ، وكانت البصرة جمعاء تتغنى بهجائه . وبعد عناء طويل استطاع عبيد الله بن زياد أن يضع عليه يده . وكما تجمع الروايات ^(١) ، أمر هذا بجر ذلك الأثيم عقاباً له في ثياب مهلهلة ، مشدوداً إلى هِرَّة وخنزير في قَرْن ، ليسير في طرق المدينة (البصرة) على هذا النحو . وقد تجمع خلفه — كما هو المتوقع — صبية الأزقة يصيحون ، ساخرين من حالة المزرية ، وهم يسألونه بالفارسية ، أين جيسْت : ما هذا ؟ وأنه أجابهم بالفارسية أيضاً : آبُ آسْت ، نبيذ آسْت ، عُصَاة زيبب آسْت ، سُمِّيَّة رُوسَبِي ^(٢) آسْت ؛ أى هذا ماء ، ونبيذ ، وعصاة زيبب ، وسمية البَغِي (يعنى بها الخنزيرة) .

وكما يشهد البلاذري ^(٣) ، كانت توجد في البصرة جالية إصبهانية يرجع أولها إلى صدر العصر الإسلامي . وزيادة على هذا جمع عبيد الله بن زياد سنة ٥٤ هـ . فرقة من الرماة مكونة من ألفي رجل من بخارى ، وجعل البصرة مقرّاً لهم ^(٤) .

ولم يختلف عن ذلك كثيراً أمر العلاقات اللغوية بالكوفة . فقد قامت هذه المدينة في بقعة كانت تتلاقى فيها اللغات الآرامية ، والفارسية ، والعربية من قديم . كما أن الحيرة الواقعة على مقربة منها ، والتي كانت بها — في نظر العرب — مقر إمارة اللخمين ، كانت قبل الإسلام مصدر انتشار مسيحية الآراميين ، وثقافة الساسانيين ، بين قبائل البدو في السهول السورية العربية المجاورة . وقد أخذت الكوفة المؤسسة حديثاً سُنَّة الحيرة ، فسارت على منوالها القديم ، وازدهرت وشيكاً ، على حين تراجعت الحيرة إلى الوراء . وكما كان

(١) الأغاني ٥٦/١٧ والشعر والشعراء ٢١٠ وخزانة الأدب ١٦/٢ وتاريخ الطبري ١٩٢/٢

(٢) روسي : رويت في الخزانة ، على حين يذكر في الروايات الأخرى : روسفيد (بيضاء

الوجه) انظر في هذا : Nöldeke : Das iranische Nationalepos S. 91 Anm. 2 : وانظر كذلك : البيان للباحظ ٦١/١ : ١٨ وفيه « روسفيد » وانظر أيضاً :

222. Rempis, ZDMC 101 (1951) (شبيتالر) .

(٣) ص ٣٦٦ .

(٤) ساق أدلة على تكوين هذه الفرقة : De Goeje BGA V, XVI . وانظر

معجم البلدان ٥٢٢/١ وعيون الأخبار ١٣٢/١ .

للبصرة أساورتها ، فقد كانت في الكوفة بقايا الجيوش الساسانية التي انضمت إلى العرب ، وأخذت تجاهد تحت راية الرسول (صلى الله عليه وسلم) . وبناء على خبر ^(١) للمؤرخ الكوفي « مسعر بن كدام ^(٢) » عقد أربعة آلاف فارس من جند شاهنشاه الذين قاتلوا تحت قيادة رُستم في القادسية ، أماناً مع سعد بن أبي وقاص ، يُخوّلهم حق النزول حيث أحبوا ، ومحالفة من أحبوا من العرب ، ويفرض لهم في العطاء . وقد اختاروا الكوفة مقرّاً لهم ، وسموا ، باسم نقيبهم « ديلم » : حمراء ديلم ^(٣) . أما في سورية ، حيث ساق زياد جماعة منهم بأمر معاوية ، فكانوا يسمون الفرس فقط ، كما أن زياداً نقل آخرين منهم إلى البصرة ، ونظمهم في صفوف الأساورة .

وكما حصل في البصرة ، كان يرد على الكوفة أيضاً سيل من التجار والصناع وغيرهم ، سرعان ما كونوا مع أسارى الحرب ، الكثيرى العدد ، ذوى الأصل الفارسي ، أغلبية السكان ، فصارت لغة التفاهم السائدة هي الفارسية . وقد كشف الجاحظ النقاب عن مدى تأثير هذه اللغة في لغة السادة العرب ، بما أورده من ألفاظ معرّبة في لهجة الكوفة ^(٤) . فهو يذكر أن الكوفيين يقولون : خيار ، بدلا من قِشَاء ، باذرُوج ، بدلا من الحَوَك (البقلة الحمقاء ، الرجل) ، ويدي ^(٥) ، بدلا من مجذوم . وإذا كانت كل سوق بالكوفة تسمى : وازار ، فإن هذا النطق المطابق للفارسية القديمة

(١) البلاذري ص ٢٨٠ .

(٢) توفي ١٥٢ هـ انظر : المعارف لابن قتيبة (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١٦٥ .

(٣) كانت هذه التسمية سبباً في الالتباس ببلاد الديلم ، فقد ذكر بعضهم (البلاذري ص ٢٨٠) أن أساورة الكوفة كانوا يرايطون على حدود الديلم ، وبعد الاستيلاء على قزوين (أى في سنة ٢٤ هـ) انضموا إلى صفوف المسلمين كما انضم إليهم أساورة البصرة في مثل هذه الأحوال . أما المدائني فيرى (البلاذري أيضاً في الموضع المذكور) أن جيش رسم الذي انضم إلى سعد بن أبي وقاص ودخل في الإسلام في حروب المدائن بعد ما استولى على جلولاء واستوطن الكوفة ، كان مكوناً من أعقاب أربعة آلاف أسير استرقهم برويز في حروبه مع الديلم . ونقل البلاذري عن أحد العلماء أن معنى الحمراء هو « العجم » . ويمكن أن يضاف هذا الموضع إلى المواضيع التي جمعها فولرز في مقالته über Rassefarben in der arabischen

Literatur في : Centenario Michele Amari I 87

(٤) البيان (١٠ / ١) ، وانظر أيضاً معجم البلدان ٣ / ٣٣٨ .

(٥) في القواميس الفارسية : فيلى وفيلى وفيلى ، بلاشواهد .

(على عكس : بازار في الفارسية الحديثة) يدل على التاريخ البعيد القدم لاستعمال الألفاظ الفارسية . وفي الكوفة أيضاً يعبر عن المسحاة بلفظ : بال . وهي في الفارسية الحديثة : بِلْ^(١) . وكان الناس في الكوفة يفهمون من كلمة : جَهَارْسُوك - وهي بالفارسية الحديثة : جَهَارْسُو - سوفاً على مقطع طريقين (وتسمى في البصرة : مُرْبَعَة) .

ولم يقتصر نفوذ اللغة الفارسية على العراق ، حيث برز بطبيعة الحال في أقوى مظهر ، ولكنه كان ملحوظاً كذلك في الوطن العربي القديم . فقد كانت هناك منذ القديم جاليات تجارية من الفرس في مدن الثغور في الجزيرة العربية ، كما جاء في غزوات الفتح عدد كبير من أسرى الحرب الإيرانيين إلى الحجاز بوجه خاص . والجاحظ أيضاً هو الذي لاحظ^(٢) التأثير اللغوي للجالية الفارسية القديمة في المدينة على ما حولها من البلدان العربية . وطبقاً لما ذكره كان المدنيون يستعملون كلمة : خَرَبُوز الفارسية (المعربة إلى خَرَبِيز) بدلا من : بطيخ ، ورُوْدَق ، بمعنى منتوف الوبرة ، بدلا من سَمِيْط ، و : أَشْتَرَنْج ، بدلا من : شَطْرَنْج ، و : مَمَزُوز ، بدلا من : ممصوص ، أي هزيل . والأول من هذه الأمثلة اصطلاح تجاري ، على حين يتصل الثاني بالمطبخ ؛ إذ يقول صاحب برهان قاطع^(٣) : إن رُود أو رُوْدَه كاللفظ العربي : سميْط^(٤) ، كلها بمعنى حيوان (حمل أو طائر) ينتف وبره أو ريشه قبل قلبه ، وبعد أن يغمس في ماء حار لهذا الغرض . واللفظ الثالث :

(١) يرى Horn في : Grundriss der neupersischen Philologie S.59 Nr. 257 أن يبل bēl نشأ من : بال bāl الموجود في بعض اللهجات ، بطريق الإمالة ، على حين يذكر في : Grundriss der iranischen Philologie ٣٣/٢ أن كلا اللفظين مثال للتبادل بين ڤ و ڤ في الفارسية الحديثة . وقد فسر لفظ : معبدة في شرح أشعار الهدليين ص ١٣٥ بلفظ : بال . وهناك أمثلة أخرى كثيرة لتحويل ڤ الفارسية إلى ألف ، وللاختصار أشير إلى كتاب Siddiqi, Pers. Fremdwörter 68 كما تنوب الألف عن ڤ كذلك في الألفاظ المستعارة من الآرامية . انظر أسماء الأماكن في المناطق التي كانت تتكلم الآرامية ، وتنتهي بالنهاية bā التي تعود إلى الآرامية (t) bē (شبيثالر) .

(٢) البيان ١٠/١

(٣) انظر في مادة : رود : Vullers Lexicon perisico - Latnum وفعل : رودان بمعنى : تنف ، لم يزل باقياً في الفارسية - اليهودية ، انظر : Horn, Grundriss (٤) انظر : سميْط في قاموس Lane . S. 258 Nr. 628

أَشْتَرَنْج (دون شكل عند الجاحظ) ، يدل على أنهم في المدينة لم يعبروا عن اللعب المعروف بكلمة : شَطْرَنْج ^(١) المعربة عن شَتْرَنْج الفارسية - دخلت الصيغة العربية : شَطْرَنْج ، إلى الفارسية الأدبية الحديثة ، وغلبت تقريباً على كلمة : شَتْرَنْج الفارسية - بل تمسك المدينيون في هذا المعنى بالنطق السائد عند الدوائر الفارسية بالمدينة : أَشْتَرَنْج . أما أنهم اتخذوا طريقة التعبير الفارسي هنا وهناك ، حتى في الألفاظ العربية الفصيحة ، فهذا ما يتضح من المثال الرابع : ممزوز ، بدلا من ممصوص ، حيث يستعاض عن الصاد الصعبة النطق على اللسان الفارسي ، بالزاي ^(٢) عن طريق المماثلة الجزئية مع الميم . وأخبار الجاحظ هذه عن العناصر الفارسية في اللهجة العربية للمدينة ، تنطبق بالتأكيد على القرن الأول للهجرة ، إذ إنه في ذلك الوقت وردت كلمة : رُوذَق ، الآنفة - وإن لم يكن في المدينة - في البيت التالي لجرير (المتوفى سنة ١١٠ هـ) وهو في نقائض جرير والفرزدق ص ٨٤٥ س ١٠ :

لا خَيْرَ في غَضَبِ الْفَرَزْدَقِ بَعْدَمَا سَلَخُوا عَجَانَكَ سَلَخَ الْرُوذَقِ ^(٣)
ويصدق هذا أيضاً على الشطرنج واصطلاحاته الفارسية على طول الخط ، فقد صاغ العرب مفرداً لكلمة : بياذق (في الفارسية الحديثة : بياده) التي أخذوها على أنها جمع حسب شعورهم ، فقالوا : بياذق ، تماماً على نمطهم في صوغ مفرد : فِرْدَوْس ، لفراذيس الذي حسبوه جمعاً . وقد استعمل الفرزدق كلمة بياذق في معناها ، وكان يعرف قاعدة اللعب ، من أن البياذق يتقدم إلى المربع الأخير فيتحول إلى وزير : نقائض جرير والفرزدق صفحة ٧٨٧ سطر ٦ :

(١) يضبطه المتزمتون في اللغة : شطرنج على وزن فعلل ؛ انظر : درة الغواص للبربري ١٣١ .

(٢) انظر حالات مماثلة في H. Schuchardt - Brevier S, 57.

(٣) فسر لفظ: رُوذَق في الشرح مرة بالحمل ثم بالجلد المسلوخ. ولما كان المعنى الثاني غير ظاهر من السياق رجح Bevan الأول ، وصواب التفسير هو : حل متتوف الصوف بعد غسسه في الماء الحار ، وانظر أمثلة أخرى للألفاظ والجمل الفارسية ذكرها Bevan في النقائض :

ونحن إذا عَدَّتْ ثَمِيمَ قَدِيمِهَا مكانَ النواصِي من وُجُوهِ السَّوَابِقِ
منعَتُكَ ميراثَ الملوك وتاجَهُم وَأَنْتَ لدرُعي بِيذِقَ في البِيَاذِقِ (١)
وكذلك استعمل جرير نفس اللفظ للدلالة على شيء تافه القيمة عن طريق
المجاز ، وذلك في بيت يرمى فيه جِعْثَن ، أخت الفرزدق - مع الإشارة إلى
مهر المثل - بأنها لم تأخذ مهرًا معيّنًا في عقد النكاح : نقائض ص ٨٤٥ س ١٥ :
سبعون والوصفاء مهر بنائنا إذ مهر جِعْثَن مثل حرُّ البيدق
كما أن استعمال كلمة : بِيذِق : أيضًا ، بمعنى رجل قصير القامة (٢) ،
يرجع إلى القرن الأول ؛ فقد كان هذا اللفظ يطلق لقبًا على مغنٍّ وقارئ
مدنى ، زار (٣) في أواخر حياته الخليفة يزيد بن عبد الملك (حكم ١٠١ -
١٠٥ هـ) . وهذا الكشف (عن قدم استعمال لفظ : شطرنج ومتعلقاته حتى
القرن الأول) يتفق تمامًا - كما يلاحظ بهذه المناسبة - مع قول الفقهاء
الإسلاميين إن مسألة تحليل لعب الشطرنج في الشريعة (٤) كانت موضع البحث
لأول مرة في عهد الطبقة الثانية ، بعد محمد [صلى الله عليه وسلم] ، أى طبقة
التابعين . نعم هناك عدد من الأحاديث المروية عن الرسول في تحريم (٥) اللعب
(المذكور) ، ولكن التقاد المسلمين تبينوا عدم صحتها ، ولم يؤخذ واحد
منها ضمن المجاميع (٦) المعتمدة .

(١) انظر : 693 (1844) ZDMG 28 Gildemeister ،
(٢) الأغاني ٢٠/١٢ وعبارته : « قال حدثني محمد الراوية المعروف بالبيدق (بالذال
لا بالذال) وكان قصيرًا فلقب بالبيدق لقصره وكان ينشد هارون أشعار المحدثين وكان أحسن
خلق الله إنسانًا » . بقى أن يعرف هل هو البيدق الذى زار يزيد بن عبد الملك ؟ ربما كان غيره وإلا
فإن هذا عاش في القرن الثانى . وقد سمي بالبيدق أيضًا أبو بكر بن على الصنهاجى الذى ذكر
حديثه عن أستاذه المهدي في : Lévy - Provençal, Documents inédits d'histoire
Almohade p. 50 - 133 كما ذكر ياقوت أيضًا في معجم البلدان مكاناً اسمه : « شاهيدق »
في بيت من الشعر لعبد الله بن أبي عوف الخزاعي المتوفى سنة ٨٦ هـ (معجم البلدان ٣/٣٤٤) .

(٣) الأغاني ١٦٣/١٣

(٤) أيضًا في كتاب حياة الحيوان للدميرى (مادة : عقرب) يوجد فصل عن حكم لعب
الشطرنج . انظر طبعة القاهرة ١٣٣٠ هـ ٢/٢٤٩ : ١٣ (شبيثالر) .

(٥) انظر عيون الأخبار (١/٣٢٣) .

(٦) انظر : كنز العمال للمتق ٣٣٢/٧ والإصابة (القاهرة ١٣٤٧) ١/٣٨٩ ولسان
الميزان ١٦٦/٢ وتمييز الطيب لابن الديبع (القاهرة ١٣٤٧) ١٦٨ وانظر النووى في ابن الديبع في
الموضع السابق .

وفي مصر ، كانت القبطية هي اللغة التي اصطدمت بها العربية . وقد بقيت لغة الفاتحين هنا أيضاً كما في العراق — مقصورة بادية ذى بدء على المعسكرات كالفسطاط قبل كل شيء ، وعلى المناطق التي اختارتها القبائل العربية ، لتكون مراعى لسوامهم . وكان للحقيقة الثابتة ، من أن أغلب المهاجرين العرب قد تجمعوا من قبائل يمنية الأصل ، أثر حاسم في التطور اللغوي بهذا الإقليم . وقد بقيت اللغة اليونانية بادية الأمر هي اللغة الرسمية . ولم تدخل العربية في دوائر الإدارة إلا في سنة ٨٧ هـ . بيد أنها لم تستو على سوقها حقاً إلا في أوائل القرن الثاني . وقد ظل الجمهور الأعظم من السكان الوطنيين متمسكاً بالقبطية ، كما أن النسبة المئوية للأقباط في المدن كانت جيداً كبيرة . ولكن بينما أثرت الفارسية في عربية العراق تأثيراً بعيد المدى ، وكثرت في اللغة العربية الفصحى الألفاظ الفارسية المعربة بصورة ملحوظة ، كان أثر القبطية في اللهجة العربية جلد ضئيل^(١) . وقد أراد بعض العلماء أن يعزو أسباب ذلك إلى الطابع القبطي القوي^(٢) ؛ ولكن بقي علينا أن ننظر فيما إذا كان تعذر كشف أثر اللغة القبطية في لغة الخطاب العربية في أثناء القرنين الأولين راجعاً إلى طبيعة مصادرها . فلو أن مصر سعدت بكتاب مثل الجاحظ أطلع بتصوير مستوى الطبقات الدنيا والوسطى بين سكان المدن في القرن الثاني ، ربما ظهر لنا أن العلاقات اللغوية في الفسطاط القديمة لم تختلف كثيراً عنها في البصرة والكوفة . حقاً لقد تم تعريب مصر بصورة أسرع وأعمق من العراق ؛ ففي القرن الثاني كانت قبائل عرب الشمال قد هاجرت إليها وفق نظام مرسوم ، كما يبدو أن تكاثر الدخول في الإسلام قد ازداد بقوة في نفس الوقت ، بعد أن كان لا يتقدم في القرن الأول إلا في حدود معتدلة ، بحيث رجحت كفة العربية في القرن الثالث ، على حين تراجعت القبطية إلى سهول الريف حتى تلاشت^(٣) تماماً في القرن السادس .

والهوة الواسعة التي كانت تفصل بين الطبقة العربية الحاكمة ، والجمهير

(١) انظر : K. Vollers, ZDMG 50, 633-6 E. Littmann ebd, 56, 681-4, W. Spiegelberg Zf Sem. 4, 61 f, EI II 1076 f.

(٢) انظر : Vollers a, a, O.

(٣) انظر : G. Wiet, EI, Qibt, J. Simon, ZDMG, 90, 44, f.

الغفيرة من رعاياها حتى سقوط الدولة العربية سنة ١٣٢/٧٥٠ ، لم يكن أبعد أثراً في اقتحامها والتغلب عليها من التسرى واقتناء السادة العرب للسرارى والجوارى ، فإن النظرية التى ترجع إلى عهد الوثنية العربية ، والتى تبيح للمالك الأمة أن يعاشرها معاشرة الأزواج ، قد احتفظ بها الإسلام ، فصار سنة متبعة ، أن تنضم الأسارى من النساء إلى حريم ساداتهن ، وهكذا سرعان ما نشأ ، حتى فى بيوت السادة العظام من العرب ، جيل بين أمهاته كثيرات من غير العربيات . وكان لا بد أن يترك ذلك أثراً بعيد المدى فى العلاقات اللغوية ، فإذا كانت الأجنيبيات اعتدن الدخول إلى حرم الدوائر العليا ، وإذا كانت هذه الدوائر العليا تعتمد على غير العرب أيضاً فى خدمتها ورعاية شئونها الدنيا ؛ فلا جرم أن تأخذ الشيبية الناشئة — تحت تأثير هذه العلاقات — شتى الخصائص اللغوية من لغة التفاهم الدارجة التى كانت غريبة عن العربية . ولقد كان النسل الناتج من غير الحرائر موسوماً فى نظر المجتمع الراقى بميىسم عدم الكفاءة فى المولد ، ولكن الشرع الإسلامى يعدلهم أحراراً ، ويسوى بينهم وبين إخوتهم من الحرائر فى الملك والميراث . أما أن هؤلاء الأبناء ، غير الأكفاء فى المولد ، على الرغم من انحطاط رتبتهم قد سموا إلى مراتب رفيعة ، لمنقبتهم الشخصية ، أو لمواتاة الفرص والأسباب ، فهذا ما يؤيده مثال أبناء سُمَيْيَّة ، فقد كانت أمهم جارية فارسية ^(١) أو بيزنطية ^(٢) الأصل — كما جاء فى الروايات — أهداها سيدها إلى الحارث بن كلدة الطيب . وعند ما حاصر محمد (صلى الله عليه وسلم) الطائف فى السنة الثامنة للهجرة ، ووعده ^(٣) بالحرية كل من ينضم إليه من أهلها ، سواء كان حراً أم عبداً ، قرر أحد أبنائها ، وهو أبو بكر ^(٤) تُفَيْيَع ، أن ينحاز إلى الرسول ، فصار معدوداً من مواليه منذ ذلك الوقت . أما أخوه نافع ^(٥) فقد ركن إلى الحارث بن كلدة

(١) المعارف ٩٧ ، ومعجم البلدان ٢/٩٥٢ (عن ابن الكلبي) ؛ وانظر أيضاً شعر ابن مفرغ (الأغاني ١٧/٦٥) .

(٢) عوانة (كما ذكره ابن حجر فى الإصابة ٧/٣٤٠)

(٣) ابن هشام ص ٨٧٤ ؛ والواقلى ص ٣٧١ (Wellhausen) ؛ والروض

الأنف ٢/٣٠٤

(٤) ابن سعد ج ٧ قسم ١ ص ٨ وما بعدها .

(٥) ابن سعد ج ٧ قسم ١ ص ٤٩ ؛ البلاذرى ص ٣٥٠ ، يحيى بن آدم (طبع ١٣٤٧ هـ)

ص ٧٨ .

وبقى عنده ، فاعترف الحارث ببنوته وأعتقه ، كما اعترف أيضاً بنسب أزدة^(١) بنت سمية . وأزدة هذه تزوجها عتبة بن غزوان مؤسس البصرة . هذا الزواج فتح لإخوتها — كان هناك ثالث لأبي بكرة ونافع ، هو زياد المولود سنة ٨ هـ — طريقاً إلى المجتمع الراقي ، فقد تبعوا أختهم إلى البصرة ، وامتلكوا ضياعاً عظيمة ، ولعبوا دوراً هاماً^(٢) بعد ذلك بقليل في المجتمع . وكما هو معلوم ، رَفَى زياد أعلى المناصب . وأخيراً اعترف به الخليفة معاوية بن أبي سفيان أخاً له من أبيه . ولم يكن معاوية ليقدم على ذلك لو لم تكن أبوة أبي سفيان له — على الأقل — أمراً ظاهراً . أما أن سمية كانت عاهراً ، فهذا أمر قد تقرر — على أقل تقدير — في أبيات ابن مفرغ^(٣) ، التي كانت تفقد مغزاها لو أن الإخوة الثلاثة جاءوا من نكاح صحيح .

كذلك يحتاط الغموض أصل أسرة أخرى كبيرة من العهد الأموي : أسرة المهالبة . ويريد أبو عبيدة^(٤) الذي كان يتتبع بجملة جمع كل المثالب عن المجتمع العربي ، أن يعلم أن أبا المهلب كان نساباً^(٥) فارسياً ، وهاجر من جزيرة حارَك Harak في الخليج الفارسي إلى عُمان ، وهناك انتقل من الجوسية إلى الإسلام ، مغيراً اسمه^(٦) إلى أبي صُفْرَة^(٧) ، وصار سائس خيل عُمان بن أبي العاص الثقفي ، الذي هاجر معه أخيراً إلى البصرة . وليكن باقياً

(١) المعارف ص ٩٧ .

(٢) البلاذري ص ٣٤٣ وانظر Wellhausen, Das arab. Reich S. 75 f.

(٣) الشعر والشعراء ص ٢١٣ ؛ الأغاني ١٧/٦٠ ؛ وفيات الأعيان ٣/٣٢٣ ؛ خزنة

الأدب ١٦/٥١٦ ، وانظر Nöldeke im Islam 14, 132

(٤) ابن رسته (BGA VII 205) ؛ معجم البلدان ٢/٣٨٧

(٥) يسم العرب الساجين وكل ذوى صناعة يدوية بميم الضعة G, Jacod, Altarabr.

(٦) Beduinenleben S, 150 f ، ولقد غالى بعضهم فروى من الأحاديث ما يؤكد ذلك ، ولكنه لم يرو في المجاميع المعتمدة (انظر : لسان الميزان ١/٤٤٢ ؛ ٣/١٤٤ ؛ ٤/٣٩٩ ؛ ٤/١٣١ ؛ ٤/٣٩٩)

(٧) سماه أبو عبيدة : بسفرة بن تهبوذان . وكلا الاسمين موجودان في شعر كعب بن الأشقر

كما ذكره ياقوت في معجم البلدان ٢/٣٨٧ على حين يذكر في الأغاني (١٣/٦٤) في نفس البيت : مرداذاء وفسخراء . ويذكر التعليق في الصفحة المذكورة أن هذين الاسمين لابن أبي صفرة

وجده . انظر أيضاً : Marquart, Festschrift E. Sachau S. 287

(٧) مثل هذا التغير تجده في : Goldziher, Muh. Studien I, 193 Anm 2

وفي : تاريخ بغداد ٨/٤٨٢ .

بعده بيان مبلغ هذه الأخبار من الصحة ، فحسبنا نحن فيما يتعلق بوجهة نظرنا ، أن دعوى أن المهالبة يجرى في عروقهم دم فارسي قد لقيت تصويماً وتأكيذاً في الأبيات التي هجا بها كعب بن الأشقر^(١) يزيد بن المهلب . ولا تستطيع تغطية ذلك شجرة^(٢) النسب الفاخرة ، التي معنيت الأسرة بتأليفها بعد ذلك . وفي المدينة برز أبناء الإمام في النصف الثاني من القرن الأول . فقد كان على زين العابدين (٣٦ — ٩٤ هـ) من حفدة علي ، والقاسم بن محمد من حفدة أبي بكر ، وأخيراً الفقيه الضليع سالم بن محمد (المتوفى ١٠٦ هـ) من حفدة عمر ، كان هؤلاء جميعاً غير أكفاء من جهة الولادة ، بيد أنهم لعبوا دوراً قائداً في المجتمع . وكما يرى الأصمعي ، أسهموا بقسط عظيم — بواسطة مناقبهم الشخصية — في تغيير^(٣) رأى المجتمع المدني في أبناء الجوارى . بل لقد أمكن في ذلك الوقت ، حتى في أسرة عريقة في الوثنية ، كأُسرة « أبي لهب » الملعون في القرآن ، أن يفخر^(٤) أحد أعقابها من غير الأكفاء : الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب — وكانت جدته حبشية^(٥) بانتسابه إلى عبد مناف . وقد ظل بيت الخلافة الأموية أحرص البيوت ، وأطولها أمداً — إلى حد ما — في الاحتفاظ بِمَسْئَل الجاهلية الأعلى من نقاء الدماء . وها هو ذا مسلمة بن عبد الملك (٦٣ — ١٢٠ هـ) بقي^(٦) مبعداً عن عرش الخلافة لأنه من أولاد الجوارى ، نعم لقد ولي عرش الخلافة يزيد الثالث ، وهو ابن جارية صُغْدية^(٧) من الأسرى ، سنة ١٢٦ هـ ؛ ولكن الفضل في هذا راجع إلى ثورة نشبت ، كما أنه حصل قبل سقوط الدولة العربية (الأموية) نهائياً بسنوات قليلة .

(١) الأغاني ١٣ / ٦٤ (أربعة أبيات) ؛ معجم البلدان ٣٨٧ / ٢ (البيتان الثاني والثالث) مع تغيير كثير . ويوجد البيت الأول أيضاً في : معجم البلدان ٩٣٣ / ٣ وفي البلاذري ص ٢٦٤ مع تغيير كثير أيضاً

(٢) ابن سعد (VII, I, 72) الأغاني ٨ / ١٨ ؛ المسمودي (تنبيه BGA VIII) ص ٣٢٠ ؛ الإصابة ١٠٨ / ٤ ؛ الاستيعاب (على هامش ابن حجر) ١٠٩ / ٤

(٣) عيون الأخبار ٨ / ٤

(٤) الأغاني ١٧٨ / ١٤ يضاف إلى هذا : Vollers, Centenario Michele Amari ١,88 وقد رجع هذا إلى : الفاخر للمفضل بن سلمة ص ٤٣ وفتح الباري لابن حجر ٦٢ / ١١ وغير ذلك .

(٥) الأغاني ٢ / ١٥ .

(٦) El, 3, 454

(٧) Wellhausen, Das arab. Reichh 226

بل كذلك الحياة البدوية لم تبق بعيدة عن التأثير بالمؤثرات اللغوية الأجنبية وهذا هو الحجاج يهدى جريراً ، لأول زيارة له بالعراق ، جارية^(١) من الرى ، ولدت للشاعر كثيراً من الأولاد ، كما تغنى بها فى أشعاره . وفى وسعنا أن نثق بالرواية التى تحدثنا عن نطقها الملحون ، مهما تكن الجملة التى قيلت على لسانها مخترعة^(٢) . وهذا ابن ميادة الذى يراه بعض النقاد آخر من يحتاج به من شعراء البادية ، يقدم لنا مثالا آخر فى الجيل التالى لذلك . وقد أهداه الخليفة الوليد بن يزيد (حكم ١٢٥ - ١٢٦ هـ) جارية من طبرستان ، كانت كاملة من جميع الوجوه ، ما عدا نطقها المعيب للعربية ، فقال ابن ميادة فيها :

بأهلى ما أَلَدَّكَ عند نفسى لو أنك بالكلام تعرَّيننا
كأنك ظبيةٌ مضغت أراكا بوادى الجِزَع حين تبغميننا^(٣)

وفى الثلث الأخير من القرن الأول ، كان قد أخذ نمو العربية المولدة - التى تكونت من العوائد اللغوية الراجعة إلى اللهجة الدارجة فى مناطق العربية القديمة - حداً لم تتوقف فيه الأخطاء اللغوية عن الظهور ، حتى فى الدوائر الأولى من المجتمع العربى . لقد صار منذ زمن طويل غير طبعى أن يتعلم أولاد هذه الدوائر الأولى ، من المحيط الذى هم فيه ، عربية جيدة ، وقد كانت هذه التجديدات تعدّ عند العرب الذين كانوا ذوى إحساس دقيق جداً منذ القدم ، بجبال لغتهم ، خطأ لغوياً (لحناً^(٤)) . ولهذا بدأت فى دوائرهم ردود الفعل ضد فساد اللغة ، ونشأ من ذلك فى أواخر القرن الأول (السابع الميلادى) مبدأ « تنقية اللغة العربية » الذى حمل راية المحافظة على نقاء العربية . وهنا أيضاً برهن الأمويون على أنهم حماة المبادئ العربية القديمة . فقد روى أن عبد الملك (حكم ٦٥ - ٨٦ هـ) كان يخلد أبناءه من اللحن ؛ فإن اللحن فى منطق الشريف أقبح من آثار الجدرى فى الوجه ، وأقبح من التفتيق فى ثوب نفيس^(٥) ، ويروى أن هذا الخليفة لم يكن يستعمل^(٦) صيغاً ملحونة حتى فى المزاح ؛

(١) الكامل للمبرد ص ٣٠١ .

(٢) البيان لمجاظ ٣٣/١ ؛ ٣/٢ .

(٣) الأغاني ١١٢ .

(٤) انظر الملحق فى خاتمة الكتاب .

(٥) البلاذرى (آلورد) ص ٢٦٠ ؛ البيان لمجاظ ٤/٢ ؛ عيون الأخبار ١٥٣/٢ .

(٦) أمالى الزجاجى (طبع ١٣٤٢ هـ) ص ١٤ لما بعدها .

وأنه كان يقدر الدقائق اللغوية حق قدرها ؛ فحينما غير الشاعر الخارجي أبو المنهال عتبان بن وُصَيْلَةَ بيته :

« ومنا أمير المؤمنين شبيب » إلى : « ومنا أمير المؤمنين شبيب » ، نال على هذا التغيير في الجواب استحسان الخليفة حتى أطلق سراحه^(١) . وعلى الرغم من ذلك فقد روى أنه أهمل^(٢) تأديب ابنه الوليد (حكم ٨٦ - ٩٦ هـ) ولذلك رويت في أخطائه اللغوية شتى الروايات اللاذعة^(٣) . وعلى النقيض منه تأدب سليمان بن عبد الملك (حكم ٩٦ - ٩٩ هـ) أدباً رفيعاً ؛ وكان يعظم^(٤) الجمال اللغوى ؛ كما روى عنه أنه قال في المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث ، أحد أشرف قريش ، ساخرأ منه : « المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث يفخّم اللحن كما يفخّم نافع بن جبير الإعراب » . وكذلك كان أخوه مسلمة رفيع الثقافة ؛ وكان يكره عمرو بن مسلم ، أخا قتيبة بن مسلم ، لأنه كان يلحن^(٥) في كلامه ؛ كما روى أنه كان يمقت السائلين الذين يلحنون^(٦) في لغتهم . وكان عمر الثاني (ابن عبد العزيز) (حكم ٩٩ - ١٠١ هـ) دقيق الإحساس في شئون اللغة بوجه خاص ؛ وكان لا يطيق أن يسمع في محيطه خطأ لغوياً أياً كان ؛ وكان يصلح ما يعترضه من الأخطاء^(٧) ، وكان يحب الواضح السهل من العربية حتى في الشعر .

وكان بعض معاصري الأمويين - كذلك - يقدّسون آراء مثل آرائهم .

(١) ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ٣٩٩/١ ؛ الديمري (١٣٤٨ هـ) ٢٦١/٢ وكثيراً ما تساق أبيات هذا الشعر دون تسمية قائله ؛ عيون الأخبار ١٥٥/٢ ؛ إرشاد الأريب ٢٥/١ ؛ المحاسن والمساوى للبيهقي ص ١٤٢ وغير ذلك .

(٢) الموشح ص ٢١٧ .

(٣) البلاذرى ٢٣٥ (آلورد) ؛ المحاسن والأضداد للجاحظ (١٣٢٤ هـ) ص ٦ ؛ نقد النثر المنسوب لقدامة ص ١٢٣ ؛ المحاسن والمساوى للبيهقي ص ٥٤ ؛ الكامل للمبرد ص ١٩٠ ، وانظر القلقشندي ١٦٨/١ .

(٤) إرشاد الأريب ٢٤/١ ؛ الميسني : ذيل سمط اللالك ص ٦٦ .

(٥) البيان للجاحظ ٤/٢ ؛ وفي المغيرة انظر : ابن سعد ١٥٥/٥ ؛ والأغاني ٤٨/١٥ ؛ وفي نافع انظر : تهذيب التهذيب لابن حجر ٤٠٥/١٠ .

(٦) الخفاجي : طراز المجالس للخفاجي (١٢٨٤ هـ) ص ٦٧ .

(٧) إرشاد الأريب ٢٥/١ ؛ البيان للجاحظ ٢/٢ ؛ ١٢٠/٢ ؛ المحاسن والأضداد للجاحظ

فقد كان الحجاج والى المشرق لا ينطق عربية ناصعة فحسب^(١) ، بل كان يقيم أيضاً وزناً لأن يعبر الناس في محيطه تعبيراً صحيحاً . ويزعم بعضهم أن كثير بن أبي كثير البصري ، الذى أراد الحجاج لإكراهه على عمل يتولاه ، تخلص منه بأن أساء إلى أذن الحجاج بلحن فظيع في القواعد^(٢) . حقاً لقد حمل الكره خصومه السياسيين أن يقولوا عنه إنه ارتكب أخطاء حتى في القرآن ؛ ولكن هذا حصل في آية قرأها وهو ساه ، حيث قرأ لفظ : أحب في سورة التوبة ٢٤/٩ بالرفع بدل النصب : « قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا » . وقد أوقعه في السهو مجيء^(٣) خبر كان بعدها باثنتي عشرة كلمة . وقرأ مرة أخرى في سورة العاديات ١١/١٠٠ بدل : إِنْ ، بكسر الهمزة في : « إِنْ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَيْرٌ » . أَنْ بالفتح ، متخلصاً من الغلط بحذف^(٤) اللام المزحلقة من الخبر . وكذلك كان سهواً منه حين قرأ^(٥) في سورة السجدة ٣٢/٢٢ : « إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ لَمُتَّقِمُونَ » بدلا من : « إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ لَمُتَّقِمُونَ » . ولم يقل عن الحجاج في تعظيم العربية أيضاً عمر بن هبيرة ، الذى كان والياً على العراق (سنة ١٠١ - ١٠٥) ؛ وكان يرى أن من يحسن العربية أعلى من غيره مقاماً في الجنة^(٦) .

ومثل ذلك التعظيم للعربية الخالصة ، نجده لذلك الوقت في الشعر أيضاً ،
فها هو ذا رؤبة (المتوفى سنة ١٤٥ هـ) يرى من الضروري أن يُبَرِّزَ في

(١) انظر البيان للباحظ ٦٨/١ : ٤/٢ ؛ أمالي الزجاجي ص ١٤ ، وقد قرن الزجاجي في الموضع المذكور ، بالحجاج الخطيب المشهور : ابن القرية . (انظر هذا في المعارف لابن قتيبة وابن خلكان ١٤٥/١) على أن كلا من عوانة (الأغاني ٩/٢ طبع دار الكتب) ، والأصمعي (الأغاني ٣/٢ نفس الطبعة) قد أنكرا وجوده التاريخي .

(٢) إرشاد الأديب ٢٥/١ .

(٣) طبقات ابن سلام ص ٦ ؛ نزهة الألباء ص ١٩ ؛ إرشاد الأديب ٢٩٦/٧ ؛ ابن

خلكان ١٩٣/٣ . Nöldeke, Geschichte des Qorans, III, 124 .

(٤) عيون الأخبار ١٦٠/٢ ؛ مختصر القراءات الشاذة لابن خالويه ص ١٧٨ .

(٥) البيان للباحظ ٤/٢ .

(٦) إرشاد الأديب ٢٢/١ .

أرجوزته التي مدح بها بلال بن أبي بردة قاضي البصرة (المتوفى سنة ١٢٠ هـ)
أن الممدوح يصحح الإعراب ولا يقع في الخطأ :

* فُزْتُ بِقِدْحِي مُعَرَّبٍ لَمْ يَلْحَنِ ^(١) *

ورؤية نفسه كان يحب أن يتمدح بمقدرته اللغوية ؛ فهو يبرز (ق ٣٥/٢٦)
ذكر العناية الدقيقة (التنطس) التي يبذلها في نظم كلامه . وهو يشعر
(ق ٣٦/٥٤) بتفوقه على خصمه ، أيضاً كان ، في الدراية وتعاطى الوحشى
الغريب من مادة اللغة (عُثْمِي) ؛ وهو يفخر (ق ٤٥/٣٦) بأنه ترك بعض
من عارضه من الشعر وراءه مثل الألف الذي ينطق لكنه أعجمية ، ولا يعرف
فرق الصحيح من الزائف في العربية :

* أَعْجَمَ لَا يَعْرِفُ زَيْغَ الزُّيْغِ *

وفي أرجوزته التي امتدح بها القاسم بن محمد بن القاسم ، ابن فاتح
السند ، أكد (ق ١٣٧/٢٢) أن نحوياً ضليعاً في العلم يفهم مداخل الكلام
(دهي العلم والتعبير) ، ليس له بُعْدُ نظره في اللغة ، مهما أشاح بوجهه غضباً
من ذلك :

كيف تراني أنتحى في الدفترِ على قضيب الذاهبات الشبرِ
لا ينظر النحوى فيها نظرى وإن لَوَى لَحْيِهِ بالتحكُّرِ
وهو دَهِى العلم والتعبير ^(٢)

(١) رقم ٥٧ ، بيت ١٥٤ (آلورد) .

(٢) يحتاج تاريخ هذه القصيدة إلى شيء من الاستقصاء . فهي - كما يؤخذ من البيت ١٤٩ -
موجهة إلى من اسمه القاسم ، والمقصود به كما ذكر في العنوان : القاسم بن محمد بن القاسم .
ويرى فيه كل من آلورد ص ٥٢ وكرلكو EI III 1259 القاسم بن محمد الثقفى الذى فتح
الهند في سنة ٩٤ هـ كما جاء في الطبرى ١٢٥٦/٢ ، وابن الأثير ٢٢٣/٤ وعلى ماجاء في الشعر
وعنوانه تكون صحة تسمية فاتح الهند : محمد بن القاسم الثقفى ، وهذا ما ذكره مثلاً إلياس برشينايا
في تاريخه على أنه فاتح الهند في السنة المذكورة (F. Baethgen, Fragmente
syr. u. arab. Historiker S, 42) ، وقد كان سن هذا عند شروعه في غزو الهند
١٧ سنة بشهادة أبي اليعقوبان (المتوفى ١٩٠ هـ) كما ذكره ابن قتيبة في عيون الأخبار ٢٢٩/١ ،
(وكما في الأبيات التي استشهد بها في البلاذرى ص ١٤١ ، وفي ابن الأثير ٢٢٤/٤ ، وهى من
قول حمزة بن بيز) . ولما كان فاتح السند المذكور قد قتل سنة ٩٥ هـ فلا بد أن يكون ميلاد
ابنه الممدوح حوالى سنة ٩٠ (إذ كان عمر أبيه عند فتح الهند ١٧ سنة كما ذكرنا) فلا يعقل أن
يمدحه رؤية إلا حوالى ١١٠ هـ على الأقل .

وفى مدحه لآخر والى أموى على خراسان : نصر بن سيار ، يقول رؤية (ق ١٩/١٩) إنه اختار لمديح نصر ألفاظاً متنخلة ، يتعب النحو فى فهم غرضه منها :

وأنا فى تخيرى وجسدى إذا تنخلت جِيَاد القسْد
يلتمس النحوى فيها قصدى مَجَّدت نصراً وهو أهل المجد
وعلى النقيض من ذلك يحقر يحيى بن نوفل الحميرى خالد بن عبد الله القسرى ، والى العراق ، (١٠٥ - ١٢٠ هـ) فى البيت :

والحنُّ الناس كلُّ الناس قاطبةً وكان يؤلِّعُ بالتشديق فى الخطب^(١)
وهذا يرجع إلى أن خالداً الضعيف القلب ، فزع فزعاً شديداً ، وطلب جرة ماء وهو متلجلج ، حينما تلقى سنة ١١٩ هـ ، وهو يخطب ، نبأ قيام الشيعة المغيرة^(٢) بن سعيد بثورة فى الكوفة . وقد غالى خصومه فى انتهاز هذا الحدث . ويرى المدائنى^(٣) أن خالداً كان حقيقةً لُحْنَةً بوجه عام ، وأنه كان يستعين فى خطبه برجل يلقنه ، كما يرميه بالتشديق ، إذ قال ذات يوم : إن كنتم رجبون (كذا فى البيان والتبيين) ، فإننا رمضانيون^(٤) ، ويعده الجاحظ من اللحنين البلغاء^(٥) . ولكن خالداً كان فى حقيقة الأمر خطيباً ممتازاً ؛ إذا انقطع عليه خيط الكلام عرف كيف يحسن الخروج من المأزق^(٦) . وبيت ابن نوفل إنما يدل على أنه منذ بداءة القرن الثانى الهجرى لم تعد سلامة التعبير من اللحن أمراً طبيعياً ، حتى عند ذوى المناصب الرفيعة .

ومما كان ذا مقام حاسم فى مستقبل العربية ، أن المجتمع العربى فى عهد الأمويين لم يكن هو وحده الذى يعترف بالعربية على أنها القدوة الرفيعة ، والمثل الأعلى ؛ بل كذلك الدوائر الإسلامية غير العربية (من طبقة الموالى) الملحقة فى التسامى والتعالى ، كانت ، فى سبيل طموحها إلى محاكاة الطبقة السائدة فيما تفعل ، تجارى هذه أيضاً فى الناحية اللغوية ، وتحتضن حركة

(١) البيان للجاحظ ٥٢/١ ، ٤/٢ ؛ وذكره المبرد (الكامل ص ٢٠) لشاعر آخر .

(٢) انظر الطبرى ١٦١٩/٢ ؛ الأشعرى ؛ مقالات : فهرست النوبختى : فرق الشيعة : فهرست ، ميزان الاعتدال ١٩١/٣ ، لسان الميزان ٧٥/٦ - Wellhausen, Das arab. Reich' 204 Anm. 2

(٣) الأغاني ٦٢/١٩ . (٤) البيان للجاحظ ٤/٢ . (٥) البيان للجاحظ ٥/٢ .

(٦) أمالى القالى (الطبعة الثانية) ١١١/١ ؛ عيون الأخبار ٢٥٧/٢ .

تنقية اللغة العربية ، بإعلاء شأن اللغة البدوية الخالصة . وكلما أخذت سلامة اللغة تصير أمراً من أمور التربية والتعليم ، قويت آمال غير العرب أن يستبدلوا - بالصبر والدأب - عربية فصحي من عربية اللهجة الدارجة في محيطهم .
وقديماً تملك الحسن البصري (المتوفى ١١٠ هـ) ، وهو ابن لأحد أسارى الحرب من مدينة ميسان ، أزمّة العربية ، بحيث كان رجال ضليعون ، كأبي عمرو بن العلاء ورؤبة ، لا يجدون غضاضة في أن يضعوه إلى جانب الحجاج^(١) . وكان تلاميذه المجتهدون يكتبون عبارات أسستأذهم ، لا لما تحتويه من علم فحسب ، بل لصياغتها اللغوية كذلك^(٢) . وكثيرة هي الأخبار^(٣) والروايات التي تطنب في وصف دقة إحساسه تجاه الأخطاء اللغوية . حقاً لا تُعْزِرب قراءته للقرآن عن ذلك الصقل والانسجام الذي تتطلبه حركة « تنقية اللغة العربية » عند نحاة العصر العباسي الأول ؛ فقد كان يقرأ مثلاً « الْحَمْدُ لِلَّهِ » بكسر الدال بدلاً من ضمها ، وبشهادة النحوي المصري : النحاس (المتوفى ٣٣٨ هـ) كانت صيغة الحمدلة على هذا النحو خاصة بلهجة تميم^(٤) ، وقد اجتهد الكوفيون في تأييد هذه القراءة وأختها : « الْحَمْدُ لِلَّهِ » بضم لام الله ، بِسَوَقٍ أمثلة أخرى لتناسب الحركات والإتباع ؛ وعلى التقريض من ذلك البصريون الذين عابوا هذه القراءة - التي هي فضلاً عن ذلك قراءة زيد بن علي (المتوفى ١٢٢ هـ) ورؤبة - بحجة أنها غير مستعملة إطلاقاً ، وأنها مخالفة للقواعد ، ومصطدمة بالإعراب^(٥) . ويصف الجاحظ قراءتين للحسن بأنهما خطأ صراح ، إحداهما : « وَمَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطُونُ » بدل « الشَّيَاطِينُ » في سورة الشعراء ٢٦/٢١٠ (ألا يقال ذلك أيضاً في آية ٢٢١ من نفس السورة ، وفي سورة البقرة ٢/١٠٢ ، وفي سورة الأنعام

(١) البيان للجاحظ ٦٨/١ ؛ ٤/٢ .

(٢) نجد مثلاً لذلك في أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ٨٠ ؛ وعنه في الفهرست (طبعة فلوجل) ٤١ ، وانظر أيضاً الكامل للمبرد ص ١٢٠ .

(٣) البيان للجاحظ ٥/٢ ؛ إرشاد الأريب ٢٠/١ ، ٢٢ ، ٢٤ ؛ أمالي القالي ١٤١/٣ ،

والبكري عليه ص ٦٦ . (٤) نزهة الألباء ص ٣٦٤ .

(٥) انظر الإنصاف لابن الأنباري ص ٥٧ ؛ ص ٧ ؛ ص ٣١٠ ؛ ص ١٠ ؛ ص ٣١١ ؛ ص ١٦ ؛ ص ٣١٥ ؛ ص ٩ ؛ وانظر المحتسب لابن جني في سورة الفاتحة ٢/١ ؛ وانظر المختصر لابن خالويه ، (Bibl. Isl. VII) ٣/١ وغير ذلك .

٧١/٦) ، والأخرى : صَادِي ، بدل : صَادٌ^(١) (سورة ص ١/٣٨) .
وفي الأولى نرى صيغة جديدة : شياطون ، وقد نشأت من توهم أن نون
جمع التكسير هي نون جمع التصحيح (المذكر السالم) . أما أن هذه الصيغة
الجديدة وردت حقيقة في الاستعمال اللغوي للقرن الأول ، فهذا ما تؤكدته
شهادة ثقات قدماء آخرين ، مثل سعيد بن جبير (المتوفى ٩٥ هـ) وطاووس
(المتوفى ١٠٦ هـ) ؛ بل كذلك الأعمش نفسه (المتوفى ١٤٨ هـ) . بيد أن
شياطون ، ككثير من الصيغ المخالفة للقواعد ، التي وردت في القراءات
الشاذة ، لم تلق قبولا عند النحاة ، بل عابها غالبيتهم^(٢) وعدوها خطأ صريحاً .
وليس كذلك أمر القراءة الثانية : صَادِي ، التي تدين في نشأتها إلى نظر
تفسيري محض ، حيث فهمت على أنها أمر من مصدر المادة الثلاثية :
ص د ي ، ومن هنا لا تتعارض في صيغتها مع قواعد^(٣) النحو .

ومن الممكن أن يحيط غير العربي باللغة العربية إحاطة تامة ، بيد أن
خصائصه في التعبير تنم على أنه أجنبي . وهكذا نمت لهجة الفقيه السوري
الكبير : مكحول (المتوفى ١١٧ هـ) ، على أن نسبه يمت إلى أحد الأسرى
من « كابل » ؛ فقد كان يستعيض^(٤) من الحاء بالهاء ، ومن القاف بالكاف ،
كما أعرب المحدث الثقة الكبير : نافع (المتوفى ١١٧ هـ) ، شيخ الإمام
« مالك » - يضع البخاري سلسلة : مالك عن نافع عن ابن عمر فوق كل
إسناد - عن أصله الديلمي^(٥) ، بسبب تعبيره .

بل حتى في أكثر النواحي اختصاصاً أصيلاً بالعرب ، وهو فن الشعر ،
كان على العرب أيضاً أن يرضوا بمنافسة الأجانب . وقد يما ، في النصف الثاني
من القرن الأول ، نال رجل غير عربي هو زياد الأعجم (المتوفى حوالي
سنة ١٠٠ هـ) من حيث هو شاعر في بلاط المهلب بن أبي صفرة (المتوفى
٨٢ هـ) في خراسان ، مجداً وعلواً كبيراً . لقد كان فارسي الأصل ؛ ويرجع

(١) البيان للباحظ ٤/٢ .

(٢) المحتسب لابن جني في سورة الشعراء ٢٠/٢١٠ ؛ المختصر لابن خالويه ص ١٠٨ ،
الكشاف : ص ١٠١١ ، تاج العروس ٥/١٧٢ .

(٣) المحتسب لابن جني في سورة ص ١/٣٨ ؛ المختصر لابن خالويه ص ١٢٩ .

(٤) المعارف ص ٢٣٠ ؛ ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ٢/٥٨٥ ؛ تذكرة الحفاظ للذهبي ١/١٠٢ .

(٥) تذكرة الحفاظ للذهبي ١/٩٤ ؛ تهذيب التهذيب لابن حجر ١٠/٤١٤ .

لقبه : « الأعجم » إلى لكتته الفارسية ، وضعفه في نطق العربية . ويصفه أحد خصومه ، وهو المغيرة بن حبياء ، بأنه « عالج أعجم » ، وأنه أعجمي لسانه وأنه « ابن زَرْوان^(١) » ، والأقوال التي رويت على لسانه^(٢) تدل على أنه كان يستعيض من العين بالهمز ، ومن الحاء بالهاء ، ومن حروف الإطباق بنظائرها المرققة . وهذه الظواهر في نطق العربية من السمات الخاصة بالألسنة الفارسية ، مما يحملنا على الركون إلى هذه الروايات الواردة في هذه النقطة على الأقل وإن كانت أهم هذه الروايات^(٣) قد حكيت^(٤) أيضاً عن زياد ، أخى حسان ابن أبي حسان النبطي^(٥) الذي اشتهر بأعمال السّقي والرّي في العراق على عهد الوليد وهشام . ولكيلا يتأثر حسن الجرس في أبيات زياد الأعجم بضعف نطقه ، أهدي إليه المهلب غلاماً يجيد^(٦) الإلقاء . وما كان ليفعل ذلك لو لم تكن أبيات الشاعر سليمة من حيث النحر والقواعد . وفي الحق إن تركة^(٧) زياد الشعرية لتدل على أنه كان متمكناً من العربية متمكناً كاملاً ؛ ومرثيته للمغيرة بن المهلب (المتوفى ٨٢ هـ^(٨)) من أشهر المراثي في الشعر العربي^(٩) . نعم لقد أخطأ في قوله (في مكان آخر) :

إذا قلتُ قد أقبلتُ أدبرتُ كَمَنْ ليس غادٍ ولا رائحُ

إذ كان يجب أن يقول : كمن ليس غادياً ولا رائحاً . بيد أنه من قبيل التعميم ، الذي لا وجه له من الحق ، أن يقول فيه ابن قتيبة^(١٠) بسبب ذلك :

(١) الأغاني ١١/١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) الأغاني ١٤/١٠٣ ؛ البيان للباحظ ١/٣٢ ؛ الكامل للمبرد ص ٣٦٦

(٣) الأغاني ١٤/١٠٢ ، وانظر : خزانة الأدب ٤/١٩٣ ففيها الصواب .

(٤) البيان للباحظ ٢/٣ ؛ المحاسن والأضداد (القاهرة ١٣٢٤ هـ) ص ٧

(٥) انظر في هذا : Wellhausen, Das arab. Reich S. 157

(٦) الأغاني ١١/١٦٥

(٧) حفظ كتاب الأغاني كثيراً من شعره ، كما توجد طائفة من أشعاره في كتب التراجم والتاريخ والأدب والمختارات .

(٨) أمالي القائل ٨/٣ - ١١ ؛ وشرح البكري ٣/٧ في الموضوع نفسه ؛ ويضاف إلى

المصادر المذكورة فيه : إرشاد الأريب ٤/٢٢٢

(٩) الأغاني ١٤/١٠٢ .

(١٠) الشعر والشعراء ص ٢٥٩ ، Reckendorf, Syntax S. 97 وقد أخذ سهواً

بحكم ابن قتيبة دون تمحيص .

إنه كان كثير اللحن . بل ربما كان أبو الفرج الأصهباني مصيباً حين يصف^(١) عبارته اللغوية بالسلامة من الخطأ : « فصيح الألفاظ » .

وقد وجد مثال زياد الأعجم تكرر رأ ، بعده بنصف قرن ، في شخص أبي عطاء السندی ، الذي يأخذ مجرى حياته مهيباً مطابقاً لمجى حياة الشاعر القديم بصورة لافتة للأنظار . لقد كان أبو أبي عطاء^(٢) عبداً من السند ، لا يكاد ينطق العربية . وعنه أخذ ابنه ، الذي نشأ بالكوفة ، نطقه السقيم ، كما يفعله كثير من الهنود إلى هذا اليوم . كان يبدل الحاء هاء ، والجيم زاياء ، والشين سيناً^(٣) ؛ لكنه كان ذا ملكة في الشعر لا يستهان بها ؛ حيث حصل وشيكاً بمدائح على إعجاب معاصريه . وكان أشهر من احتضنه وشد من أزره وإلى خراسان لبني أمية : نصر بن سيار (حكم ١٢٠ - ١٣١ هـ) ، الذي كان هو أيضاً على عرق في الشعر ، وكان يعجب بالشعر الجيد . ولما كانت لهجة « السندی » لا تسمح له أن يلقى الشعر ، فقد استوهب أحد مدوحيه ، وهو سليمان بن سليم بن كيسان الكلبي^(٤) ، عبداً حبشياً للإلقاء . وقد بقي لنا الشعر^(٥) الذي استوهب سليمان به هذا العبد :

أعوزتني الرواة يا بن سليم وأبي أن يُقيم شعري لِسَانِي
وغلّ بالذي أجمع صَدْرِي وشكاني لعجمتي شيطاني^(٦)
وازدرتني العيون إذ كان لوني حالكاً مجتوئ من الألوان^(٧)
فضربتُ الأمور ظهراً لبطن كيف أحتالُ حيلة للسانِي

(١) الأغاني ١٤/١٠٢ .

(٢) الأغاني ١٦/٨١ - ٨٧ .

(٣) الشعر والشعراء ص ٤٨٢ ؛ الأغاني ١٦/٨١ ، ٨٢ ؛ ٨٧ ؛ شرح الحماسة للتبريزي ص ٢٦ ؛ خزائن الأدب ٤/١٧٠ ؛ ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ٥٨٥/٢ وانظر الخبر الذي رواه ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٤٨٢ = الأغاني ١٦/٨٣ = ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ٥٨٥/٢

(٤) كان على رأس القوات السورية في العراق التي رابطت في الحيرة تحت ولاية يوسف بن عمر (١٢٠ - ١٢٦ هـ) واشتركت في قتال زيد بن علي (انظر الطبري ٢/١٧٠٨ ؛ ٢/١٨٣٨)

(٥) الأغاني ١٦/٨٢

(٦) ويروي : وجفاني لعجمتي سلطانِي . والظاهر أنه تحريف حادث : انظر : Goldziher Abhandl. z. arab. Philologie 1, 13 Anm. 2

(٧) روي : وعدتني العيون .

وتمنيت أننى كنت بالشعر... رَفَصِيحاً ، وبان بعضُ بناتى^(١)
ثم أصبحت قد أنخت ركساي عند رَحْبِ الفِناء والأعطان
فأكفنى ما يضيق عنه رُواى بفصيح من صالحى الغلمانى
يُفهم الناس ما أقول من الشعر... ر فإن البيان قد أعيانى
فاعتمدنى بالشكر يا بن سليم فى بلادى وسائر البلدان
ستوافيهم قصائدُ غُسر فيك سبّاقة بكل لسان
فقدماً جعلتُ شكرى جزاء كل^(٢) ذى نعمة بما أولانى
لم تنزل تشتري المحامد قسداً بالربيع الغالى من الأثمان
على أن الأمر لم يكن مقتصراً على الفرس والهند فحسب ، بل لقد كان ،
حتى بين المحقرين من الزنوج - حوالى أواخر القرن الأول وأوائل القرن
الثانى - رجال تمكنوا من ناحية العربية تمكناً تاماً ، بحيث سجلوا لأنفسهم
ذكراً ومكانة فى الشعر . فحينما حقر جرير^(٣) - عرضاً من شأن الزنج ،
فى قصيدة ، تهكم فيها بالأخطل ، انبرى زنجى للرد عليه بقصيدة تغنى فيها بمدح
بنى جلدته ، وعدَّ أبطالهم وشعرائهم . وقد أثارت قصيدته إذ ذاك دهشة
عظيمة ، وإن طُرحت بعد ذلك فى زوايا النسيان ، فلم يصل إلينا منها إلا
بضعة أبيات^(٤) . وحتى اسم صاحبها لم يرد فى صورة ثابتة ؛ فعلى قول المبرد^(٥)
يسمى : رياح بن سُنيح ، وكان مولى لبني ناجية ، ويقول آخرون إن اسمه
- على عكس ذلك - سنيح بن رياح ، (أو صُبَيْحُ بن رِبَاح^(٦)) ؛ ويذكر

(١) يؤثر المؤلف : وبان بعض بيانى ، ولاداعى إليه . وربما كان فى البيت قبله : كيف
أحتال حيلة لبيانى ، تفادياً للإيطاء مع البيت الأول (النجار) .

(٢) انتصب لفظ : كل ، على أنه مفعول للمصدر وهو : جزاء .

(٣) نقائض جرير والأخطل ؛ نشرها أنطون صالحانى (بيروت ١٩٢٢) : ٨٨ .

(٤) ذكر الجاحظ ١٤ بيتاً منها فى رسالة تفضيل السودان على البيضان (ثلاث رسائل
للجاحظ ، طبع فان فلوتن) ص ٨٤ وما بعدها . وانظر أمالى ابن الشعرى ١/ ١٩٤ (طابع
كرنكو) ونقائض جرير والأخطل السالف الذكر .

(٥) الكامل ص ٤١٥ ويوجد فى بعض النسخ الخطية رياح بن صبيح .

(٦) كذا فى الجاحظ عند الموضع السالف الذكر . وقرأه فان فلوتن : شيخ بن رباح ، وهى
قراءة رديئة . وقرأه صالحانى فى النقائض : سنيح بن رياح ، وذكر فى التعليق بعض الاختلافات
وقرأه كرنكو - غلطاً - سفيح بن رباح .

المبرد أنه : فصيح ؛ كما أن أبياته الباقية تدل على أنه كان يفهم كيف يتعاطى فنّ الشعر العربي ولغته ، ويحسن أساليبه . ولكي يحقّر جريراً ، مدح في قصيدته خصمه بكلمات المدح التالية :

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ عَادِيَةٌ طَالَتْ ، فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ^(١)
وهذا هو البيت الفرد الذي يكثر سوقه من أبيات القصيدة ، وإن كان دون تسميه قائله . وهو يشتمل على تأليف غريب للكلام ، بل معيب عند بعض النقاد . وكان التأليف الطبيعي يقتضى : طَالَتْ الْأَوْعَالُ فَلَيْسَ تَنَالُهَا . بيد أن من شعراء البادية من سمح لنفسه بحرية أجراً من هذه ، فلا يجوز لأحد أن يرجع هذه الظاهرة إلى أصل الشاعر غير العربي . وقد اشتهر برداء التأليف مثلاً - بيت الفرزدق التالى ، من قصيدة يمدح بها إبراهيم بن هشام بن إسماعيل خال الخليفة هشام بن عبد الملك :

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مَمْلُكًا أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبَوْهُ يَقَارِبُهُ^(٢)
كذلك يبدو فساد التأليف في بيت الفرزدق التالى ، من قصيدة يمدح بها الوليد بن عبد الملك :

إِلَى مَلِكٍ مَا أُمُّهُ مِنْ مُحَارِبٍ أَبَوْهُ وَلَا كَانَتْ كَلِيبٌ تُصَاهِرُهُ^(٣)
وقصائد الفرزدق بوجه خاص ، بها بعض الأبيات التى كثيراً ما سببت^(٤) لشارحها عناء كثيراً ، لما يرد فيها من التداخل عن صنعة واختيار .

بل لقد ظهر كذلك في أواخر القرن الأول فتور في الإحساس اللغوى القديم عند الشعراء من أصل عربى . حقاً لقد كان الطراز الرفيع من الشعر يجرى على السنن المرسوم ، والتقاليد المرعية ، ليس فقط من حيث الموضوع واختيار المقام والمقال ، بل كذلك في شكله من حيث الثروة اللفظية وطرق التعبير . بيد أنه على الرغم من ذلك ، كان في الأول ، يصدر عن طبع صادق ،

(١) أمالى المرتضى ٤ / ١٣٠ ؛ الشنتمرى على سبويه ٣٥٦/٢ ؛ العمدة لابن رشيق ١٧٤/١ ؛ تاج العروس ٢٣/٧

(٢) سقط البيت في الديوان . وقد أضافه الصاوى في ص ١٠٨ . نقلا عن الأخبار والروايات .

(٣) العيني على هامش الخزائن ١/ ٥٥٥ ؛ وفي الديوان ٣١٢ وردت الرواية : أبوها وهى أخف تعقيداً .

(٤) يحتوى الأغاني ١٩/١٥ فا بعدها على أمثلة كثيرة من ذلك .

ونبع أصيل ، أما في ذلك العهد فقد انتشرت الصنعة والتقليد عند المولدين أيما انتشار .

وها هو ذا ديوان الشاعر : « الطرماح » ، حافل بالعبارات المنتقاة ، والألفاظ المبهمة . لقد نشأ في سواد الكوفة ، ويقال عنه : إنه كان يكتب ألفاظ النبيت ، فيعرّبها ، ويدخلها في شعره^(١) . ويعدّ الأصمعي - وحكمه راجح الوزن - الطرماح والكميت من الشعراء المولدين الذين لا يحتاج باستعمالهم اللغوى ؛ ويزعم أنهما استعملا عبارات أغارا عليها من أقوال غيرهما ، دون أن يفهماها فهماً صحيحاً^(٢) . وهو يقصد « من أقوال غيرهما » رؤية الراجز ، الذى حكى أنه ، وهو في فارس عند ممدوحه أبان بن الوليد البجلي^(٣) ، سأله الطرماح والكميت عن شىء من الغريب ؛ فلما كان بعيداً رآه في شعرهما^(٤) ولقد كان رؤية في مثل هذه المعلومات - بطبيعة الحال - أبا معذرتها ، الذى يسمو في فهم أسرار اللغة ودقائقها على المستفسرين بكثير ؛ وحتى لو كانت أقواله مغالى فيها ، أو كاذبة كما شك^(٥) فيها بعضهم على غير أساس ؛ فإن حكم الأصمعي جيد صحيح ، ويؤيده ديوان الشاعر كل التأييد ، كما ستبينه

(١) الموشح ص ٢٠٨

(٢) المرجع السالف ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٣) كان أبان عاملاً لخالد بن عبد الله القسرى بين ١٠٥ و ١٢٠ هـ (الأغاني ١٩ / ٢٠) وانظر في سعيه لتخليص خالد من الحبس (الطبرى ١٦٥١ / ٢ - ١٦٥٤) ووقوعه هو في الحبس (الأغاني ١٥ / ١٢٩) ، وكان مقصوداً من الشعراء يجرّل لهم العطاء (انظر فهرست الأغاني) . وقد قال فيه رؤية القصائد رقم ١٥ ، ٢٣ ، ٢٥ في ديوانه ، انظر مقدمة آلورد في الديوان المذكور (Sammlungen arabischer Dichter III S. XLVII) ولايلتبس بأبان بن الوليد المشهور بانتصاره على البيزنطيين سنة ٧٥ هـ ، فهذا ابن الوليد بن عقبة الذى ولّى الكوفة (٢٦ - ٣٠ هـ) انظر : Wellhausen, Skizzen VI S. 115 - 117

(٤) الموشح ص ١٩٢ ؛ الشعر والشعراء ص ٣٧٢ ؛ الأغاني ١٠ / ١٥٦

(٥) انظر : (Krenkow, the Poems of Tufail and Trimmah : (GMSXXV) S. XXV u. EI, IV 860

وقد حدد كرنكو ميلاد رؤية في دائرة المعارف الإسلامية ١٢٥٩ / ٣ بسنة ٦٥ هـ . على ذلك فلا يمكن أن يكون في عهد انحلال الدولة العربية شاباً فتياً a very young man بل أصغر قليلاً من الكيت (المولود سنة ٦٠ هـ) الذى لم يكن تجاوز بعد قة لإنتاجه الأدبى . كذلك لم يقيم بين رؤية والطرماح فارق بعيد من جهة السن . ولا علاقة بين مرتبة رؤية في الشعر وعلو مكانته في شئون اللغة ، فهو هنا من حيث هو بدوى أصيل نسيج وحده .

الأمثلة التالية التي يمكن زيادتها بسهولة : فإذا وصف الطرمح (ق ٨/٣)
ثوراً وحشياً في ليلة ممطرة ، تلفه سحابة مثقلة بالماء (سارية وطفاء) ، وَهَيْفٌ
مُبْشِرٌ ، فإنه لا يكاد يُفهم من اللفظين الأخيرين إلا ريح باردة . ولكن لفظ
هَيْفٌ ، معناه ريح الجنوب^(١) اللافحة الحرارة . ورواية : هَيْفٌ ،
المذكورة عند المرزوقي^(٢) وحده ، وهو يعلق على ذلك بأن الشاعر قد
خالف طريقة استعمال غالب البدو . وفي الديوان على العكس من ذلك :
هَيْفٌ مُبْشِرٌ . وهي رواية ربما جاز لنا أن نرى فيها تغيراً مقصوداً للفظ الأصلي
على أنها كذلك لا تدل على معنى مقنع ؛ إذ إن لفظ : هَيْفٌ ، ومعناه فارغ ،
يدل على : سحابة غير ممطرة ، وهذا المعنى لا يتناسب أيضاً - مثل ريح
الجنوب - مع سياق الكلام . وإذا كان الشارح يفسر الهَيْفَ بالريح الباردة ،
فهو - فيما يظهر - مصيب .

ونسوق - مثالا ثانياً - البيت التالي (ق ١٢/٤١) من قصيدة يمدح
بها يزيد بن المهلب (المتوفى ١٠٢ هـ) :

لَأُمِّ تَحِيْنٌ بِهِ مِزَا مِيرُ الْأَجَانِبِ وَالْأَشَامِلِ

وهنا صاغ الشاعر للفظ : شَمْلٌ ، وهي صيغة ثانوية إلى جانب شَمَلٌ ، أو
بعبارة أخرى - صاغ لجمع شَمْلٌ ، وهو : أَشْمَلٌ ، جمعاً جديداً على
أَشَامِلٍ ، وجعله مجازياً للفظ : أَجَانِبٍ ، بحيث نشأ من ذلك ازدواج لفظي
غريب . وقد عمد إلى ما هو أعنف من ذلك في بيت آخر (ق ٢١/٤) اختصر
فيه لفظ : تلاميذ إلى : تلام ، بسبب القافية . نعم قد ترد مثل هذه
التغييرات اللفظية المتعمدة عند شعراء آخرين أيضاً ، بيد أنها تعدل - بحق -
عند النقاد العرب من قبيل الخطأ^(٣) .

ولمثل هذه الظواهر كان من المرغوب عنه تماماً اعتماد أشعار الطرمح في
معجم اللغة العربية ، على الأخص بالنظر إلى المفردات التي ينفرد باستعمالها .
ولفظ كِرَاضٍ الوارد في شعره (ق ١٠/٢) أيد المبرد^(٤) مطابقتها لمعنى تعبير

(١) انظر ديوان ذي الرمة ق ٤٤/١ ؛ (والمعجم العربية : اللسان ؛ التاج ؛ الأساس)

Dozy's supplement; J.J. hess , Islamica 2, 587

(٢) كتاب الأئمة والأئمة (حيدر آباد ١٣٣٢ هـ) ٧٨/٢

(٣) انظر مثلاً : نقد الشعر لقدامة ص ٨٦ فما بعدها .

(٤) الكامل ص ٩٥

يوناني - فسر^(١) بعضهم ، مراعاة للسياق ، بالرحم ، أو ما يلفظ الرحم من ماء ، أو ماء الفحل . فأى هذه المعانى ينطبق هنا ؟ وهل هو لفظ فى لهجة بعينها ، أو لفظ قديم بطل استعماله ، أو وضع جديد ، أو ناشئ عن سوء فهم ؟ هذا ما يعسر بيانه بالتحديد .

ويضع الأصمعي مع الطرمح - كما ذكرنا - الكميت بن زيد الشاعر (حوالى ٦٠ - ١٢٦ هـ) فى مرتبة واحدة^(٢) . ولد الكميت بالكوفة ، وينسب إلى بنى أسد . حقاً لا تدل شجرة نسبه الفاخرة^(٣) على خلوص نسبه العربية . ولما كانت دعوى^(٤) الأصمعي ، أنه جرمقانى من الموصل ، لا تكاد تكون هواء أو مبنية على غير أساس ، فلا بد من فسح المجال لاحتمال أن أبا أمه كان من السكان الذين نزلوا قديماً بمنطقة الموصل وأقاموا فيها . وأياً ما كان ، فقد بقى بعيداً عن البداوة ، وصار من أهل المدن . نعم لا تزال تجرى أشعاره على السنن القديم تماماً ، كما أنها تحمل طابع انتقائيد المصطنع على جبينها . وهذا ينطبق - قبل كل شيء - على أوصافه التى لا لون لها ، والتى لا تقول شيئاً ، والتى قال فيها ذو الرمة : ما يقدر لإنسان أن يقول إنها صواب أو خطأ . وإذا كان الكميت لم يعارض هذه الحقيقة الثابتة ؛ بل لاحظ عليها موضعاً - مبيناً للفرق بينه وبين ناقده - أنه يصف شيئاً لم يره بعينه ، فإن محاولته الدفاع عن نفسه على هذا النحو تدل على أنه رفع^(٥) التقليد الخوض إلى مرتبة الحلق الفنى ، ومع هذا ، فإنه لم يتقيد بمُثُلِه ونماذجه تقيد العبودية ؛ فقد حُبب إايه مثلاً أن يعطى النسيب تحولاً سلبياً ، حينما يبرز فى صورة التأكيد أن قلبه ليس ملكاً للغوانى ، ولا يطمح إلى حب النساء ، وإن طربه لا يرجع^(٦) إلى شوق أو غرام . وهذا يتيح له الفرصة ، حتى فى قصائد الرثاء التى يجب بالبداهة أن تكون بمعزل عن التشبيب والغزل ، أن يحشوها بأوصاف من

(١) انظر : تاج العروس ٨٢/٥

(٢) الموشح ص ٢٠٨ ، ٢٠٩

(٣) الأغاني ١١٣/١٥ ، وعلى ما ذكره هناك ١٢٥/١٥ كانت جدته من البدو .

(٤) أمالى القالى ٩٦/١ ؛ انظر الاشتقاق لابن دريد ص ٢٦٥ (طبع فستنفلد) ، وفى

« الجرامقة » انظر الهمدانى (BGAV) ص ٣٥ ؛ تاج العروس ٣٠٥/٦ EI, I, 588

تحت لفظ : Badjarma .

(٥) الأغاني ١٢٥/١٥ ؛ الموشح ص ١٩٥ .

(٦) انظر - قبل كل شيء - الهاشيات ق ٣/١-٣٠

العبارات المألوفة في النسب : وهذا خروج على الأساليب عابه ^(١) عليه
- بحق - النقاد العرب . وفي مرة أخرى اختار الكميّ للنسب ، في قصيدة
يمدح بها عبد الرحمن بن عنبسة ^(٢) ، قالب الاستفهام التوبيخي :

أَبْكَأَكَ بِالْعُسْرِفِ الْمَنْزِلُ وَمَا أَنْتَ وَالطَّلُّ الْمُحَوِّلُ
وَمَا أَنْتَ وَيْلَكَ وَرَسْمُ الدِّيَارِ وَسُنُّكَ قَدْ قَارَبَتْ تَكْمُلُ ^(٣)

كذلك كان لا يبالي أن يقتبس من القرآن - إلى جانب الأشعار القديمة -
لأغراضه ، بحيث استطاع العالم الكوفي : ابن كُنَّاسَة (١٢٣ - ٢٠٧ هـ) ،
الذي اشتغل كثيراً بأشعار الكميّ ، أن يضع كتاباً ^(٤) كاملاً في سرقاته
بعنوان : (سرقات الكميّ من القرآن وغيره) . ولكنه هناك ، حيث
لا يعتمد على مصدر ، يبدو تعبيره فقيراً رثاً ، عارياً من كل جمال شعري .
وكثير من شعره يبدو في صورة نثر منظوم ، تبرز خلال فقره وإقفاره ،
التعبيرات الرفيعة من لغة الشعراء ، المقحمة هنا وهناك ، كأنها رقاع جديدة
في ثوب بال ، تشدّه الأبصار ، وتدهش الأنظار . ويتسق مع هذا انساقاً
تاماً أن الكميّ كان يعد أمية بن أبي الصلت أشعر الشعراء (الأغاني ١٢٢/٤)
فهذا التنقل بين السطحية المقفرة ، والصيغة المتنخلة ، قد أسهم كثيراً في
طبع أسلوب الكميّ القلق المضطرب بطابع عام غير مرض . وترجع في هذا
الأسلوب كفة العنصر النثري تماماً ، وحتى الحرية التي يتخذها الكميّ
أحياناً في الأمور اللغوية ، هي أيضاً ذات ميسم نثري ؛ فهو يستعمل مثلاً
لفظ « ذو » الذي يقتصر وروده عادة على التركيب الإضافي ، في الجمع
المعرف : « الذَّوَيْنِ » بمعنى أشرف اثنين ^(٥) ؛ وهو يصوغ لفظ « عُسْكَار »

(١) العمدة (١٣٤٤ هـ) ١٢٢/٢

(٢) انظر : Wüstenfeld, gen. Tabellen U 24

(٣) الأغاني ١٨/١٩٣ : خزانة الأدب ١/٥٥٨ ؛ معجم البلدان ٣/٦٤٧ . وهذا مذهب

آخر غير مذهب تحقير الأطلال ورسوم الديار الذي ظهر في شعر المحدثين (Goldziher ,
muh. studien I 32 Anm. I)

(٤) انظر الفهرست ص ٧١ (فلوجل) .

(٥) سيويه ٢/٣٩ (Derenbourg) ؛ خزانة الأدب ١/٦٧ ؛ ٨٦ ؛ شمس العلوم ٣٩

وغير ذلك .

بمعنى لكل عشرة ، على الرغم من أن صيغة «فُعَال» تستعمل^(١) عادة في ألفاظ التقسيم من واحد إلى أربعة فقط (أحاد، ثناء، ثلاث، رباع) : وهو يستعمل اسم الموصول : «الذى» ، دون صلة ، بمعنى اسم الإشارة :

فَإِنْ أَدَعَ اللّوَاتِي مِنْ أَنْاسٍ أَضَاعُوهُنَّ ، لَا أَدَعُ الذَّوِينَا^(٢)

ولم يأخذ الناقدون عليه استعماله للألفاظ المهجورة تماماً ، كما هو الحال عند الطرماح ، وإنما انصب النقد على تسامحه في تعاطي اللغة الدارجة . فمثلاً يُحْطِئُهُ الْأَصْمَعِيُّ فِي الْبَيْتِ الَّذِي قَالَهُ فِي هِجَاءِ يَزِيدَ بْنِ خَالِدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيِّ :

أَبْرَقَ وَأُرْعِدَ يَإَيُّزِي دُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرٍ^(٣)

لاستعماله صيغة أفْعَلَ من : بَرَقَ وَرَعَدَ ، مع أن الاستعمال الفصيح لا يعرف إلا صيغة الثلاثي^(٤) : مجازاً في التهديد والوعيد . وأخيراً ، أساء الكميت أحياناً فهم التعبيرات البدوية ، لقلة بصره بشئون البدو ؛ فهو مثلاً يقول : نار أبي مُحَابِيبٍ^(٥) ، فأخطأ في فهم العبارة المشهورة : « نار

(١) انظر الأغاني ١٣/١٤٥ ؛ خزانة الأدب ١/٨٢ ؛ أدب الكاتب (نشر Grünert) ص ٥٩١ وشرح البطليوسي عليه ص ٦٧ ؛ وشرح الجواليقي ص ٣٩٣ ؛ درة الغواص ص ١٤٨ (نشر Thorbecke) .

(٢) خزانة الأدب ٢/٥٦٠ ومثل هذا الاستعمال يوجد في العبارة المشهورة : بعد اللتيا والتي . انظر : الميداني (١٤٣٢ هـ) ١/٨٢ .

(٣) الموشح ١٩٦ ، ١٩٧ ؛ أمالي القالي ١/٩٦ والتنبيه للبكري ١/٣٠٠ وأدب الكاتب ٤٠٠ وشرح الجواليقي عليه ٢٨٣ وإصلاح المنطق ٢ ، ٥٨ والاشتقاق لابن دريد ٢٦٥ وفصيح ثعلب ٦

(٤) شواهد الفعل الثلاثي في المعنى المجازي مستفيضة ؛ انظر ابن قتيبة : أدب الكاتب ص ٤٠٠ ؛ ديوان المتلمس (Vollers VI 15) أما الفعل الرباعي بهذا المعنى فقد جاء في بيت المهلهل عده الأصمعي منحولاً (الأغاني ٤/١٤٩ ؛ الكامل للمبرد ٦٢٥ ، الموشح ص ١٩٦) وكما في البيت المنسوب إلى عبد الله بن الحارث السهمي (ابن هشام ص ٢١٦) والذي روى أنه سمى : المبرق بسببه ؛ وفي بيت الزريان (انظر دهبانه : آلورد 4 VIII) ، وللعديل بن الفرخ العجلي معاصر الحجاج (الحماسة ص ٣٤٨) . ونظراً لهذه الشواهد المختلفة يعد كل من أبي عبيدة وأبي عمرو (انظر : إصلاح المنطق ٢ ، ٥٨) وأبي زيد (انظر : أمالي القالي ١/٩٦) صيغة الرباعي ، كصيغة الثلاثي فصيحة .

(٥) شرح الشواهد الكبرى للعيني ٤/٣٦١ ؛ تاج العروس ١/٢٠٠ ؛ خزانة الأدب ٢١٣/٣ (نار أبي الحباب) .

الحباحب^(١) ، وظان أن لفظ حُباحب ، الذى معناه : اللهب أو دُويبة حمراء تشبه اللهب ، اسم رجل عربى بخيل ؛ كما أخطأ فى ذلك أيضاً من تابعه من اللغويين^(٢).

على أنه ، حتى عند آخر من يحتج بشعره من شعراء البادية : ذى الرمة ، المتوفى حوالى منتصف عام ١١٧ هـ ، توجد هنا وهناك صيغ مولدة . حقاً لقد كانت علاقته بالشعر القديم ، إذ كان بدوياً ، تختلف اختلافاً تاماً عن علاقة الكميت ؛ كما صانته خبرته ودرايته العميقة باللغة والطبيعة العربية من الوقوع فى أخطاء صريحة . بيد أنه — على الرغم من ذلك — قد ظهر أثر العصر الجديد فى لغته أيضاً ؛ فهو مثلاً يستعمل^(٣) فى القصيدة ٢٩/٨٧ ، لفظ : زوجة ، من اللفظ القديم : زوج ؛ وهى صيغة جديدة وردت عند الفرزدق من قبل (ديوانه ٥/٦٠٥) ، ولكنها مرفوضة من الأصمعى^(٤) ، رعاية للاستعمال القرآنى فيما يبدو . ويخطئ الأصمعى أيضاً استعمال ذى الرمة (قصيدة ١٧/١٠) ، ١٣/٢٢ لفظ : أدْمَانَة ، بمعنى بيضاء اللون (ظبية) بحجة أن لفظ الجمع وهو : أدْمَان (جمع آدم) لا يصح أن تلحقه علامة تأنيث ، ولا يصح غير : أدْمَاء^(٥) . وإذا كان علماء آخرون يشيرون إلى أن الوصف على فعلان بالمعنى الإفرادى يصح أن تلحقه علامة التأنيث (مثل : مُخْصَصَان^(٦) وخصانة بمعنى : أهيف وهيفاء) ، فلا ينطبق ذلك على ما نحن فيه ؛ لأن أدْمَان — كما ذكر — ليس بمفرد — وحقيقة يبدو أن لفظ : أدْمَانَة

(١) النابتة : قصيدة ٢١/١ ؛ الأغاني ٥٢/١٢ ؛ القطامى قصيدة ٤٠/١٥ ؛ أبوحية (رواه الجاحظ فى الحيوان ١٥٥/٤ ؛ الميدانى : ٢٣٢/١ ؛ الديميرى (١٣٤٧ هـ) ٣٢٤/١ ؛ أمالى ابن الشجرى ٥٨/٢ ؛ وانظر أيضاً : A. Fischer, Der koran des abu: I'Ala' al-ma'arri, Leipzig 1942 S. 58-63 (٢) انظر : Nöldeke Beiträge zur semitischen sprachwissenschaft 118, 10.

(٣) أخذت الشواهد المتعلقة بنى الرمة من : The Diwan of Ghailan b. : أخذت الاشتقاق لابن دريد ص ٤٤ (وفيه أدْمَانَة غلط) ؛ تاج العروس ١٨١/٨ (٤) الموشح ص ١٨٠ ؛ تاج العروس ٥٤/٢ (٥) الاشتقاق لابن دريد ص ٤٤ (وفيه أدْمَانَة غلط) ؛ تاج العروس ١٨١/٨ (٦) ورد هذا اللفظ فى شعر ذى الرمة ، قصيدة ١٣/١ ؛ وأبى وجزة فى تاج العروس ٢٦٩/١٠

لم يرد في الشعر القديم^(١) ؛ وهذا البيت الذي يساق كثير^(٢) :

إنسانة الحى أم أدمانة السُمرُ
بالتَّهى رقصها لحنٌ من الوتر
والذى ينم^(٣) فيه أيضاً لفظ : إنسانة ، مؤنث لإنسان ، على أنه متأخر ،
إنما قيل في القرن الخامس . وقائله رجل من زعماء بدو المنتفق اسمه : كامل ،
كان في خدمة الوزير السلجوقي : كُنْدُرَى ، سنة ٤٥٠ هـ ، بالبصرة .
وقد سمع منه القصيدة التي يقول في مطلعها^(٤) هذا البيت ، الباخريزى ،
حاجب كندرى .

وكذلك ، في دائرة التركيب النحوى ، تظهر في لغة ذى الرمة ، بين
حين وآخر ، سمات من غير الفصحى ، مثل حشوه : « إلا » الزائدة في
البيت ١٧ من القصيدة ٢٤ :

حراجيجُ ما تنفكُ إلا مُناخَةً على الخَسْفِ أو نرى بها بلداً قَفْراً^(٥)
ويظهر أنه قصد من ذلك إلى إبراز معنى الحصر في وضوح^(٦) . كما أن
وضعه لفظ : « لا » جواباً على ترديد السؤال ، بدلا من « بل » في البيت ٣٠
من القصيدة ٨٧ ، من الاستعمال المولد^(٧) . وأياً ما كان الأمر فإن هذه
الظواهر عنده من النشأة بحيث لا يمكن أن تغض من مكانة ذى الرمة ،
من حيث إنه من الشعراء المحتج بهم .

(١) بل ورد في شعر لمبيد بن الأبرص في ديوانه ق ١٩/٤ (شبيطار)

(٢) انظر تخريج هذا البيت في فهارس الشواهد : Fischer u . Bräunlich
schawahid - Indices 102b II

(٣) ورد لفظ : إنسانة لأول مرة في شعر المتنبي ؛ انظر تاج العروس ٩٩/٤

(٤) انظر الباخريزى : دمية القصر (١٣٤٩ هـ) ص ٢٧ - ٢٩

(٥) زيادة (إلا) هنا مبنى على خطأ تلفيقي ومقيس على عبارات مثل : أبى إلا (شبيطار)

(٦) الموشح ص ١٨٢ ؛ ١٨٤ وانظر في تخريج ذلك على مختلف الوجوه : الإنصاف
ص ٧١ فما بعدها ؛ خزنة الأدب ٩/٤ ؛ فما بعدها ؛ على أن عبارة : ما ينفك إلا ، قد وردت
عند بعض المدققين مثل الحريرى (انظر : إرشاد الأريب ١٧٢/٦)

(٧) هكذا يقرر المؤلف محيلاً على الكامل ص ٢٦٠ ، بيد أن الأخلق أن يجعل اللحن في
السؤال بلفظ : أم ، التي يطلب بها تعيين أحد الأمرين مع الإيقان بحصول أحدهما . وظاهر
الكلام في البيت المشار إليه أن السؤال عن التصديق بأحد الأمرين أى أن السائلة تجهل حصول
واحد منهما ، فكان المقام للفظ : أو ، بدلا من : أم . وعلى هذا فالجواب بلفظ : لا صحيح
نظراً إلى قصد السائل لا إلى لفظ السؤال ، لأن لا : مثل : بل ، يحجب بها في التصديق لا في
التعيين . انظر رغبة الأمل ١٨٣/٤

وها هو ذا الأصمعى الذى عني^(١) كثيراً بهذا الشاعر ملقياً^(٢) نظره بصورة خاصة على الظواهر المولدة، ينتهى إلى تقرير أن ذا الرمة حجة في شئون اللغة ؛ لأنه بدوى ؛ على الرغم من أن شعره ، ما عدا الدالية (ق ١٧) لا يشبه شعر العرب^(٣). وهذه السمات المولدة ناشئة من إقامة ذى الرمة في أرض « السواد » الخصبية ، أو كما يقول الأصمعى في عرض تصويرى^(٤) : « إن ذا الرمة قد أكل البقل والمملوح في حوانيت البقالين حتى بشم » .

وبينما كان شعر « البلاط » والأحزاب السياسية في الدولة العربية يتصرف في الحدود المتعارفة لأشعار البدو ، ويجعل قلدوته ومثاله فصحاء الجاهلية الأولين أبدى شعر الغزل ، الذى ازدهر بالحجاز في أوائل العصر الأموى ، صورة بعيدة عن البداوة من الوجهة اللغوية أيضاً . ومثلوا هذا الشعر الغزلى كانوا في الأعم الأغلب من بيت الملك ، أو من رجال آخرين من ذوى النسب الرفيع ، من الشبيبة الذهبية في الدولة (jeunesse dorée) التى لم تكن مشبعة بمطمح سياسى أياً كان ، بل تفضل أن تقضى عيشها ، في وطن الأسرة القديم ، مستغرقة في جميع صنوف الملاذ ، انى كان المجتمع الحجازى المرح الخالى من الهموم يبالغ^(٥) في عرضها وتقديمها . وأشعارهم السهلة السائغة انبعثت عن تجارب الحب الخاصة ، والمغامرات التى تحدها الرقة والظرف . وأهم ممثل لهم هو عمر^(٦) بن أبى ربيعة (٦٤٤/٢٣ — ٧١٢/٩٣) الذى يمتاز تعبيره المصقول الطبيعى ، المتأثر تأثراً خفيفاً بلغة الحوار في أرقى المجتمعات العربية في عصره ، امتيازاً واضحاً — من حيث

(١) كثيراً ما اعتمد صاحب الخزانة (انظر ٢٨٤/١ وغير ذلك) على شرحه لديوان ذى الرمة .

(٢) مما يدخل في في الموالد استعماله لفظ : إليه (ق ٣/٤٨) ، فالأصمعى يرى وجوب تنوينه (انظر ياقوت : إرشاد الأريب ١٤/٣ ؛ خزانة الأدب ٢٣٨/٤) ، كما اعترض الأصمعى على لفظ دوم بالمعنى المراد في القصيدة ٩٥/١ ، إذ إن دوم معناه الدوران في الهواء . انظر قاموس لين ٩٣٦ (٣) انظر الأصمعى : فحولة الشعراء (نشر C. Torrey في ZDMG 65,503,17) :

الموشح ص ١٧٠

(٤) الموشح ص ١٨٠ ، انظر أيضاً : الروض الأنف ٢١٠/١

(٥) انظر Wellhausen, Das arab. Reich, ١٠١

(٦) انظر Kratschkowsky, EI III ١٥٥٧ f.

مادته اللغوية قبل كل شيء — عن عربية البداوة، الشديدة الأسر، المفعمة بالقوة .
ويبدو أن نفس دوائر المجتمع الحجازي هذه ، هي التي ظهر فيها لون
فني آخر من شعر الغرام في أوائل العصر الإسلامي . تلك القصص الغرامية
العاطفية التي لعبت دورها بين البدو في السهول والمضايق ، مثل قصة ليلى
والجنون وغيرهما من أزواج القصص والروايات . ولم يكن مجهولاً لدى بعض^(١)
علماء اللغة من العرب أن هذا « الجنون » شخصية غير تاريخية . ونحن مدنيون
لابن الكلبي بهذا الخبر ، من أن شاباً أمويّاً وقع في عشق ابنة عم له ، فاختار
قصة ليلى والجنون لتكون إطاراً لشعره في التشبيب . ولكيلا يشيع اسم حبيبته
بين الناس . وكذلك تلك القصص المؤثرة ، عن بني عذرة^(٢) ، الذين يموتون
إذا أحبوا ، تعتبر من مبالغات شعر العاطفة عند البدو (Beduinenromantik)
التي لعبت في المجتمع الإسلامي دوراً كبيراً .

وتمسك الطبقة العليا من العرب بالمحافظة على العربية ، التي كانت — وهي
لغة البدو — معرضة دائماً لخطر الفساد والانحلال في المدن ، بما تحتوي عليه
من سكان أخلاط ؛ وظهور « حركة التنقية للغوية » ، التي كانت تلح باطراد
في تطهير اللغة وتخليصها ؛ وطموح المسلمين الجدد البعيدى المهمة إلى امتلاك
ناصية العربية بجميع دقائقها وأسرارها ، كل ذلك قد أوجد الدافع — في
نهاية القرن الأول — إلى دراسة القواعد ، التي كانت تجعل نصب عينها في
أغلب الظن — كما هي الغاية العملية — تحديد الاستعمال اللغوى الصحيح بصورة
أساسية ، والتي لم تستطع الابتعاد — بسبب طابعها القياسى — من الأثر
الشخصى ، والاشتغال بالتوافه ، كالمباحكات اللفظية وما شابهها . وقديماً
روى عن ابن أبى إسحاق الحضرمى القارىء (حوالى ٢٩-١١٧ هـ) أنه وجه^(٣)
إلى الفرزدق نقداً واهياً . وقد حملته دراسته للقرآن على الاشتغال بأمور اللغة .
ويقال إنه توسع توسعاً كبيراً في استعمال القياس اللغوى ، كما أنه كان يلاحظ
اللهجات الخاصة^(٤) ، وكان — فوق ذلك — مولعاً ، لكونه من الموالى ،

(١) الأغاني ٢/٢ (طبع دار الكتب)

(٢) انظر : Levi Della Vida, EI IV ١٠٧١ f

(٣) طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٦ (نشر Hell) .

(٤) تجد أمثلة لذلك في : طبقات ابن سلام ص ٧ ؛ الفهرست ص ٤٢ ؛ المحتسب لابن جنى

بالعثور على شيء في لغة البدو يتناوله بالنقد والتصحيح . ولما وقع الفرزدق في « الإقواء » الذي لم تسلم منه لغة الجاهليين أنفسهم ^(١) ، حيث ضم القافية بدلا من كسرها في البيت :

على عمائمنا تُلَقَى وأرحلنا على زواحف تُرجى مُخها ريرُ

أى ذائب ، تعامى ابن أبى إسحاق — عمداً — عن هذا الإقواء ، ورواه كما لو أن الفرزدق قال : رير بالكسر ، وأنه خالف بذلك قواعد العربية . ولهذا غيّر الفرزدق قافية البيت إلى : على زواحف نزجها محاسير ^(٢) . وقد روى البيت على هذه الصورة الصحيحة ؛ في الديوان ^(٣) . وقد تأثر الفرزدق لنفسه من ناقده بالبيت المشهور :

فلو كان عبدُ الله مولى هجوته ولكنَّ عبدَ الله مولى مواليا

بيد أنه سرعان ما أرشد ^(٤) الفرزدق إلى أن الصواب يتعين أن يكون مولى موالٍ . وكذلك لم تقف شهوة التمهيص عند ابن أبى إسحاق أمام الشعراء الأولين . فقد رأى في بيت النابغة (نشر آلوردق ١١/١٧) :

فبت كأتى ساورتنى ضئيلة من الرُقش في أنيابها السمُّ نافع ^(٥)
أنه يجب أن يكون في غير الضرورة ^(٦) : ناعماً . وعلى عكس ذلك بلغت

(١) انظر ديوان النابغة ، قصيدة ٣/٧ ؛ ١٨ ؛ ٩/٢٠ ؛ ٥/٢٦ ؛ وانظر الأغاني ١٦٤/٩ ، وديوان امرئ القيس (طبع السندوي) ص ١٣٦ ، ١٣٧ ؛ ص ١٤٦ س ٧ وديوان الفرزدق (طبع الصاوي) ص ١٧٢ س ٧ ؛ ص ١٨٢ س ٤ ، ٧ ص ١٨٤ س ٣ ص ١٩٣ س ٦ ص ٨٧٤ س ١٧

(٢) طبقات ابن سلام ص ٧ ؛ وفي الرواية المساوقة عند المرزباني في الموشح ص ١٠٠ وابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٢٥ أن ابن أبى إسحاق أخذ على الفرزدق الإقواء فحسب ، وفي رواية أخرى أن الذي عاب الإقواء على الفرزدق هو عنبسة بن معدان ، انظر المرزباني في الموضع المذكور .

(٣) طبع الصاوي (القاهرة ١٣٥٤ هـ) ص ٢٦٣

(٤) طبقات ابن سلام ص ٧ ؛ سيبويه ٥٣/٢ ، ويوجد مثل ذلك في شعر عنترة ق ٨/٢٦ (نشر آلورد) وفي بيت ٣٧ من مرثية مالك بن الريب (ذيل الأمل ص ١٣٧) وغير ذلك

(٥) انظر : Reckendorf, Arabische Syntax, S. 97, Anm. 2

(٦) انظر سيبويه ٢٢٣/٢ والمواضع التي ذكرها فيشر في فهارس الشواهد ص ١٤٠ وأضف إليها شرح شواهد المغني ٢٧٦

سخرية خصومه منه أن أخذوا عليه أنه ، مع كل نقده لتحقيق الصواب ، لم تكن لغته على ما ينبغي^(١) .

وقد أخذت مثل هذه الاعتراضات تفقد ، شيئاً فشيئاً ، طابع الاختيار ، والرأى العارض ، كلما تقدمت العناية باللغة ، فصارت منهجاً للنظر في القواعد . وقد فسح أبو عمرو بن العلاء (حوالى ٧٠ - ١٥٤ هـ) المشهور في اللغة شهرته في قراءة القرآن ، مجالا في نقده للنظر في القواعد ، ولم يتورع حتى عن تصحيح متن القرآن ؛ فقد غير في^(٢) سورة طه ٦٣/٢٠ : *إِنْ (أو لِنْ)* هذان ، إلى : *إِنَّ* هذين^(٣) ورتب ترتيباً نحوياً سليماً^(٤) في تغييره آية سورة المنافقين ١٠/٦٣ : *وأكنّ* ، بالجزم ، إلى : *وأكون* بالفتح ، بل حتى الظاهرة الصوتية المحضة ، كالانتقال من الواو المضمومة إلى الهمزة المضمومة ، لم يرد أن يعتدّها ، فقرأ سورة ١١/٧٧ : *وَقُتِلَتْ* ، بدلا من : *أُقْتِلَتْ*^(٥) . وإذا كان يجترىء على مثل هذا التغيير في صلب الكتاب الكريم ، فهو أجدر ألا يستراجع نقده بالضرورة ، لإزاء النصوص الدنيوية ؛ فقد أخذ على الشاعر : ابن قيس الرقيات (حوالى ٨٥ هـ) أنه ألحق بضمير المفرد المتكلم الهاء في مثل : *إِخْوَتَيْهِ* ، بدلا من : *إِخْوَتِي* (في قصيدته رقم ٤٠ نشر رودوكاناكس) للقافية على الرغم من ورد ذلك في القرآن^(٦) . أيضاً . كما أن

(١) ياقوت : إرشاد الأريب ٣٧١/٢ ؛ غاية النهاية لابن الجزرى ١٠/١ .

(٢) لم يغير أبو عمرو ، وإنما هي قراءة رواها عن الثقات وكذلك فيما نسب إليه بعد ؛ وإذا كان قد روى عن بعض القراء تخطئته ، فلتعارض الروايات وترجيح بعض القراء لبعضها دون الآخر . وانظر كتب القراءات والتفسير في ذلك (النجار) .

(٣) عالج ابن يعيش هذا الموضوع بتفصيل في شرح المفصل ص ٤٧ .

(٤) انظر : Fleischer, Beiträge zur arab. sprachkunde VII 82

(٥) المقنع للداني ص ١٢٢ ، وفيه أيضاً بعض ما اختص به أبو عمرو من القراءات ، على أنه لم يسلم من الاعتراض ، وقد لحن المبرد قراءتين له (نزهة الألباء ص ٣٦٤) ، إحداها : عاداً لولى بالإدغام بدلا من : عاداً الأولى ؛ سورة ٥٠/٥٣ ؛ والأخرى : يؤده (سورة آل عمران ٧٥/٣) بتسكين الهاء انظر التيسير للداني في الآية المذكورة) . ولا رجه المبرد في التخطئة ، لما ذكرنا من صحة الرواية عند أبي عمرو ، والمبرد إنما يحكم قواعد النحوات صحت عنده . ولا شك أن العربية أوسع من نحو المبرد (النجار) .

(٦) انظر : Rhodokanakis في مقدمته للديوان ، ص ٦١ ؛ الموشح ص ١٨٧ ؛

نولدكه : تاريخ القرآن ١٩٩/٣

تلميذاً لأبي عمرو ، هو يونس بن حبيب الفارسي (حوالي ٩٠ - ١٨٢ هـ) ،
اعتراض على هذا الشاعر أيضاً بأنه استعمل لفظ : يَالَغَانِ (ق ٢٩/٦١)
وهو لهجة خاصة في : يَوْلَغَانِ ، وادعى أنه لا يجوز إلا هذا الأخير فقط.^(١)
وقد أدى هذا الاعتراض إلى تغيير النص إلى : يَوْلَغَانِ ويَوْلَغَانِ ، على المعلوم
والمجهول ، وأبعد بذلك كل اعتراض . ورواية المجهول للتخفيف غلبت على
الرواية الأصلية في نسخ الديوان المتناقلة ، وسادت هذه الرواية في القرن
الثالث ، حتى إن ثعلباً (المتوفى سنة ٢٩١ هـ) ساق البيت على هذا التغيير ،
شاهداً على : يولغ مبنياً للمجهول بمعنى : أواغاه صاحبه ، أى حمّله على أن
يلغ^(٢) ، وإن لم يسمّ الشاعر . وهذا المثال يبين مدى ذلك الدور الذي كان
يلعبه تصحيح النحاة في تاريخ رواية الأشعار العربية القديمة ، وإن كان في
أحوال أخرى - وهي أغلب الأحوال - لم يكتب للنقد شيء من الانتصار ،
مثلاً أخذ على «كُثَيِّر» أنه استعمل^(٣) في بيت^(٤) ، بدلاً من : ترأّم بالهمز ،
وهي الصيغة الفصيحة : تَرَمَ ، بالتسهيل ، وهي لهجة الحمجاز ؛ بيد أن
الصيغة المتقدمة هي التي غلبت ، لتحصنها بالقافية .

(١) الأغاني ٨٧/٥

(٢) فصيح ثعلب ص ٣ وملاحظات Barth عليه .

(٣) الموشح ص ١٤٦

(٤) انظر الديوان (نشرة Peres) ٧/١١٠

(٣)

عربية الدولة ، ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي

٧٨٦/١٧٠ - ٧٥٠/١٣٢

لم تهو العربية في هوة السقوط الذى حاق بالدولة العربية ، على الرغم من أن جزيرة العرب وسورية بالذات ، أى الإقليمين الوحيدين اللذين لم يكن اللسان العربى فيهما قلة تجاه ألسنة أصيلة الديار ، هما اللتان أصابهما هذا الانقلاب السياسى بشدة وطأته في الصميم . ولماذا لم تنزل عن المسرح ، مع طبقة السادة العرب الذين كانوا ، حتى ذلك الوقت ، لا يزالون ممسكين بزمام القيادة والتوجيه ، لغتهم كذلك ؟ ربما كان من أسباب ذلك أن لغة القرآن قد صارت في شعور كل مسلم ، أياً كانت لغته الأصلية ، جزءاً لا ينفصل من حقيقة الإسلام ، حتى إن الفرس الذين باثروا الحكم إذ ذاك ، لم يكونوا يستطيعون التفكير في رفع إحدى اللهجات الإيرانية لتكون لغة الدولة . بل حتى في فارس ، كان يجب أن يمضى قرن بعدئذ لتحتفل اللغة الحديثة للأدب الفارسي ببعث حياتها . هذا إلى أن الأسرة الجديدة أخذت تبرز الطابع الدينى لسلطانها بوجه خاص ، وصارت تعلن أنها وريثة السلطان الإلهى الذى أسسه محمد (صلى الله عليه وسلم) . بيد أنه كان من العوامل الحاسمة أن الطبقات المتميزة في المجتمع الإسلامى الأوسط ، إنما أحرزت رقيها الاجتماعى منذ أجيال بمجاراتها لغوياً للطبقة السائدة العليا ، إذ أخذت عنها مثلها الأعلى في الثقافة العربية لا لغاية قصيرة الأمد ، بل تمسكت بها أيضاً ، بعد أن حقق لها سقوط الدولة الأموية المساواة الكاملة للعنصر العربى . بل حتى الشعوب الذين ادعوا تفوق الشعوب غير العربية ، لم يستطيعوا أن ينقصوا شيئاً من مكانة العربية وقيامها مثلاً أعلى . وهكذا شهد العصر العباسى الأول ، في مدارس النحاة بالبصرة والكوفة ، الباكورة الأولى للعلم العربى كما رأى في نحو الفارسي « سيبويه » ، (المتوفى حوالى ١٨٠ / ٧٩) أول وضع شامل لقواعد العربية ، لم تغير الأجيال المتأخرة شيئاً من أسسه

وقواعده ، وإن وسعته توسعياً مختلف النواحي ، أو غيرت من صورته وقوابله . وكتاب سيديويه يرينا كيف أن القواعد العربية اعتمدت على الاستعمال اللغوي عند عرب البادية دون استثناء . فهو يرجع دائماً في شئون الاستعمال اللغوي إلى « العرب » مع إشارته هنا وهناك إلى الفروق اللهجية من غير أن يجحد في ذلك عن ترجيح كفة اللسان الحجازي^(١) ، بأنه « الأول والأقدم » ، وغالباً يكتفي في ذلك بعبارات عامة ، مثل : « العرب الذين مُترَضِّي عربيتهم^(٢) » أو : « العرب الموثوق بعربيتهم^(٣) » أو : « عربي أثق بعربيتهم^(٤) » وهي عبارة حملها بعض المتأخرين غلطاً على أبي زيد الأنصاري (المتوفى ٢١٥ هـ)^(٥) ، أو ببساطة : « العرب الموثوق بهم^(٦) » ؛ أو أخيراً « فصحاء العرب^(٧) » أو ما أشبه ذلك . كذلك لا يسوق في شواهد شاعراً محدثاً قط ، على الرغم من أنه لم يكن يقيس — بحال — لغة الشعراء بمقياس أصحاب « حركة التنقية » المترددين المتخوفين ؛ فهو يستشهد بعدى بن زيد وأبي دواد ، اللذين لم يَرَوْا عربُ البادية أشعارهما ، بشهادة الأصمعي ، لانحراف لهجتهما عن لغة نجد^(٨) . وهو يستشهد — على النقيض من أكثر علماء اللغة^(٩) — بأمية بن أبي الصلت وغيره من الحنفاء ، وهو يعتمد — خلافاً للأصمعي^(١٠) — الكسب والطرماح في الاحتجاج بشعرهما . وهو يستشهد بزياد الأعجم وأندى ، كما يترك مجال القول أحياناً لمعاصرين قدماء ، مثلاً ؛ لكن لا لشاعر محدث البتة . ذلك أنه إذا كان

، وانظر ، ٤٢٤/٢ .

، ٢٦٤/٢ ، ٤

١ : ٣٨١/١ ، ١٥ : ٢٩٠/٢ ، ٤ :

١٦٧/٢ ، ١٢ : ١٩٩/٢ ، ١

١٨ ، وانظر كذلك ٥٢/٢ ، ٤

قد استشهد مرة^(١) بيت زوره - فيما يقال - أبو يحيى اللاحق (أبان بن عبد الحميد) أو ابن المقفع ، بقصد التعمية على النحوى العظيم^(٢) ، فلا يعدو الأمر - مهما يكن نصيب هذه الرواية من الصحة ، أن يكون من قبيل السهو . وفي بيت آخر ، يوجد حقاً في متن الكتاب بأيدينا : « لرجل من بنى سلول مولد^(٣) » . ولكن هذه الجملة من وضع مخرج الكتاب ؛ فقد ثبت لدينا بصورة أكيدة أن سيبويه ساق جميع شواهد دون تسمية الشعراء^(٤) وذلك الرأى يجد تأييداً له فيما أضيف إلى الجملة السابقة وهو : « ويقال وضعه النحويون^(٥) » ، فصريح أن هذه الزيادة لا يمكن أن تكون من قول المؤلف . أما الرواية التي تقول أخيراً إن سيبويه اعتبر شعر بشار حجة خوفاً من سلاطة لسانه . فإن الكتاب نفسه يدحضها ، حيث نبهت عبثاً عن اسم بشار فلا نجد له ذكراً ؛ وفوق هذا فإن رواية أخرى - مساوقة لهذه - تضع اسم « الأخفش » النحوى بدلا من « سيبويه^(٦) » .

كان البدو يعدون حجة لا يعتورها الشك في جميع مسائل اللغة . وكم خلاف بين علماء اللغة حول التفسير الصائب لبيت من الشعر ، أو حول صحة تعبير من التعبيرات ، رفعه حكم بدوى حاضر عرضاً . وحسبنا أن نذكر الحوار الخلفي ، الذى دار بين سيبويه والكسائى ، في مجلس الوزير « يحيى بن خالد البرمكى » في مسألة : « كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور » هل يقال بعد ذلك : « فإذا هو هى » أو : « فإذا هو إياها^(٧) » . وفى ذلك الوقت كان البدو يجدون مدخلا إلى بيوت السادة ، من حيث هم حجج اللغة . ولا تزال بأيدينا أسماء « فصحاء الأعراب » الذين دفعتهم الضرورة - تحت إهمال العباسيين - من أوطانهم اللاهثة المتوجعة ، ليقدّموا معارفهم اللغوية

(١) ٥٨/١ .

(٢) خزانة الأدب ٤٥٦/٣ .

(٣) ٤١٦/١ س ٦

(٤) خزانة الأدب ١٧٨/١ س ٢٦

(٥) ٤٣٤/١ .

(٦) الأغاني ٢١٠/٣ .

(٧) انظر : A. Fisecher في الكتاب التذكارى لتكريم E. G. Browne

(A Volume of Oriental Studies) ص ١٥٠ - ٢٥٦ وكذلك : تاريخ بغداد ١٠٥/١٢

إلى السادة الجدد^(١) . وقد كان أبلغ آيات التقريظ التي توسم بها لغة أحد المثقفين ، أنه ينطق كما ينطق البدوي ، وتلك الطريقة الكلامية الخمالية من كل تفكير ، والتي يتحرر فيها المتكلم من علامات الإعراب ، وتصاريف القواعد جرياً على السليقة ، بحيث يستطيع السامع أن يفهم غرضه دون لبس ، لم تكن بعدُ - في القرن الثاني - أمراً طبيعياً (على النقيض من التعبير الرفيع المكتسب بالدُّربة والتلقّي) ؛ بل كانت تعدّ تهاوناً وإهمالاً^(٢) . وقد كانت مثل هذه السلامة اللغوية تؤثر مثلاً عن أبي سعيد المعلم (المتوفى سنة ١٦٩ هـ) الذي جعله^(٣) المنصور (١٣٦ هـ) مؤدباً للخليفة اللاحق «المهدي» ، والذي جعله^(٤) المهدي بعد ذلك معلماً لابنه وخلفه «المهدي» ، وكانت تؤثر^(٥) أيضاً عن اللغوي المشهور «أبي زيد الأنصاري» (المتوفى سنة ٢١٥ هـ) . كذلك الراويان البصريان : خالد بن الحارث (١٢٠ - ١٨٦ هـ)^(٦) ، وبشر بن الفضل (المتوفى ١٨٦/١٨٧ هـ)^(٧) ، روى أنهما كانا ينطقان لهجة سليمة لاشية فيها^(٨) ، كما يروى عن جرير بن حزم (٨٥ - ١٧٠ هـ) في مبالغة بليغة ، أنه كان ينطق عربية أفصح من عربية «معدّ»^(٩) . أما أن هؤلاء الرجال ، باستثناء أبي سعيد المعلم وحده ، كانوا يعيشون بالبصرة ، فلم يأت ذلك مصادفة ولا اعتباطاً ، فإن البصريين الذين كانوا يفاخرون^(١٠) بـ «مدرستهم

(١) الفهرست ص ٤٣ س ٢٧ .

(٢) انظر في تفسير كلمة السليقة عن الليث في المعجم (Lane ص ١٤١١) وانظر :

طبقات ابن سلام ص ٥ س ١٦

(٣) تاريخ بغداد ٣/٣٥٣ ؛ المعارف (طبع ١٣٠٠ هـ) ص ١٨٥ وما بعدها .

(٤) ابن سعد ٧/٢ ص ٧١

(٥) البيان للجاحظ ٥/٢ س ١٤ ؛ وانظر أيضاً ٦٨/١ س ٢٩ . وهو ينتقل في المكان الثاني عن «أبي العاص ... ويريد به - فيما يظهر - ابن عبد الوهاب الثقفي المتوفى ١٩٤ هـ ، الذي اشتهر بكتابة رسالة في البخل (البخل للجاحظ : طبع van Vloten ص ١٦٦ - ١٨٢) . وللوقوف على أخبار أسرته ، انظر الأغاني ١٧/١٢ . هذا وقد كان للملاحظات النظرية مقام لا يستهان به في لغة أبي زيد ، فقد كان يراعى «القياس» والإيجاع وما أشبه ذلك . انظر : نواذر أبي زيد ص ٦٧ فما بعدها .

(٦) تذكرة الحفاظ ١/ ٢٨٤ ؛ تهذيب التهذيب ٣/ ٨٢ .

(٧) تهذيب التهذيب ١/ ٥٨٨ ؛ فما بعدها .

(٨) بيان الجاحظ ٥/٢ س ١٣ .

(٩) تهذيب التهذيب ٢/ ٧٠ س ١٦ .

(١٠) انظر مثلاً : تاريخ بغداد ٢/ ١٧٧ س ٥ .

النحوية ، وينافرون بكتاب « سيديويه » ومعجم « الخليل » ، كانوا يبرزون بحق - في عصبيتهم المحلية طبعاً - وهم مفعمون بالفخر ، أسماء أمثال أصحابهم هؤلاء الذين امتازوا بفصاحة خاصة في اللغة .

وعلى الرغم من ذلك ، فقد بدأت أيضاً مرحلة جديدة في تاريخ اللغة العربية مع خلافة العباسيين ببغداد سنة ١٣٢/٧٥٠ . لقد كانت الأسرة القديمة رجلاً قريية إلى أهل البادية ، بحيث كانت تملك مدخلا مباشراً إلى عالم تفكيرهم ؛ وكانت تنطق بلسانهم ، وتحسن فهم أشعارهم . حقاً لقد كان العباسيون أيضاً يتمدحون بأصلهم العربي ، ويرفعون نسب سلالتهم إلى العباس ، عم الرسول عليه السلام ، بيد أنهم بعدوا عن حياة البدو بعداً كبيراً ، كما لم يفعل أموى أيماً كان . وكانت الدوائر الإسلامية الجديدة ، غير العربية الأصل ، التي وصلت إلى الحكم في ذلك العهد ، تشعر أقل من ذلك بالصلة النفسية الداخلية بحياة العرب وطبيعتهم ، فهم لم ينشئوا في الخيام ، ولم يذوقوا طعماً لتلك الخمشونة والحاجة التي تعرفها حياة البداوة ، كما لم ينفذوا إلى عالم البدو الثرى الغنى بكنوزه وقيمه الخلقية والعادية والفنية ، على الرغم من كل ضيق في وجهة النظر ، ومرمى الفكر . بل لقد عمرت الدوائر الإسلامية الجديدة تلك المدن العظيمة السريعة الازدهار ، في دولة عالمية ؛ وأسهموا في إقامة صرح حضارة ، نشأت تحت شعار الإسلام في أرض الشرق الأوسط المحررة من السلطان الروحي للقساوسة ، ومن النظام الإقطاعي الذي كان سائداً بها من قبل ، فهم لم يكونوا يستطيعون - حتى ولو استخدموا العربية - أن ينطقوا كما كان البدو ينطقون ؛ بل صبوا أفكاراً حديثة في قوالب اللغة القديمة ، وملأوها على هذا النحو بمادة جديدة . وما كان اعتباطاً أن يأتي في طليعة الأدب العربي لذلك العهد ، عصر المحدثين في أول الدولة العباسية اثنان من الفرس : ابن المقفع ، وبشار بن برد . وعلى الرغم من قوة نزوعها إلى الشعبية ، لم يفكر واحد منهما في استخدام لغته الأصلية ، وإقامة وزن لما من الوجهة الأدبية ، بل اعتمدا على اللغة العربية .

وقد أخذ ابن المقفع « الفصاحة » في البصرة عن أبي الجاموس^(١) ، وهو

بدوى كان في خدمة والى البصرة فيما بعد (١٣٣ - ١٣٧هـ) سليمان بن على أحد أعمام الخليفة . ولقد ملك ابن المقفع ناصية العربية، بحيث استطاع أن يترجم كتباً عدة من الأدب البهلوى ترجمة مثالية. وتراجمه لأخبار الملوك : « خذای نامه »^(١) وكتاب أنظمة الملك : « آیین نامه »^(٢) وقصة مزدك^(٣) . وحياة بُرْزُويه^(٤) ورسالة تَنْسَر^(٥)، قربت للمثقفين في جميع الأقطار الإسلامية أشخاص أساطير البطولة الإيرانية وتاريخ الساسانيين ، كما جعلتهم على بصيرة بروح فارس وطبيعة حياتها قبل الإسلام. وكذلك الترجمة التي عملها بعنوان : « كليله ودمنه » لخرافات الحيوان التي ألفها بَيْسَدَبَا (بِدْبَائِي Bidbai) ، جعلت هذه التحفة الأدبية العالمية التي يرجع أصلها إلى « مرآة لأمرء الهند » سهلة سائغة في عالم الناطقين بالضاد ، كما بلغت مكانة مرموقة لانتشارها في الشرق والغرب بالترجمة والتأليف ، في العربية ، والفارسية ، والسرانية، والعبرية، واليونانية . وأخيراً حمد ابن المقفع ، الذي دخل الإسلام عن غير اعتقاد، إلى أن نقل في سلسلة من رسائله الثقيفية ، حكمة الشرق العملية الخلقية المستخلصة من تجارب الحياة التي لا تعترف بمبادئ مرسومة للعادات والتقاليد ، ولا ينجدها الوهم والخيال عن حقائق الناس ، والتي تعلم في برود وواقعية جافة— دون اكتراث لما جاء في الأديان السماوية من مبادئ وفروض خليقة وأدبية — كيف يسلك المرء ، إذا أراد أن يعيش في العالم بعيداً عن المضار ، محظياً بالسعادة. وكذلك بلغت تلك الرسائل نجاحاً عظيماً ، سواء من حيث موضوعاتها التي تملقت دوائر الثقافة الرفيعة في المدن بسبب تساهلها الديني ، أم من حيث أسلوبها الشائق البديع . نعم لم يعد المؤلف ، حتى بعد وفاته المبكرة (سنة ١٤٢ هـ) خصوماً كانوا — كالخليفة المهدي — يعدونه رأس الزندقة كلها^(٦) . على أنه بعد إبعاد ضرر المانية (الزندقة) خرسست ألسنة المعارضة تدريجاً ، ولم يكن فقط رجل مثل البرمكي يحيى بن خالد

A. Christensen, L' Iran sous les Sasanides (1936) p. 54 (١)

(٢) المرجع السالف ص : 56 .

(٣) المرجع السالف ص : 63 .

(٤) المرجع السالف ص : 418 ، 424 ، 434 .

(٥) المرجع السالف ص : 58 ، 325 .

(٦) أمالي المرتضى (الفاخرة ١٩٠٧) ١/٩٣ فا بعدها وغير ذلك .

(حوالى ١٠٢ - ١٩٠ هـ) الذى قدره حق قدره^(١)، بل حتى الأصمعى المحافظ (المتوفى ٢١٣ هـ) يروى أنه كان يعجب ببيتيمته^(٢). وفى أيام الجاحظ (المتوفى ٢٥٦ هـ) كان يدرس كل كاتب ناشئ كتبه^(٣) ومنذ ذلك العهد سمى مجد ابن المقفع غير مزعزع، وعد من البلغاء اللامعين فى العالم العربى، بيد أن اللغة التى كتب بها ابن المقفع ليست هى العربية القديمة؛ فبموازنة هذه بتلك نجد لغة ابن المقفع سوية؛ شفاقة مبسطة حسب أغراضها؛ وبدلاً من الثروة الفياضة فى الكلمات البدوية القديمة، التى تجمع التنوع المتعدد الألوان لعالم الظواهر، مع حشد من السمات الخاصة، التى تصور مثلاً فروق الحيوان والأعمار، والأجناس، والألوان، والصفات، والخصال البارزة، خاصة؛ كما تحتوى على قائمة خاصة من المفردات لأصوات الحيوانات؛ تكتفى لغة ابن المقفع - إلى حد بعيد - بالتعبيرات العامة، وتؤثر تصوير الخصائص البارزة بعبارات مقاربة. كما يعرب أيضاً استعماله للغوى فى دائرة تركيب الألفاظ وصياغتها، عن طموحه الدائم إلى التبسيط الموام للعرض، فكثير من صيغ الأسماء الغربية فى العربية القديمة يقل عنده أو ينعدم تماماً؛ وأخيراً نجد تركيبه النحوى كذلك واضحاً شفافاً، وهو يتجنب كذلك عبارات التعجب والاستغاثة القصيرة المتعددة الدلالة فى صيغها الاسمية والحرفية، ويتفادى تصنيف الكلام، والتداخل العسير الفهم، وما شاكل ذلك مما يستفيض فى لغة البدو. وربما بلغنا إقناعاً بما نقول إذا وازنا بين لغة ابن المقفع والنثر الأصيل البدوى القديم، كما ورد فى أيام العرب، أو كما جاء فى الحكم والأمثال.

والتغييرات التى تبدو فى نثر ابن المقفع، بالنسبة للعربية القديمة، وجدت نظيرها تماماً - فى نطاق دائرة الشعر - فى لغة معاصره «بشار بن برد» (حوالى ٩٥ - ١٦٧ هـ)، على الرغم من أن قوة الرواية، وتقليد القدماء فى هذا الميدان بالذات، كانا يقفان عقبة فى طريق كل تطور فى الأسلوب. وكان بشار كابن المقفع فارسى الأصل؛ وكان يعد مائياً مقنعاً. نشأ فى

(١) إرشاد الأريب ٦/٢٦٨ س ١١.

(٢) ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ١/٢٦٧ س ١٢.

(٣) ذم أخلاق الكتاب (ثلاث رسائل للباحظ، نشر فنكل) ص ٤٢ س ١٥.

البصرة ، وكان بصيراً باللغة القديمة بصراً مؤسساً ، بحيث أدرك لتوّه عدم أصالة بيت مدسوس على الأعشى (رقم ٢/١٣) ^(١) . ولما علم أن الأمير سلم بن قتيبة الباهلي (كان والياً على البصرة ومات ١٤٩ هـ ^(٢)) محب للفن الشعري على طريقة القدماء ، وأنه كان يعد نفسه بصيراً بالغريب ، تغنى بشار بملحه في أرجوزة ، ملأها بالنادر المتنخل من الألفاظ ^(٣) . وحينما أنكر عليه عقبة بن رؤبة حق الحكم في الرجز ، برهن هو على أنه يعرف أيضاً طراز الرجز . حق المعرفة ^(٤) . كما حقر أحد البدو في هجاء أصيل الأسلوب ، لأن هذا لم يطمئن إلى أنه ذو ملكة في الشعر ^(٥) . لأنه مولى . وإذا كان بشار قد قال الشعر على طراز الأقدمين عن قصد ، فإن أشعاره تحمل طابع الصنعة والتعلم على جبينها ؛ على أنه لم يكن يبالي إلا نادراً بالقصد إلى المحاكاة والتقليد ؛ فإذا ما تنازل عن ذلك وجدنا أسلوبه يعرض تلك الأناقة الواضحة ، والبيان الناصع الشفاف ، الذي نجده في نثر ابن المقفع . سمات أساسية تبدو جليلة في تعبيره ، سواء في اختيار الألفاظ ، أم في تركيب الجمل ، أم في تفضيل الأوزان القصيرة الخفيفة . وفي شعر الارتجال يمعن بشار في التحرر من الشعر القديم ، حتى يستعمل أحياناً عبارات شعبية ^(٦) ، ورطانة نبطية ^(٧) ؛ وكان بشار يستعمل المزدوج والخمس ^(٨) في الهزل ، وفي تحقير الشعر القديم ؛ فهو يقحم مثلاً في أحد أبياته - لتحقير نبطي قلد أسلوبه في النطق على ما يظهر الكلمات التالية :

(١) الأغاني ١٤٣/٣ فا بعدها .

(٢) Zambaur, Manuel 40, تهذيب التهذيب ١٣٤/٤ .

(٣) الأغاني ١٩٠/٣ . وقد قيل في سلم أيضاً القصيدة المذكورة في ص ١٠٠ من كتاب المختار من شعر بشار « طبع بدر الدين » كما ذكره الأشنانداني في : « معاني الشعر » ص ٤٠ .

(٤) الأغاني ١٧٤/٣ - ١٧٧ ؛ وانظر المختار ص ٢٧٥ ؛ بيان الجاحظ ٢٣/١ ؛ العمدة ١٣٦/١ . ولفظ : طراز (الأغاني ١٧٦/٣) يمكن أن يضاف إلى الألفاظ التي جمعها جولدسيهرني : Abhandlungen I , 129 ff. والتي تدل على تشبيه الشعر بالنسيج .

(٥) الأغاني ١٦٦/٣ س ٩ .

(٦) مثل استعمال لفظ : « قارورة » أي زجاجة بمعنى : « المرأة » في بيت له (الأغاني ١٩٠) ، وقد ساق ابن حجر هذا البيت في فتح الباري ١٠/١٠٤ شاهد على حديث البخاري : أدب ؛ مسلم : فضائل ؛ الطيالسي : مسند ؛ حيث ورد هذا الاستعمال المجازي .

(٧) انظر : المغرب للجوالقي ص ٦٧ س ٤ ؛ تاج العروس ٣٢٨/٧ .

(٨) العمدة ١٢٠/١ ؛ بيان الجاحظ ٢٣/١ ، يسميه صاحب مشور ومزدوج .

لا دهمل من جملا

أى لا خوف من الجمل^(١) .

وهذا التطور فى الأسلوب ، الذى نستطيع ملاحظته عند ابن المقفع وبشار ، آذن بشروق عهد جديد فى تاريخ اللغة العربية ، دعا إلية الانتقال من حياة البداوة إلى حضارة المدن ، وتغلغل غير العرب ، فى ميادين الأدب . وذلك الطابع الوحشى للعربية القديمة بثروتها الفياضة فى الألفاظ والقوالب ، تراجع فى ذلك العهد أمام أسلوب متأنق مهذب ، لا يسبب استواؤه وسهولته صعوبات ذات بال للأفهام . وهذه اللغة السهلة ، المتدفقة ، الواضحة ، سرعان ما احتذاها المثقفون جميعاً واستعملوها فى الأدب فى العالم الإسلامى ، دون تمييز بين أصل وجنس ، ولا بين لغة أصلية ولهجة وطنية خاصة . وبما أن الشعوب والأقوام فى المدن العظمى للدولة كانت أخلاطاً متعددة الألوان يمجج بعضها فى بعض ، لم تستطع الدوائر العربية أن تتخلص من تأثيرها بصفة دائمة ؛ بيد أن كل هذا الانسجام والاستواء فى القوالب والأساليب ، وذلك الاطراد السطحى فى موافقة القواعد ، لم يكن ليستطيع أن يخذلنا عن أن القالب الداخلى ، والأسلوب الحقيقى للغة الدولة الجديدة ، كان يحمل سمات مولدة . وإلى أى مدى كانت الطبيعة العربية لا تزال مرهفة الإحساس إزاء كل عجمة أو رطانة؟ هذا ما يشير إليه ذلك الخبر المستفيض الرواية عن محاوراة جدلية بين أبى عمرو بن العلاء (حوالى ٧٠ - ١٥٤ هـ) وعمرو بن عبيد مؤسس الاعتزال (٨٠ - ١٤٤ هـ) حول نظام الجزاء الإلهى : فحينما قال هذا (عمرو بن عبيد) : إن الله منجز وعده ووعيده ، قال له أبو عمرو لائماً : أنت أعجم ! لا أقول إنك أعجم اللسان ، ولكنك أعجم القلب ! وعلمه ، مشيراً إلى بيت عامر بن الطفيل (ق ٢/٦) :

(١) العرب للجواليقي ٦٧ ؛ على أنه نسب البيت نفسه فى ص ١٣٤ إلى سراقبة الباهلى الذى اشتهر بين سنة ٦٠ - ٧٠ هـ . وفعل دهمل أو دخل بالفتح بمعنى خاف ، ورد فى إحدى الروايات (تاج العروس ٧ / ٣١٩ ؛ وفى رواية أخرى : كنز العمال ٢ / ٢٩٨ ، ورد بدلاً من ذلك : «خاف» . وانظر فى ذلك أيضاً : «دحال» فى شعرذى الرمة . وقارن Nöldeke, ZA 33 (1921) 179, 2 (شبيتالر) .

وإِشَى إِنْ أَوْعَدْتُهُ أَوْ وَعَدْتُهُ لَخَلْفُ إِيْعَادِي وَمَنْجَزُ مَوْعَدِي
 أن العرب لا تعد خلف الإيعاد ذمّاً وتعدّه مدحاً ، على عكس الوعد^(١) .
 ومع هذا فقد كان عمرو بن عبّيد خطيباً ممتازاً لا يزال كثير من أقواله باقياً^(٢) .
 ومثال آخر من ذلك النقد ، حصل مع من ليس أقل من ابن المقفع ،
 الذي عد عليه الأصمعي من الخطأ الفاحش تعريفه لفظي : بعض وكل^(٣)
 حيث قال : « العلم كثير ، ولكن أخذ البعض خير من ترك الكل » ، لأن
 إيهام معنى (بعض) الذي لا يرتفع أيضاً بإضافته إلى المعرفة [« بعض العرب »
 معناه جماعة من العرب أيّاً كانوا] يمنع من تعيينه بأداة التعريف ؛ وكذلك
 لفظ « كل » ، القسم لبعض ، لم يرد معرّف في العربية القديمة بحال^(٤) . وهذا
 — في الحق — لم يمنع الإدراك الفكري المحض أن يبتدع فيما بعد لفظي (البعض)
 بمعنى الجزء أو الجزئي ، و (الكل) بمعنى الجميع أو المجموع . وهذا التعبير
 العديم الحياة ، حاول^(٥) النحوي ابن دُرُسْتَوِيَه (٢٥٨ — ٣٤٧ هـ) في :
 « الرد على ابن خالويه في الكل والبعض » أن يصحّحه . وأخيراً استشهد
 بعضهم لتصحيحه بأبيات مصنوعة كما يظهر^(٦) .

بعد هذه الأمثلة لا نكاد نعدل عن شاكلة الصواب ، إذا نحن أولنا بنفس
 الطريقة الرواية القائلة بأن أحد البدو عد على الخليفة المنصور (حكم
 ١٣٦ — ١٥٨ هـ) في جلسة واحدة ، ثلاثة أخطاء لغوية ، حتى وإن لم ينقل
 إلينا نص هذه الأخطاء^(٧) . ذلك أن المنصور ، كأكثر العباسيين ، لم يكن

(١) عيون الأخبار ١٤٢/٢ س ٩ ؛ يتيبة الدهر ١/٦٤ س ١١ ؛ ميزان الاعتدال
 ٢٩٦/٢ س ١٩ ؛ تهذيب التهذيب ٧١/٨ ؛ لسان الميزان ٣٧٩/٥ ؛ مقالات الأشعري ص
 ١٤٨ هامش .

(٢) انظر مثلاً في عيون الأخبار لابن قتيبة .

(٣) تاج العروس ٨/٥ ؛ ١٠٠/٨ ؛ كذلك في المزهري ١٠٥/٢ عن كتاب ليس لابن خالويه

(٤) الصواب تغيير لفظ « كل » في بيت امرئ القيس إلى كل بفتح الكاف ، كما قرره :

Reckendorf في : Arab. Syntax, S. 157 Anm. 1

(٥) الفهرست ٩٤ ، وفي تاج العروس ٨/٥ أبيات قيلت في السخرية منه لذلك . كما أن

رأى ابن خالويه ذكر في المزهري في المكان السالف (١٠٥/٢) .

(٦) شرح درة النواصير للحنفي (استانبول ١٢٩٩) ص ٧٠ .

(٧) إرشاد الأريب ٢٣/١ س ٦ .

خالص العروبة ؛ إذ كانت أمه من البربر ؛ كما يجوز لنا أن نظن انه كان يتكلم الفارسية^(١) . ولكنه كان رجلاً واسع الثقافة ، وكان خطيباً لامعاً ؛ وقد جمعت أقواله في كتاب خاص كان جد مشهور عند النساخين في أيام الجاحظ^(٢) . وإذا كان قد وقع في خطأ مرة في أثناء تلاوة القرآن^(٣) ، فإنه لا يظن بحال أنه كان يقع في أغلاط فاحشة في القواعد ، وإنما كان يستعمل فقط عبارات تجرح الإحساس اللغوى الطبيعى لرجل من البدو .

وككل علم قياسي لم يسلم النحو العربى دائماً من خطر الاستبداد بالحياة الواقعية ، وإكراهها في وضع قواعده . وعلماء اللغة لم يتفقوا دائماً في وجهة نظرهم نحو الاستعمال اللغوى الصحيح ؛ وقد انضم إلى ذلك أيضاً الخلاف المدرسى بين البصريين والكوفيين ، ولم يكن من السهل بالكوفة ملاقة العرب الرحّل من وسط الجزيرة وشرقها ، وسؤالهم ، كما كان ذلك متيسراً لأهل البصرة . ولذلك اعتمد العلماء في الكوفة بحكم الضرورة على أشباه المتوطنين من القبائل في سواد الكوفة ، الذين لم يُرد علماء اللغة بالبصرة الاعتراف بلغتهم على أنها أصل للاحتجاج^(٤) . وكانت لعلماء البصرة مذاهب معتمدة في القياس النحوى تختلف عن مذاهب الكوفيين ، كما سلك كل قبيل في تفسير الظواهر اللغوية في الغالب مسلكاً مختلفاً . لهذا نجد أبا محمد اليزيدى (١٣٨ - ٢٠٢ هـ) مؤدب المأمون الذى كان شديد العصبيّة لمدرسة البصرة يسخر في قصيدة^(٥) هجا فيها الكسائى الكوفى مؤدب الأمين ، من علماء أفسدوا النحو وأزروا به ، وهم بين أغتم لا يحسن الكلام ، ووضع ذى مرأى وذى لكنة ، خسيس الأصل والنسب ؛ أحدثوا في النحو قياساً فاسداً لا يغنى شيئاً . وسيظلون في مبادئ النحو ، لا يتجاوزون أبجديته ولو عمّروا أعمار عاد . أما الكسائى فهو في النحو ليس من الأئمة ، ومن أتاه دون علم به يبغى عنده العلم فهو كالعطشان قصد إلى سراب في البيداء :

(١) عيون الأخبار ١/ ٢٠٨ .

(٢) بيان الجاحظ ٢/ ١٥٤ س ٢٩ .

(٣) إرشاد الأريب ١/ ٢٣ س ١٠ .

(٤) أخبار النحويين للسيرافى ص ٩٠ (طبع كرئكو) ؛ الفهرست ص ٨٦ س ١٥ ؛

نزهة الألباء ص ٢٦٣ .

(٥) أخبار النحويين للسيرافى ص ٤٠ فا بعدها (طبع كرئكو) .

وقل لمن يطلب علماً ألا نادِ بأعلى شرفٍ ناد
يا ضيعةَ النحو ، به مُغربٌ عنقاء أودت ذاتُ إصعاد
أفسده قوم وأزروا به من بين أغتام وأوغاد
ذوى مرأى وذوى لكنة لئام آباء وأجداد
لهم قياس أحداثوه هم قياسُ سوء غير منقاد
فهم من النحو ، ولو نغمروا أعمارَ عاد ، في أبي جاد
أما الكسائي فذاك امرؤ في النحو حارٍ غير مرداد^(١)
وهو لمن يأتيه جهلاً به مثلُ سراب البید للصّاد

كما يثبت شكواه وغضبه على رواة الكوفيين في شعر آخر^(٢) :

كنا نقيس النحو فيما مضى على لسان العرب الأول
فجاء أقوام يقيسونه على لغى أشياخ قُطْرُبُل
فكلهم يعمل في نقض ما به يصاب الحق لا يأتلى
إن الكسائي وأشياعه يرقون في النحو إلى أسفل

ومن هذا يتبين أنه منذ بدء العصر العباسي أخذ العيب باللحن ينتشر —بحق أو دون حق— لوسم خصم بأنه غير مثقف ، وللحط من شأنه في أعين معاصريه . ومما يذكر في هذا الصدد على سبيل المثال ، حكم يونس بن حبيب (حوالي ٩٥ - ١٨٣ هـ^(٣)) ، الذي ينقل سيبويه كثيراً عنه ، على حماد الراوية (حوالي ٩٥ - ١٥٥ هـ^(٤)) ، جامع المعلقات الذي كثر الطعن فيه ، وصيغة ذلك الحكم كما يلي : « كان يكذب ، ويلحن ، ويكسر^(٥) » ، (أى لا يقيم وزن العروض) . وكذلك يروى أن معاصر حماد : مروان بن أبي

(١) كذا في أخبار النحويين وهو خطأ . ولعل صوابه : « مرتاد » (المترجم) .

(٢) نزهة الألباء ص ١٠٨ ؛ إرشاد الأريب ٧/ ٢٩٠ ؛ بغية الوعاة ص ٣٣٦ .

(٣) الفهرست ص ٦٣ .

(٤) إرشاد الأريب ٤/ ١٣٧ .

(٥) طبقات ابن سلام ١٥ (طبعة Hell) ومفعول « يكسر » هو : « الشعر » (انظر بيت أبان بن عبد الحميد في الأغاني بولاق ٧٤/٢٠ والموشح للمرزباني ٢٧٨) أو « البيت » (انظر المعارف لابن قتيبة ٢٧٠ وإرشاد الأريب ٢/ ٤٢٦) .

حفصة (١٠٥ - ١٨١ هـ)^(١)، وصفه بأنه 'لَحْنَنَةٌ لِحَانَةٌ، مما حمل حماداً على أن يبين له عذره في ذلك حيث قال (أى حماد) : « يا أخى لى رجل أكلم العامة فأتكلم بكلامها »^(٢). وفي رواية أخرى أن الكميّ الشاعر رفض أن يملأ أشعاره على حماد لأنه خشى لحنه^(٣). ويقول صاحب الفهرست أيضاً إن حماداً كان كثيراً ما يلحن^(٤). وعلى النقيض من ذلك لا ينكر خصم حماد اللدود، المفضل الضبي (المتوفى ١٦٨ هـ) أن حماداً كان ذا دراية ممتازة باللغة، ولكنه أساء استعمالها، حيث وضع - في حذق ومهارة - أبياتاً على نسق القدماء، ففسدت بدسسه رواية الشعر القديم في كل زمان^(٥). فإذا أضفنا إلى هذا جميل رأى أبى عمرو بن العلاء في حماد - كما روى ذلك عنه^(٦) - فلان نشك في أن الروايات التي تزعم أنه كان لحناً إنما نشأت من التأثر بالخصومة واللدد، وأن كلمات يونس تعبر عن قصد البصريين السييء في خصومهم الكوفيين^(٧).

وإلى جانب حماد يوضع كوفي آخر، هو جنّاد بن واصل، في مرتبة واحدة. وكان يونس لا يعد كليهما شيئاً^(٨). ويحتمل لهما بصرى آخر، وهو التوزي (المتوفى ٢٣٨ هـ)^(٩) تبعة تصحيف الروايات الكوفية^(١٠). وإذا نسب

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ١٤٥ س ٢١.

(٢) الأغاني (طبع دار الكتب) ٧١/٦.

(٣) الموشح ص ١٩٥.

(٤) الفهرست ص ١٣٤ وعبارته : وكان حماد ربما لحن في الشيء إلخ.

(٥) الأغاني (طبع دار الكتب) ٨٩/٦ ؛ وعبارته : ولكنه (حماداً) رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق إلخ. وفي صدر هذه الرواية يقول المفضل الضبي : قد سلب على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً إلخ. ووردت الرواية أيضاً في إرشاد الأريب ١٧١/٧

(٦) الأغاني (طبع دار الكتب) ٧٣/٦.

(٧) على أن الكوفيين كانوا يطعنون من جانهم أيضاً في البصريين بتهمة اللحن. فقد صنع بعضهم مثلاً على يونس بن حبيب البصرى هذه الجملة العامة : هاتيك الماء من ذاك الجرة. (إرشاد الأريب ٥١/١ ؛ المزهر ١٢٢/١).

(٨) الأغاني (طبع دار الكتب) ٢٨٣/٨.

(٩) الفهرست ص ٨٥ (والتوزي تحريف عن : التوزي) ؛ أخبار النحويين للسيرافى

ص ٨٥ ؛ نزهة الألباء ص ٢٣٢ ؛ معجم البلدان ١/ ٨٩٤.

(١٠) إرشاد الأريب ٤٢٦/٢ (وقد صحف أيضاً إلى : التوزي).

إلى جَنَادِ اللّٰحْن^(١) فقد يجوز أن يكون هذا الطعن لا وجه له ، تماماً كما هو الرأى فى حماد . أما أن علماء الكوفة أيضاً كانوا يعنون — على النقيض من ذلك — بمسائل سلامة اللغة وصحتها ، فهذا ما يبدو للعيان من شعر الهجاء الذى قيل فى حفص بن أبى ودّة ، الذى كان يعد من أصحاب حماد الراوية ، ونسبت إليه معه تهمة الزندقة لسوء سلوكه ، وحرية رأيه^(٢) . وكان حفص طعن فى شعر المرقش^(٣) ورماه باللحن ، فسخر به من أجل ذلك شاعر كوفى [تختلف الروايات فيه ، هل هو شريكه فى التحلل والزندقة : حماد عجرد (المتوفى ١٦١ هـ) ، أو مساور الوراق ، أو البردخست^(٤)] بالأبيات التالية :

[لقد كان فى عينيك يا حفص شاغل وأنف كئيل العود عما تتبّع
تتبع لحناً فى كلام مرقش وخلقك مبنى على اللحن أجمع
فعيناك إقواء وأنفك مكفاً ووجهك لإبطاء فأنت المرقع

وقد شبه الشاعر عيوب مهجوه الخلقية بالعبارات المصطلح عليها فى العروض العربى : الإقواء (وهو اختلاف القوافى بالكسر والضم) ، والإكفاء (وهو اختلاف حروف القافية) ، والإبطاء (وهو تكرار لفظ القافية فى الشعر الواحد) كما قابل بين المرقش ، أى المحسن ، فوصفه بالمرقع ، أى المشوه بالرقع . وقوله : فعيناك إقواء ، أى فيهما حَوَل ؛ وأنفك مكفاً ، أى معوج ؛ ووجهك لإبطاء ، أى موطأ مفرطح ؛ وأنت المرقع ، أى المدنس المشوه .

(١) الفهرست ص ١٣٥ ؛ إرشاد الأريب ٢/٢٥٤

(٢) ذكر فى قائمة الزنادقة عن الجاحظ ، وقد ساقها المرتضى فى : الأمالى ١/٩٠ ؛ والأغانى (طبع بولاق) ١٦/١٤٨ (مع تحريف ودة إلى وردة) ؛ وابن حجر فى : لسان الميزان ٢/٣٢١ (مع تحريف ودة إلى : بردة) .

(٣) المراد — فيما يظهر — المرقش الأصغر ، الذى يمهده ابن أبى إسحق الحضرى أشعر شعراء الجاهلية (طبقات الجسجى ص ١٦) ، لاعمه المتفق معه فى اللقب . وفى المفضليات طائفة من أشعارها رقم ٤٥ — ٥٩ والملاحق رقم ٣ .

(٤) انظر : الموشح ص ٢٦ ؛ الأغاني ١٣/٨٧ ؛ ١٦/١٦٨ ؛ بيان الجاحظ : ٣/٢ ؛ الشعر والشعراء ص ٤٤٨ .

أما أن الطعن باللحن كان يوجه أيضاً إلى دوائر علماء الفقه ، فهذا ما يدل عليه مثال كوفي ثالث ، هو أبو حنيفة (٨٠ - ١٥٠ هـ) ، فقد حكى عنه الجاحظ^(١) تعبيراً جاء فيه خطأ شنيع ، حيث قال : [ولو ضرب رأسه] بأبا قبيس ، بدلاً من : بأبي قبيس . وكيف جازت دعوى أن هذا الإمام العظيم لم ينطق صحيحاً ؟ هذا ما تكشفه الرواية المساوقة^(٢) ، التي اقترن فيها ذلك التعبير نفسه بالخبر التالي : كان أبو حنيفة طلب النحو في أول أمره ، فذهب يقيس فلما أخذ يصوغ جمعاً لكلب على كلوب (بدلاً من كلاب) ، قياساً على : قلب وقلوب ، تبين له أنه لن يصل في ذلك إلى شيء ، فعدل عن النحو ولم يكن له علم به . ومن الواضح البين أن هذا الخبر الذي يرجع إلى الحنبلي الكبير : إبراهيم الحربي (١٩٨ - ٢٨٥ هـ)^(٣) قد اخترع بدافع العصبية من قبل الخصوم المحافظين الذين أرادوا الغض من شأن مبدأ القياس في دائرة اللغة أيضاً . ومما يذكر بهذه المناسبة أن النحوي الكوفي : ابن فارس (المتوفى ٣٩٥ هـ)^(٤) رأى أنه يمكن التماس تصويب لأبي حنيفة ، دون طعن في صحة الخبر المذكور ، بأن تكون صيغة : بأبا قبيس ، جارية على لهجة خاصة تقصر أبا (على أن أصله : أبُو^(٥)) . وقد تلقى معسكر الأحناف هذا الإيضاح المفتعل بشغف ، وافتتح به أحد الأشياء المتعصبين لهذه المدرسة^(٦) : الملك المعظم شرف الدين الأيوبي (٥٧٦ - ٦٢٤ هـ)^(٧) ، رسالته : « السهم المصيب ، في الرد على الخطيب » ، التي اجتهد بها في دفع جميع المغامز التي أثارها الخطيب في تاريخ بغداد حول صورة أبي حنيفة^(٨) .

(١) بيان الجاحظ ٢/٢ ص ١٧ .

(٢) تاريخ بغداد ١٣/٣٣٢ .

(٣) الفهرست ٣٢٣ ؛ تاريخ بغداد ٦/٢٧ ؛ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ٥٠ .

(٤) دائرة المعارف الإسلامية 400 EI, II .

(٥) معجم البلدان ١/١٠٢ ؛ وذكر دون عزو في : الإنصاف لابن الأنباري ص ٧ ؛ وحياة الحيوان (طبع ١٣٤٧ هـ) ١/٢٠٦ ؛ والعين ١/١٣٨ وغير ذلك .

(٦) ابن خلكان (طبع ١٢٩٩ هـ) ٢/١٢٣ .

(٧) دائرة المعارف الإسلامية 646 EI III .

(٨) حاجي خليفة (طبع ١٣١٠ هـ) ٢/٣٨ ؛ وقد نشرت الرسالة المذكورة بعنوان : « الرد على أبي بكر الخطيب البغدادي في القاهرة سنة ١٩٣٢/١٣٥١ على صورة =

وقد عقب الخطيب^(١) على خبر إبراهيم الخري المشار إليه آنفاً ، فذكر أن أبا حنيفة لحّن القراءة المشهورة : « تُرَزَّقَانِه » في سورة يوسف ٣٧/١٢ ، مصوباً ضم الهاء^(٢) بدلا من كسرها ؛ هذا وقد أثبت سيبويه^(٣) صيغاً مثل : به ، وبداره إلخ ، على أنها لهجة حجازية حتى في قراءة القرآن . ومن المحتمل جداً أن أبا حنيفة كان يرجحها ، قياساً على : له ومنه إلخ . أما أن يستنبط من هذا أنه يلحن الصيغ الجارية : به وما شاكلها ، فهذا ما دعا إلى تحامل خصومه عليه بلا شك . على أن الملك المعظم لم ينكر أيضاً في رسالته صحة نسبة التعبير المذكور إلى إمامه ، بل اكتفى بحمله على محمد حسن^(٤) حين فسر اللحن في ضوء كتاب « الملاحن » لابن دريد ، بأنه الرمز والتعريض ، متابعاً في ذلك غيره من العلماء .

وأجدر بالتصديق دعوى أن قاضي واسط : أبا شيبه إبراهيم بن عثمان^(٥) (المتوفى ١٦٩ هـ) - وهو إيراني الأصل^(٦) ، ولا يلتبس بأبي شيبه الواسطي^(٧) الذي كان عربياً صمياً - كان لحناً معروفاً ؛ فإن خلطه بين صيغ الفعل ، وقوله مثلاً : أن نَقُصِّمَ ؛ بدلا من : أن نقوم^(٨) ، كان خروجاً على العربية أشد من الخلط في الإعراب عدّه رَقَبَة بن مَصْقَلَة : (المتوفى ١٢٩ هـ) المشهور ببلاغته ، من كبائر الذنوب^(٩) . وهل وقع أيضاً معاصره :

= ملحق ثان لتاريخ بغداد ، بعد أن تركت الترجمة المذكورة في التاريخ ١٣ / ٣٢٣ - ٤٥٤ لأبي حنيفة أثرآ سيثا في نفوس معتني مذهبه .

(١) تاريخ بغداد ١٣ / ٣٣٢ .

(٢) ضمت نون : ترزقانه ، أيضا على سبيل التحريف في طبعة التاريخ بالقاهرة .

(٣) ٢٩٤/٢ ؛ انظر أيضا : Nöldeke : Gesch. d. Qorāns III 138 F

(٤) انظر الرسالة السالفة ص ٤٩ .

(٥) طبقات ابن سعد ٢٦٧/٦ ؛ تاريخ بغداد ١١١/٦ ؛ تهذيب التهذيب ١٤٤/١ ؛ ميزان الاعتدال ٢٣/١ .

(٦) اسم جده خواستی .

(٧) انظر في ترجمة هذا : تهذيب التهذيب ١٣٦/٦ ؛ ميزان الاعتدال ٩٨/٢ .

(٨) بيان الجاحظ ٥/٢ .

(٩) أدب الكتاب ص ١٣٢ ؛ وفي رقبة ، انظر : المعارف ٢٠٥ ؛ تهذيب التهذيب

٢٨٦/٣ ؛ تاج العروس ٢٧٥/١ .

شبيب بن شيبه^(١) (المتوفى ١٦٤ هـ) ، بحضرة بلال بن أبي بردة (المتوفى ١٢٠ هـ) ، لحن شنيع مثله^(٢) ؟ هذا ما يشك فيه ، لأنه كان عربياً ، وأحد خطباء قبيله المقوّهين^(٣) . ومن غير المحتمل كذلك ادعاء أن خالد بن صفوان^(٤) - وهو من رهط شبيب المذكور - الذى اشتهر بمنادمة السفاح ، وبملكته فى الخطابة ، وحضور بديهته فى المزاح ، قد أرشده إلى الصواب بلال بن أبي بردة ، بسبب اللحن ، حتى وإن أضيف إلى ذلك أن هذا كان باعثاً له أن يتعلم الإعراب فى المسجد^(٥) ؛ إذ لا يمكننا أن ننحى تشككنا فى أن الغرض من ذلك هو وسم الخطيب المشهور بميسم التلمذة فى مدرسة البصرة . وأقرب من هذا إلى الصحة أن لحن شبيب ينحصر فى أنه كان يضع التعبير أحياناً فى غير موضعه ؛ كما روى أنه استعمل مرة عبارة : ما بين لابتها ، التى تقال فى المدينة المنورة فحسب ، مريداً به البصرة - وإن يكن هذا التجوز القريب ، بتعميم التعبير المذكور المأثور عن الرسول [صلى الله عليه وسلم]^(٦) ، المشهور لدى كل مسلم ، قد اعترف به البلغاء المتأخرون^(٧) ويقال أيضاً إنه استعمل لفظ : محبى ، الذى معناه المنتفخ البطن ، فى معنى من تورّمت أنفه غضباً^(٨) .

وفى غير العراق ، كان الاشتغال بالعربية حقاً جد ضئيل . فبينما كانت فى البصرة والكوفة مدرستان خاصتان بالنحو ، وحدثت حدوهما بعد ذلك

(١) تاريخ بغداد ٢٧٤/٩ ميزان الاعتدال ١ / ٤٤١ ؛ تهذيب التهذيب ٣٠٧/٤ .

(٢) عيون الأخبار ١٥٩/٢ .

(٣) بيان الجاحظ ١ / ١٣٤ ؛ ويوجد كثير من أقواله فى عيون الأخبار لابن قتيبة وأمالى القالى وغيرهما . ومن آبائه عمرو بن الأهم خطيب تميم عند النبى صلى الله عليه وسلم ؛ ويؤخذ من هجاء قاله فيه قيس بن عاصم (الأغاني ١٥٧/١٢) أن أم الأهم أبيه كانت أمة غير عربية من الحيرة .

(٤) بيان الجاحظ ١ / ١٣٠ ؛ المعارف ص ٢٠٦ .

(٥) الكامل ٢٥٣ ؛ ابن خلكان ١ / ٤٣٥ .

(٦) البخارى : فضائل المدينة ؛ كنز العمال ١٥٣/٧ .

(٧) انظر الأساس للزمخشري والمغرب للمطرزى وغير ذلك .

(٨) إرشاد الأريب ٣٧٢/٢ ، وعنه : المزهر ٢٢٢/٢ وعن المزهر تاج العروس

٤٧٤/١ ؛ وانظر معجم البلدان ٣٣٥/٤ .

بغداد بمدرستها التي نزلت إلى الجمع والتوفيق بين المدرستين ، لم تقم بالمدينة — مثلاً — علوم اللغة على أساس وطيد^(١) . وها هو ذا الأصمعي الذي نزل في أواسط القرن الثاني ضيفاً على الهاشمي جعفر بن سليمان^(٢) بالمدينة ، يقول إنه لم يسمع هناك قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة^(٣) . وقد أنشد الأخباري المدني : عيسى بن يزيد بن دأب (المتوفى ١٧٠ هـ)^(٤) بيتاً على أنه لأعشى همدان (ق ٦) :

من دعا لي عُزيلي أربح الله تجارتته

فزعم أن شاعراً فصيحاً — مثل الأعشى المذكور — يهدف الألف التي قبل الهاء في الله ، ويسكن الهاء^(٥) ، ويرفع : تجارتته ، وهو منصوب ؛ وقد جر على نفسه بذلك لوم الأصمعي — بحق — وتقريعه^(٦) ؛ وطعن فيه الأصمعي أيضاً بأنه يضع الشعر [هناك دأبية أخرى مثل هذه في أشعار الهذليين رقم ١٧١^(٧)] وأحاديث السمر ، وكلاماً ينسبه إلى العرب . وفي الحق تدل

(١) لا يعرف كثير عن نحوى كان بالمدينة ، يحمل الاسم الفارسي : بشكست ، وقتل في حرب الخارجي : طالب الحق سنة ١٣٠ هـ انظر الأغاني ١/١٤٤ ؛ ١٠٨/٢٠ .
(٢) كان والياً على المدينة (١٤٦ - ١٥٠ هـ ثم ١٦١ - ١٦٦ هـ) ؛ انظر : المعارف ص ١٩٠ ؛ Wuestenfeld Geneal. Tbellen W 25 وانظر معجم الأسرات الحاكمة لزأببور ٢٤ وكان الأصمعي يتردد عليه كثيراً انظر : عيون الأخبار ٣/٢٤ ؛ ٣/٢٠١ ؛ ٨٠/٤ وأمالى القالي ١/٢٥٣ ؛ ٢/١٦٤ ؛ ٢/٦٦ ونوادر القالي ١٨٤ .
(٣) إرشاد الأديب ٦/١١٠ عن مراتب النحويين لأبي الطيب (المتوفى ٣٥١ هـ . انظر بغية الوعاة ٣١٧) .

(٤) بيان الجاحظ ١/١٢٤ ؛ المعارف ص ١٨٢ ؛ تاريخ بغداد ١١/١٤٨ .
(٥) رأى قطرب (المتوفى ٢٠٦ هـ) في هذه الصيغة الناشئة من حذف الألف ، صيغة إضافية سائغة في التعبير (أمالي ابن الشجري ١٦/٢) والبيت الذي استشهد به طعن فيه أبو حاتم بأنه من صنعة قطرب (انظر : الكامل ص ٣٣ ؛ خزائن الأدب ٤/٣٤٣) ؛ كما يوجد شاهد ثالث على ذلك في خزائن الأدب ٤/٣٣٥ ؛ وقد عولج الموضوع بتفصيل في الخزائن أيضاً ٤/٣٤١ - ٣٤٣ ؛ وقد أباح لنفسه الباهرزي (دمية القصر ص ١٧٥) هذا الاستعمال أيضاً في القافية . وانظر أيضاً Nöldeke, zur Grammatik 9/5 (شبيثالر) .
(٦) يكل كل من الأغاني ٦/٥٦ ، الموشح ص ١٩١ رواية ياقوت في الإرشاد ؛ وانظر

فحولة الشعراء للأصمعي C. Torrey ZDMG, 65, 491
(٧) انظر : Wellhausen, Skizzen und Vorarbeiten I, 130

نماذج محادثات ابن دأب مع الخليفة موسى الهادي ، الذي كان عيسى جليسه في آخر سني حياته ، على أنه لم يكن يلتقي بالآلا للصدق التاريخي في الموضوع ، ولا للدقة المطلوبة في اللفظ بل لجرد أخبار السمر^(١) . ويقول خلف الأحمر (المتوفى ١٨٠ هـ)^(٢) شيخ الأصمعي : إن كلا من ابن دأب وابن شوكر السندی^(٣) آفة^(٤) الرواية في المشرق والمغرب . وفي الوصف التصويري^(٥) الذي قاله خلف عن يروي لابن دأب وابن شوكر ، دون اهتمام بالإسناد ، توجد ملاحظة تلقي ضوءاً كبيراً على ما نحن بصدده ؛ إذ إن هؤلاء الرواة كانوا يستعملون صيغة : قالت ستي ، مما يسفر عن الطابع المولد في أسلوبهم اللغوي .

ويجوز لنا بما تقدم أن نفترض أن اللغة العربية في المدينة لم تحظ بعناية خاصة ، وأن الدوائر المثقفة لم تتمسك بتعاليم القواعد ومبادئها . وقد وجد الأصمعي^(٦) من الغرابة بمكان أن يصدر لحن من مالك بن أنس (حوالى ٩٠ — ١٧٩ هـ) الذي كان هو يوقره توقيراً كبيراً ؛ إذ قال مثلاً : أئ مطراً ، بدلاً من : أئ مطر . ولكن عبثاً أراد أن يجيب إليه أن يصلح من لغته ؛ فإن مالكا لم يقتصر على الاستشهاد بأن أستاذه ربيعة بن أبي عبد الرحمن — هو الفقيه المدني (المتوفى ١٣٦ هـ) المعروف باسم : ربيعة الرأي^(٨) — كان يخلط في الإعراب ، إذ كان يقول : بخيراً بدل : بخير ؛

(١) مروج الذهب (طبع ١٣٤٦ هـ) ٢/٢٥٨ ؛ إرشاد الأريب ١٠٦/٦ ؛ الجهشيارى (BAHG) ص ٢٠٥ ؛ وكتاب التاج المنسوب للجاحظ (نشر أحمد زكي) ص ١١٦ .

(٢) إرشاد الأريب ١٧٩/٤ .

(٣) سماه ياقوت (إرشاد ١٠٩/٦) الشوكري من الكوفة ؛ وسماه خلف في شعره : بسبب الضرورة شوكرأ ، وعقب عليه ياقوت برواية عن عمر بن شبة قال : شوكر شاعر بالبصرة يضع الأخبار والأشعار ، ومن هنا سماه شوكرأ — غلطاً — كل من اللهي في ميزان الاعتدال ٤٥٢/١ ؛ وابن حجر في لسان الميزان ١٥٨/٣ .

(٤) انظر تاريخ بغداد ١٥٢/١ ؛ لسان الميزان ٤٠٩/٤ ؛ تهذيب التهذيب ١٥٣/٩ .

(٥) إرشاد الأريب ١٠٩/٦ : « إنما يروى هؤلاء من يقول قالت ستي ويدعو ربه ويسبح بالخصى ويحلف بحيت المصحف ويدع حدثنا وأخبرنا ويقول أكلنا وشربنا » .

(٦) أدب الكتاب ص ١٣٣ .

(٧) سقط لفظ : أئ في الموضع المشار إليه .

(٨) أطلق هذه التسمية عليه — بادئ ذي بدء — خصومه العراقيون تصغيراً من شأنه =

ولكنه علل رفضه أيضاً بسبب أبعد مدى، حيث تمثل بحكمة لزاهد لم يسمّه^(١) :
أعربنا في كلامنا فما نلحن ، ولحننا في أعمالنا فما نعرب . هذا التحقير من
شأن الثقافة الظاهرية ، الذي يتفق مع عزوف مالك عن العلوم الدنيوية^(٢) ،
أسهم بقسط غير ضئيل في أن النحو وعلم اللغة لم يجدا بالمدينة تربة خصيبة ،
وحتى في قراءات القرآن المدنية يلاحظ نوع من التساهل في القواعد النحوية .
فهذا نافع (المتوفى سنة ١٦٩ هـ)^(٣) يقرأ في سورة الأعراف ١٠/٧ وسورة
الحجر ٢٠/١٥ : معائش ، بالهمز بدل : معاش ، فعامل لفظ المفرد :
معيشة ، كما لو كان على وزن فعيلة . وكون الصيغ المشتقة غامضة بحيث
يتلاشى الإحساس بأصلها ، أمر يتكرر دون انقطاع في تاريخ اللغة العربية^(٤) .
على أن النحاة قد رفضوا دائماً الاعتراف بمثل هذه الصيغ الجديدة ؛ فهذا
سيبويه^(٥) يحكم على : مصائب ، بدلا من مصابوب (جمع مصيبة) بأنه
خطأ . ورجال تنقية اللغة المتزمتون تمسكوا دائماً بذلك المبدأ ، فأبقوا الواو
والياء في صيغة الجمع على حالها في الأجوف^(٦) . على أنه في الاستعمال اللغوي
قد ظهرت بكثرة مستفيضة صيغ جديدة مهموزة^(٧) بحيث رأى بعض

= (تاريخ بغداد ٤٢٣/٨) . كما أن وصفه بالعي في أغلب تراجمه : المعارف ص ٢٤٩ ؛ الفهرست
ص ٢٨٥ ؛ ابن خلكان ٣٢٥/١ وغير ذلك يرجع إلى حكاية مختصرة ، أساسها تصرفه في القول
كل متصرف مع الإسهاب والإطناب . والباعث إلى ذلك ملل المستمعين كاتجذ ذلك منسوباً إلى الفضل
الرقاشي (الأغاني ٣٥/١٥ ؛ تاريخ بغداد ٣٤٥/١٢ ؛ الموشح ص ٢٩٨)
(١) نسب الجاحظ (بيان ١٠٣/١) هذه الحكمة لإبراهيم بن أدهم (المتوفى ١٦١ هـ) ،
وكررها دون تسمية قائلها ٥/٢ ورويت في تعبير مختلف عند ابن قتيبة في عيون الأخبار ١٥٩/٢ ؛
وانظر أيضاً Goldziher ZDMG 26. 776 Anm. 4 وانظر أيضاً :

J. Weiss, ZDMG 64, 371

(٢) يظهر أن هذه المرحلة في حياة مالك كانت عابرة ، وأنه في وقت متأخر عن ذلك كان
يبحث على تعلم الإعراب ودراسة القواعد ، وقد روى القلقشندي عنه حكماً وأقوالاً في مدح الإعراب :
صبح الأعشى ١٦٨/١ وانظر كتابي عن محمد بن إسحاق ص ٣١ .

(٣) ميزان الاعتدال ٢٢٧/٣ .

(٤) انظر في توليد أصول جديدة في العربية A. Meg في بحثه المنشور في كتاب تكريم
المستشرق : نولده ، ص ٢٤٩ ؛ وقد صيغ في اللهجة الدارجة من لفظ معيشة ، فعل تمعش ، أي
اكتسب معاشه ، انظر : Dozy ٦٠٢/٢ ب .

(٥) الكتاب (بولاق) ٣٦٧/٢ ص ٥٩ .

(٦) المفصل للزحشرى ، الباب ٧١٧ (نشر Broch ص ١٨٣) .

(٧) انظر تصريح ثعلب (المتوفى ٢٩١ هـ) في تاج العروس ٥٨٧/٣ .

البعيدى النظر ، من علماء اللغة ، ضرورة الاعتراف^(١) على الأقل بمصائب ومناثر ، بعدئها شاذين قياساً ، وإن كانا مطردين في الاستعمال جمعين لمصيبة ومنارة . ولم يعد المقارئ المدنى أصواتاً أخذت عليه عدم بصره بالقواعد^(٢) بسبب صيغة : معائش ؛ وكانت نتيجة ذلك النقد^(٣) أن اعتمدت الصيغة الفصيحة : معاش ، في قرائى قالون وورش عن نافع المدرجتين في القراءات السبع المعتمدة ، بحيث لا يوجد ، إلا في إشارات متفرقة في كتب النحو واللغة ، ما يذكر بقراءة نافع^(٤) .

هذا التساهل الذى ظهر عند مالك ونافع تجاه القواعد ، لم يكن من النادر ظهوره أيضاً خارج المدينة في صفوف المحافظين . ففي كل مكان ، ولا سيما بين المحدثين ، وجد رجال كان الاشتغال بالقواعد في نظرهم عبثاً ، إن لم يكن مضية للوقت جد مفسدة . وقد كان معولهم في الاشتغال بالحديث الشريف على الموضوع ؛ أما الصيغة والقلب فقد كانا في الحل الثانى . حقاً يزعم الجاحظ^(٥) أن الكوفى أبا معمر (عبد الله بن سبرة^(٦)) ، الذى عاش في أواسط القرن الأول ، كان يجيز كل رواية على الصورة التى سمعها عليها ، بكل ما فيها من خطأ ؛ بيد أن هذا الخبر ، الذى يرجع مسائل لم تحدث إلا في عصر متأخر إلى أوائل عصر الرواية ، لا يستحق الوثوق به ؛ فإن مثل هذه الدقائق لا ينتظر حصولها في أواخر القرن الأول ؛ وإن نسبت^(٧) مثل هذه الدقة في رواية الحديث إلى البصرى ابن سيرين (حوالى ٣٣-١١٠هـ) ؛

(١) انظر المجامع اللغوية في مادق : ص و ب ؛ ن و ر و كتاب :

Wright, Grammar I, 227

(٢) انظر ابن الأثير في المثل السائر ص ٩ ؛ ابن يعيش ص ١٤٣٤ ؛ تاج العروس ٣٢٨/٤ .

(٣) لم يكن ذلك نتيجة النقد المشار إليه ، بل كل من قرائى معائش بالهمز ومعاش دون

همز ، راجع إلى روايات عن نافع .

(٤) التصريف للمازنى (ذكره ابن الأثير في المثل السائر ص ٩) ؛ ابن خالويه

في مختصر في شواذ القرآن ص ٤٢ حيث ذكر أنها قراءة خارجة (بن مصعب) عن نافع والأعرج ؛ تاج العروس ٣٢٨/٤ ؛ ويشير إلى عدم عناية قراءة مكة بالقواعد تاريخ بغداد ٢٥٣/٣ .

(٥) بيان الجاحظ ٢/٢ .

(٦) تهذيب التهذيب ٥ / ٣٢٠ .

(٧) إرشاد الأريب ١/٢٠ .

كذلك ليس جديراً بالتصديق الخبر الذي ينسب إلى الشعبي (حوالى ١٩ - ١١٠ هـ) أنه أجاز فيما روى من الحديث دون إعراب أن يحلى بالإعراب^(١) ، أى أن يحول الحديث الذي روى باللغة الدارجة إلى أسلوب عربى فصيح . وأجدر من ذلك بالقبول أن الشعبي كان أحب إليه أن يقرأ فيسقط من أن يقرأ فيلحن^(٢) ، بل إنه كذلك لم يكن يلحن حتى فى المزاح^(٣) وأنه كان يستصوب اشتغال الموالى بالنحو والقواعد ، لأن فساد اللغة ، بدأ صدوره منهم^(٤) . وكذلك البصرى أيوب السخيتانى (٦٨ - ١٣١ هـ) روى أنه كان إذا لحن فى حرف قال أستغفر الله كأنما عد اللحن ذنباً اقترفه^(٥) . كما روى أنه أوصى بتعلم النحو فإن تعلمه يرفع الوضيع وإهماله يضع الشريف^(٦) . ومثل هذه الآراء تتفق تماماً مع ترجمة سيد الفتيان^(٧) الذى تجلّى نبل مذهبه فى لغته المختارة المتنخلة كذلك . ولكن بعد أن توطدت أسس المدارس النحوية فى العصر العباسى الأول ، على نظام دقيق ، ونمت حركة التعليم والتعلم نمواً مطرداً ، أمكن تكوين رأى حول مسألة : هل تجب مراعاة مقتضيات سلامة اللغة فى رواية الحديث ، وإلى أى حد يتعين ذلك ؟ وهكذا نسمع أن المحدث الكبير : الأعمش (٦٠ - ١٤٧ هـ) الكوفى لم يكن يبالغ فى تجنب اللحن فحسب^(٨) ، بل كان كذلك يصحح كل رواية ملحونة بمحجة أن الرسول [صلى الله عليه وسلم] لم يكن ليلحن^(٩) . وكذلك أوصى الدمشقى

(١) إرشاد الأريب ٢٦/١ .

(٢) إرشاد الأريب ٢٦/١ .

(٣) أمالى الزجاجى ص ١٤ (طبع ١٣٢٤هـ) .

(٤) الكامل ص ٢٦٤ ؛ بيان الجاحظ ١٧٦/١ .

(٥) أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ إرشاد الأريب ٢٠/١ .

(٦) بيان الجاحظ ٥/٢ .

(٧) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٤ .

(٨) العجلى (المتوفى ٢٦١ هـ مؤلف كتاب المرح والتعديل ، انظر : تذكرة الحفاظ

١٢٧/٢) كما نقله عنه ابن حجر فى تهذيب التهذيب ٢٢٣/٤ .

(٩) إرشاد الأريب ٢٠/١ .

سعيد بن عبد العزيز التنوخي (٩٠ - ١٦٧ هـ) ^(١) بمحو كل لحن من الحديث ^(٢) كما أن البصري حماد بن سلمة (المتوفى ١٦٧ هـ) ^(٣) ، الذي كان يعد أفصح من عبد الوارث بن سعيد (١٠٢ - ١٨٠ هـ) ^(٤) ، وقد كان هذا الأخير مضرب المثل في الفصاحة ، كان يتشدد مع تلاميذه في التحرز من اللحن في الحديث ، حيث كان يغالي بقوله : من لحن في حديثي فقد كذب علي ^(٥) . و يروى أنه كان يشبه من يكتب الحديث ولا يعرف النحو بالحمار عليه مخلاته ولا شعر فيها ^(٦) . ويعد من تلاميذه « سيبويه » . وتذكر الرواية ^(٧) أن السبب الذي حمل هذا الأخير على دراسة النحو هو أنه كان يستمل على حماد فقال حماد يوماً : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أحد من أصحابي إلا وقد أخذت عليه ليس أبا الدرداء ^(٨) ، فقرأ غلطاً ليس أبو الدرداء ^(٩) وفي الجيل التالي لهذا أقام - مثلاً - الكوفي عبد الله بن إدريس الأودي ^(١٠) (حوالي ١١٥ - ١٩٢ هـ) وزناً لسلامة اللغة ؛ لقد كان يفضّ دُرْسَه إذا لحن واحد من تلاميذه ^(١١) . و يروى أن معاصره وهب بن جرير (المتوفى ٢٠٦ هـ)

(١) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٧١ ؛ تذكرة الحفاظ ٢٠٣/١ ؛ ميزان الاعتدال ٣٨٦/١ ؛ تهذيب التهذيب ٥٩/٤ ؛ غاية النهاية ٣٠٧/١ .

(٢) إرشاد الأريب ٢٥/١ .

(٣) المعارف ص ٢٥٢ .

(٤) تذكرة الحفاظ ٢٣٧/٢ ؛ ميزان الاعتدال ١٦٠/٢ ؛ تهذيب التهذيب ٤٤١/٦ .

(٥) أخبار النحويين البصريين ص ٤٣ ؛ نزهة الألباء ص ٥٠ ؛ إرشاد الأريب ١٣٥/٤ .

(٦) إرشاد الأريب ٢٦/١ .

(٧) أخبار النحويين ص ٤٣ ؛ نزهة الألباء ص ٧٢ ؛ إرشاد الأريب ١٣٥/٤ ؛ محيط المحيط ص ١٩٣٦ ؛ انظر أيضاً المعارف ص ٢٥٢ .

(٨) كذا في أخبار النحويين ؛ وفي النزهة ليس أحد ؛ وفي ياقوت : مامن أحد من أصحابي إلا ولو شئت لأخذت عليه . انظر ابن حجر في الإصابة ٢٥٣/٣ ؛ كنز العمال ١٨١/٦ .

(٩) انظر في ليس بمعنى أداة الاستثناء سيبويه ٣٢٨/١ (Derenbourg) ؛

Fleicher. Kleine Schriften I, 147 .

وانظر كذلك :

Reckendorf, Die synt. Verhältnisse S. 106; Arab. Syntax S. 512

وجاءت ليس مع رفع المستثنى خطأ في رواية واحدة في كنز العمال ، وما عدا ذلك بلفظ : غير وإلا .

(١٠) انظر : تاريخ بغداد ٤١٥/٩ - ٤٢٣ وكتابي عن محمد بن إسحاق ٣١ هامش ٣٧ .

(١١) تاريخ بغداد ٤١٩/٩ .

(١٢) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٥١ .

كان يبحث على تعلم النحو^(١) ؛ كما أن آخرين كانوا يطلبون - أحياناً على الأقل - معرفة ما يعرض لهم من غريب الحديث عند علماء اللغة : ولما - ضر الشاعر ابن منذر ، الذى سنلتقى به مرة أخرى فيما يلى ، مجالس سفيان بن عيينة^(٢) (١٠٧ - ١٩٨ هـ) فى مكة بين عامى ١٨٧ و ١٩٨ هـ ، كان ذلك المحدث الرفيع المكانة يسأل مستمعه عن معانى بعض حديث النبى [صلى الله عليه وسلم] فيخبره بها^(٣) . على أن سفيان لم يكن ذا دراية كبيرة باللغة القديمة - كان هو نفسه يشكو انحطاط مستوى الأدب فى دوائر أضرابه فى الفن^(٤) - وإلا لما عد^(٥) لفظ : ملصق ، الذى معناه : ملحق ، هو لفظ كثيراً ما يستعمل فى تحقير أدعياء النسب ، مرادفاً لحليف ، أى مع د على الحلف .

وعلى النقيض من ذلك لم تهتم خالبية المحدثين أصلاً بالنحو ، بل كان منهم من يلحن فى الكلام . فقد روى أن هشيم بن بشير^(٦) ، الذى كان فى رأى مالك ، المحدث الوحيد الذى يعتد به فى العراق ، كان لحناً كبيراً وقد ذكر شاهداً على ذلك^(٧) أنه قرأ على الخليفة المأمون الحديث^(٨) : « إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداً من عوز ففتح سين « سداد » غلطاً . على أن هذا ليس لحناً فظيلاً بوجه خاص ، لأنه وإن كان

(١) إرشاد الأريب ٢٢/١ .

(٢) ابن سعد ٣٦٤/٥ ؛ تاريخ بغداد ١٧٤/٩ .

(٣) الأغاني ٩/١٧ ، عن المبرد .

(٤) الأغاني ٢٢٥/٣ (طبع دار الكتب) [والعبارة المروية عنه فى هذا الموضع : عهدى بأصحاب الحديث وهم أحسن الناس أدباً ، وصبرنا عليهم حتى أشبهناهم فصرنا كما قال الشاعر : وما أنا إلا كالزمان إذا صحا صحت وإن ماق الزمان أموق والمتبادر من هذا أنه يشكو من فساد الناس لا من فساد اللغة والأدب بالمعنى الخاص] .

(٥) مسلم : فضائل الصحابة (إرشاد السارى للقسطلانى ٣٨٩/٩ على الهامش) . وفى لفظ ملصق انظر معاجم اللغة .

(٦) المعارف ص ٢٥٣ ؛ الفهرست ص ٣١٨ ؛ تاريخ بغداد ٨٥/١٤ .

(٧) الأغاني ٢٠/١٥ ، ٢٣ (وعنه باختصار ياقوت فى إرشاد الأريب ٢١٧/٧) ؛ نزهة الألباء ص ١١١ ؛ درة الفواص ص ١٠٥ ؛ وذكره ابن خلكان (١٢٩٩ هـ) ٧٠/٣ والمزهر ١٨٧/٢ وديوان المعاني ٩/١ .

(٨) انظر كنز العمال ٢٤١/٨ ؛ ٢٤٤/٨ .

سداد بكسر السين قد ثبت أنه على وزن فعال المستعمل في أسماء الآلات بحسب الأصل ، فإن لفظ : سداد بالفتح - الذى هو فى الأصل مصدر من سد بمعنى أصاب الصواب - قد اعتمد صحته أيضاً^(١) بعض الكوفيين ، كابن الأعرابي ، الذى انضم إليه ابن قتيبة^(٢) ، وابن السكيت^(٣) . وعلى النقيض من ذلك كان من الاستعمال الدارج قول هشيم : يونس ، بفتح الياء وكسر النون^(٤) بدلا من ضمها^(٥) . ولما كان لفظ يونس قريناً فى صيغته للفظ يوسف ، فمن المظنون أن هشيم كان يقول أيضاً : يوسف بفتح الياء وكسر السين ، وأنه كان يرى فيه مقياساً للفظ : يونس ، كما هو الحال فى اللغة الآرامية . ومثل هشيم أيضاً كان وكيع بن الجراح^(٦) (حوالى ١٢٩ - ١٩٧ هـ) معاصره ، يلحن فى الكلام . فبشهادة تلميذه ابن المدينى (الذى كان يقيم وزناً لسلامة اللغة كما سنراه) كان وكيع يقول مثلاً : عَيْشَة ، بدلا من : عائشة^(٧) ، وهى صيغة منتشرة اليوم فى العربية الدارجة^(٨) . وقد ثبتت هذه اللهجة فى القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بالنسب إليها فى صيغة : العَيْشَى^(٩) ، وهى نسبة اشتهر بها أعقاب «عائشة بنت طلحة»^(١٠) ، مثل البصرى عبيد الله بن محمد^(١١) (المتوفى ٢٢٨ هـ) وابنه عبد الرحمن^(١٢) (المتوفى ٢٢٧ هـ) ، وقد عرف أيضاً بفساد أسلوبه فى التعبير إسماعيل بن أبى خالد الكوفى (المتوفى ١٤٦ هـ) ، فقد روى

-
- (١) انظر : شرح درة الغواص للفجاجى (١٢٩٩ هـ) ص ١٥٠ والمعجم .
 (٢) أدب الكاتب ص ٥٧٠ (نشر Grünert) .
 (٣) تهذيب لإصلاح المنطق ١٨٢/١ .
 (٤) بيان الجاحظ ٥/٢ .
 (٥) انظر الزنجشوى فى الكشف : سورة يوسف ٤/١٢ وهو لا يعترف إلا بالصم .
 (٦) المعارف ص ٢٥٤ ؛ الفهرست ٣١٧ ؛ تاريخ بغداد ٤٩٦/١٣ - ٥١٢ .
 (٧) تذكرة الحفاظ ٢٨٣/١ ؛ ميزان الاعتدال ٢٧٠/٣ ويصحح .
 (٨) انظر مثلاً : Spitta, Gramm. S. 228 .
 (٩) انظر : الأنساب للسماعى ٤٠٤ أ ؛ ٣٧٩ ب .
 (١٠) دائرة المعارف الإسلامية El, I, 229 ؛ والبيت الذى روى فى المغرب للجوالقى ص ٤ ، والذى تسمى بمقتضاه : عيشة ، مصنوع .
 (١١) تاريخ بغداد ٣١٤/١٠ .
 (١٢) تاريخ بغداد ٢٥٩/١٠

مثلاً أنه قال : عن أبوه ؛ حقاً لقد كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يعمل طحاناً ، هذا إلى أن أباه كان فارسياً يدعى : هُرْمُزُ (١) . ومن بين الإخوة الخمسة من أسرة المحدثين الكوفية ، أسرة أبي أيوب الطنافسي ، كان واحد فقط ينطق دون لحن (٢) . ويضيف الجاحظ (٣) . إلى هذه الأمثلة من مخالفة القواعد في دوائر المحدثين ، اثنين آخرين : عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي (٤) البصري (المتوفى ١٨٩ هـ) ؛ وتلميذ غير معروف - فيما عدا ذلك - للبصري هشام بن حسان (٥) (المتوفى ١٤٧ هـ) ، يدعى : مهدي بن مهلهل ، وكان هذا يرى سلامته في الوقوف على الكلمات لعدم بصره بالإعراب .

وربما جاز لنا أن نلاحظ هنا ، مقدماً ، أن حالة المحدثين في العصر التالي بقيت أيضاً غير متحدة . فقد ظل بعد ، كما كان قبل ، مبدأ الأداء الحرفي لمادة الحديث المروية عن المحدث ، في نزاع مع مقتضيات سلامة اللغة . فكان الناقد العظيم : علي بن المديني (٦) (المتوفى ٢٣٤ هـ) يصحح فقط ما يعرض لألفاظ الرسول من اللحن ، بحجة أن محمداً [صلى الله عليه وسلم] لم يكن ليلحن (٧) . وكان ابن الطبري في مصر (١٧٥ - ٢٤٨ هـ) يصحح كل خطأ في الحديث (٨) . وكان النسائي ، أحد الجماع الستة الصحاح (المتوفى ٣٠٣ هـ) يترك كل تعبير يجد وجهاً من التصحيح على أنه لهجة خاصة ، ولا يصحح إلا اللحن الصراح (٩) . وكانوا يعتمدون في تصحيحهم على الاستشهاد بأحاديث مصنوعة ، يظهر فيها الرسول تارة ، أو أحد صحابته تارة أخرى ،

(١) تهذيب التهذيب ١/٢٩١ ، ١٢/٨٢ .

(٢) ميزان الاعتدال ٣/٩٩ ؛ تهذيب التهذيب ٩/٣٢٨ .

(٣) بيان الجاحظ ٥/٢ .

(٤) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٤٥ ؛ تهذيب التهذيب ٦/٩٦ .

(٥) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ٣٢ ؛ تهذيب التهذيب ١١/٣٤ .

(٦) تاريخ بغداد ١١/٤٥٨ وانظر كتابي عن محمد بن إسحاق ١٧ هامش ٢٠ .

(٧) المزهر ٢/٢٤٦ عن مراتب التحوين لأبي الطيب .

(٨) تهذيب التهذيب ١/٤٠ .

(٩) معجم البلدان ٤/٧٧٧ .

أو أحد كبار الصالحين من الأوائل في بعض الأحيان ، على أنه دافع مدافع عن سلامة اللغة^(١) . وفي إحدى هذه الروايات — مثلاً — روى أن النبي [صلى الله عليه وسلم] سمع رجلاً يلحن في القرآن فقال : أرشدوا أناكم^(٢) . وقد أذاع هذه الرواية الفقيه المدني : أبو الزناد (٦٦ — ١٣٠ هـ) — يثني ابن سعد^(٣) على سلامة تعبيره ، وبصره بالعربية — ؛ وهى وإن كانت ترجع أولاً إلى قراءة القرآن فحسب ، فإنه يفهم بذلك من قريب الاحتجاج بها على شرعية تصحيح الخطأ اللغوى بوجه عام . ويأتى إلى جانب هذا عدد من الأقوال الموضوعة على الرسول [صلى الله عليه وسلم] . من ذلك رواية أن الرسول افتخر بفصاحته ، مثل : أنا أفصح العرب^(٤) ، أو : أنا أفصح من نطق بالضاد^(٥) ، أو : أنا من قريش ونشأت في بني سعد فأنى لى اللحن^(٦) . كذلك قيلت على لسان عمر^(٧) أقوال تحث على تعلم العربية^(٨) واللحن والفرائض^(٩) ، أو تعلم السنن والفرائض واللحن ، أو أخيراً النحو والسنن والفرائض^(١٠) . كما زعم بعضهم أنه قال للرماة الذين لم يحسنوا الرمي فأرادوا الدفاع عن أنفسهم قائلين : نحن متعلمين : إن لحنكم أفضح من خطئكم في

(١) جمع أبو على المالكى (المتوفى ٤٣٨) طائفة من هذه الأخبار في كتابه : التمهيد . وقد كشف Kahle مخطوطة من هذا الكتاب في مجموعة . Chester Beatty . وساق أهم هذه الأخبار في الكتاب التذكاري لتكريم المستشرق : جولدزير (١٦٣ — ١٨٢) ، وناقشها في مقاله بالكتاب المذكور كما سبق في التعليق على مقدمة هذا الكتاب .

(٢) كنز العمال ١٥١/١ ؛ المزهر ٢/٢٤٦ ، ويزيد : فقد ضل .

(٣) ذكره ابن حجر في التهذيب ٥/٢٠٥ .

(٤) المزهر ١/١٢٦ .

(٥) المزهر في الموضع السالف ؛ انظر فيشر ZDMG 59. 837

(٦) المزهر ٢/٢٤٦ ، ويتوسع في كنز العمال ١٠١/٦ ؛ الخصائص الكبرى للسيوطى (طبع حيدرآباد ١٣١٩ هـ) ١/٦٣ .

(٧) توجد مجموعة من ذلك في كنز العمال ٥/٢٢٨ .

(٨) كنز العمال في الموضع السالف رقم ٤٧٤٠ ؛ صبح الأعشى ١/١٦٨ ، ويروى مثل ذلك في أمالي الزجاجي (١٣٢٤ هـ) ص ١١٩ منسوباً إلى شعبة .

(٩) كنز العمال في الموضع السالف رقم ٤٧٤٤ .

(١٠) بيان الجاحظ ٥/٢ و « النحو » هنا تحريف « اللحن » انظر كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوى هامش ١٩ (المترجم) .

الرمي^(١) . وروى عنه أيضاً أنه أخذ على رجل وضعه الضاد موضع الظاء^(٢) ، وأنه نصح أبا موسى الأشعري أن يقتنع^(٣) كاتبه سوطاً حيث لحن فكتب : من أبو موسى . وبسبب الالتباس بعمر بن عبد العزيز ، نسب بعضهم إلى عمر بن الخطاب أنه أدب أولاده بسبب اللحن^(٤) . كما يريد آخرون أن يعلموا أن عمر حرّم على عبد الله بن مسعود الذي أقرأ أحد الناس آية سورة يوسف ٣٥/١٢ « حتى حين » بدلا من : « حتى حين » ، أن يدخل^(٥) في متن القرآن مثل هذه الخصائص من لسانه الهللي . وعلى النقيض من ذلك جعل بعضهم أيضاً ابن مسعود بالذات ، لكونه مشهور الدراية بالقرآن ، يروى أقوالا عن الرسول ، مثل : أعربوا القرآن^(٦) ، أو : جوّدوا القرآن^(٧) . كما زعموا أنه كان يسترشد^(٨) برأى القارئ الكوفي : زر بن حبيش (قتل في معركة دير الجاهم سنة ٨٢ هـ) في أمور اللغة . بيد أن هذا الاتجاه نحو « تنقية اللغة » لم يستطع أيضاً في ذلك العهد أن يثبت ويسود ؛ فقد كانت هذه المسألة عند جلّ المحدثين غير ذات بال ؛ كما أن مبدأ الاعتماد في الحديث أولا وبالذات على الموضوع ، أدى بسهولة إلى نتيجة جد سيئة بالنظر إلى الحكم على الخطأ النحوي . وقد صاغ واحد منهم : هلال بن العلاء الرقي^(٩) (١٨٤ - ٢٨٠ هـ) في تعبير شعري فكرة أن خشية الله أفضل من الإعراب وقد أراد تلميذ للشاعر هو الفقيه الحنبلي : النجاد^(١٠) (٢٥٣ - ٣٤٨ هـ) أن يتنافس معه من جديد لسوء

(١) كنز العمال ٢٢٨/٥ .

(٢) ذيل الأمالي ص ١٤٢ والتنبيه للبكري وكنز العمال ٢٢٨/٥

(٣) البلاذري ص ٣٤٦ ؛ أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ المزهر ٢/٢٤٦ ؛ بيان الجاحظ ٤/٢ ، ذكر حسين بن الحر بدلا من أبي موسى .

(٤) إرشاد الأريب ٢٠/١ .

(٥) كنز العمال ٢٨٤/١ ؛ ابن جني [المحتسب] كما ذكره : Bergsträsser, Nichtkanonische Koranlesarten S.42 ؛ الكشف في الآية المذكورة ، ، وانظر تولدكه في تاريخ القرآن ٦٨/٣ .

(٦) كنز العمال ١٥١/١ .

(٧) الإتيقان للسيوطي ص ٢٣٥ .

(٨) ابن سعد ج ٦ ص ٧١ ؛ غاية النهاية ٢٩٤/١ .

(٩) ميزان الاعتدال ٢/٢٦١ ؛ تهذيب التهذيب ١١/٨٣ ؛ معجم البلدان ٢/٨٠٤ ؛ إرشاد الأريب ٧/٢٥٥ ، وقد ذكر الذهبي نماذج من رواياته المرفوضة في لسان الميزان ٢/٢١٤ في ترجمة أبيه : العلاء بن هلال .

(١٠) تاريخ بغداد ٤/١٨٩ ؛ طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى ص ٢٩٣ .

الأثر الذي تركه في نفوس تلاميذه بمخالفته للعربية^(١) . وعلى هذا يتضح أنه ، حتى عند بعض كبار المحدثين ، كان إهمال اللغة ظاهراً ، دون أن يؤثر ذلك في شهرتهم ؛ فإن صدق الناقد العظيم : ابن عدى^(٢) (٢٧٧ - ٣٦٥هـ) كان ثابتاً لا يتزعزع عند معاصريه ، على الرغم من لحنه^(٣) . كذلك بعض الإشارات المذكورة - عرضاً - في مصادرنا تنم على أن اللغة السليمة من الخطأ في دوائر المحدثين لم تكن بحال أمراً ضرورياً . فقد ذكر مثلاً أن حفص بن عمر الحوضي (المتوفى ٢٢٥ هـ) من رجال البخاري كان أعرابياً فصيحاً^(٤) ؛ كما يذكر أن الوضّاع المشهور : غلام خليل (المتوفى ٢٧٥ هـ) كان يتحرى الإعراب^(٥) ؛ وكما رأى الحاكم الأصغر (المتوفى ٤٠٥ هـ) جديراً بالذكر أن شيخه : ابن الأخرم (٢٥٠ - ٣٤٤ هـ) كان يتشدد في التحرز من اللحن في كلامه^(٦) .

على أن اللحن لم ينشأ على ألسنة غير المثقفين فحسب ، بل كذلك أيضاً أولئك الذين كانوا يجتهدون أن ينطقوا نطقاً صحيحاً ، دون أن يتمكنوا من النحو في واقع الأمر ، لم يكن من النادر أن يصطدموا بقواعد النحو في صيغهم التي يبالغون في تصحيحها وتنقيحها ، بناء على أقيسة خاطئة . ولما كانت صيغ المقصور والممدود قد اختلطت في اللغة الدارجة ، فقد اجتهد النحاة في استيعاب القوائم ، حسب الإمكان ، لمجموعتي النوعين جميعاً ؛ كما توجد مؤلفات كثيرة في هذا الموضوع^(٧) . ورغبة في صحة النطق ، استعمل أنصاف المثقفين كثيراً صيغة الممدود أيضاً في كلمات مقصورة . فعلى شهادة الجاحظ^(٨)

(١) تاريخ بغداد ١٩١/٤ ، وقد ساق رواية ذكر فيها شعر أستاذه هلال المذكور ؛ وانظر جولد زيهر : ZDMG 26, 780

(٢) انظر : كتابي محمد بن إسماعيل ص ٢١ .

(٣) تذكرة الحفاظ ٣ / ١٤٣ .

(٤) تهذيب التهذيب ٢ / ٤٠٦ .

(٥) تاريخ بغداد ٨٠/٥ .

(٦) تذكرة الحفاظ ٣ / ٧٧ .

(٧) انظر مثلاً : كشف الظنون ، تحت عنوان كتاب المقصور والممدود . وانظر مقدمة تحقيقنا لكتاب « الممدود والمقصور » للوشاء (المترجم) .

(٨) بيان الجاحظ ٣ / ٢ .

روى أن يوسف بن خالد التيمي^(١)، المعاصر لعمر بن عبيد (المتوفى ١٤٤ هـ) كان يقول : قفاء ، بدل : قفا ، صيغة من صيغ الحذقة ، ولكنها وجدت بعد ذلك أيضاً اعترافاً وتصويباً^(٢). واللحنان الآخران ، اللذان نسبهما الجاحظ إلى يوسف المذكور ، من طبيعة أخرى ؛ فأحدهما ، وهو أنه استعمل المضارع يشج ، بكسر الشين بدل الضم ، يعد من الأحوال غير القليلة التي تضطرب فيها حركة المضارع^(٣) ؛ على حين أن الآخر ، وهو صوغ أفعل التفضيل : أحر ، أى أشد حمرة ؛ أو بعبارة أخرى ، صوغ أفعل التفضيل من أسماء الألوان ، يستحق شيئاً من التأمل ؛ فأسماء الألوان ، والعيوب الجسمية — فى ذاتها — لا تقبل التفضيل ؛ ولهذا منع البصريون — بحق — استعمال أفعل التفضيل وصيغ التعجب منها ، مع الحكم على ما جاء من ذلك بالشذوذ^(٤) ؛ على حين أن الكوفيين لم يكن عندهم مانع من الاعتراف^(٥) بصحة الاستعمال اللغوى المتأخر ومساواته للأصل فى الصحة . ولكن الشاهدين اللذين ساقهما الكوفيون من الشواهد المصنوعة . فواحد منها يروى على ثلاثة أوجه ؛ وهو بيت تهكم فيه قائله بشريف أبى أن ينحر للفقراء فى الشتاء :

فأنت أبيضهم سربال طباخ

أما أنه نسب — بغير حق — إلى طرفة^(٦) ، فقد قرره^(٧) ابن الكلابى . كذلك نسب — بغير حق — إلى رؤبة ، الشاهد الآخر :

أبيض من أخت بنى إباح

-
- (١) هكذا ذكر فى الطبعة القاهرية المحرفة (١٣١١ هـ) . والظاهر أنه : السمتى الفقيه المشهور الذى عاش بالبصرة ١٢٠ - ١٨٩ هـ وأدخل المذهب الحنفى فى البصرة . ابن سعدج ٧ قسم ٢ ص ٤٧ ، ميزان الاعتدال ٣/٣٢٩ ؛ تهذيب التهذيب ١١/٤١١ - ٤١٣ ؛ الجواهر المضية ٢/٢٢٧ .
- (٢) ابن جنى فى : تاج العروس ١٠/٢٩٩ .
- (٣) عد أصحاب المعاجم — فى وقت متأخر — يشج بالكسر فصيحاً مثل الضم .
- (٤) انظر الفصل فى الموضوع المذكور .
- (٥) انظر : الإنصاف ص ٦٨ - ٧٠ ؛ ابن يعيش ص ١٠٤٦ ؛ خزائن الأدب ٣/٨١ ؛ وعلى النقيض من ذلك لا يوجد شاهد فى البيت : أبيض من آل أبى عتيق ، فهو وصف لاتفضيل فيه وهو من قول الزبير بن العوام (عيون الأخبار ٣/٩٥) .
- (٦) نشر Seligsohn Suppl. VII
- (٧) خزائن الأدب ٣/٤٨٤ .

وهو لا يوجد في ديوانه^(١) . ولا يصح أيضاً أن نجري مع « نولدكه »^(٢) في الاستشهاد بآية^(٣) سورة الإسراء ٧٢/١٧ : « ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً » ؛ إذ إنه لا تفضيل فيه ، بل معناه : أن الأعمى في الدنيا هو في الآخرة أعمى أيضاً ، بل أضل عن الطريق . نعم يروى أن أبا عمرو بن العلاء كان يرى أن معناه هو أكثر عمى ، كما يروى أنه كان يفرق في لفظ أعمى بين صيغتي الوصفية والتفضيلية بأن الأول يقرأ بالإمالة ، والثاني دون إمالة^(٤) . ولكن معنى العمى لا يتأتى فيه التفضيل إلا في حالة استعماله مجازاً في الضلال ونحوه . أما استعمال : أضل سبيلاً على صورة التفضيل فلا يدل بالضرورة على التفضيل في قرينه في الآية : أعمى .

ثم يدور الكلام بعد ذلك حول بعض أبيات ظن فيها - بغير حق - استعمال اسم التفضيل في الألوان . فمثلاً قال الأحمد السعدي ، أحد اللصوص في مختتم القرن الأول :

لما دعاني السمهرى أجبتَه بأبيض من ماء الحديد صقيل^(٥)

ولا تفضيل هنا كذلك . ويشبه هذا أيضاً بيت للعديل بن الفرخ العجلي ، معاصر الحجاج^(٦) ، كما يشبه بيت في حماسة أبي تمام^(٧) ، ينسب إلى الشاعر :
أبي الأبيض العبسي الذي قيل إنه توفي في عهد هشام بن عبد الملك (حكم ١٠٥-١٢٠ هـ) كذلك لا تفضيل في البيت الذي قاله عبد الله بن الزبير سنة ٧٥ هـ :
[هما خططنا خسف نجاؤك منهما] ركوبك حوليا من الثلج أشهباً^(٨)

-
- (١) انظر ديوانه ق ٤/٥٠ (أهلوت) ، خزانة الأدب ٤٨٢/٣ .
(٢) Zur Grammatik des classischen Araabisch, Wien 1896. S. 16
(٣) عالج هذه الآية الشريفة المرتضى في أماليه ٥٩/١ (القاهرة ١٩٠٧) .
(٤) أمالي المرتضى ٦٤/١ ؛ الكشف في الآية المذكورة .
(٥) الأغاني ٧٧/٢١ عن أخبار اللصوص للسكري ؛ ونسبه البحرى ، وهو غير دقيق في نسبة الشعر ، إلى زيد الخليل الطائي ، المتوفى ١٠ هـ ، في حماسه رقم ٢٠٧ (مع تغيير طفيف : ولما دعاني الخبيرى) .
(٦) انظر الأغاني ١٢/٢٠ .
(٧) ٢٣١ (Freitag) .
(٨) الأغاني ٤٢/١٣ ؛ الكامل ص ٢١٧ ، ص ٦٦٦ ؛ أدب الكاتب ص ٢٠٤ =

وأقدم ما يوثق به من استعمال صيغة التفضيل في الألوان ، هو ما نجده في الحديث^(١) عن نهر الكوثر في الفردوس : « مأوه أبيض من اللبن » .

مثل هذه الأخطاء اللغوية التي ذكرناها في هذا الباب ، تعد الأخبار الوحيدة عن اللغة الدارجة بين المثقفين في العصر العباسي الأول . وعلى النقيض من ذلك لا نكاد نعلم شيئاً عن لغة الطبقات الوسطى والدنيا في المدن والأقاليم . بيد أننا لا نكاد نخفى شاكلة الصواب ، إذا افترضنا أن اللهجات الوطنية القديمة كانت سائدة في الوديان والسهول في كل مكان : اللاتينية الشعبية في شبه جزيرة إيبيريا ؛ ولهجات البربر في شمال أفريقيا ، والقبطية في مصر ، واللهجات الآرامية في سورية وبلاد الرافدين . على أنه ، حتى في المدن ، لم تكن الكلمة العليا للعربية إذ ذاك في مكان ما بعد . ففي مدن العراق كانت الفارسية سائدة بين الطبقات الدنيا إلى مدى بعيد ، بحيث كان الأصمعي يعُدُّ أمانة على ضعة الشخص أن يتكلم بالفارسية^(٢) في مصر عربي . والأصمعي نفسه ، الذي كان يحسن^(٣) الفارسية ، أمكن أن يعتمد على فهم السامعين حينما فسر^(٤) لفظ : « قصب » في معلقة عنتر (ق ٢١ / ٣٧) بكلمة : ناي ، أي مزار ؛ أو إذا سمى كَثِيرًا صاحب كَثْرَج^(٥) ، أي صاحب دكان . ومعرفة الفارسية ، التي كانت تظهر هنا أو هناك فقط عند العرب في القرن

= خزائن الأدب ١٧٥/٣ ، وضبطه هنا بضم الشاء جمع أثلج أي نشط وهو غير ظاهر ، بل المراد - فيما يظهر - الثلج المعروف ، بقرينة الأبيات في السياق ، إذ المراد أنه إذا هرب إلى خراسان فسيقم هناك في الثلج والبرد القارس الحولي (النجار) .

(١) البخاري : الرقائق ؛ وذكر الترمذي في تفسير الحديث المذكور الثلج ، بدلا من اللبن ، وأغلب النصوص بها النص الصحيح : أشد بياضاً من الثلج ؛ انظر المراجع في : Wensinck I. 241 b ، كنز العمال ٢٢١/٧ ، ٢٧٤ .

(٢) الكامل ص ٢٣٩ .

(٣) الأغاني ١٣٠/٤ .

(٤) الكامل ص ٥٠٢ ؛ وقد استعمل بشار كلمة : ناي . انظر المختار من شعر بشار ص ١١٤ ، وعرف الأعشى لفظ : نايزم انظر الديوان نشر : Geyer رقم ٧/١٥٥ .

(٥) فحولة الشعراء (نشر Ch. Torrey ZDMG 65 وانظر الموشع ص ١٤٦) وجاء لفظ كريج في البيان والتبيين ٦٣/٢ ، وفي المغرب للجواليقي ص ١٢٧ ؛ كما ذكر سيبويه لفظ : فريق أو كريق . انظر تاج العروس ٥٦/٧ وفيه بيت منسوب إلى ابن قحطان . انظر أيضاً لسان العرب ١٩٨/١٢ والبكري ٧٣٧/- ؛ (شيبثالر) .

الأول^(١) ، صارت غير نادرة في صفوفهم لذلك العهد . وهكذا ، يؤخذ من خبر^(٢) عن الطبيب « سرجويه » Sargoe الذى لم يكن ينطق عربية سليمة ، وكان لهذا يخاطب الشريف محمد بن عبد الوهاب الثقفى ومن اجتمع لديه من الأعيان بالفارسية ، أن دوائر أشراف العرب بالبصرة ، على عهد المهدي وهارون الرشيد [كان محمد بن عبد الوهاب المذكور ابناً لعبد الوهاب الثقفى (١١٠ - ١٩٤ هـ)^(٣) من أعقاب الحكم بن أبى العاص الذى شارك مشاركة فعالة في فتح فارس^(٤)] كانت تفهم الفارسية . ومن الشواهد أيضاً على أن إجابة اللغتين كانت أمراً شائعاً ، ما نجده من ألقاب فارسية لمن يسمون - فيما عدا ذلك - بأسماء عربية محضة . وهكذا كان الشاعر المعاصر لجرير : على ابن خليل من قبيلة ضبة ، يلقب بالبرذخت^(٥) ، أى الفارغ من العمل . وبه سميت صحراء البرذخت^(٦) ، وهى سهل فسيح عند الكوفة . كذلك المحدث البصرى : يزيد بن أبى يزيد^(٧) (المتوفى ١٣٠ هـ) يدين لغيرته بلقب : الرشك^(٨) من رشك ، بكسر الراء وفتحها في الفارسية . ولما كان هذا مساحاً للحقول وحاسباً أريباً صار^(٩) لفظ : الرشك - فيما يروى - وصفاً في لهجة البصرة بمعنى : قسّام . وبعد ذلك بنصف قرن ، تندر البصريون فأطلقوا اللفظ الفارسى : « كخشينشار »^(١٠) الذى معناه طير الماء ؛ على أحد المحدثين . على حين كان العالم اللغوى الضليح : أبو عبيدة (المتوفى ٢١٠ هـ) يلقب استهزاء بلقب : سُبُخت^(١١) . ولما اعتنق الإسلام ، سنة ١٩٠ هـ ، وزير المأمون فيما

(١) مثل المغيرة بن شعبة ، انظر : Wellhausen. Das arab. Reich 73

(٢) انظر الأغاني ١٧/١٩ .

(٣) انظر : ميزان الاعتدال ١٦١/٢ ؛ تهذيب التهذيب ٤٤٩/٦ ؛ الأغاني ١٨/٢ .

(٤) انظر Wellhausen, Skizzen und Vorarbeiten VI, S, III

(٥) الشعر والشعراء ص ٤٤٧ .

(٦) معجم البلدان ٣/٣٧٠ .

(٧) ابن سعد ج ٧ قسم ٢ ص ١٣ .

(٨) انظر ابن حبان في التهذيب لابن حجر ٣٧٢/١١ ؛ السمعاني ص ورقة ٢٥٣ أ .

(٩) انظر الترمذى في كتاب الصوم ؛ السمعاني ص ورقة ٤٣٢ أ .

(١٠) الأغاني ١٧/١٧ .

(١١) ذكر هذا اللفظ في بيت لابن منذر ؛ انظر بيان الجاحظ ٣/٢ ؛ الأغاني ١٧/١٩ وذكر في تاج العروس ١/٥٥٠ ؛ وفي تعليق على هامش تاج العروس أنه مأخوذ من اللفظ الفارسى =

بعد : الفضل بن سهل ذو الرياستين ، ولزم الفراش وهو محموم ، زاره الطبيب : جبريل بن بُخْتِيشُوع ، فوجد في يده القرآن . وقد رأى الراوى ، الذى سجل هذا المنظر ^(١) ، من الطبيعى أن الزائر سأل مريضه باللغة الفارسية : تشُونِ بِنِي نامِه ايزاد : كيف تجد كتاب الله ؟ وأنه تلقى الجواب بنفس اللغة : خُش فَنَشُونِ كليله فَدِ مَنَه : حَسَسَنُ مثل كليلة ودمنة .

= سبوخت أى منبوذ، بيد أن وزن الشعر يرفض ذلك لصراحة تضعيف الباء فيه وانظر كذلك :
الفهرست ٢٠/٥٣ .

(١) انظر ابن القفطى نشر : Lippert

اللغة العربية في عصر هارون

(١٧٠ / ٧٨٦ - ١٩٣ / ٨٠٩)

بعد أن استقرت في الظاهر أسس دولة الخلافة ببغداد على أيدي مؤسس حكم الأسرة : السفاح (حكم ١٣٢ / ٧٥٠ - ١٣٦ / ٧٥٤) وأخيه وخليفته المنصور على وجه الخصوص (حكم ١٣٦ / ٧٥٤ - ١٥٨ / ٧٧٥) ، بحيث استطاع الخليفة الثالث : المهدي (حكم ١٥٨ / ٧٧٥ - ١٦٩ / ٧٨٥) أن يباشر ضغطه دون هوادة على عقيدة الثنية (الزندقة) المهددة لوحدة الدولة ، متمماً بذلك عمل سالفه من وجهة السياسة الداخلية ، بلغت الدولة ذروة سلطانها ، بعد خلافة الهادي القصيرة الأمد ، في ظل هارون الرشيد (١٧٠ / ٧٨٦ - ١٩٣ / ٨٠٩) . لقد قدم لها ثراؤها العريض الذي كان يعتمد على غلات أخصب مناطق الشرق كافة ، وسائل ازدهار الثقافة والحضارة . ولقد كان الخليفة ظلاً ظليلاً ، وسيداً جواداً على الشعراء والعلماء والموسيقين . ولقد أخذت علوم العربية في عهده نهضة جديدة اقترنت بأسماء الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد والفراء والكسائي . وعند هؤلاء الرجال جميعاً كانت لغة البدو هي القدوة المثل ، والنموذج الرفيع ؛ وبذلك كانوا دائماً في خلاف شديد مع اللهجة الدارجة بين سواد الشعب العريض . وأبو زيد بالذات ، الذي كان ينطق كما ينطق الأعرابي ، أدى التزامه الفصحى في حديثه مع العوام في وقت مبكر ، إلى نكبات من المزاح مشتملة على موازنات بين صوابه المتنخل المصنئ ، وطريقة التعبير الفاحشة المعوجة عند معاصريه ^(١) وعلى النقيض من ذلك ، كان من قبيل تعصب البصريين على الكوفيين ما أخذ على الفراء العظيم (١٤٤ - ٢٠٧ هـ) أنه لحن بمحضر هارون ^(٢) وأنه اعتذر

(١) تاريخ بغداد ٧٨/٩ .

(٢) ابن خلكان ١٩٤/٣ .

من ذلك بأن اللحن عند سكان المدن لازم لهم كالإعراب عند أهل البادية . وأقل من ذلك جدارة بالتصديق الخبر القائل : إن أبا عبيدة (المتوفى ٢١٠هـ) تلقى نصيحة من أبيه ، إذا كتب كتاباً أن يجعل فيه لحناً لتزول عنه حرفة الصواب^(١) . بل لقد كان محبباً إلى الخليفة أن يجالس النحاة ، وكان يقدر سلامة اللغة حق قدرها . وقديماً روى أنه خاطب زبيدة زوجها فقال لها : يا أم نهر^(٢) ، بدلا من أم جعفر ، كنيته الصحيحة . وكانت زبيدة ، حفيدة المنصور ، امرأة عاقلة مثقفة^(٣) ، وكانت على قدم من البلاغة بحيث بقي خطابها للمأمون ، عند دخوله بغداد ، عالماً بذاكرة الأجيال التالية عهداً طويلاً^(٤) . بيد أنه لم يكن معروفاً لديها أن اسم العَلَم : جعفر ، منقول ، وأنه مرادف للنهر . على أن هارون نفسه لم يرض من الأصمعي أن يستعمل في خطابه إياه تعبيراً مهجوراً غريباً : ما لاقتنى بعدك أرض ، أى لم تمسكني^(٥) وقد تعرض أبو يوسف (١١٣ - ١٨٢هـ) أعظم قضية الدولة — كان أول من حمل لقب قاضى القضاة — لتخطئة الأصمعي في تفسير المعنى الغامض في تلك القاعدة الفقهية التى صاغها الشعبي : لا تعقل العاقلة عبداً ، بمعنى أن العاقلة ، أى الأسرة ، ليست مسئولة عن دية عبد يُقتل ؛ حيث أراد أبو يوسف أن يفسره بأنه لادية على العاقلة إذا ارتكب عبد لها جناية قتل . فرد عليه الأصمعي بأنه كان يجب حينئذ أن يقال : لا تعقل عاقلة عن عبد^(٦) . ففى مثل هذا الجو ازدهرت إلى جانب المعارف الحقيقية ، شدة الذكاء وسعة الحيلة ، ولطف المدخل ، وشهوة الغلب . وإذا كان هارون كما فى إحدى الروايات —

(١) أدب الكتاب للصولى ص ١٣١ والظاهر أن صواب العبارة : خرقة الصواب ، أى

حقه

(٢) صبح الأعشى ١/١٦٨ .

(٣) أخبار النحويين للسيرافى ص ٦٤ .

(٤) انظر رأى الجاحظ فى الموشح للمرزبانى ص ٣٥٣ .

(٥) تاريخ بغداد ١٤/٤٣٣ .

(٦) أخبار النحويين للسيرافى ص ٦٣ ؛ نزهة الألباء ١٦٣ ، والروايات المساوقة فى :

أدب الكتاب ص ٩٩ ؛ تاريخ بغداد ٩/١٤ ؛ ابن خلكان ١٧/٥ ؛ تاج العروس ٧/١٥ ،

تجعل بدلا من لاقت ، ألاقت الرباعى .

(٧) أدب الكاتب ٢٢٤/١٥ والجوالقى عليه (طبع القدسى ١٣٥٠هـ) ص ٨٠ .

كان يفرق بين : أنا قاتلٌ غلامِك على سبيل الإضافة ، بمعنى لقد قتلت غلامك وأنا قاتلٌ غلامك بالتنوين ، على معنى سأقتل غلامك ؛ فهذا يعتمد على نوع من الدقة كان الاستعمال اللغوي الواقعي كثيراً ما يطرحه وراءه ظهرياً^(١) . كذلك التمييز الذي ينم على حدة ذكاء ، والذي روى على لسان الكسائي الذائع الشهرة ، سواء لأنه نحوى ضليع ، أم لأنه قارئ من القراء المعتبر بهم ، حيث فرق بين : أنت طالق ، طالق ، طالق ، وبين أنت طالق و طالق و طالق^(٢) أو ما شاكل ذلك ؛ فمثل هذا ليس مأخوذاً من اللغة الواقعية الحية . وأحياناً كانت مثل هذه اللوذية في علوم اللغة لا تصحح خطأ الرواية ، وإنما تصحح القائل نفسه ؛ بمعنى أنها تقول على لسانه ما لم يقله . فمثلاً حينما مدح الفرزدق حسين بن الأصرم قاتل الجون الكندي لأنه حرم على نفسه تناول اللحم والخمر حتى يقتله ، فقال :

غداة أحلّت لابن أصرم طعنةً حسين عبيطات السدائف والخمر

بنصب طعنة ورفع عبيطات ؛ لم يعجب الكسائي هذا القلب والتبادل بين الفاعل والمفعول ، فغير البيت :

غداة أحلت لابن أصرم طعنةً حسين عبيطات السدائف والخمر

وعلى هذه الصورة المغيرة يوجد البيت اليوم في الديوان الذي بأيدينا^(٣) : هذا إلى أن الرواة الكوفيون يروون أن الذي حمل الكسائي أيضاً على تعلم النحو هو تعبيره باللحن ، إذ قال : قد أعييت ، بمعنى تعبت ، وكان ينبغي أن يقول : قد أعييت ، لأن عبي الثلاثي من : عى بالأمر^(٤) لم يقدر على إتمامه . ومع هذا فلم يخل الأمر من خصوصيات بين العلماء ؛ إذ كان من الطبيعي أن أحداً من علماء اللغة هؤلاء لم يحصل على دراية كاملة بالعربية ، حتى ولا بمعنى أنه كان محيطاً بكل الثروة اللفظية الحية ، التي كانت مستعملة إذ ذاك في البادية .

(١) إرشاد الأريب ١٨٧/٥ وانظر سيبويه ٧١/١ .

(٢) تاريخ بغداد ٤٠٦/١١ .

(٣) ديوان الفرزدق ص ٣١٧ ، وانظر الكامل للبرد ص ٢٠٩ وانظر مصادر أخرى في فهرس الشواهد ٩٥ ب .

(٤) تاريخ بغداد ٤٠٤/١١ ؛ نزهة الألباء ص ٨٢ ؛ إرشاد الأريب ١٨٤/٥ .

ولما زار العلامة الكبير : أبو عبيدة ، أم الهيثم^(١) ، التي عرفت بأنها أعرابية فصيحة بليغة الكلام ، وصفت له مرضها بكلمات لم تكن معروفة عنده ، حتى سألتها في دهشة عما إذا كان للناس لغتان ينطقونهما^(٢) . وفي هذه الظروف لم يتم النزاع حول مسائل الاستعمال اللغوي الصحيح فحسب ، بل كذلك حول من يرجع إليه في ذلك . وهكذا حدث في الجيل التالي لهذا أن ابن الأعرابي الكوفي (حوالي ١٥٠ - ٢٣١ هـ) لم يشأ أن يعتدلا بالأصمعي ولا بأبي عبيدة ؛ وهما من هما في مرتبة العلم التي تسمو على مرتبته بكثير . ولكنه استطاع مثلاً أن يشير إلى أن الرجال الذين يأخذ عنهم من البدو كثيراً ما أعطوه بياناً يتعارض مع آراء الأصمعي^(٣) ؛ أو يشير إلى أن أبا عبيدة روى : شُلت الحجر (من مادة : ش ي ل) أي رفعته ، وشلت يده^(٤) ؛ أي أصبينا بالشلل ؛ على حين أن الصواب يجب أن يكون : شُلت بالحجر (من مادة : ش ول) و : شلت يده بفتح الشين . بيد أن علم ابن الأعرابي نفسه لم يكن راسخاً بحال . فقد أكدى بصورة مزرية حينما طلب إليه أن يشرح كلمات غريبة في شعر الطرماح^(٥) ؛ كما قرأ : قتلى كذا ، بالذال المعجمة ، بدلا من قتلى كداء ، في بيت للمغني المشهور : ابن أبي سنة ، الذي غير ابن الأعرابي اسمه أيضاً إلى : ابن أبي شبة ؛ وحاول أن ينقذ نفسه^(٦) من هذا الخطأ الشنيع بتفسير : قتلى كذا ، تفسيراً غير مقبول بأن معناه عدد كبير من القتلى . كذلك لم يفهم مرمى الشاعر في الكلمات :

[ولا عيب فينا غير عرق لمعشر كرام] وأنا لا نخط على النمل

أي أننا لا نخط على النمل ، بمعنى القروح (والمراد أننا لسنا مجوساً نتزوج أخواتنا) . وفي ذلك رمز إلى عادة فارسية ، هي أن يطلب إلى غلام ناتج من زواج الإخوة أن يخط على القروح على سبيل التعويد والسحر . وقد تخلص

(١) الفهرست ص ٧٠ .

(٢) تاج العروس ٢/٢٦٠ .

(٣) إرشاد الأريب ٥/٧ .

(٤) هكذا روى أبو عبيدة في بيت لورقاء بن زهير ؛ انظر النقائض ص ٣٨٤ .

(٥) الأغاني ١٠/١٥٦ .

(٦) الأغاني ٩٢/٤ ؛ معجم البلدان ٤/٢٣٨ .

ابن الأعرابي ببيان حائر ففسره بأن الشاعر يقول : نحن لا نخط (من خط ، لا نخط من خط) على جماعات النمل لنسلبها زادها^(١) . كذلك لم تكن معارفه عن الأنساب على ما ينبغي^(٢) كما أن آراءه اللغوية المتهاوية يعبر عنها أصدق تعبير رأيه العجيب في تعاقب الضاد والظاء في سعة الكلام^(٣) .

وقد بقي لنا مصنف في لحن العامة يحمل اسم الكسائي^(٤) ، وهو - إن صحّت نسبته - يعد أقدم الآثار الأدبية لحركة « تنقية اللغة العربية » . ويذكر هذا المصنف في مقدمته أنه من عمل الكسائي طارون الرشيد^(٥) . ويحتوي في ١٠٢ فقرة على ملاحظات متفرقة جمع بعضها إلى بعض حول الاستعمال اللغوي الصحيح . وتبدأ كلها بكلمة : تقول (أى الصواب كيت وكيت) ، وقد تبدأ في بعض الأحيان بكلمة : لا تقول . مع ذكر الصيغة المستعملة عند العامة . وكثيراً ما يستشهد بذكر مواضع من القرآن أو أبيات الشعر . على أن نسبة هذا المصنف لم تسم عن شك أيا كان . أما أنه لا يوجد منه غير مخطوطين اثنين حديثي الكتابة ، متقاربين تقارباً كبيراً^(٦) ، فقد يكون ذلك من قبيل المصادفة والاتفاق ، كما هو الحال بالنظر إلى أن صاحب الفهرست لا يعرف هو ولا غيره من كتب التراجم التي بأيدينا مثل هذا المصنف للكسائي . ولكن أحق من ذلك بأن يلفت النظر ، هو أن الراوى الوحيد الذى ذكر اسمه في الكتاب ، هو البصرى المعروف : أبو زيد الأنصارى (حوالى ١٢٥ - ٢١٥ هـ)

(١) نزهة الألباء ص ٢١١ ؛ إرشاد الأريب ٧/٧ . وانظر في معنى البيت : أدب الكاتب ص ٢٢ ، والبطلانيوس عليه ص ٢٩٠ ، والجواليقي عليه ص ١٢٠ ، وتاج العروس ٨/١٤٦ .

(٢) الأغاني ١١/١٠٠ .

(٣) ابن خلكان ٢/٢٩٩ .

(٤) نشر أولاً عن نسخة خطية حديثة رديئة كثيرة الأغلاط (برلين ؛ أهلوت ٧١٠٣) ، وناشره بروكلمان : المجلة الأشورية عدد ١٣ ص ٢٩ - ٤٦ ؛ ثم نشرها عبد العزيز الميمني في : ثلاث رسائل ، بالقاهرة ١٣٤٤ هـ ؛ ص ١٩ - ٦٨ على أساس نسخة خطية حديثة أيضاً في بومباي ، ولكنها أحسن من الأولى كثيراً . ويرجع إليها في الاستشهاد . وانظر كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوي (المترجم) .

(٥) مطلعه : هذا كتاب ما تلحن فيه العامة مما وضعه على بن حمزة الكسائي للرشيد .

(٦) يتضح هذا من اتفاقهما في الأغلاط فمثلاً نشرة بروكلمان ٧/٣٤ ؛ ١/٣٥ ؛ ٧/٤٣ ؛

= نشرة الميمني ٥/٢٨ ؛ ١١/٢٩ ؛ ٥/٤٨ (سقط هذا الهامش من ترجمة النجار . المترجم) .

(٧ - العربية)

الرجل الذى عاش طويلا بعد الكسائى المتوفى فى سن الثمانين أو التسعين . ومع هذا فإن أهم من ذلك تلك الأحوال ، التى لا يتفق ما ينقل فيها من الآراء فى هذا المصنف ، مع ما هو معروف فى معاجم اللغة العربية على أنه رأى الكسائى . فمثلا يخطئ المصنف المذكور : نعم بكسر القاف ، (رقم ٣) ؛ ويصوب : وددت (رقم ١٩) ؛ كما يفرق (رقم ٨٧) بين : قبسته النار ، أى أعطيته ناراً ، وأقبسته العلم ، أى علمته ؛ وكذلك (رقم ١٠٢) بين : نما ، الواوى بمعنى زاد (المال) ، ونمى اليأى بمعنى احمَرَّ (الخضاب) واسودَّ . وعند الجوهرى وغيره من أصحاب المعاجم - على النقيض من هذا - أن الكسائى ارتضى نعم بكسر القاف ، ووددت بفتح الدال ؛ وأنه فسر الرباعى : أقبس بالمعنيين جميعاً : أعطى النار ، وعلم ، على الحقيقة والحجاز ؛ وقال عن : نما الواوى ، إنها صيغة مفردة سمعها من اثنين فقط من بنى سليم . نعم قد يكون هذا التضارب ناشئاً أيضاً من أخطاء الرواية أو بسبب تنقيح الأصل ؛ بيد أنه إذا لم يكن هناك دليل قاطع على صحة النسبة ، فقد بقى من المشكوك فيه ما إذا كان هذا المصنف يحمل اسم الكسائى بحق ^(١)

ومهما يكن من أمر فى صحة نسبة المصنف المذكور فى لحن العامة للكسائى ، فما لا شك فيه أن حركة « تنقية اللغة العربية » على عهد هارون الرشيد قد نضجت نضجاً تاماً . وهنا كان الأصمعى قبل كل شىء هو الذى لم يكتفِ بجمع الثروة اللغوية عند البدو وترتيبها فحسب ، بل شرع كذلك فى تععيد الاستعمال اللغوى الدقيق للكلمات ، بتعريفات غاية فى الدقة . ولا ريب أنه كان فى ذلك كثيراً ما يخالف المعانى والاستعمالات التى ترد فى كلام البدو ؛ ودعوى ابن الأعرابى أنه وجد فى ألف حالة ، سمع فيها من البدو ، تلك الصيغ التى ذكر الأصمعى أنها خطأ ، ليست غير ذات أساس ؛ على الرغم مما يبدو من أن ابن الأعرابى كان يريد أن ينقل موقفه ، إذ إنه حينما كان لا يزال مؤدباً فى بيت سعيد بن سلم بن قتيبة ^(٢) (المتوفى ٢١٧ هـ) ، أثبت عليه الأصمعى فى

(١) انظر فى صحة نسبة الكتاب إلى الكسائى ودفع تلك الشبه ما قلناه فى كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوى ١٠١ - ١٠٩ (المترجم) .

(٢) ابن خلكان ٢ / ١٨١ .

حضرة تلميذه خطأ في تفسير بيت^(١) . ولكن آخرين من علماء اللغة ، غير ابن الأعرابي ، خالفوا الأصمعي أيضاً في أقواله . وقد أنحى البطليوسي بشدة اللائمة على ابن قتيبة ، لأنه احتضن مذهب الأصمعي المتطرف في « تنقية اللغة » دون أن يعنى بمذاهب الثقات الآخرين من علماء اللغة ولو على سبيل العرض فحسب^(٢) .

وهذه المقتضيات التي يتطلبها مبدأ « تنقية اللغة » ، قد احتذاها الشعر الرفيع في جميع العصور كما هو الأعم الأغلب ، فثلا أشعار أبي نواس (١٣٠-١٩٩ هـ) أهم شاعر على الإطلاق في عصر هارون ، خالصة من اللحن اللغوي خلوصاً عجيباً . وما عدّه نقاده المشبعون بروح التشكك خطأ ، هو في الغالب نوع من الحرية الشعرية ، أو ضرورة الوزن ، كما نجده عند أسلافه من الشعراء .

وهكذا ، تدن مثلاً الصيغ المختلفة التصريف : سنون^٣ وبنون^٤ ، التي استعملها بالتنوين ، بدلاً من الإعراب بالحروف^(٥) ، إلى الرغبة في إعاقة هذه الأسماء الثنائية (المبني) تمكناً من الأصالة ، كما أنها وردت — بعيدة عن القافية — في أشعار العصر الأموي^(٦) . وزيادة على ذلك ليس من الشاذ العادم النظر أن يستعمل الشاعر في ضرورة القافية ، جمع المذكر السالم بكسر النون بدل فتحها^(٧) . وإذا كان أبو نواس في قوله في مدح الأمين :

ياخير من كان ومن يكون إلا النبي الطاهر الميمون^(٨)

(١) أمال المرتضى : ١٨١/٢ .

(٢) انظر الاقتضاب ص ١٠٦/٦ ؛ ١٠٨/٩ ؛ ١٠٩/١٠ ؛ ١١٠/٧ ؛ ١٢٨/١٣ ؛

١٦/٢٢٣ ؛ ١٦/٢١٨ ؛ ٨/٢١٦ ؛ ٨/١٥٩ ؛ ٣/١٣٢

(٣) الحمريات رقم ٦٢ (أهلوت) ؛ انظر : الشعر والشعراء ص ٥٢٠ .

(٤) انظر المصادر في : (Nöldeke, NBSS 126 (Neue Beiträage zur semitischen Sprachwissenschaft))

(٥) ساق المبرد في الكامل ص ٢٩٢ ثلاثة أمثلة لذلك من شعر الفرزدق وسيم (الأصمعيات

رقم ٦/٧٦ ، ويوجد هذا البيت أيضاً في شعر لجرير ، ديوان ٥٧٧) وذى الإصبع (المفضليات

٢١/٣) وانظر ابن يعيش ص ٦١٣ ، وخزانة الأدب ٤١١/٣ .

(٦) انظر : المثل السائر (١٢٨٢ هـ) ص ١١ .

قد خالف قواعد العربية ، من وجوب نصب المستثنى من كلام تام موجب ، فإن هناك شواهد قديمة أيضاً^(١) على مثل هذه الحرية الشعرية . كذلك في البيت :

فليت ما أنت واطٍ من الثرى لي رَمْساً^(٢)

نصب معمولي : ليت^(٣) ، وهو استعالي قَبَلَى خاص ، ورد في رجز العجاج^(٤) (المتوفى ٩٧ هـ) وفي شعر الهذلي عبد الله بن مسلم^(٥) (في أوائل القرن الثاني) ؛ وترك الهمز في واط ، بدلا من واطئ أمر معتاد .

وأكثر من ذلك لفتاً للأنظار ، ترك الإعراب ، واستعمال صيغ دارجة في مثل : محدّثه بدلا من محدّثة^(٦) ؛ ويأتك^(٧) ، على الوقف بسكون الكاف ، بدلا من فتحها في الخطاب^(٨) . وأخيراً من المستغرب البيت^(٩) :

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

(١) انظر نولدكه : Zur Grammatik S. 43

(٢) انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥١٩ .

(٣) لوجود للنصب المزعوم في معمولين هنا (المترجم) .

(٤) انظر الموشح ص ٢١٧ ويفهم من عبارة فك أن نصب ليت للجزأين ، وإن كان ظاهرة قديمة ، فإنه تطور حادث . غير أنني أرى أنه تركيب أصيل بكل تأكيد وقد ذكر ذلك فليشر (561) Kl. Schriften I 486 وتايمة بروكلان GvG I 137; II 30 فإن ليت زيدا قائماً (الفصل ١٣٩) ناشئ من رأيت زيدا قائماً وفي اللهجات الحديثة « ريت » منه وإن كان نولدكه BsS ٣/١٢ يراها تطوراً حديثاً من ليت ، ولا أوافقه على تعليقه . وقد بقيت الظاهرة القديمة في بعض الأشعار مثل : ليت القسي كلها أرجلا Freytag, Prov. Arab ٧٧/٢٣ ويعزى إلى تميم ، ويبدو ذلك صواباً ؛ إذ تبقى الظاهرة القديمة أحياناً في بعض اللهجات . والمعتاد في العربية رفع الخبر بسبب القياس على إن ولعل بكل تأكيد (شبيتالر) .

(٥) ديوان هذيل رقم ٤/٢٤٧ وفي الشاعر انظر : تهذيب التهذيب ٢٨/٦ .

(٦) الشعر والشعراء ص ٥١٩ ، وقد صحح في الديوان ص ٨٩ .

(٧) ذيل الأمالي ص ٤٧ .

(٨) الديوان ص ١٠/٢٤٣ الحمريات رقم ٣/٧ (أهلورت) ؛ وانظر : درة الفواص ص ٤٦ ؛ المثل السائر ص ١٠ ؛ الميقاتي (١٣٤٢) ٧١/١ ؛ الكشكول (١٢٨٨) ص ٢٦٣ ؛ فهارس الشواهد ٢١ ب / ١٥

لأنه كما في قواعد النحو الأولية ، لا تستعمل فُعلٌ مؤنث أفعل التفضيل إلا معرفة ، إلا في حالة ما إذا صار اسماً مثل : دنيا^(١) ، أو أخذ معنى خاصاً . مثل : أخرى . كذلك من اللحن قوله :

ونشوة سَقِطَتْ منها في يدي

لأن سَقِطَ في يده ، بمعنى حار أو ندم ، ملازم للمجهول ، وهو فعل غير شخصي ؛ لأن سَقَطَ غير متعد^(٢) . فلا يسنا . إلى الضمير .

وعلى النقيض من ذلك ترد عند شعراء الطبقة الثانية أحياناً أخطاء صريحة في قواعد النحو فهذا هو الشاعر الشيعي : السيد الحميري (١٠٥ - ١٧٣ هـ) يقول شاهداً على ما نقول^(٣) :

أحُوكُ ولا أقوى ولست بلاحن وكَم قائل للشعر يُقوى ويلحن

وتؤيده في ذلك الروايات التي بأيدينا ؛ فهاهو ذا أحد شعراء بلاط الرشيد ، وهو العماني [يدين بهذا اللقب لزيارة له إلى عمان ، أو لسبب غير ذلك ، لكنه على كل حال ليس من هذا الإقليم المشهور بفساد عربيته^(٤)] ينشد بيتي الرجز التاليين في وصف حصان :

كأن أذنيه إذا تشوّفا قادمةً أو قلماً محرفاً

وهو خطأ سرعان ما صحّحه الخليفة ، حيث اقترح^(٥) عليه وضع : تحال مكان : كأن .

(١) على العكس من « حسنى » التي وردت منكراً في قراءة شاذة في قوله تعالى « وقولوا للناس حسنى » (البقرة ٨٣/٢) والقراءة المتواترة « حسناً » على المصدر

(٢) الميداني (١٣٤٢) ٣٠٢/١ .

(٣) الموشع ص ١٤ ، وانظر في هذا جولد زيهر :

Abhandl. zur arab. Philologie I. 132

(٤) توجد تفسيرات مختلفة عند ابن قتيبة في الشعر والشعراء ص ٤٧٥ ؛ الأغاني ٧٨/١٧ ،

٨١ ؛ تاريخ بغداد ٢٧٠/٥ .

(٥) الكامل ص ٥١٣ ؛ أدب الكتاب ص ٨٦ ؛ ويريد بعض الكوفيين أن يستشهد بهذا على جواز نصب معمول كأن ، انظر خزانة الأدب ٢٩٢/٤ - ٢٩٤ ، وتوجد شواهد أخرى في فهارس الشواهد لقيشور ص ١٥٧ .

وفي القصيدة التي أنشدها إبراهيم الموصلي (١٢٥ - ١٨٥ هـ) متغنياً
بجلوس هارون على عرش الخلافة ، تجد هذا البيت (الأغاني ٤١/٥) :
ألم تر أن الشمس كانت مريضة فلما ولى هارون أشرق نورها
فقال : ولى ، بالإشباع ، بدل : ولى بفتح الياء .

وشاعر آخر نابه الذكر في هذا العصر : مسلم بن الوليد (المتوفى ٢٠٨ هـ)
يفتخر بأنه ابتدع اللفظ : يزيد ، جمع تكسير : أيا زيد ، فجعله ذلك هدفاً
لنقد أبي نواس^(١) . وأخيراً : في شعر ابن سيابة (المتوفى ٢١٣ هـ) ، الذي
وإن كان لا يقاس بالشعراء السالفي الذكر ، فقد انتشرت أشعاره ، بتلحين
إبراهيم الموصلي إياها ، وتغنيه بها ، نجده يقول : أبو سحاق ، بحذف همزة
إسحاق^(٢) ، وهي خطوة أولى نحو التسمية المتأخرة بوسحاق .

واللحن في أشعار القصور ، أقل منه في أشعار الفرص والمناسبات ، كما
نراه في أشعار البصرة لمختتم القرن الثاني . فهذا أبان اللاحق يتحكم بالمحاولات
الشعرية لأبي النضير الذي كان يخرج المغنيات من الجوارى بالبصرة ، وكان
يعد أظرف الناس بها ؛ يقول أبان :

يَكْسِرُ الشعرَ وإن عاتبته . في مَجَالٍ ، قال هذا في اللغة^(٣)

أي أنه كان متأثراً بخصائص لهجات خاصة ، وأبو النضير يستعمل مثلاً
الصيغة الغربية : فإياك بأن يعلم^(٤) ، يجزم المضارع على خلاف القاعدة ،
ولو بقي لنا كثير من أشعاره ، التي تحتسب في الطبقة الوسطى ، لأمكن العثور
فيها على لحن أكثر وأوسع .

(١) الموشح ص ٢٩٠ ، ولا يوجد البيت المشار إليه : رأى المهلب أو بأش الأيازيد ،
في الديوان (نشر دى غويه) .

(٢) الأغاني ٩/٥ .

(٣) الأغاني ٧٤/٢٠ .

(٤) الأغاني ١٠١/١٠ ص ١٣ ، والبيت الذي قال فيه ذلك : فإياك بأن يعلم وإياك وإياك ،
كما في الأغاني ، والظاهر أن الواو موضوعة غلطاً من النسخ ، ولعل الصواب :
فإياك بأن يعلم — إيساك وإياك
وإذن فلا لحن في كلامه (النجار) .

وفى محيط أدياء البصرة التى التقينا فيها بمثل ابن مناذر ، يعد أيضاً محمد بن يسير^(١) ؛ رجلاً وضع النسب ، فتحت له قريحته فى الشعر مدخلا إلى قصور المجتمع الرفيع . وقد حمله عدم التسامى فى الطموح على الزهادة فى أن يضع فنه فى خدمة الخليفة أو كبار رجال الدولة مكثفياً بحياة طفيلية^(٢) فى شعار الخمر على نفقة بعض الأثرياء الذين خصهم بالمديح . وقد كانت أشعاره الخفيفة المترقصة ، التى تغنى فيها ، وهو مضطرب المزاج ، بصغائر الأحداث من خواطر أيامه الرتيبة ، محببة إلى الناس دهرأ طويلا . بيد أنها قد عرضت من الوجهة اللغوية سلسلة من السمات المولدة الطابع مثل سقوط الهمزة ، لا فى الصيغ الدارجة فحسب مثل : حرأمه ، بدلا من : حرأمه^(٣) ، بل كذلك فى مثل : قراة ، بدلا من قراءة^(٤) ، كما أدخل نوعاً من تقصير الحركة الذى اشتهر فى اللهجات المتأخرة^(٥) ، يجمعه لفظ : « شاهين » بمعنى صقر ، على : شواهن^(٦) بدلا من شواهين^(٧) . وفى البيت :

ولو قَنِعتُ أثنى الرزق فى دَعَةٍ إن القنوع الغنى لا كثرة المال

خلط بين : قَنَعَ ، بفتح النون ، من مصدر القَنُوع بمعنى السؤال والتذلل ، وقَنَعَ بكسر النون من مصدر القناعة ، بمعنى الرضا^(٨) . وخطأ شنيع استعماله فى الدعاء المضارع الخبرى الواقعى : يرحمنا^(٩) ، بدلا من ماضى الدعاء :

(١) انظر الأغاني ١٢/١٢٩ - ١٤١ ، حيث سمي الشاعر غلطا : محمد بن بشير ، انظر تاج العروس ٦٢٧/٣ س ٩ ، وانظر مراجع أخرى فى : فهارس الشواهد لفيشر ٣٠٢ تعليقاً على ١٤٩ ب/١٩ :

(٢) يتحدث هو نفسه عن طفله فى الأغاني ١٢/١٤١ .

(٣) بيان الجاحظ ١٢٣/٢ وقد ذكر نولده شواهد قديمة على ذلك فى :

Zur Grammatik S. 9

(٤) الأغاني ١٣/١٣٣ .

(٥) انظر دائرة المعارف الإسلامية : EI I 416

(٦) الأغاني ١٢/١٣٥ .

(٧) أو شياهين ، انظر الفرزدق ص ٤٥٥ .

(٨) الموشح ص ٢٩٩ ؛ البطليوس ص ١٨٠ ؛ على أن بعض اللغويين ذكر أن الأول من الأضداد . انظر القاموس فى المادة (النجار) .

(٩) الكامل ص ٢٣٣ ؛ الأغاني ١٢/١٣٧ ؛ المحاسن للبيهقى ص ٣٨١ بيان الجاحظ

رحمنا (أى عسى أن يرحمنا) . فإذا أضفنا إلى هذا كله ذلك العدد الجم من الدخيل الفارسي ، حصلنا على صورة من التعبير الشعري ابتعدت كثيراً عن الشعر الفصيح في الصدر الأول .

وإذا جاز لنا أن نثق بالروايات التي بأيدينا ، كان عصر هارون هو العصر الذي وجدت فيه لغة الشعب للمرة الأولى مساعاً في التعبير الأدبي ، فكما في قصة جسدٍ معروفة ، يروى أن هارون بعد أن قضى على البرامكة ، منع الناس أن يبكوا القتلى في مراث تشيد بذكرهم ، ولكن جارية لجعفر بن يحيى ابن خالد بكت سيدها القتل في قصيدة نظمها باللسان الشعبي ، تحم أبياتها بقولها : يامواليا (١) !

بيد أن حظ هذه الأسطورة من الصحة ضئيل ، مثل التأويل الذي حاكمه بعضهم ، في أن أول من نظم أغاني المواليا ، هم عبيد من واسط كانوا يتغنون بها في أثناء العمل . حقاً لقد وجدت في سائر العالم العربي بحور غنائية شعبية ، غير أنه ليس من الممكن تحديد مبدأ الفنون السبعة المولدة زمانياً ومكانياً على وجه الدقة . فجميع هذه الأغاني يناسبها شعر الأدوار الذي تتحد قافية كل دور فيه ، وإن اختلفت قوافي الأدوار بعضها مع بعض ؛ على حين أن الشعر العربي لا يعرف منذ البداية إلا القافية الواحدة في القصيدة كلها . بيد أنه قد نظمت في العصر العباسي أغاني من شعر الأدوار (المزدوجات) بلغة الكتابة الفصحى أيضاً . وعصر هارون — بالذات — هو العصر الذي لدينا منه شواهد أكيدة على نقل هذه القوالب الشعبية إلى الشعر الفني — وأبسط هذه القوالب هو ما يسمى « المزدوجة » ، وهو قالب شعري ، يؤلف فيه بيتان قصيران — من الرجز غالباً — متحداً القافية ، وحدة خاصة أو دوراً مستقلاً . وقد نظم أبو العتاهية (حوالى ١٣٠ — ٢١٠ هـ) في هذا القالب أرجوزته : « ذات الأمثال » ، وهي قصيدة تهذيبية أخلاقية . روى أنها تشتمل على أربعة آلاف حكمة ومَثَلٌ ؛ ولم يصل إلينا منها إلا جزء صغير (٢) .

(١) انظر سفينة الملك لشهاب الدين ص ٣٨٠ ؛ محمد بن شنب في دائرة المعارف الإسلامية :

EI III 484

(٢) ديوان (بيروت ١٩١٤) ص ٣٤٦ — ٣٤٨ .

واختار أبان بن عبد الحميد اللاحق ، معاصر أبي العتاهية ، نفس القالب (المطابق للمثنوى الفارسي تمام المطابقة) عند ماصاغ للبرامكة أدب المسامرة ، الفارسي ، الهندي ، في شعر عربي ، مثل : كليله ودمنة ، وأسطورة بدّها ، وحياة أنوشروان وأردشير ، وقصة مزّذك . وتبدأ ترجمته لكليلا ودمنة بالأبيات^(١) :

هذا كتابٌ أدبٍ ومحنه وهو الذي يدعى كليله دمنه
فيه احتمالاتٌ وفيه رُشدٌ وهو كتابٌ وضعته الهندُ

وشاعر ثالث من ذلك العهد ، هو بشر بن المعتمر المعتزلي (المتوفى ٢١٠ هـ) الذي زج به هارون في الحبس بعض الوقت لتشييعه فهذا وإن نظم على النمط المألوف من وحدة القافية^(٢) قصيدتيه اللتين قالهما في الفلسفة الطبيعية ، وأشاد فيهما بحكمة الله المتجلية في الطبيعة ، قد استخدم أيضاً إلى جانب ذلك — كما تشير إليه نصوص متفرقة — قالب المزدوج^(٣) . وأقدم من ذلك — بحق — النظم الفلكي التعليمي الذي أنشأه محمد بن إبراهيم الفزاري ، مخرج كتاب « السند هند » الذي اشتهر إذ ذاك ببغداد سنة ١٥٤ هـ . وأبوه هو إبراهيم ابن حبيب الذي يروى أنه أول من صنع الأسطرلاب في الإسلام^(٤) . ونظمه التعليمي الذي لم يرو لنا منه إلا الأبيات الأربعة الأولى فقط^(٥) ، هو من قبيل المزدوج الذي تتألف أوداره من ثلاثة أبيات متحدة القافية من الرجز . وأسوأ حالا مما ذكرنا ، لإثبات أقدم الأمثلة لشعر الموشحات ؛ فإن « الخمسة » المنسوبة إلى أبي نواس [اثنا عشر دوراً كل منها خمسة مصاريع ، الأربعة الأولى منها متحدة القافية ؛ أما الخامس فهو على قافية أخرى تدور في المصراع الخامس من كل دور ، على مثال : أ أ أ أ ، ب ب ب ب أ

(١) الأغاني ٧٣/٣٠ .

(٢) حيوان الجاحظ : ٩٢/٦ - ٩٧ .

(٣) الانتصار للخياط ص ١٣٤ ؛ حيوان الجاحظ ١٥٥/٦ ؛ ثمار القلوب ١٣/١ هـ .

(٤) انظر الفهرست ص ١١٨ .

(٥) الوافي بالوفيات ٣٣٦/١ .

ج ج ج ج أ الخ [لا تكاد تثبت صحتها^(١). بيد أن هناك ميمية^(٢) ترجح صحة نسبتها إلى حماد الراوية (٩٥ - ١٥٥ هـ) وهي تشتمل على قافية مصرعة في داخل البيت ، ثم قافية متحدة في جميع الأبيات^(٣) :

خلافَ الحلول بتلك الطلول وسَحَّبَ الذبول بذاك المقام

وكذلك الحال في البيتين التاليين ترتبط الفقر الثلاث الأولى من كل بيت فيها بقافية داخلية وتقدم مثالا قديماً آخر لهذه « المقطعة » قصيدة لِسَّامِ الخاسر ، قالها في مدح الخليفة الهادي (حكم ١٦٩ - ١٧٠ هـ) وهي تبدأ :

موسى المطر [غيث بكر ثم انهمر]

وتتألف من سبعة عشر بيتاً كلها من قافية الرائ على هذا النمط^(٤) . وسلم المذكور كانت تلميذاً لبشار بن برد ، مقتفياً لأثره^(٥) . وليس ثمة داع إلى الشك في الخبر القائل إن بشاراً أيضاً حاول نظم المزدوجة والموشح .

وربما يرجع إلى القرن الثاني أيضاً تاريخ الدوبيت أو الرباعي ، الذي تتحد مضاريعه في القافية ماعدا المصراع الثالث . فهذا القالب الذي لعب فيما بعد دوراً عظيماً في الشعر الفارسي ، يقرن أيضاً ببشار بن برد ، إذ روى أنه قال في بائعة طيور كان يشتري منها الخلل ، هذا الرباعي^(٦) الخالي - فيما يظهر - من الإعراب في أواخره :

ربابُ ربَّةُ البسيت تصب الخلل في الزيت
لهـا عشر دجاجات وديك حسن الصوت

(١) توجد الخمسة المذكورة في حياة الحيوان للدميري ١٢٤/١ (طبع ١٣٤٧) ، ويظهر أنها هي نفس الخمسة التي نسبت إلى أبي نواس في دائرة المعارف الإسلامية El, Suppl. 194 a

(٢) الأغاني ٢٨/٥

(٣) تشتمل المقامة الثانية عشرة للحريري على قصيدة يمثل ذلك التصريح .

(٤) العمدة ١٢٣/١ .

(٥) الأغاني ١١٠/٢١ .

(٦) الموشح ص ٢٤٩ ، ودون تسمية القائل في : إرشاد الأريب ١٦٥/٦ وفيه : سبع دجاجات .

وإن كان يجوز لنا أن نشك في صحة نسبة ذلك إلى بشار . ومثل هذا يقال أيضاً في أغنية باللسان الشعبي ، يقال إن إبراهيم الموصلی (١٢٥ - ١٨٨ هـ) تغنى بها في سكره وهى بعد صياغتها بالفصحى :

أنا جئت من طُرُق موصلٍ أحمل قُلُلَ خَمَرٍ
من شاربِ المسالوك فلا بد من سُكْرٍ^(١)

وقد ساق ابن خرداذبه هذه الأغنية ؛ ليفسر بها نسبة إبراهيم إلى الموصل ، بيد أن أبا الفرج الذى ندين له بالخبر المذكور يعارض بشدة في صحة هذا التفسير^(٢) .

هذا ، ونحن في حقيقة الأمر لانكاد نعرف شيئاً عن العربية التى كان يتكلمها الناس في أواخر القرن الثانى . ويصادف فقط أن نعرف من إحدى القصص المروية عن محمد بن مناذر (المتوفى ١٩٨ هـ) أنه كان يقال في مكة للإناء بُرْمَة ، وللغرفة العالية : عُلِّيَّة ، إذ كان يقال لها بالبصرة : قِدْرٌ ، وغرفة . وهذا الشاعر^(٣) الذى أصله من عدن^(٤) ، والذى يعد من شعراء عصر هارون ، جمع علماً كثيراً بشئون اللغة في البصرة ؛ وكان في بادئ أمره متأثراً متنسكاً زاهداً على طريقة الأوائل من المعتزلة . ولكنه وضع نفسه في موضع غير مقبول ، لدى الدوائر التى كان يختلط بها ، بقصة غرامه بأحد أبناء أسرة نبيلة من ثقيف ، وصار من رجال المجتمع المعروف بحرية الفكر (الزنادقة) الذين لا يقدسون شيئاً . ويروى أنه صب الخبر ليلاً في أماكن العبادة ، حتى تلطخت جباه المصلين به عند حضورهم لصلاة الفجر ؛ واضطر أخيراً إلى مغادرة البصرة مهاجراً إلى مكة ، حيث مات بها سنة ١٩٨ هـ . وقد ذكرنا أن سفيان بن عيينة نفسه ، وغيره من المحدثين ، كانوا يرجعون إليه في أمور اللغة . ويقال إنه ذكر ملاحظته في تسمية القدر والغرفة عند

(١) رواها الأغاني ١٥٧/٥ باختلاف يسير .

(٢) الأغاني في الموضع السالف .

(٣) انظر فيما يأتى الأغاني ٩/١٧ - ٣٠ .

(٤) انظر صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٥٣ .

البصريين والمكيين ، دفاعاً عن رجحان كفة البصرة على مكة في اللغة بذكر مثالين يطابق فيهما استعمال البصريين لغة القرآن^(١) . أما أن أهل مكة كانوا يستعملون بدل اللفظ العربي الأصيل : غرفة : اللفظ الآرامي الأصل : عُلِّيَّة ، فقد أثبتته أيضاً ابن دريد^(٢) . كذلك يؤيد استعمال المكيين لفظ : برمة ، بدلا من : قدر ، وورد ذلك اللفظ بكثيرة في أقوال المحدثين^(٣) ، وإن كان يقال في هذا ، أولاً ، إن لفظ : برمة ، يستعمل أيضاً في معنى أخص مما ذكر ، وهو المادة التي تعمل منها القدر^(٤) ، وثانياً ، لفظ قدر لم يكن مجهولاً تماماً بالحجاز كذلك^(٥) .

(١) انظر بيان الجاحظ ٩/١ .

(٢) انظر : Wüstenfeld, Handbuch 35

(٣) انظر الشواهد في : المعجم المفهرس لألفاظ الحديث الشريف لفنسنك ١٧٦/١ .

(٤) الأغاني ١٥٢/٤ ، وهناك موضع ذكره الهمداني ص ١٢١ يسمى : معدن البرام .

(٥) ابن هشام ص ٦٨٣ ؛ الأزرقي ص ٤٤٩ .

العربية المولدة

كان من أثر المقام المسيطر الذى أخذه مبدأ « تنقية العربية » فى التربية اللغوية للمجتمع العربى ، أن صارت عربية البدو تعد القدوة المثلى ، والمثل الأعلى من جميع الوجوه ؛ وأن احتذاها المثقفون فى الكلام الشفوى ، والتحرير الكتابى جميعاً . حقاً لقد أثر اختلاف الأحوال ، ولاسيما الانتقال إلى حضارة المدن ، أثراً غير يسير فى اللغة أيضاً ، كما يبدو فى اختلاف لغة الأدب فى شعر المحدثين فى أوائل العصر العباسى ، كشعر بشار وأبى العتاهية وابن الأحنف ، اختلافاً كبيراً من حيث صوغ القوالب ، وتركيب الجمل ، والثروة اللفظية ، وطرق التعبير ، عن لغة شعراء البادية . ولكن عربية الدولة هذه احتفظت بالتصرف الإعرابى ، وبقواعد الإعراب والتصريف احتفاظاً تاماً ، ولم تزل من حيث بناؤها الحقيقى ، على الرغم ، من بعض السمات المولدة ، تعد من اللغة الفصحى . وعلى النقيض من ذلك كانت اللغة الدارجة التى كانت تتفاهم بها الطبقات الوسطى والدنيا من سكان المدن ، منذ نشوئها فى عصر الفتوحات الإسلامية الأولى ، تعد عربية مولدة فى نظر التاريخ اللغوى . وقد أخذت هذه العربية المولدة تكتسب مناطق جديدة بسبب التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الكبيرة التى أحدثها سقوط الدولة (الأموية) العربية ، وقد بقى المجتمع الراقى بعيداً عن التأثير بها تأثراً يؤبه له حتى القرن الثالث (التاسع الميلادى) ؛ كما أن الأوساط الأدبية كانت أبعد عن نطاق التأثير بها كذلك . أما اليهود والنصارى بالشرق ، الذين كانوا يعيشون فى جو من التراث الأدبى ، يختلف تماماً عن محيط العالم الإسلامى من حولهم ؛ فقد ظلوا طويلاً دون أن يكون لهم نصيب من الثقافة الإسلامية . ولذلك لم يستخدموا ، لأول عهدهم بالكتابة العربية ، تلك العربية الفصحى ، بل اللغة الدارجة فى عصرهم . ومن هنا كانت الآثار المسيحية العربية الأولى ، التى ترجع إلى القرن الثانى الهجرى / الثامن الميلادى ، ذات أهمية كبيرة كذلك

لتاريخ اللغة العربية ؛ إذ فيها نجد نصوص العربية المولدة لأول مرة في صورة متماسكة .

ولم يكن للنصارى واليهود ؛ الخاضعين لسلطان الإسلام بالشرق ، حظ من المثل الثقافي الأعلى للعربية . وقد ألفوا ، من حيث إنهم ذوو أديان نص القرآن على حقها من التسامح والحماية ، جماعات دينية في الدولة الإسلامية ذات استقلال ثقافي ، وإدارات خاصة بشئونهم ، وقوانين مقصورة عليهم ، كما كانوا يحيون حياة اجتماعية واقتصادية خاصة بهم . وعلى عكس ذلك كانوا يشاركون جيرانهم المسلمين في لغتهم الدارجة . وتلك الخصائص القليلة في مادتهم اللغوية وطرائق تعبيرهم ، إنما نشأت من طبيعة الموضوعات التي التي يعالجونها ، بحيث لا تقوى على تكوين لهجة يهودية ، أو مسيحية - عربية خاصة . نعم كان يهود المدينة على عهد محمد [صلى الله عليه وسلم] ينطقون لهجة تختلف كثيراً عن لغة السكان الآخرين بالمدينة ؛ بحيث لم تكن مفهومة لهم . فقد روى عن عبد الله بن عتيق أنه كان يرطن باليهودية^(١) . بيد أن هذه اللهجة ، التي كانت مقصورة على الاستخدام الشفوي [كان يهود المدينة يستخدمون في شعرهم دائماً لغة الشعر البدوي] قد اختفت تماماً بطردهم من شبه الجزيرة . وعلى النقيض من ذلك نصارى البدو من العرب ، فهؤلاء يبدو أنهم لم يتميزوا أصلاً في لهجتهم عن الوثنيين . من قبائلهم وإلا لما لقي الأخطيل النصراني اعترافاً بأنه شاعر فصيح معتد به . وزيادة على هذا فقد سارعوا بالدخول في الإسلام ، بحيث لم يبق أثر مما قد يكون للهجته من خصائص لغوية .

وهذه العربية التي نجدها في الأدب اليهودي والنصراني في القرون الوسطى ، إنما نشأت من الاستعمال اللغوي عند طوائف اليهود والنصارى خارج الجزيرة العربية ، الذين لاصلة لهم بالبادية وعربيتها ، بل استخدموا منذ البدء العربية المولدة الدارجة ، التي نشأت من حياة العرب ومخالطتهم للشعوب

(١) ابن سعد : ج ٢ قسم ١ ص ٦٦ . وانظر الواقدى ١٧٠ . « تراطن » توجد في شعر لعلامة ٢٦/١٣ (أهلوت) . « إياكم ومراتنة الأعاجم » في كنز العمال ١٨٤/٢ وعند شاعر من القرن الخامس في نفع الطيب ٨٦٤/١ .

التي أخضعوها ، فصارت لغة التخاطب والتفاهم ، والتي تتميز - رغم اختلافها فيما بينها بسبب الاختلاف الخلي والاجتماعي - تميزاً واضحاً عن العربية الفصحى بطائفة من السمات والخصائص المشتركة بينها في المادة الصوتية ، وصوغ القوالب ، وتركيب الجمل ، والقواعد النحوية والثروة اللفظية ، وطرائق التعبير . فادتها الصوتية تشير إلى طابع معين من التيسير والتسهيل ، ويتعلق بهذا حذف الهمز^(١) الذي استفاض في العصر الجاهلي في لهجة الحجازيين^(٢) . وأخذ في العربية المولدة صورة واسعة ذات أثر واضح في صوغ القوالب . كما يتعلق بهذا أيضاً تغيير حرف الضاد ؛ وهذا الصوت الذي هو في أصله الحرف المطبق القسم للذال ، خاص بالعربية ، بحيث يسمى العرب^(٣) في أحد الأحاديث المشهورة : الناطقين بالضاد ؛ ويكثر إبداله بغيره من الأصوات على ألسنة غير العرب ؛ فيكثر بوجه خاص إبداله بالطاء التي هي الحرف المطبق القسم للثاء المهموسة^(٤) ، وهي صعبة النطق كذلك على غير اللسان العربي . وقد روى الجاحظ^(٥) قصة البصري الذي سمى جاريته : ظمياء ، بيد أنه كان ينطق : ضمياء ؛ وقرن بذلك خبراً يفيد أن نصر بن سيار ، آخر ولاية الأمويين في خراسان ، نصح الموالي أن يسموا خدامهم بأسماء يستطيعون أن يلفظوها بها . وهذه التغييرات الصوتية ازدادت على مر القرون . وكما حاول النحاة أن يعالجوها ، ويساعدوا على التحرز منها ؛ فهذا هو ذا الحريري يحشد في المقامة السادسة والأربعين مجموعة من الألفاظ الظائفة ؛ وفي القرن السابع يؤلف ابن مالك قصيدة تعليمية كتب هو شرحها ، وعالج فيها الفرق بين الضاد والطاء^(٦) وعلى هذين يعتمد السيوطي فيما كتبه

(١) كتب في هذا الموضوع أطروحته للدكتوراه G. Weil سنة ١٩٠٥ .

(٢) انظر نولده في تاريخ القرآن ٤٢/٣ - ٥١ .

(٣) انظر فيشر في : ZDMG 59, 837 .

(٤) هذا وهم من المؤلف إذ لا وجود في العربية لهذا القسم المفخم للثاء (المترجم) .

(٥) بيان الجاحظ ٢/٢ .

(٦) اسمها : « الاعتضاد في الفرق بين الضاد والطاء » وقد نشرها في العراق حسين تورال وطه بحسن سنة ١٩٧٢ وانظر مقدمة تحقيقا لكتاب « زينة الفضلاء في الفرق بين الضاد والطاء » لابن الأنباري (المترجم) .

في هذا الموضوع^(١) وكما ذكر على القارى^(٢) ينطق أكثر السوريين وبعض المغاربة الضاد مثل الظاء . ثم ساق إلى جانب نطقها الأصلي كالدال المفخمة ، كثيراً من صور الإبدال المختلفة لهذا الصوت العصى على النطق ، فمن الناس من ينطقها كالدال ، وغيرهم كالطاء ، وآخرون يومنون إليها بالطاء ؛ ثم يذكر بعد هذا أن بعض الناس ينطقها دالا مفخمة ، وبعضهم ينطقها دالا عادية . وأخيراً ينطقها بعضهم لاماً مفخمة ؛ ومن بين جميع هذه هذه الصور ، يكثّر نطقها اليوم دالا مفخمة ، وعلى هذا الأساس صورت كتابتها بالحروف اللاتينية . ويبدو أن أبدالها بالدال كان من خصائص النبطية فقد روى أن زامرهارون الرشيد : برصوما Barsauma [يدل اسمه على أصله الآرامى] المنتمى إلى الطبقات الدنيا من سكان سواد الكوفة^(٣) ، كان يقول : أبيد ، بدل : أبيض^(٤) . ويكثر في النصوص اليهودية والنصرانية إبدال الضاد ظاء^(٥) .

وهناك تغيير صوتى آخر يعترضنا كثيراً في العربية المولدة ، وهو يتعاق بالسين والصاد ؛ ففي العربية القديمة نجد بالفعل صيغاً مزدوجة ، مثل : صراط ، وسراط ، وصويق وسويق ، وغير ذلك . وفي لهجة بلعبر ، أحد أفخاذ تميم ، يكاد يوجد هذا التغيير باطراد إذا جاء بعد السين أحد الحروف الأربعة التالية : ط ، ق ، غ ، خ^(٦) ولوبفاصل . وقد ذهب متأخرو النحاة إلى تعميم جواز ذلك التغيير الصوتى بالشرط المذكورة^(٧) . وعلى الرغم

(١) المزهر ٢/١٨٠ - ١٨٤ .

(٢) المنح الفكرية (القاهرة ١٣٠٨) ص ٣١ ، ٣٤ .

(٣) الأغانى ٥/٢٢٧ .

(٤) الأغانى ٦/١٦٤ .

(٥) انظر شرح سفر التكوين لعلى بن سليمان ، نشرة B, Skoss ص ٧٩ ؛ G. Graf Der Sprachgebrauch der ältesten chrsitlich - arabischen Literatur S. 6

(٦) روى ذلك قطرب كما ذكره الصحاح وتاج العروس في مادة : ص دغ ، وفي ابن خلكان ٧٣/٣ وانظر الفهرست ص ٦٣ حيث ذكر الصويق بدلا من السويق في لغة عمرو بن تميم ، وورد لفظ الصوق بدلا من السوق في بيت لرغيب بن قيس العنبرى رواء المرزبانى في الموشع ص ٣٣ وغير ذلك .

(٧) انظر المفصل للزخشري (الباب ٩٦٥) وابن يمشى عليه .

من ذلك فقد احتفظت بعض النصوص الشعبية في مثل هذه الأحوال بنطق أصلي واحد ؛ مثل استعمال موسى بن ميمون وغيره من المؤلفين اليهود باطراد : س ق ل ، بدلا من صقل ، المستعملة في الفصحى^(١) ؛ كما استعملوا الصاد بدلا من السين في أحوال لم تتوفر فيها الشروط السالفة ، مثل : صُرم : بدلا من سُرم^(٢) ؛ صَنَسام بدلا من سَنَسام^(٣). واللفظ الشعبي : مَصَاليح : القوات المربطة على الحدود ، وكذلك مفردة وهو : مَصْلَحِيّ : الجندي المربط على الحدود ، نشأ من ربط شعبي لغوي بين لفظ : مسلحة ، ولفظ : مصلحة^(٤) أى مطلب أو منفعة . وعلى عكس ذلك سميت ضاحية بغداد : صَمَالُو [وسميت كذلك باسم أسرى الحرب من مدينة صمالو من أعمال قاليقلا ، وقد أنزله هارون الرشيد سنة ١٦٣ هـ بهذه الضاحية] وهي في لسان العامة : صمالو^(٥) وقد عارض النضر بن شميل (حوالى ١٢٣-٢٠٣ هـ) رأى القائل بأن السين تقع أحيانا موقع الصاد^(٦) ؛ على حين رؤى عن الزجاج النحوى (المتوفى ٣٢١ هـ) المعروف بحرية رأيه في الاشتقاق^(٧) ، أنه كان يرى جواز إبدال كل من الحرفين بالآخر^(٨) .

والطبيعة الحقيقية للعربية المولدة ، والفرق الخاص الذى يميزها تجاه العربية الفصحى ، إنما يقوم على تغير فى تكوينها بعد ترك التصرف الإعرابى

(١) Friedlaender, Der Sprachgebrauch der Maimonides ١,57

وانظر : اللهجة العربية فى عمان وزنجبار تأليف Reinhardt ص ٢٢٦ و : Vollers . ZDMG 49, 493

(٢) المثل السائر ص ١٠٧ .

(٣) جامع الألفاظ للفاسى ص ٤٧٣ ، وهناك أمثلة أخرى فى الكتاب السابق ذكره تأليف : G. Graf ص ٦

(٤) معجم البلدان ٢/٣١٩ وذكره المقدسى ص ٣١ بمعنى : رجال المكس على الحدود . وعبارته : صاحب ريع مصلحة ومسلحة .

(٥) البلاذرى ص ١٧٠ (اقرأ صمالو بدل ضمالو) ، كما ذكره ياقوت فى معجم البلدان Sachau, Vom Klosterbuch 9 : ١٦/٣ ، وانظر أيضا : ٦٧٠/٢

(٦) نزهة الألباء ص ١١٥ ؛ درة الغواص ١٥ ؛ ابن خلكان ٧٢/٣ .

(٧) انظر فى هذا : الموازنة لحزمة الإصفيهانى ، كما ذكره ياقوت فى إرشاد الأريب ٥٥/١ المزهر ٢٠٦/١ .

(٨) شرح الدرة للنفجى ص ٣٣ .

من أماراته الظاهرة . وبهذا نهجت العربية المولدة منهجاً اجتازته جميع اللغات السامية الأخرى قبل ذلك بكثير . وهذا لا يدل على أن ذلك التطور يرجع إلى أسباب عربية داخلية بحتة ؛ فإن الحقيقة الثابتة من أن التصرف الإعرابي عاش قروناً طويلة في لغة البادية ، ولا يزال ماثلاً في بعض بقاياها إلى هذا اليوم ، تدل بوضوح على خلاف ذلك الاحتمال . بل أقرب من هذا أن نلتبس سبب هذه الظاهرة في أن لهجات تلك الشعوب ، التي اتخذت لغة السادة العرب لساناً لها - نتيجة للفتوحات العربية - كانت من النوع التحليلي الذي ترك فيه الإعراب بالعلامات كثيراً أو قليلاً . ومهما يكن من أمر ، فإننا نرى في مصادرنا ، إلى جانب التعبير الخاطيء في الأصوات العربية ، إهمال حالات الإعراب ، وتصريف الأفعال ، أمانة بارزة للغة العربية على لسان غير العرب من سكان الدولة جميعاً . وهذا لا يمنع أن العربية قد أخذت في الأقاليم المتعددة صوراً مختلفة ، وأنها كانت في المناطق الآرامية ذات جرس يختلف عنها في فارس ، وفي مصر ، وغيرها من شمالي أفريقية . ولكن هذه الخصائص المحلية أمكن تفاديها ببعض قوالب التعبير الجديدة ، كان لها في عربية الدولة ، وبعد ذلك في العربية المولدة ، الوظائف النحوية التي كانت للإعراب في العربية الفصحى . ومن قوالب التعبير المذكورة مثلاً ، التجديد في علاقات مواقع الكلمات ؛ إذ إن ترك الإعراب في أواخر الكلم يجعل من المعتلر تمييز الفاعل (إلا إذا كان في صورة ضمير يتميز بصيغته) في آخر الجملة ، أو بعد المفعول ، فبدلاً من ذلك يجد المفعول المباشر في الجملة الفعلية مكانه الطبيعي بعد الفعل مباشرة ، على حين يتقدم الفاعل إلى مطلع الجملة قبل الفعل ، بينما يتميز المحرور - كما في اللغة الفصيحة - بتقدم الاسم المضاف أو بحرف الجر . ويجوز وضع الفعل اللازم في صدر الجملة ، كما يجوز أن يتبعه مفعول غير مباشر ، وتختتم الجملة بالفاعل . وحتى في الأفعال المتعدية لا يوجد في الترتيب القديم سبب للالتباس إذا كان المفعول ضميراً متصلاً (مثل : أكلوني البراغيث) . وعلى الرغم من ذلك كثيراً ما يؤدي تقديم الفاعل إلى اضطراب في الجملة القديمة ، بحيث لم يكن من النادر أن نجد منذ القرن الثالث خروجاً على الترتيب القديم حتى عند خيرة الكتاب فهذا هو ابن قتيبة مثلاً ، نراه في جمل مثل : فلان قال ، يضع الفاعل قبل الفعل

أحياناً دون قصر ولا تأكيد^(١). أما أن الوظيفة النحوية ، في الإحساس اللغوي الحى ، قد صارت موقوفة على علاقات مواضع الكلمات ، لا على إعرابها إذا كان ذلك الإعراب موجوداً ، فهذا مانراه من أن الخلط بين علامات الإعراب كان يعد طابعاً مميزاً لطريقة التعبير الشعبي . وهاهو ذا الجاحظ يذكر الأمثلة التالية نماذج للكلام الملحون^(٢) : ذهبت إلى أبو زيد (بدل : ذهبت إلى أبي زيد) ورأيت أبو عمرو ، ومكره أخاك لا بطل ، وإذا عزز أخاك فهن . وقد ظهر اختلاط علامات الإعراب إلى حد بعيد في النصوص النصرانية العربية للقرن الثالث^(٣) في مثل : لا يستطيع أحد ، أو : لا يستطيع أحد من الناس أمر مثل هذا ، وفي المثني وجمع المذكر السالم يغلب النصب والجر على الرفع تقريباً ، مثل : ويقومون البنين ، ومثل : يَسْدِيكَ خَلَقْتَانِي وَيَدَاكَ (١) ضَرَبْتَانِي ، بدلا من : خَلَقْتَنِي يَدَاكَ وَضَرَبْتَنِي يَدَاكَ .

وقد أثر اختلاف ترتيب الكلمات في علاقات المطابقة كذلك ؛ ففي اللغة الفصحى يقع الفعل في الجملة الفعلية مفرد الصيغة ، ويتطابق الفاعل التالى له ، بشروط معينة ، في التذكير والتأنيث ؛ وفي الحالة النادرة - فقط - وهى تقدم الفاعل على الفعل ، يتطابقان أيضاً في العدد . وعلى النقيض من ذلك في العربية المولدة ، التى تميل إلى بدء الجملة الفعلية بالفعل ، لا يندر تحقيق المطابقة الكاملة أيضاً إذا تقدم الفعل^(٤) كما يظهر ذلك في الأمثلة السابقة .

وبأنحلال الإعراب ، اضمحلت أيضاً الفروق التى كانت قائمة في العربية الفصحى بين أحوال الإعراب الثلاثة للاسم ، وبين ما ينصرف وما لا ينصرف . ويتجلى ذلك بوضوح فى أن صيغتي المثني وجمع المذكر السالم فى حالة الإطلاق قد غلبت على صيغتهما فى حالة الإضافة . وقد وجدت قديماً فى النصوص النصرانية

(١) انظر مثلاً : عيون الأخبار ١١/١ س ١٥ ص ٢٣ س ١٤ ص ٢٥ س ١٥ ص ٢٩ س ١٦ وغير ذلك ، وإن كان الترتيب الطبيعى هو السائد عنده .

(٢) بيان الجاحظ ٦٨/١ ، وانظر فى المثليين المذكورين الميداني (١٣٤٢ هـ) ٢/٢٤٤ ،

٢٠/١

(٣) أخذت الأمثلة التالية من مجموعة فى كتاب : G.Graf, Der Sprachgebrauch der

ältesten christlich - arabischen Literatur S 22 ff.

(٤) توجد أمثلة أخرى فى الكتاب المذكور ص ٣٥

العربية صيغ متفرقة مثل : مدبرين الأرض ، أو : سامعين الناموس (هذا إلى جانب التعبير الصحيح : عاملى الناموس^(١)) وهو تعبير أصبح سائداً في اللهجات الحديثة^(٢) . والتنوين ، من حيث إنه علامة على التنكير ، لا يزال ماثلاً في بعض البقايا فقط ، لاسيما في العبارات الظرفية التي حصل فيها توسع كبير ، مثل : أولاً ؛ أما فيما عدا ذلك فإن الاسم بطبيعته منكر ، ما لم يكن علماً ، أو منادى ، أو معيناً بالإضافة إلى اسم ظاهر أو مضمّر ، على حين يعبر عن التعريف بواسطة الأداة ، بصورة أوسع من العربية القديمة ؛ إذ تدخل أداة التعريف الآن على ألفاظ : كل وبعض وغير^(٣) ، في مثل : (الحيوانات) الغير ناطقة^(٤) ، وفي التراكيب العددية ، مثل : الثلاثة^(٥) الأثواب ، أو ، : الاثنى عشر . وكان أيضاً من أثر ترك الإعراب في أواخر الكلمات أن قامت وسائل أخرى مقام الإعراب ، في حالة ما إذا لم يكف الترتيب الوضعي للكلمات في ذلك ، فلإدخال لام الجر على المفعول به^(٦) ، بصورة مقصورة على أحوال خاصة في اللغة الفصحى ، قد لجأت إليه أقدم النصوص النصرانية العربية في سورية وفلسطين ، بوجه خاص ، إذا تقدم المفعول على الفعل ، أو لم يحىء عقبه مباشرة ، نحو : وَلِيَّ لم يعرفوا^(٧) وكذلك يمكن أن يجر المضاف إليه — كما في العربية القديمة^(٨) — بحروف

(١) G. Graf في الكتاب السابق ص ٢٥ ، وانظر أيضاً بحث : A. Müller في دراسة النصوص والاستعمال اللغوي لكتاب طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة : SMA 1884 S. 892 (Sitzungsberichte d. Bayer. Akademie d. Wissenschaften, München)

(٢) انظر مثلاً قواعد العامية المصرية تأليف : شتاتيك ، ص ١٤٩

(٣) في كل وبعض انظر ص ٦٨ من هذا الكتاب ؛ والغير يتقده الحري في درة الفواص ص ٤٣ ؛ وقد استعمله الدينوري في المجالسة (كما ذكره ابن حجر في لسان الميزان ١٣٩/٦) في عبارة : من مالى أو من مال الغير .

(٤) ابن أبي أصيبعة ٦٩/١ ؛ A. Müller في الكتاب السالف من ٩٢٠

(٥) عابه الحري في درة الفواص ص ٩٤ . وليس هذا التركيب بدلاً وإنما هو قياس على التعبير المنكر : « ثلاثة الأثواب » وهو تركيب إضافي كما يتضح من ضبط اللغويين العرب له (شيتالر) .

(٦) انظر : A. Fischer. Die Aufloesung der akkusativ rektion des transitiven Verbes durch li , BVSGW 62 1910, S. 161 - 188

(٧) G. Graf في الكتاب السالف ص ٤٢ .

(٨) انظر : Reckendorf Arab. Syntax الفقرة ٣٧/٣

الجر ، وعلى الأخص بحرف الجر : من .

والانتقال من النوع اللغوى التركيبى ، إلى النوع التحليلى ، يتجلى فى الفعل فى العربية المولدة ، فصيغ المضارع ، قبل كل شيء تتحد كلها فى النصوص النصرانية العربية القديمة^(١) . وفعل الدعاء اختفى بالكلية تقريباً فى الجمل الأصلية ، وصار يعبر عنه (كفعل الأمر فى بعض الأحيان) بالفعل الخبرى الواقعى المشير إلى التأدب فى الخطاب فى نفس الوقت ، حيث يفهم طابعه الطلبى من سياق الكلام^(٢) . كذلك تلعب صيغ الفعل فى الجملة الفرعية دوراً فاقداً الأهمية ؛ إذ زال الفرق بين الجمل الخبرية ، والجمل الإنشائية ، ونشأت - من جانب آخر - عبارات كثيرة جلدبدة يستعان بها على تصوير الأزمنة المختلفة لمعانى الحدث الفعلى ؛ فالمستقبل مثلاً كثيراً ما يعبر عما يقع فيه من أحداث لازمة بلفظ : عتيدُ أن ، على حين تؤثر الترجمة العربية للإنجيل التعبير بلفظ : مز مع أن ؛ ، إذا لم تعبر عن ذلك بلفظ : شأنه (شأنه) أن^(٣) . أما معانى الإرادة والرغبة ، والإمكان ، والاستطاعة ، والتكليف ، والوجوب ، فإنها يعبر عنها بشتى العبارات ، فيعبر (على بن سليمان) الفاسى القارى^(٤) فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، عن معنى الإمكان بالألفاظ : جاز ، احتمل ، استطاع ، مع المضارع . وعن معنى الإرادة بالألفاظ : أراد ، طلب ، اشتهى ، مع المضارع ، وغير ذلك ، على حين يعبر عن الضرورى بلفظ : وجب ومضارعه . وفى النصوص النصرانية يوجد - إلى جانب أراد مع المضارع : وافقه ، سرّه ، كلاهما للتعبير عن الرغبة . ولفظ : كان مع المضارع يستعمل فى كثير من النصوص النصرانية للتعبير عن التكليف والإيجاب ؛ والتعبير : رجع وفعل ، بمعنى فعل ثانياً ؛ عاد وفعل ، بمعنى كرر الفعل ، على حين أن : عاد ، فى حالة النفي ، تفيد أنه لم يفعل بعد . واحتفظت الجملة

(١) G. Graf فى الكتاب السالف ص ٣٠ .

(٢) A.Müller فى الكتاب السابق ص ٩٠٦ ؛ وينقد الحيرى هذا النوع من التعبير فى

درة الفواص ص ١١٦ وانظر : Fleischer, Beitrage 8

(٣) كل هذه الأمثلة فى المراجع الألمانية المذكورة .

(٤) انظر : شرح سفر التكوين ص ١٤٨ نشر : Skoss

الشرطية ، من بين الجمل الفرعية بصورتها القديمة ، على حين اختفت الجمل الحالية ، التي لم تعد تتميز عن الجمل الأصلية بعد تقديم الفاعل في مطلع الكلام ، وحل محلها جمل مقيدة للزمن تربطها روابط حرفية أو اسمية مختلفة . ويستعمل مترجم الإنجيل : من حيث ، بمعنى : في حالة . وفي حياة القديسين في القرن الثالث ، كثر استعمال : فيما ، بمعنى : بينما ؛ وإلى هذا يضاف الاستعمال الثالث : عندما ؛ وإفادة معنى السببية يوجد لفظ : بأن ، وفي معنى : منذ : من حين ، وبدلاً من حتى : إلى حين ؛ كما أن اسم الموصول (الذي) تحول أخيراً إلى الصيغة الجامدة في جميع الأحوال ، وهي : التي ؛ وكانت نتيجة ذلك كثرة مخالفة جملة الصلة لقواعد المطابقة المعتمدة في اللغة الفصحى ، في نصوص كُتّاب النصارى واليهود^(١).

ومهما اختلفت الأمثلة التي ذكرناها حتى الآن في تفصيلها ، فإنها تشترك جميعاً في أنه عوضاً عن نظام التصريف الكامل النمو مع قواعد إعرابه وتصريفه ، جدّت حالة لغوية بسّط فيها التصريف ، وصوّرت فيها علاقات التركيب بين الألفاظ المؤلفة لجملة واحدة - في أغلب الأحوال - بواسطة وسائل ظاهرية ، مثل مواقع الكلمات ، وترتيبها ، والاستعانة على تغييرات الحداث بالجمل الموضحة ، وتعديل الجمل ، وكثرة المترادفات .

هذا وإن ترك التصريف الإعرابي والخلط بين علامات الإعراب ، وعدم التفريق بين صيغ الأفعال ، لم يكن هو السبب في هذا التطور اللغوي ، وإنما هو من عوارضه وظواهره التي لفتت - من قبل - أنظار أقدم علماء المسلمين بصورة قوية ، بحيث تحمل ملاحظاتهم في هذا السبيل على اعتقاد أن طريقة التعبير الشعبي إنما ترجع إلى مخالفة الإعراب فحسب . أما أن هذا النوع من الملاحظة الشديدة الصلة بالقواعد النحوية ، وبمبدأ تنقية اللغة الناشئ عنها ، هو ذو صفحة واحدة فقط ، فهذا ما تدل عليه النصوص النصرانية العربية ، أو اليهودية العربية ، التي ترجع قيمتها من الوجهة اللغوية التاريخية ، إلى أنها تعين على متابعة اللهجات الشعبية الحديثة حتى ظهور الأسلوب التحليلي للغة ، في وقت كانت الآداب العربية ، المكتوبة بأقلام المؤلفين المسلمين ، لا تزال في أسلوبها اللغوي ، مليئة بالمثل العليا للعربية الفصحى .

(١) كل هذه الأمثلة وغيرها توجد في كتاب G. Graf السابق ذكره .

(٦)

العلاقات اللغوية في عصر المأمون

وعقيدة الاعتزال الرسمية

٨١٣/١٩٨ — ٨٥٠/٢٣٥

ذلك الازدهار العظيم الذى سطع نوره مع حكم هارون ، استمر مطرداً في ظل الخلفاء الثلاثة الذين توالوا من بعده ؛ بل لقد ظل منشور الأعلام حتى أواسط القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى .

وعلى الرغم من أن اضمحلال السلطان في الجانب الغربى للدولة ، الذى بدأ في عصر هارون ، قد بقى متواصلاً في ظل المأمون (حكم ٨١٣/١٩٨ — ٨٣٣-٢١٨) وامتد إلى مناطق فارس العظيمة الأهمية من ناحية الخراج والضرائب ؛ فقد نهضت الحياة الثقافية على عهد المأمون بوجه خاص في مختلف النواحي من الشعر ، وعلوم اللغة ، والدين ، والكلام ، وتعاطى الثقافة الهلنسية الشرقية ، نهضة تسوّغ تسمية هذه المرحلة : العصر الذهبى للأدب العربى .

أما أننا أوسع دراية — إلى حد كبير — بالعلاقات اللغوية لأواخر القرن الثانى الهجرى (الثامن الميلادى) ، والنصف الأول من القرن الثالث الهجرى (التاسع الميلادى) بالقياس إلى الأزمنة المتقدمة على ذلك ، فهذا مانحن مدينون به — قبل كل شئ — لكتب الجاحظ (حوالى ١٦٥ — ٢٥٥ هـ) . هذا الأديب المنتمى إلى البصرة ، والناشئ في مدرسة الاعتزال بهذه المدينة ، وجّه ملاحظته القوية ، وملكة انتباهه الراسخة ، في أسلوبه الخصب الأفكار المتعدد النواحي ، إلى شتى الظواهر في الحياة اللغوية : وأفاض الكلام عن ذلك في بحوثه وكتبه التى صنفها في مختلف الموضوعات ، ولاسيما كتابه عن الفصاحة والبلاغة : كتاب البيان والتبيين ^(١) .

(١) يعتمد المؤلف على النسخة المطبوعة بالقاهرة في جزأين ١٣١١ هـ .

والجاحظ ينتبه أيضاً إلى لغة الأطفال، مثل : واؤاو بمعنى « كلب »^(١) وماما بمعنى : شاة أو خروف^(٢) ؛ وهو يحكى أن النبطي المغلاق الذي نشأ في سواد الكوفة ، وإن تكلم العربية المعروفة ، وكان لفظه متمخراً ، ومعناه شريفاً ، يعرف السامع لكلامه ومخارج حروفه أنه نبطي . وكذلك إذا تكلم الخراساني ، وكذلك إن كان من كتاب الأهواز ، فإنك تعرفه ، مع إعرابه وتخير ألفاظه في مخرج كلامه . ويستطيع الحاكية من الناس أن يحكى نطق الأهوازي والخراساني والزنجي والسندي حتى تجده كأنه أطبع منه^(٣) . والنبطي القحج يجعل الزاي سيناً والعين همزة^(٤) ؛ والصقلي يجعل الذال المعجمة دالاً^(٥) ؛ والهندي يجعل الجيم زايّاً^(٦) . وقد كان خلط الأصوات على هذا المنوال معيناً لا ينضب للتسلية والفكاهة . ويحكى الجاحظ متندراً ، كثيراً من القصص عن التغيرات الفكاهية التي كانت تنشأ من ذلك^(٧) . كما ينتبه الجاحظ أيضاً إلى ازدواج اللغات ؛ فالعربية والفارسية مختلفان ، فإذا التقتا في اللسان الواحد أدخلت كل واحدة منهما الضم على صاحبتها ؛ وقد استثنى من ذلك أحد القصاص ، وهو موسى بن سيار الأسواري ، الذي يصفه بأنه كان من أعاجيب الدنيا ، وكانت فصاحته بالفارسية في وزن فصاحته بالعربية ، وكان يجلس في مجلسه المشهور به ، فيجلس العرب عن يمينه ، والفرس عن يساره ، فيقرأ الآية ، من كتاب الله ويفسرها للعرب بالعربية ، ثم يحول وجهه إلى الفرس فيفسرها لهم بالفارسية ، فلا يدرى بأى لسان هو أبين^(٨) . وذكر الجاحظ أمثلة لاستعمال الكلمات والعبارات الفارسية في الشعر العربي ؛ فهذا شاعر يتحدث عن : الكافِر كُوبَات ، وهي آلة من آلات الحرب أشبه

(١) بيان الجاحظ ٢٩/١ . (عن هيثم بن عدي المتوفى ٢٠٧ هـ) .

(٢) حيوان الجاحظ ٨٩/٥ .

(٣) بيان الجاحظ ٣١/١ .

(٤) بيان الجاحظ ٣٢/١ .

(٥) بيان الجاحظ ٣٣/١ .

(٦) بيان الجاحظ ٣٢/١ ؛ ويؤخذ مما ذكره في ٣٣/١ س ٨ أن الهندي يجعل الجيم ذالاً ، والشين سيناً أيضاً .

(٧) بيان الجاحظ ٢/٢ .

(٨) بيان الجاحظ ١٣٩/١ ، وانظر : Goldziher, Muh. Studien, 162 .

بالمِرْزَبَّة، في أيدي رجال ليست لغتهم لغته^(١). ولا يقتصر العُماني الشاعر في مدحته لهارون الرشيد على استعمال لفظ : كَرْد، بمعنى عنق من اللفظ الفارسي كَرْدَن^(٢) ، بل يقول زيادة على ذلك :

آلى يذوق الدهر آب سَرْد

أى حلف لا يشرب الماء البارد أبداً^(٣). ومن الخليط اللغوي - بمعنى الكلمة - قصيدة للأسود بن أبي كريمة، اختلطت فيها الجمل العربية بالفارسية^(٤)، فإذا قرنا بهذه الأمثلة، الجملة الفارسية التي ذكرها الجاحظ في كتاب البخل^(٥)، تجل لنا بوضوح أن الجاحظ كان يفهم الفارسية. وعلى الرغم من ذلك لم يعن الجاحظ باللغات الأجنبية لذاتها [نشأ الاهتمام باللغات الأجنبية لذاتها في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي؛ ففي ذلك القرن ألف ابن الجراح المتوفى ٣٩١ هـ أول كتاب نعرفه في اللغة الفارسية^(٦)] وإنما اقتصر الجاحظ على ملاحظة أن كثيراً من أصوات اللغات الأجنبية، وعلى الأخص لهجة خوزستان، لا يصوره الخط العربي، وأن على سواحل البحر من أسياف فارس ناساً كثيراً كلامهم شبيه بالصفير^(٧). ويكرر في موضع آخر حكاية عن شاهد عيان يصف مجتمعاً من الزنوج قام خطيبهم على ماعلا من الأرض وتكلم، وهو يشبه حوارهم بالدمدمة والمهممة^(٨). ومن ناحية أخرى يوجه الجاحظ عناية فائقة إلى الأخطاء الخاصة في التعبير، مثل لغة اللسان،

(١) بيان الجاحظ ٦١/١، وفي معنى : كافر كوبات، انظر تفسير الطبري، في فهرست الألفاظ اللغوية.

(٢) ورد لفظ : كرد في بيت يذكر كثيراً وهو للفرزدق مشهور، ديوان ص ٢١٠؛ انظر : أدب الكاتب ص ٥٢٧؛ الاقتضاب ص ٤١٨؛ ويستفاد من استعمال هذا اللفظ على هذه الصورة أن من أخذه، ظن أن النون في آخر الكلمة : كردن، مثل التنوين في العربية.

(٣) بيان الجاحظ ٦١/١ ص ١٠.

(٤) بيان الجاحظ ٦١/١ ص ١٩ - ٢٣، ويوجد مثال آخر في معرب الجواليقي ص ٩،

٧٩؛ ٩٥ وانظر كذلك مجلة : ZDMG. 33, 213 Anm. 2

(٥) ص ٢٤ س ١٧ مع ملاحظات فان فلوثن.

(٦) الفهرست ص ٨٦ س ١٤.

(٧) بيان الجاحظ ١٦/١ ص ٢٦.

(٨) الفهرست ص ٢٨.

ولكنته وما شابه ذلك. من عجز عن تصحيح مخارج الحروف ؛ ويذكر أبيات أبي رمادة الذى طلق زوجته خشية أن تبيته بولد ألثغ^(١) . وكثيراً ما تبدل السين ثاء ، والراء غيناً^(٢) ، ويلى ذلك إبدال الراء ظاء ، ثم ذالا ، وأسوأ الوجوه إبدالها ياء^(٣) . وينطق بعض الناس بدلا من اللام ياء ، وآخرون كافاً^(٤) . كما أن بعض الناس لا يستطيع نطق القاف فينطق بدلها طاء^(٥) . ومثالا لاجتماع لثغتين ذكر الجاحظ شوشى صاحب عبد الله ابن خالد الأموى ، إذ كان يجعل كلا من اللام والراء ياء^(٦) . وعقد الجاحظ فصلا طويلا^(٧) خاصاً بمؤسس مذهب الاعتزال : واصل بن عطاء ، الذى كان لا يحسن نطق الراء ، فكان يتجنب فى مهارة وحذق جميع الكلمات التى تشتمل عليها .

ويعالج الجاحظ أسماء عيوب اللسان : فالتمتاز هو الذى يتمتع لسانه فى التاء والفاء الذى يتمتع لسانه فى الفاء^(٨) . واللفّة ، ومصدرها التلّف ، والوصف :

- (١) بيان الجاحظ ٢٦/١ س ١٥ ؛ عيون الأخبار ٤ ص ٧ ، وذكر : زياد ، بدلا من ابى رمادة ؛ وفى استحسان اللثة الخفيفة واستصلاحها انظر البيان ٦٢/١ س ٢٦ ، طبقات ابن سلام ص ١٩ س ١٨ ؛ نقد الشعر ص ٦٩ ؛ الأغاني ١٨ / ١٩٢ ؛ وانظر الرمادى فى ابن خلكان ٣/٥٣٥ ، وانظر : Mez ص ٣٣٨
- (٢) بيان الجاحظ ٨/٢ س ١٣ ، وكان ينطق الغين بدلا من الراء ، ابن السراج النحوى المتوفى ٣١٦ هـ كما ذكر ذلك ابن خلكان ٣١٩/٢ . وفى تاريخ بغداد ١١٩/١٢ رواية عن كيفية علاج ابن المنجم من لثغة كانت بلسانه ، ومنها يستفاد أن اللثغة هى تعويض صوت بصوت آخر . فقد كان شعبة مثالا ينطق الثاء بدلا من التاء ؛ انظر سنن أبى داود ٢/١٩٤ (طبع ١٣٤٥ هـ)
- (٣) بيان الجاحظ ١٧/١ س ٦ - ١٩ .
- (٤) فى الموضع السالف ص ٣ .
- (٥) بيان الجاحظ ١٧/١ س ١ - ٣ ، وأشهر الأمثلة لذلك يقدمه العلوى إبراهيم بن إسماعيل الذى سمي بسبب هذه اللثغة : طباطبا . انظر ابن خلكان ٧٠/١ فى ترجمة حفيده أبى القاسم ابن طباطبا أمير العلويين فى مصر المتوفى ٤٣٥ هـ .
- (٦) بيان الجاحظ ١٧/١ س ٢٣ ، ويقدم مثالا آخر لاجتماع لثغتين ، ابن أبى البغل الذى كان يجعل الراء غينا والكاف همزة ، والذى عمل لأجله أبو الحسن بن طباطبا ، المتوفى ٣٢٢ هـ قصيدة لا تحتوى على الراء ولا الكاف . انظر : إرشاد الأريب ٦/٢٨٥ - ٢٨٩ .
- (٧) بيان الجاحظ ٨/١ س ١٦ .
- (٨) بيان الجاحظ ١٨/١ س ١٢ - ٢٠ ؛ انظر الكامل للمبرد ص ٣٦٣ س ١ - ٦ ، ٣٦٤ س ٢ ؛ رؤبة ص ٥٥ ؛ إرشاد الأريب ٧٧/١ ؛ الأغاني ١٢/١ ، طبع دار الكتب .

السّف ، هى أن يدخل الرجل بعض كلامه فى بعض ^(١) . كما يسوق أيضاً ؛
شاهداً على المجلبة ^(٢) ويذكر أن الحبسة هى ثقل الكلام على اللسان ^(٣) ،
وقد استعمل القرآن لفظ : عُنُقْدَة ، فى معنى قريب من هذا ، فى آية سورة
طه ٢٧/٢٠ ، أى فى الحبسة التى كان يقاسيها موسى فى نطقه ^(٤) . ويحدد
الجاحظ : اللكنة ، بأن يدخل الرجل بعض حروف العجم فى حروف العرب
وتجذب لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول ، أى التغير الذى يطرأ على
الأصوات العربية فى لسان غير عربى ^(٥) ؛ وهى على ذلك تتحد أحياناً
مع اللثغة أى لإبدال حرف عربى بحرف آخر . والنخنة والسعلة من لوازم
العجز فى البيان ^(٦) ؛ وأخيراً الحكلة ، وهى نقصان آلة المنطق ، وعجز أداة
اللفظ حتى لاتعرف معانية إلا بالاستدلال ؛ أو بعبارة أخرى هى كلام
الإنسان فى خفوت لا يبين ؛ وهى كذلك كلام الحيوانات العجاء دون
صوت ، مثل النملة التى فهم سليمان كلامها ، كما جاء فى القرآن ^(٧) . وقد
استهل الجاحظ كلامه عن البيان والبلاغة بتفصيل أحوال العجز عن التعبير :
العى ^(٨) . وفى مكان آخر يسوق جملاً عسيرة النطق ليحقق تعويد اللسان على
الدراية والمرونة ، مثل البيت :

وقبرٌ حرب بمكان قفر وليس قرب قبرٍ حرب قبرٌ

الذى لا يستطيع أحد أن ينشده ثلاث مرات فى نسق واحد فلا يتتعمع
ولا يتلجلج ^(٩) . وهو يتكلم عن أن بعض أنواع من الربط بين الأصوات

(١) بيان الجاحظ ٢٠/١ عن أبى عبيدة ، والكامل فى الموضوع السابق .

(٢) بيان الجاحظ ١٩/١ ، وذكر ابن دريد فى الاشتقاق ص ٢٣٩ س ١٦ ، لفظ الجلاج ،
لقباً على بعض الناس .

(٣) بيان الجاحظ ١٩/١ س ٥ .

(٤) بيان الجاحظ ١٨/١ س ٣ - ١٢ .

(٥) بيان الجاحظ ١٩/١ ، ٣٣ ، ٦٩ ، ويوجد مثال لذلك فى الأغاني ١٣/١٥٨ .

(٦) بيان الجاحظ ١٩/١ .

(٧) بيان الجاحظ ١٩/١ ؛ الحيوان ٣/٤ ، ٧ .

٨ بيان الجاحظ ١٩/١ - ٤ .

(٩) بيان الجاحظ ٢٩/١ ؛ المسعودى (١٣٤٦ هـ) ٣٣٠/١ ؛ الديميرى (١٣٤٨ هـ)

٢/٢٥٢ ؛ وقد اعتمد علماء البلاغة فى عصر متأخر على هذا الشعر للاستشهاد به على تنافر الحروف .
وهو مشهور . وانظر المستطرف للإبشهى (١٣٥٣ هـ) ٤٠/١ .

لا ترد في العربية^(١) ، وهي ظاهرة يسميها علماء القواعد بالتنافر ، ويتخلونها وسيلة للتعرف بها على الألفاظ الأجنبية^(٢).

ومن النفاسة بمكان ، ما ذكره الجاحظ عن اللهجات ، واللغات الخاصة ، وألسنة الحرف والمهن . فهو يبين أن كل مصر يتكلم على لغة من نزل به من العرب^(٣) ، ويذكر أمثلة لفرق ما بين مكة والبصرة في الاستعمال اللغوي . وفي كتابه : البخلاء ، يسوق الجاحظ وصفاً حياً للدوائر الأدبية في البصرة ، حوالى سنة ٢٠٠ هـ ؛ كما يعرض صورة ، غاية في الدقة من الوجهة اللغوية ، لأسلوب المحادثة بالبصرة في ذلك العهد^(٤) . ويعطينا هذا الكتاب نفسه ، في الفصل الذي عقده لرئيس طائفة المتسولين بالبصرة : خالد بن يزيد ، المعروف بخالويه^(٥) ، نظرة في رموز المحتالين^(٦) ؛ فكلمة : مخطّطرائي ، تعبر عن المحتال الذي يوهم أنه مؤذن من خراسان ، ويتظاهر بأن بابك أمر بقطع لسانه^(٧) . وفي موضع آخر يسوق خطبة^(٨) في أدب المائدة ، ويعلق عليها بشرح عدد من التعبيرات التي يعبر بها عن مختلف العادات السيئة عند الأكل . وقد يستطرد أيضاً بذكر بعض القصص عن الملاحين ، مع ذكر تعبيرات من لغة مهنتهم^(٩) ؛ كما يتفكه بالطبيب الذي يعبر عن الأمور

(١) بيان الجاحظ ١/٣١ ص ٦ .

(٢) المزهر (١٣٢٥ هـ) ١/١٦٠ ؛ وانظر ابن دريد في :

A. Siddiqi, The Allahabad University Studies, vol. VI Arts' Section (1930) 677

(٣) بيان الجاحظ ١ ص ٩ س ٢١ .

(٤) انظر : فان فلوتن في مقدمته لهذا الكتاب ص ٣ .

(٥) انظر ص ٤٧ - ٥٦ (فان فلوتن) .

(٦) هناك قائمة مماثلة في المحاسن للبيهقي ٦٢٤ - ٦٢٧ وانظر في ذلك :

Schwally, ZA 27, 28 - 42 وسيأتي الحديث عن قصيدة أبي دلف الخزرجي .

(٧) ص ٥٤ من الكتاب المذكور ؛ وبعد ذلك بمائتي عام ، وضع أولئك المحتالون الروم موضع بابك ؛ انظر اليتيمة ١٧٨/٣ في تفسير كلمة : مخطّط ، أسفل الصحيفة .

(٨) ص ٧١ مع ملاحظات فان فلوتن .

(٩) بيان الجاحظ ١/٢١٢ ص ١٢ - ١٧ ، وتوجد بعض تعبيرات الملاحين أيضاً في حكاية

أبي القاسم ١٠٧ Mez ؛ وفي المستطرف (١٣٥٢ هـ) ٢/٢٤٥ .

المعتادة بمصطلحات فنية ، ويسمى البحث المصحوب بالخطأ ، باللفظ اليوناني الدخيل : بلغم^(١) .

وعظيم الفائدة - بوجه خاص - ما ذكره الجاحظ عن : الإعراب .
فهو يعد من أجل المتع أن يستمع المرء إلى حديث الأعراب الفصحاء العقلاء أو إلى محاضرة العلماء البلغاء^(٢) . ويبحث على رواية نواذر الأعسراب مع إعرابها ومخارج ألفاظها^(٣) . وهذا يدل على أن الإعراب في عصره كان لا يزال حياً على ألسنة البسود والخلص . وعلى النقيض من ذلك ، ينعت بمخالفة الأسلوب ، ومسوخ الصورة حكاية نواذر العوام ، وملح الحشوة والطغام ، بالإعراب الكامل ، والألفاظ المتخيرة^(٤) ؛ إذ إن هؤلاء الطغام من التجار وسواد الشعب ينطقون عربية حافلة بالحن ؛ وعندهم يأخذ الأجانب كالأنباط والفرس ؛ والأعرابي القح لا يفهم هذه الرطانة ؛ ومتى وجد النحاة أعرابياً يفهمها بهرجوه ولم يسمعوها منه ؛ لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة ، وتنقص البيان^(٥) . ويذكر الجاحظ أن أن أسوأ الحن هو لحن الأعراب النازلين على طرق السابلة ، وبقرى مجامع الأسواق^(٦) . ويقول الجاحظ إن أول لحن سمع بالبادية : هذه عصاني ، بدلا من : عصاي ؛ على حين أن أول لحن ظهر بالعراق هو ما قيل في الأذان : حسي على الفلاح^(٧) . ويسوق الجاحظ - في باب خاص - مجموعة كبيرة

(١) بيان الجاحظ ٤/٢ س ٢٣ ؛ وتختلف عن ذلك رواية كتاب المحاسن والأضداد ص ٩ (فان فلوتن) الذي نسب - دون حق - إلى الجاحظ .

(٢) بيان الجاحظ ٦٢/١ س ٨ - ٥ .

(٣) بيان الجاحظ ٦٢/١ س ١٤ .

(٤) بيان الجاحظ ٦٢/١ س ١٦ - ١٩ ؛ الحيوان ١٢/٣ . وب نفس الطريقة يعمل كذلك ابن قتيبة في عيون الأخبار (نشر بروكلمان ٧/٩) لترك الإعراب والهمز عند حكاية مثل هذه النواذر . وانظر كذلك مذهب قدامة بن جعفر في أول الباب الثامن من هذا الكتاب (شبهتالر) .

(٥) بيان الجاحظ ٦٧/١ فما بعدها .

(٦) بيان الجاحظ ٦٢/١ س ٢١ .

(٧) بيان الجاحظ ٥/٢ س ٤ ؛ والحن في كسر الياء والصواب الفتح .

من اللحن المختلف الأنواع^(١) . وكون هذه الأنواع خليطاً يشتمل على شتى الألوان والأحوال ، من تعسر مخارج الحروف ، إلى المخالفات الشنيعة لقواعد النحو والتصريف ، إلى التساهل في اختيار الألفاظ ، إلى الخروج على الأساليب ، لا يغير كثيراً مما قلناه ، لأنه ، حتى إذا أمكن ترتيب استطراداته ، التي قصد بها إلى جلب انتباه القارئ ، على أى صورة من الترتيب ، فإن جميع ملاحظاته^(٢) تدل عموماً على أنه قسمها - متأثراً بروح عصره تأثراً سطحياً بحتاً - حسب الفروق التي كانت قائمة بين الأسلوب الصحيح والأسلوب الخاطيء في صورة الكتابة .

وإلى جانب الطبقات المحلية ، والاجتماعية ، وجدت طبقة أخرى أبرز الجاحظ ذكر خصائصها اللغوية في مواضع مختلفة ؛ إنهم أولئك الذين يولعون بالتشويق والمبالغة في مضاهاة كلام البدو باستعمال لغة متصنعة مستكرهة ؛ وهذا الشذوذ يطلق عليه الجاحظ اصطلاحات فنية كثيرة ، يفهم منها أنها راجعة إلى نوع من التعبير الجهير المفخم الحافل بحروف الحلق . فالتعجير نوع من التعبير كأنما يستخرج من قعر بئر^(٣) ؛ والتعقيب ، الذي يكاد يكون مردافاً له ، نوع من التعبير يأخذ فيه الفم صورة القعب^(٤) والتفخيم يصور تأكيد التعبير والتنصيب عليه ؛ وكلتا التشديق والتشادق ، مأخوذتان من كلمة : شديق ، بمعنى زاوية الفم ، ومعناها التكلم مع اتساع زاوية الفم ، وكانا يستعملان في الأصل تعبيراً متعارفاً ، على سبيل المجاز ، عن البلاغة ، دون معنى آخر من العيوب^(٥) ، ولكنه نقل بعد ذلك إلى التصنع في الكلام الذي يحتمل من الأعراب وحدهم^(٦) . وقد نسب إلى الرسول [صلى الله عليه وسلم] تنبؤه بأن الثرثارين المتشدين المتفهبين أبعد الناس مجالس منه

(١) بيان الجاحظ ٢/٢ - ٥ .

(٢) انظر إرشاد الأريب ٢١/١ .

(٣) انظر لقمر البئر Bräunlich, Well 43

(٤) ساق الجاحظ شواهد من الشعر على ذلك ، في البيان ٤/٢ س ١٤ - ١٦ .

(٥) بيان الجاحظ ٥٢/١ ص ٣ - ١٤ .

(٦) بيان الجاحظ ٢١/١ س ١٠ ص ١٠٧ س ٨ ؛ انظر أيضاً Dozy في المادة .

يوم القيامة^(١) ، كما نسب إليه : إياى والتشادق . وقد ذكر الجاحظ كلتا الروايتين فيما اختاره من أحاديث الرسول [صلى الله عليه وسلم]^(٢) ، وساق مثلاً لهذا (التشادق) الرسالة المشهورة التى يقال إن يحيى بن يعمر كتبها على لسان يزيد بن المهلب إلى الحجاج ، والتى تشتمل على الكلمة الشعرية العالية : عُرْعُرَة ، أى ذروة الجبل ، وحضيض ، أى سفح الجبل ، وغير ذلك من غريب ألفاظ البلو ؛ كما ذكر قولاً عجيباً ليحيى بن يعمر ، إذ حكم بين رجل وامرأته^(٣) . بيد أن النموذج الحق لهذا الأسلوب المتقعر هو شخصية الأسطورة المشهورة عن أبى علقمة^(٤) ، الذى لم يصل إلينا شيء ثابت عن أطوار حياته . وقد اقترنت باسمه حكايات جمّة ، جمعت فى وقت متأخر فى كتاب خاص^(٥) . وفيها يذكر - عادة - كيف أنه كان يعبر بعبارات طنانة عن شئون مبتدلة تافهة ، على حين يكون المخاطب غالباً رجلاً بسيطاً ساذجاً من سواد الشعب ، لا يكاد يفهم مما يقول شيئاً ؛ فإذا كان كان المخاطب رجلاً ماكرّاً ذا ثقافة ، رد عليه بمثل ما أعطاه^(٦) ؛ ومن هذا المحصول الكثير التداول أخذ الجاحظ قصتين فى كتابه : البيان^(٧) .

على أنه لم يكن مجرد اختيار كلمات الأعراب الغريبة هو الذى كان

(١) الترمذى فى كتاب البر ، والمواضع المختلفة فى :

Wensinck. Concordance I, 290

وفى : أدب الكاتب ص ١٥ ؛ الكامل ص ٣ ؛ أمالي القالى ٢/٢٩٥ ؛ تاريخ بغداد ٤/٦٣ ؛ المجازات النبوية للرضى ص ١١٨ ؛ كنز العمال ٢/١١٤ .

(٢) بيان الجاحظ ١/١٥٩ فما بعدها . وانظر المجازات النبوية للشرىف الرضى (بغداد ١٣٢٨هـ)

والمجنّى لابن دريد ١٢-٢٧ ، وكذلك A. Fischer, ZDMG 61, 433

(٣) بيان الجاحظ ١/١٤٢ ص ٩ - ٢٢ ، وانظر : أدب الكاتب ص ١٤ ؛ الكامل

ص ٤٤ ؛ نزّهة الألباء ص ٢١ ؛ تاج العروس ٣/٦٢٤ .

(٤) انظر : إرشاد الأريب ٥/٧٢-٧٧ ؛ بغية الوعاة ص ٣٢٥ .

(٥) يسمى نوادر أبى علقمة : الفهرست ص ٤٣٥ .

(٦) انظر - زيادة على ياقوت فى الموضوع السابق - عيون الأخبار ٢/١٦٢ ؛ ١٦٣ ؛

الحاسن والأصداق المنسوبة للجاحظ ص ١٤ ؛ المقصد القريدى ١/٣١١ (١٣١٦هـ) .

(٧) بيان الجاحظ ١/٢٤٢ فما بعدها . وأولى هاتين القصتين تروى كذلك عن عيسى بن عمر

الثقفى المشهور بالتقعر أيضاً (انظر فى ذلك 629 (1936) Fück, ZDMG 90) فى وفيات

الأعيان (القاهرة ١٣١٠هـ) ١/٣٩٤ والمنزهر (القاهرة ١٢٨٢هـ) ١/٩٣ ولسان العرب

(سكاكاً) ١/١٣١ (شبىتالر) .

يعطى لغة الحضريين مسحة من النفاسة وعلو القيمة فحسب ، بل لقد كان استعمال الإعراب والتصريف الكاملين - في خارج المحيط العلمي - يعد كذلك تقعرأ وتشدقاً ، على عهد الجاحظ . وهذا يفهم ضمناً من تنبيهه - الذى ذكر آنفاً - إلى ضرورة رواية نواذر الأعراب بالإعراب الكامل . بيد أنه يؤخذ نصاً من الكلمات التى يسوّغ بها طابع كتابه : البخلاء^(١) ؛ حيث يذكر أنه تصنع اللحن ، وكون جملاً مخالفة للنحو ، واستعمل صيغاً للكلمات على خلاف القواعد ، وتنازل عن الإعراب ، كل ذلك مناسبة للموضوع ، إلا إذا حكى كلاماً لسهل بن هارون البخيل المتشدد المتقعر ، أو أمثاله . وهو يصور مثلاً البخيل : محمد بن أبى مؤمل ، بأنه رجل صاحب تقعر وتفخيم وتشديق وهمز وجزم^(٢) .

وكما ندرت اللغة الفصيحة - إذ ذاك - بين الطبقات المثقفة ، ازداد الاستياء من كل خروج لغوى على لسان أولئك الذين لم يعودوا متمكنين في الحقيقة من العربية القديمة ، بل يتصنعونها فحسب^(٣) . وكثيراً ما سخر الناس من اللحن الذى حكاها الجاحظ^(٤) عن المتكلم : بشر بن غياث المريسى (المتوفى ٢١٨ هـ) أحد تلاميذ أبى يوسف ، حينما قال : [قضى الله لكم الحوايج] على أحسن الوجوه وأهنؤها ، بدلاً من : وأهنئها ، حيث أخطأ في حركة الإعراب ، وإن نطق الهمزة التى حذفت فعلاً في لغة الشعب : وقد حمل ذلك اللحن الشاعر الظريف : قاسم التمار ، على إبداء الملاحظة الخبيثة من أنه قال هكذا وفاقاً لقول ابن هرمة في همزته المشهورة :

إن سُلَيْمى والله يكلؤها ضنّت بشيء ما كان يرزؤها

والأشعار على قافية الهمزة - مالم تكن همزة الممدود - جد نادرة . والأمثلة القليلة من ذلك النوع ، تبدو فيها الصنعة كثيراً أو قليلاً . وفي

(١) ص ٤٢ س ٦ - ١٠ (فان فلوتن) .

(٢) ص ١٠٢ س ١٢ .

(٣) بيان الجاحظ ٦٢/١ س ٢٠ .

(٤) بيان الجاحظ ٣/٢ ؛ عيون الأخبار ١٥٧/٢ ؛ المحاسن المنسوبة للجاحظ ص ٨ ؛

تاريخ بغداد ٥٧/٧ .

الفهرست ص ٢٤٢ س ١٢ (طبع الرحمانية) ، حيث عقد فصلاً خاصاً للقصائد المهموزات ، ذكر مع قصيدة ابن هرمة^(١) قصيدة همزية أخرى فقط لخصص الأموي^(٢) ، أو على رواية أخرى لأبي صعبصة العامري ، على روى تالاً. ويوجد من هذه القافية أيضاً قصيدتان لأبي حزام العكلي الذي لمع نجمه حوالي سنة ١٦٠ هـ ، قال إحداها في مدح وزير المهدي : معاوية بن عبيد الله الأشعري ، على روى : مَحْجُوءَةٌ ، وهي حافلة بالألفاظ القديمة المهجورة ، حتى يعدها النقاد المتأخرون مثالا مخيفاً للوحشي المتنافر من من الأساليب^(٣) ؛ والثانية قصيدة لغوية تعليمية على روى : آؤُهُ^(٤) ؛ وعدتها ٢٢ بيتاً ، تحتوي على ٨٠ كلمة مهموزة :

ومثال آخر يرينا كيف يُلقَى رجال ، تهذب إحساسهم للغوى ، وزناً للدقائق أيضاً في المسامرة والمحاورة . هاهو ذا على بن الجهم ، المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ، أحد رجال حاشية المتوكل ، يعتذر من تبكيره في الانصراف عن جماعة كان يجالسها بالكلمات : إنه بلغني شيء وأظنني مأزوراً في قعودي : وبهذا خف في نظر المبرد (٢١٠ - ٢٨٥ هـ) الذي كان حاضراً إذ ذاك ؛ لأن مأزوراً ، بدل : موزوراً ، أى آثماً ، إنما يجوز استعماله على سبيل الاتباع والمزاوجة للفظ : مأجور ، فحسب^(٥) ؛ كما روى فيما نسب إلى الرسول [صلى الله عليه وسلم] أنه قال للنساء اللاتي جلسن في انتظار الجنائز : « أرجعن مأزورات غير مأجورات » . فإذا استعمل وحده قيل : موزور ، فقط^(٦) .

(١) وتم على ميله للتفنن قصيدته : المعلقة ، أى التي لا تشتمل على حرف معجم ؛ انظر الأغاني ١٠٦/٤ .

(٢) انظر : إرشاد الأريب ١١٥/٤ .

(٣) نقد الشعر ص ٦٥ ، وذكره المرزباني في الموشح ص ٣٥٤ .

(٤) انظر :

W. Ahlwardt, Sammlungen alter arabischer Dichter I S. 75 Nr. 1

(٥) انظر في مثل هذا الاتباع : Brockelmann, Z. Sem. 5,6 ff وانظر أيضاً

كتاب الأمثال لأبي عكرمة الضبي ٢٧ - ٢٩ بتحقيقنا (المترجم) .

(٦) ابن ماجه : باب ما جاء في اتباع النساء الجنائز .

(٧) الموشح ص ٣٤٥ ؛ انظر أيضاً درة النواص ، ص ٥٢ ؛ الشهاب الحفاجي على الدرة ص ٨٢ =

(٩ - العربية)

والصورة التي يرسمها الجاحظ للعلاقات اللغوية في عصره ، يمكن إكمال بعض خطوطها المتفرقة ، بوساطة روايات أخرى وصات إلينا . فكون لغة الأعراب لم تزل بعد - كما كانت من قبل - تعد النموذج الذي لا يُدرك لكمال الفصاحة ، يقربه إلينا - بأوضح تصوير - مثال اللغوى : لغدة الأصهباني ، المعاصر لأبي حنيفة الدينوري المتوفى ٢٨٢ هـ . فهو يدين بمعارفه اللغوية ، التي لفت بها الأنظار في بغداد ، لمخالطته للأعراب الذين نزلوا بأصبهان في خدمة محمد بن يحيى بن أبان ، ونصبوا خيامهم في رحابه . فقد ألح في سؤالهم عن جميع ما غمض عليه في كتابات أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي ، التي حفظها عن ظهر قلب في صباه ، واكتسب بذلك علماً غزيراً ، لم يضارعه فيه أحد بالعراق (١) .

بيد أن لغة الأعراب ، أيضاً ، يبدو أنها ، في سبيل تطورها وانتشارها الطبيعي ، قد ظهرت عليها تجديدات مختلفة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، كان أصحاب « تنقية اللغة » يحسون بعدم جوازها . وهاهو ذا العالم اللغوى البصرى : أبو الفضل الرياشي ، الذي مات عن ثمانين عاماً تقريباً ، عند استيلاء الثوار من الزنج على البصرة سنة ٢٥٧ هـ ، يروى أن ينسب تقديم مدرسته البصرية على منافستها الكوفية إلى أن البصريين أخذوا اللغة عن البدو الخالص حرسه الضباب ، وأكله اليرابيع ، على حين استمد الكوفيون لغتهم من أنصاف الأعراب من أهل السواد وأصحاب الكواميخ ، وأكلة الشواريز (٢) أي أصحاب المشهيات كالخلل ونحوه ، واللبن الرائب .

ويقدم لنا مثالا من هذا النوع رجل من حفدة جريز ، هو عمارة بن عقيل لقد عاش في سهل البصرة . وكان يعد لند علماء هذه المدينة حجة ثباتاً في أمور اللغة ، وقرأ عليه المبرد أشعار جرير (٣) . ولا ينسدر أن يظهر شاهداً في

= وانظر : Rescher, ZA 23, 45 f. ويوجد أيضاً لفظ موزور مقروناً إلى : مأجور ، عند

المبرد في الكامل ص ٧٠٣ س ١٢ .

(١) إرشاد الأريب ٨٢/٣ .

(٢) أخبار النحويين البصريين ص ٩٠ ؛ الفهرست ص ٨٦ ؛ نزهة الألباء ص ٢٦٣ .

(٣) انظر مثلاً : الكامل ص ٢٢ .

نقائض جرير والفرزدق . وعلى الرغم من ذلك فقد كان يجمع لفظ : ربح (من : رِوَح) على أرياح . واضطر بهذا أبو حاتم السجستاني (المتوفى ٢٤٨ هـ) أن يعلّمه أن الصواب : أرواح^(١) . كذلك كان يستعمل بدلا من اسم الجمع : خيل ، صيغة الجمع : خيول^(٢) ؛ ويستعمل لفظ : ابن ، كما لو كانت همزته همزة قطع ثابتة ؛ على حين كان يحذف همزة المد في لفظ : الدّهناء^(٣) ؛ وقرأ آية سورة يس ٤٠/٣٦ : سابقُ النهار^(٤) ، بحذف التنوين ونصب النهار بدلا من سابقُ النهار (القراءة الصحيحة : ولا الليلُ سابقُ النهار ، بالإضافة) كما قرأ آية سورة النمل ٨١/٢٧ وآية سورة الروم ٥٣/٣٠ : بهادٍ العُسمى^(٥) بالنصب بدلا من : بهادٍ العُسمى (القراءة بالإضافة) . فهذه ثلاثة أحوال تدل على تراخ في التمكن اللغوي - من حيث استعمال التنوين وإهماله - داع إلى التفكير .

وأكثر ما كان يطابق المثل الأعلى . في نظر النحاة العرب إبان القرن الثالث هي لغة الشعر الرفيع . وشعر أبي تمام (حوالى ١٩٠ - ٢٣١ هـ) ، قبل كل شيء ، يمتاز باستواء وانسجام فاقد النظير ؛ وفي الحشد من المطاعن الكثيرة العدد ، التي تعرض لها الشاعر ، في حياته وبعد وفاته المبكرة ، لا نكاد نجد مأخذاً عليه من ناحية اللحن . وقد لُفِست نظره مرة ، مع الاحتجاج بالنحوى الكوفى : ابن السكيت (المتوفى حوالى ٢٤٥ هـ) ، إلى أنه ينبغي أن يقول : شَجج ، بدلا من : شَججى ؛ ولكنه سرعان ما تخلص محتجاً - في يسر - ببيت لأبي الأسود^(٦) . وكان أبو تمام يعانى حُبْسَة تعوق حرية تعبيره ،

(١) الأغاني ١٨٥/٢٠ ص ٢٤ ؛ ص ١٨٧ س ٢٢ ؛ وقد اعترض الحريرى أيضاً على أرياح في الدرة ص ٤٠ ، ودافع الشهاب الخفاجى جرياً على عادته عنها ص ٦٦ ، مع نقله رواية تنسب هذه الصيغة إلى لمجة بنى أسد .

(٢) الكامل للمبرد ، ص ٩٤ .

(٣) صفة جزيرة العرب ص ١٧٢ س ٢٣ ؛ وفي نفس الشعر المذكور ، استعمال لفظ : عامة بالتخفيف للضرورة .

(٤) الكامل للمبرد ص ١٤٣ ؛ لإرشاد الأريب ٢٧/٥ ؛ نزهة الألباء ص ٢٩٦ ؛ المحتسب لابن جنى في الآية ؛ ابن خالويه في الآية ؛ خزانة الأدب ٥٥٥/٤ .

(٥) انظر البديع لابن خالويه ص ٩٢ .

(٦) الاقتضاب ص ١٩٧ فما بعدها ، حيث ساق بيتاً آخر مشتملاً على لفظ : شجى بالتشديد لأبي دواد الأيادى .

بيد أن هذا لم يؤثر في أسلوبه . ولما بلغ خصم له من عدم اللياقة مبلغاً سمح له بأن يسخر منه ، مشيراً إلى هذه العاهة الخسائية ، لم يره أبو تمام أهلاً للرد عليه^(١) . والذي يأخذه عليه نقاده هو ميله إلى الأصالة والغوص ، الذي لا يندر أن يسمو عنده إلى مستوى الغريب المهجور ، أو ينحدر إلى مستوى السوق المبتذل ، فيطبع أسلوبه بطابع المتعمل المصنوع . ومن هنا كانت سمات وخصائص راجعة إلى الأسلوب ، تلك التي اتجه إليها النقد الصادر عن تذوق الجلال بوجه خاص^(٢) . فقد أخذت عايه شدة جرأته في الاستعارة ؛ مثل جعله الأعمار المبكرة في الانتهاء ، تنضج قبل نضج التين والعنب^(٣) ؛ ومثل حديثه عن الخطوب يكاد يُصْرَع منها الدهر^(٤) ؛ وعن مشيب الفؤاد^(٥) وعن ماء الملام الذي أسقيه^(٦) . وتجديد آخر اصطدم بالرفض ، هو اقتضابه في بعض القصائد^(٧) ؛ فثلاً تبدأ مراثيته للقائد محمد بن حميد الطوسي [رأى أبو دلف الذي يعد حجة في الحكم عليها ، إذ كان قائداً وشاعراً ، أن هذه المراثية تعبير من قبلت فيه حياة خالدة^(٨)] بدءاً غير طبيعي بالكلمات :

كذا فليجلّ الخطب وليفدح الأمر

كذلك كان فرط ولوع الشاعر بالجناس في شتى صوره مدعاة إلى مأخذ كثيرة^(٩) . وآخرون من النقاد يعيبون عليه^(١٠) أنه استعمل كثيراً من الكلام البغيض ، والغريب المستكره من لهجات البدو مثل : الأَجْفَلَى ، أى

(١) العمدة ١/٧٠ .

(٢) انظر الموشح ص ٣٠٣ - ٣٢٩ ، وقد نقل أجزاء كثيرة عن ابن المميز (٢٤٧ - ٢٩٦) في محاسن شعر أبي تمام ومساوئه .

(٣) الموشح ص ٣٠٨ ؛ ٣٢٢ ؛ ٣٢٣ .

(٤) الموشح ص ٣٢٢ .

(٥) الموشح ص ٣٢٦ .

(٦) الموشح ص ٣٢٣ .

(٧) الموشح ص ٣٠٥ س ٣ - ١٠ .

(٨) خزائن الأدب ١/١٧٢ .

(٩) الموشح ص ٣١٠ .

(١٠) الموشح ٣٠٨ .

الجميع^(١)؛ وضده التَّقَرَّى، أى الأفراد . ولما كان يختسب نفسه من قبيلة طى، لم يكن غريباً أن يجئ في شعره ألفاظ من لهجتها ، مثل : سَدِكَ، أى حريص مولع بالشئ^(٢) ؛ ومثل الاستعمال الخالص بها ، وهو وضع : ذو ، موضع : الذى^(٣) ؛ وكذلك صيغة : أطأدت ، التى عدها ابن الأثير^(٤) عليه خطأ يبدو أنها صيغة لإضافية ترجع إلى لهجة خاصة ، بدلا من صيغة : اتطدت ، المتوقعة ، أى صيغة الافتعال من : وطد .

وعلى حين يحاول الشعر الرفيع ، كما فى قصائد الأعياد والمناسبات العظيمة ، أن يقترب من المثُل العليا للكمال اللغوى ، تبدو أشعار الفرص والمصادفة أشد تأثراً باللغة الدارجة . فمثلا توجد فى أشعار ابن زينب المراكبي الذى اشتهر فى عهدى المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) والمعتمد (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) ، أحوال مثل : بَقِى ، بإشباع كسرة القاف ، بدلا من فتح الياء ؛ و : هُو ، بإشباع الضمة ، بدلا من فتح الواو ؛ والمُسَهَّنَا بتخفيف الهمزة وإشباع الفتحة ، بدلا من : المهنتا ، والاستعمال الشعبى المحض : حِرَّها^(٥) . وكذلك الجمَّاز البصرى الذى كان يُسخى كثيراً لبذاءة لسانه ، يقول فى بيت يهجو به عبد الصمد بن المعتز (المتوفى ٢٤٠ هـ) هُو ، بإشباع الضمة ، بدلا من فتح الواو^(٦) . وفى شعر آخر يعامل فعل : قرأ ، على أنه يأتى ، ويصوغ منه صيغاً مثل : تقرى ، تقرت ، وقِراءة^(٧) . كما أن مهجوه ، وهو أيضاً هجاء كبير ، استعمل أيضاً فى رده عليه : هُو ، بالإشباع أيضاً^(٨) . وفى شعر آخر سُمى

(١) وهذا هو الاسم الوحيد على وزن : أفعل ؛ انظر سيبويه ٣٤٥/٢ (ط : ديرنبورج) .
(٢) الموشح ص ٣١٧ ، وورد لفظ : سدك فى شعر الأعرج الطائى ، انظر أمالى القالى ص ٣٠٨ . كذا يذكر فك . والصواب كما فى الأمالى : سويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائى المعنى . والبيت بلا نسبة فى اللسان والتاج مادة : سدك (شبيتالر) .
(٣) انظر الكامل ص ٥٦٤ ، ومن الغريب استعماله أيضاً لفظ : الذ ، بدلا من : الذى ، انظر : الموشح ص ٣١٠ .

(٤) الملل السائر ص ١٠ . وفى ديوانه ٢٧٧ مكانها : « اعتدلت » (شبيتالر) .

(٥) الأغاني ٢١/٢٤٧ ؛ ١١/٩٨ .

(٦) الأغاني ١٢/٦١ ؛ ١٥/٦٢ .

(٧) الأمالى للقالى ٣/٤٧ .

(٨) الأغاني ١٢/٦٢ .

المدينة التي بنى إليها : البَصْرَة ، بكسر الصاد ، وقد عدّه المبرد عليه لحناً^(١) وهذه الصيغة ، التي هي أصل : باسُورا Bassota الغربية ، قد دحضها أيضاً ابن قتيبة^(٢) ، وإن أجاز نسبة : البصري ، بكسر الباء . وعلى العكس من ذلك يعد من قبيل الرخصة الشعرية ، جعلُ عبد الصمد اسم العلم : رُهم^(٣) ، ممنوعاً من الصرف . نعم يسمح البصريون ، وفي طليعتهم سيويو والمبرد^(٤) ، بمعاملة الممنوع من الصرف معاملة المنصرف لضرورة الشعر ؛ ولكن العكس كثر كذلك منذ وقت مبكر ، بحيث لم يقر الكوفيون وحدهم للشعراء بهذه الحرية في ضرورة الشعر ، بل كذلك كثير من البصريين^(٥) . واستعمل الحسن بن وهب الكاتب ، الذي لعب دوراً هاماً في وزارة ابن الزيات (٢٢٥-٢٣٣ هـ) ، الفعل المضارع مرفوعاً بعد : أنْ ، مرتين في قصيدة من أشعار المناسبات^(٦) ، وعلى النقيض من ذلك كانت رسائله معنياً فيها بتجويد الأسلوب ، بحيث جمعت وأخرجت في كتاب^(٧) .

مثل هذه الأخطاء التي ذكرناها آنفاً ، ظهرت في شعر المناسبات المختتم القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي . وعلى النقيض من ذلك صارت اللغة الدارجة على ألسنة المثقفين في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي تبتعد بصورة مطردة من النموذج الفصيح . والملاحظات التي يذكرها الجاحظ أحياناً تدل على أن مراعاة الدقة في الإعراب تعد من الخلدقة ، وأن المحادثة السليمة

(١) الموشح للمزباني ص ٣٤٦ .

(٢) أدب الكاتب ص ٤٥٧ (نشر : Grünert)

(٣) الموشح ص ٣٤٦ .

(٤) انظر المفصل للزنجشري (الباب الثامن عشر) وابن يعيش عليه ص ٨١ .

(٥) انظر الإنصاف ص ٣٠٥ فابدها ؛ خزائن الأدب ٧١/١ فابها .

(٦) عيون الأخبار ٣٢/٤ ؛ وقوله : أن يجنى بالإشباع ورد أيضاً في شعر شبيب بن البرصاء من عصر عبد الملك . انظر الأغاني ٩٥/١١ (وإن كان يصح روايته بالمجهول) ، كما ورد أيضاً في شعر الجاهلي : عوف بن الأحوص من شعراء المفضليات (قصيدة رقم ٣٦ بيت ٩) ، وساق قدامة بيتين دون تسمية قائلهما ، ولا يعلم العصر الذي قيل فيه (ص ٤٥ س ٢) نقد الشعر : بأن أسمى ؛ وفي معجم البلدان ٧٤٨/٤ (أن يدرى ، و : بأن يفديك) وانظر أيضاً : Nöldeke Z. Grammatik الفقرة ٥٨ .

(٧) الفهرست ص ١٧٧ .

الخالية من اللحن كانت تنتظر فقط من الأعراب الذين ينطقون عربية خالصة ،
أو من بلغاء العلماء . وبطبيعة الحال كانت هناك فروق كذلك في لغة المحادثة ،
وفقاً لثقافة المتكلم . وقديماً ، في عهد المأمون (حكم ١٩٨ - ٢١٨ هـ) ،
يبدو أنه لم يكن من النادر ، أن يستعمل رجال في مناصب رئيسية جملاً وتراكيب
مخالفة للنحو تماماً في معاملاتهم الشفوية والكتابية . فقد روى أن ميمون
ابن إبراهيم ، كاتب إسحاق بن إبراهيم المصعبي ، ارتكب في رسالة إلى المأمون
هذا الخطأ الشنيع : وهذا المال مالا يجب على فلان . فخط المأمون على :
« مالا » ووقع بخطه في حاشية الكتاب : أتكاتبني بلحن يا إسحاق ! . فاشتد
ذلك عليه وأنب كاتبه . نعم صحح النحوي ابن قادم (المتوفى ٢١٥ هـ) الذي
كان حاضراً هذا التعبير ، جاعلاً « مالا » منصوباً على التمييز ، ولكن
ميمونا رأى من الخير له تعلم النحو^(١) . وكذلك روى عن إسحاق بن إبراهيم
المصعبي المذكور ، الذي كان يشغل منصباً هاماً ، إذ كان حاكماً لمدينة بغداد
من سنة ٢١٤ حتى مات سنة ٢٣٥ هـ^(٢) ، أنه اضطر بسبب لحن وقع منه في
حضرة المأمون أن يتعلم^(٣) القواعد على النحوي هشام بن معاوية (المتوفى
٢٠٩ هـ) . كما روى أيضاً^(٤) أن أحمد بن أبي خالد^(٥) (المتوفى ٢١٠ هـ) أول
وزراء المأمون ، الذي كان يشاد بذكره^(٦) لحسن خطه ، قرأ كثيراً من
الكلمات في رسالة قراءة محرفة لا يفهم لها معنى . وقصة أخرى^(٧) تخبر عن
كاتب [قيل إنه الفضل بن مروان الذي تولى وزارة المعتصم من ٢١٨ -
٢٢١ هـ ، أو خلفه ابن شاذى^(٨)] قرأ رسالة على الخليفة ، ولم يستطع تفسير

(١) أدب الكتاب ص ١٢٩ ؛ إرشاد الأريب ١٥/٧ ؛ بغية الوعاة ص ٥٨ ؛ صحيح
الأعشى ١٧٠/١ .

(٢) Zambaur, Manuel 198 . وانظر في حسن تنظيمه للبريد ومعرفة الأخبار
كتاب التاج المنسوب للجاحظ ص ١٧٠ ، وكتاب المحاسن للبيهقي ص ١٥٤ .

(٣) إرشاد الأريب ٢٥٤/٧ .

(٤) شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٥١ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية EI I 199

(٦) الفهرست ص ١١ ؛ أدب الكتاب ص ٤٥ .

(٧) أدب الكاتب ص ٧ .

(٨) شرح أدب الكتاب للجواليقي ص ٤٩ ؛ فابعدا ؛ خزائن الأدب ٢١٥/١ ؛ فابعدا .

الجملة : مُطِـرنا مطراً كثر منه الكأ ؛ لأن لفظ الكأ كان غير معروف له . وفى الحق لقد كان الفضل بن مروان من رجال الإدارة الممتازين ، بيد أنه لم يكن ذا ثقافة عميقة^(١) . وكون الخليفة المعتصم ، على النقيض من أخيه المأمون ، لم يكن مثقفاً ، أمر مشهور ؛ فقد كان يشعر بكره شديد فى صباه للتعليم ، ولم يصل إلى حدق يؤبه له فى القراءة والكتابة^(٢) . وترسم القصة التالية^(٣) الصورة التى كان يصوره بها الخلف من بعده ؛ فقد أمر يوماً أشناس العبد التركى القيم على السلاح أن يحضر له كلباً للصيد ، ولكنه رده عليه ، لأنه كان به عرج ، فكتب إليه أشناس الأبيات المضطربة التالية :

الكلب أخذت جيد مكسور رجل جبت
رد جيد كما كلب كنت أخذت

فأجابه الخليفة أيضاً بالأبيات المتهافة :

الكلب كان يعرج يوم الذى به بعثت
لو كان جاء مجبر أجبر رجل كلب أنت

وقد حصل الأتراك مثل أشناس منذ عهد المعتصم - بكونهم من كبار رجال الجيش ، وحرس الخليفة الخاص - على نفوذ مطرد النمو فى سياسة دولة الخلافة ، ولم يكن هؤلاء الرجال متحلين بثقافة علمية ، كما لم يكن لديهم آنذاك اهتمام أصلاً بالطموح إلى الأدب . ولم يسجل شذوذاً عن العموم إلا الفتح بن خاقان^(٤) أحد أبناء الأتراك . لقد نشأ حى الفكر ، حاد الذهن ، عاقلاً أريباً ، فاسترعى انتباه المعتصم إليه وهو غلام ، وانتظم بعد ذلك فى خدمة القصر ، وتمتع بنفوذ عظيم فى شئون الدولة ؛ إذ كان مؤتمناً ومستشاراً للمتوكل الذى قتل معه سنة ٢٤٧ هـ . وكان واسع الثقافة ، وأمر على بن يحيى ابن المنجم فأنشأ له مكتبة عظيمة ، وكان يكثّر من دعوة الأعراب والنحاة

(١) الفهرست ص ١٨٤ .

(٢) تاريخ بغداد ٣/٣٤٣ .

(٣) المحاسن للبيهق ص ٤٥٥ .

(٤) انظر الفهرست ص ١٦٩ ؛ إرشاد الأريب ٦/١١٦ - ١٢٤ .

إليه ، كما حاول هو أيضاً تعاطى الشعر . وكان يشغل العلماء ببعض الأعمال الأدبية فيصدرونها باسمه . وجمع له محمد بن حبيب (المتوفى ٢٤٥ هـ) كتابه عن قبائل العرب ^(١) . كما وجه إليه الجاحظ رسالته عن الأتراك ^(٢) . وكذلك وصّفه للآداب المتبعة في قصور العباسيين (أخلاق الملوك) ألف بتكليف منه بعنوان : كتاب التاج ، وإن لم يكن مؤلفه الجاحظ الذي نشر الكتاب باسمه ^(٣) ، بل محمد بن الحارث الثعلبي ؛ فنحن نعرف عالماً بهذا الاسم ، كان من حاشية الفتح ، وألف له مصنفاً يسمى : أخلاق الملوك ^(٤) . وفيما عدا ذلك كان قواد الأتراك الأجراء لا يمتنون في الأعم الأغلب بصلة إلى الثقافة أصلاً ؛ كما أسهموا في خفض المستوى اللغوي في دوائر القصور . وببلوغهم مناصب السلطان يبدأ في تاريخ العربية عصر الانحلال .

(١) الفهرست ص ١٥٥ .

(٢) نشرها فان فلوطن في : Triac Opuscula S. 1-56 1930

(٣) نشره أخذ زكي باشا بالقاهرة سنة ١٩١٤ م .

(٤) الفهرست ص ٢١٢ (الثعلبي) ، ويذكر الفهرست ص ١٧٠ في الكتب المنسوبة إلى الفتح بن خاقان ، كتاب اختلاف الملوك . والظاهر أنه تحريف عن كتاب أخلاق الملوك ، الذي عمله ابن الحارث المذكور ، وذكر Flügel لقب محمد بن الحارث : الثعلبي ، بدلا من الثعلبي .

العربية تصير لغة الأدب الفصحى

في النصف الثاني من القرن الثالث الهجرى — التاسع الميلادى

وهذا عهد لم يكد يبلغ قرناً من الزمان ، امتد من وقت رجوع الخليفة المتوكل إلى مذهب أهل السنة المحافظين سنة ٢٣٥ / ٨٤٩ ، إلى مبدأ قيام الحكم العسكرى على يد أمير الأمراء : ابن رائق ، (سنة ٣٢٤ / ٩٣٦) ؛ ذلك الحكم الذى انتزع من يد الخليفة البقية الباقية من الاستقلال ، وطبع دولته بطابع الانحلال إلى دويلات تزيد على العشر . ولقد رأى ذلك العهد الانحلال المطرد الحلقات ، المتصل الخطوات فى دولة الخلافة التى ازدهرت أعظم ازدهار فى ظل المأمون والمعتصم . لقد أعلن انفصاله واستقلاله إقليم " تلو إقليم ، فلم يعد يؤدى الأموال إلى بغداد . ولقد نالت هذه الخسارة من الخلفاء نبلاً أشد وقعاً ، وأسوأ أثراً ، حينما اضطرتهم محاولتهم تأكيد سلطانهم إلى بذل الجهود الحربية التى لم يكونوا لها أكفاء على طول الأمد من الناحية المالية . وقد اشترى المعتصم — فعلاً — كثيراً من عبيد السلاح ، وألف منهم قواته المحاربة . وأكثر القواد الأتراك الذين كانوا لا يقتصرون على رئاسة هؤلاء الأجراء الأجانب فحسب ، بل يحملون أيضاً أعباء أجورهم وتديرها ، سرعان ما اكتسبوا نفوذاً عظيماً فى السياسة ، حتى أدى ذلك أخيراً إلى إنشاء الحكم العسكرى . وبالانحلال السياسى والاقتصادى ، انحط مستوى الثقافة العامة . والنزعة السُّنَّية المحافظة التى حددت اتجاه السياسة الثقافية لذلك العصر الانقلابى ، تبين أنها أضعف من إيقاف ذلك الانحلاك . وكانت نتيجة ذلك أن خسرت العربية فى هذه المرحلة الزمنية من مساحة أرضها ؛ على حين انتشرت الأساليب اللغوية المولدة ، متغلغلة فى أرقى الأوساط .

والعمدة فى الشهادة على انحطاط المستوى العام للثقافة فى القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى هو أبرز الأدباء الممثلين للتجديد السنى : ابن قتيبة (٢١٣ — ٢٧٦ هـ) الذى يشكو كثيراً فى كتبه من هذه الظاهرة ، والذى

تُعنى كُتبه بأن تهيبُ للكتّاب ، أى القائمين على الخدمة فى الدواوين والشئون المدنية ، فى قالب واضح سهل المتناول ، تلك العدة من المعارف الإيجابية التى لا غنى لهم عنها فى القيام بأعمالهم . وفى مقدمات تلك الكتب التى كان لها صدى بعيد وأثر عميق ، يصف ابن قتيبة فى تصوير قريب ، الضرورات الملحة فى هذا السبيل : ليس لدى المالك مال للجهود الثقافية ، ولا يجد العلماء (المحافظون) عوناً من قبلهم ؛ وفى أوساط المجتمع الراقى ذهبت حركة الاعتزال بكل إجلال للنزعة السنية المحافظة . أما أن المعتزلة قد أحيوا العلوم القديمة ، أعنى ذلك التراث العقلى للعصر القديم ، فهذا لا يعد شيئاً فى نظر ابن قتيبة ؛ إذ لا يعد من علامت الثقافة المتنقلة الخاصة عنده أن يتعاطى المرء شيئاً من المنطق أو جانباً من علم الفلك . نعم هو لا ينكر إنكاراً تاماً جهود المعتزلة فى النحو، وشرح الأشعار، وتفسير القرآن، ولكن بقدر رفقه بهم فى هذه الناحية ، اشتدت شكواه من أن المعتزلة جعلوا دراسة القرآن والحديث وأحكام الشريعة فى المرتبة الثانية . وقد وصف الجهل المنشور لواؤه ، حتى فى أرقى الأوساط ، بالتاريخ والأنساب ؛ فالقرشيون لا يعرفون كيفية قرابتهم إلى الرسول ، والأشراف يجهلون شجرة أنسابهم . والأمراء من الفرس لا يعرفون تاريخ أسلافهم . وعلى النقيض من ذلك يدعى حديثو العهد بالنعمة والمناصب الرفيعة، انتسابهم إلى رجال انقرضت أسرهم منذ زمان طويل . وليس الحال بأحسن من ذلك فى المعارف الخاصة ؛ فعلى أحسن الفروض نجد الرجل مغلباً فى فنه الذى اختص به . كما أنه ليست له ثقافة عامة . ومن يستطيع أن ينشد أبياتاً من الشعر يعد عالماً ؛ ولا يعرف الكاتب مطمحاً أسمي من أن يكتب خطأ جميلاً .

هذا إلى انحطاط المستوى العام للثقافة اللغوية الذى امتد إلى كتاب الدولة ووزرائها ، والذى ألف ابن قتيبة كتابه : أدب الكاتب^(١) . لعلاج وكفاحه . وهو كتاب يعلمنا كيف ينبغى للمسلم المثقف فى القرن الثالث أن يعبر عن أفكاره بالنطق والكتابة ، ويبين لنا قبل كل شئ الأخطاء التى يجب عليه أن يتجنبها . وفى هذا يباشر ابن قتيبة بحوثه — على خلاف الجاحظ — بدقة تحفل

(١) نشره : Gruenert فى ليدن سنة ١٩٠١ م .

بالصغائر . ولئن فقدت آراؤه وبحوثه المفصلة ذلك الظرف المتوثب الخفيف الروح ، الذى يجعل استطرادات الجاحظ أخاذة ساحرة ، إنه ليفيدنا بفضل أسلوبه المتعمق الجزل ، كثيراً من التفاصيل عن الاستعمال اللغوى فى عصره ، على الرغم من أنه على العموم ليس من عادته أن يسمى الأسلوب أو القالب الذى يتنقصه تسمية واضحة . وهو فى ذلك ، كما يشير شارحه البطليوسى ، ينصب نفسه محامياً عن مبدأ « تنقية اللغة العربية » المتطرف . والأصمعى على الأخص عمدة من يحتج بهم من الرجال ؛ وهو لا يحيد عن آرائه إلا فى أحوال نادرة كما أنه ينقل فى غير موضع كتاب الديباجة لأبى عبيدة^(١) . والأبواب من ص ٥٣٤ مأخوذة من كتاب المعانى لابن السكيت^(٢) مما جر عليه لوم البطليوسى ونقده^(٣) . ولا تنقص الكتاب أيضاً صور من الجمع والخلط - لا يعتمد عليها - بين أنظار المدرستين : البصرية والكوفية^(٤) كما لا ينقصه كثير من السهو^(٥) والتضارب^(٦) . بيد أن هذه المعايير لا تغض كثيراً من قيمة كتابه ؛ فهو باق أحد الكتب الأساسية الأولى لمبدأ التنقية اللغوية ، ولا يزال يدرس فى العالم العربى حتى اليوم بعناية واجتهاد ، لغزارة مادته .

(١) انظر : الاقتضاب ص ١٤٠ - ١٤٢ .

(٢) انظر الاقتضاب ص ٢٤٣ س ١٥ ؛ ص ٢٥٧ س ١ ؛ ص ٢٦٥ س ١٥ .

(٣) الاقتضاب ١٧٤ ، وانظر ص ٢٥٥ ؛ ٢٥٧ .

(٤) الاقتضاب ص ١٧١ س ٥ ؛ ص ١٧٣ س ٢ .

(٥) الاقتضاب ص ١٠٧ س ٣ ؛ ١٣٩ س ١٣ ؛ ١٤١ أسفل ؛ ١٤٨ س ١ ؛ ١٥٣ س ١

١٦٢ س ٩ ؛ ١٧٨ س ٦ ؛ ١٨٢ أسفل ؛ ١٨٣ أسفل ؛ ١٩٩ س ٨ ؛ ٢٣٠ س ٩ ؛ ١٥٠ ؛

٢٣٠ ؛ ٢٣٥ س ١٠ ؛ ٢٧٠ س ٢ ، ١١ ؛ ص ٢٧٣ س ٢ ؛ ٢٧٩ س ١٤ .

(٦) الاقتضاب ص ١٢٣ س ١٢ ؛ ١٢٧ أسفل ؛ ١٣٣ س ١٦ ؛ ١٥٠ س ٨ ؛ ١٥٤ س ٣ ؛

١٧٥ أسفل ؛ ١٧٦ س ٢ ؛ ١٨٠ س ١١ ؛ ١٧٧ س ١٦ ؛ ١٧٨ س ٢ ؛ ١٨١ س ١٦ ،

١٩ ؛ ١٨٢ س ٣ ؛ ١٨٣ س ١٠ ؛ ١٣ ؛ ١٨٤ س ٣ ؛ ١٩ ؛ ١٨٧ س ٣ ؛ ١٠ ؛ ٢٠ ؛

١٨٨ س ١٠ ؛ ١٨٩ س ٨ ؛ ١٢ ؛ ١٥٠ ؛ ١٩٠ س ٣ ؛ ٩ ؛ ١٩٢ س ١٢ ؛ ٢١ ؛ ١٩٤

س ٢ ؛ ١٠ ؛ ١٢ ؛ ١٨ ؛ ١٩٥ س ٣ ؛ ١٩٦ س ١٨ ؛ ٢٠١ س ١٥ ؛ ٢٠٤ س ٨ ؛

٢٠٥ س ١٠ ؛ ٢٠٦ س ٤ ؛ ٢٠٧ س ١٧ ؛ ٢١٠ س ٤ ؛ ٢١١ س ١٠ ؛ ٢١٢ س ٢ ؛

٢١٤ س ١ ؛ ٨ ؛ ٢٢٣ أسفل ؛ ٢٢٦ س ٣ ؛ ٢٢٧ س ٨ ؛ ٢٢٩ س ١٣ ؛ ٢٣٠ س ٩ ؛

٢٣١ س ٦ ؛ ٢٦٦ أسفل ؛ ٢٦٦ أسفل ؛ ٢٦٧ س ٤ ؛ ١٢ ، ١٥ .

وهكذا يحتوى القسم الأول من كتابه ، وهو « كتاب المعرفة ^(١) » فى الستة والخمسين باباً التى يشتمل عليها ، على مادة غنية لمعرفة الثروة اللفظية ، وفى ذلك نقف على تغير المعانى التى طرأت على بعض الألفاظ إلى القرن الثالث ؛ فمثلاً يستعمل الناس لفظ : مآثم ، بمعنى الاجتماع على المصيبة ؛ وليس هذا معناه الأصل ، وإنما هو النساء يجتمعن فى الخير والشر ^(٢) ؛ ومثل لفظ : القىء معناه الظل مطلقاً ، لا ظل ما بعد الظهر كما هو الأصل ^(٣) ؛ ومثل لفظ : الملة ، يستعمل فى الخبز ، وكان معناه الرماد الحار الذى يخبز فيه ^(٤) ؛ ومثل : تنزه ، يستعمل بمعنى ذهب إلى البساتين ، وكان معناه ابتعد عن الماء والزراعة ^(٥) ولم يعد يفرق أحد تقريباً بين الآل والسراب ^(٦) ، ولا بين الفقير والمسكين ^(٧) ولا بين الأعرابى ، أى البدوى (وإن عاش فى الحضر) والعربى ، أى واحد العرب وإن كان غير بدوى ^(٨) . ويلقى بعض الضوء أيضاً على الاستعمال اللغوى فى القرن الثالث ، تلك التعبيرات التى يشرح بها ابن قتيبة بعض الألفاظ الفصيحة ؛ فكثيراً ما يستعمل فى تفسير أسماء النباتات العربية القديمة (ص ١٠١ - ١٠٥) ألفاظاً فارسية بمعناها . كذلك يبين الباب الذى عقده للكلمات الأعجمية فى كلام العرب (ص ٥٢٦ - ٥٣٣) إلى أى حد حفلت اللغة الداريجة فى القرن الثالث الهجرى بالعناصر الفارسية . وأكثر إفادة (فى هذا المضمار) القسم الثالث الأساسى ، وهو كتاب تقويم اللسان (ص ٣٣٣ - ٤٦٠) بما اشتمل عليه من طوائف من الكلمات التى يعدها المتزمتون اللغويون من قبيل اللحن أو الردى ^(٩) . وفى هذا يرتب ابن قتيبة الأحوال المختلفة الظروف ، الناشئة من صورة الكتابة بين الصحيح والخطأ ، ترتيباً شكلياً خالصاً ،

(١) ص ٢١ - ٢٣٣ .

(٢) ص ٢٤ .

(٣) ص ٢٧ س ١ .

(٤) ص ٣٨ س ٦ .

(٥) ص ٣٩ س ١١ .

(٦) ص ٢٨ س ٨ .

(٧) ص ٣٥ س ١ .

(٨) ص ٤٠ س ٦ .

(٩) كثير من مادة هذا الكتاب ملخص من كتاب « إصلاح المنطق » لابن السكيت بلفظه انظر كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوى ١٦١ - ١٦٢ (المترجم) .

بحيث إن الأحوال التي ترجع إلى مجموعات مختلفة من جهة التكوين الصوتي ، والصيغ والقوالب ، والعمل النحوي ، تضم بعضها إلى بعض دون فرق بينها . فهو يرى من ناحية الصوت أن إسقاط الهمزة ، أو تحويل ما فاؤه همزة من الأفعال إلى ما فاؤه واو ، أو ما لامه همزة إلى ما لامه واو أو ياء ؛ كل هذا يؤدي إلى نشوء صيغ وقوالب جديدة معيبة عند المعنيين بتقنية اللغة . ومن ناحية القوالب والصيغ يذكر ما تُشَدِّدُه العوام وما تحفّفه أو العكس ، مثل الياء في آخر الكلمة ، وإبدال فعاليل بفعالل في جمع الرباعي ، وغير ذلك . والصيغ المتفرعة مثل : أَخْيَسِرَ وأَشَرَ ، بدلا من : خَيْرَ وشر ، واطَّرَاحَ الفرق المعنوي بين اسم المرأة : فَعْلَة ، واسم الهيئة : فِعْلَة ؛ وما يضم والعامة تكسره ، أو يكسر والعامة تفتح أو تضمه ، إلى غير ذلك . ويعرض كتاب الأبنية (ص ٤٦٠ - ٥٥١) نظرة عامة في صيغ الأسماء والأفعال ، إذ يعقد فيه بعد تحديد كل نوع سلسلة من الأبواب ، يبحث فيها هذه الصيغ ، مرتبة في طبقاتها المعنوية ، ويعقد في ذلك باباً خاصاً بالحروف ، يعرض فيه ما يتعدى بحرفين ، والأحوال التي يستعمل فيها حرف مكان آخر ، وتعاور الأفعال اللازمة والمتعدية (ص ٥٣٤ - ٥٥١ الخ) .

ولا يعرج ابن قتيبة في كتبه الأخرى على مسائل اللغة والتربية اللغوية إلا عرضاً . ففي كتابه : عيون الأخبار ، يعقد لمسألة التعبير الصحيح والخطأ ؛ باباً خاصاً (باب الإعراب واللحن ٢ / ١٥٥ - ١٦٠) يحتوى بدون ترتيب منهجي على حكم وأشعار في الإشادة باللغة الصحيحة الفصيحة ، والحث على دراسة القواعد والنحو ، كما يشتمل على قصص وأمثلة للحن المختلف الأنواع ، مثل : الخطأ في النطق ، والمخالفة الفاحشة للقاعدة النحوية ، والتراكيب العددية المغلوطة ، ومخالفة الصواب في قراءة القرآن ، وبعض المفارقات الناشئة من سوء الفهم لاصطلاحات النحو ، وعقب ذلك مباشرة (١٦١/٢ - ١٦٦) يذكر ابن قتيبة نماذج من الأسلوب الدقيق (التشادق) ، واستعمال المهجور الغريب من مادة اللغة . وفي كتابه : الشعراء^(١) ، يناقش بالتفصيل ما أخذ على أبي نواس من اللحن .

(١) الشعر والشعراء 516, 7-530, 9

هذا على أن المطالب التي فرضها ابن قتيبة لمراعاة صحة اللغة وسلامتها لم يؤديها معاصروه على وجه الدقة ، بل لقد اصطدم هو نفسه هنا وهناك في مؤلفاته مع قواعده ، وحتى الشعر الرفيع في عصره لم يف بكل مطالب مبدأ « تنقية اللغة » ؛ فإن لغة البحترى (حوالى ٢٠٤ - ٢٨٤ هـ) ، لم تعد من حيث فصاحتها مساوية للغة معاصره السابق عليه بقليل ، وابن قتيبة أيضاً : أبى تمام . حقاً إنها لمبالغة حاكمة ، إذا وسمه ابن أبى طاهر ^(١) (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ) في شعر يهجو به ، بأنه : لاجن جاهل ^(٢) ؛ لا سيما وقد قيل عن هذا الخصم إنه كان عامياً كثير التصحيف ، وإنه أنشد شعراً واحداً فلحن في بضعة عشر موضعاً منه ^(٣) . وأرجح من هذا وزناً ، أن أحد المعجبين بالشاعر ، وهو الوزير أبو الفضل بن العميد ، يسلم أنه تعرض له أخطاء ، وأن في شعره الكسر والإحالة واللحن ^(٤) ؛ وقد استعمل مثلاً : نسيه ^(٥) ، بإشباع الياء بدلا من فتحها ، بسبب القافية ، ووضع صيغة المرفوع : مُثنى ، بدلا من صيغة المنصوب : مثنياً ، في البيت :

يامادح الفتح ويا آمله لست امرءا خاب ولا مثن كذب ^(٦)

كما قال : مساعيك ، بالإشباع ، بدلا من نصب الياء في البيت :

ولو أنصف الحساد يوماً تأملوا مساعيك هل كانت بغيرك أليفا ^(٧)

واستعماله لفظ : طَلحات ^(٨) ، بسكون اللام بدلا من فتحها ، في جمع طلحة ، يمكن الاعتذار منه - على أسوأ الاحتمالات - برخصة الشعر . وقد

(١) هو مؤلف كتاب : أخبار بغداد ويعرف بابن طيفور (الفهرست ص ٢٠٩) . وقد أخرج جزءاً منه مع ترجمته إلى الألمانية : H. Keller

(٢) الموشح ص ٣٣٣ .

(٣) الفهرست ص ٢٠٩ .

(٤) الكشف عن مساوى المتفري . للصاحب بن عباد (القاهرة ١٣٤٩) ص ٨ .

(٥) في الموضع السالف ص ٩ س ١ .

(٦) الموشح : ص ٣٣٣ س ١٤ .

(٧) الموشح ص ٣٣٣ س ١٦ .

(٨) خزائن الأدب ٣/ ٣٩٤ .

حملت المباحكات وضيق العطن خصومه على أن عدُّوا عليه بعض تعبيرات أخرى من اللحن ، مثل التهافت في مطلع إحدى القصائد :

محل على القاطول أخلق دائره^(١)

فلذا كان دائراً فكيف يخلق؟ على أنه لا جرم كان يُعَنِّي نفسه في سبيل صحة اللغة وسلامتها ، كما كان يلقي أشعاره في تصنع وإعجاب بنفسه^(٢) .

وشاعر آخر لم يكن أقل شهرة في هذا العصر ، وهو ابن الرومي (٢٢١-حوالي ٢٨٣ هـ) يعتذر في قصيدة له من أخطاء لغوية زلقت من قلمه في رسالة كتبها إلى صديق^(٣) . كما أن أحمد بن المدبر ، الذي كان يتقلد إدارة الأموال في دمشق حوالي سنة ٢٤٠ هـ ، ثم نقل إلى مثل هذا العمل بمصر سنة ٢٤٧ هـ^(٤) ، ذكر في قصيدة واحدة لفظ : رَضِي ، بإشباع الكسرة بدلاً من : رَضِيَ بفتح الياء ، ورفع المضارع ثلاث مرات بعد أداة النصب^(٥) (أن) .

ومن المفيد هنا على وجه الخصوص ، حالة علي بن محمد الحيماني العلوي^(٦) . لقد كان حفيداً لجعفر الصادق ، وابننا لمحمد الديباجة ، الذي دعا لنفسه بالخلافة في مكة سنة ٢٠٠ هـ ؛ بيد أنه غلبَ على أمره ، وحمل إلى بغداد ، ثم مات بعد ذلك بقليل في منفاه بخراسان . وعلي بن محمد نشأ بالكوفة في حي بني حِمَّان - ومن هنا نسبته -^(٧) ، ونصب في وقت متأخر نقيباً للأشراف

(١) الموشح ص ٣٢٧ س ١٨ .

(٢) انظر عرض أبي الفرج وتصويره في الأغاني ١٧٣/١٨ ؛ وذكره ياقوت في إرشاد الأريب ٤٠٤/٦ .

(٣) أدب الكتاب ص ١٣٣ .

(٤) انظر لدوره في هذا المنصب C. H. Becker, Beitrage zur Geschichte Aegyptens II 142-148, 154-161 (Strassburg 1903)

(٥) الموشح ص ٣٤٩ ؛ أما أن ابن المدبر أرسل بهذه القصيدة إلى ذلك الجن الشاعر ، المتوفى (كما في ابن خلكان ٥٢٥/١) سنة ٢٣٥ هـ ، على حين كان ابن المدبر المذكور والياً لابن طولون على دمشق ، فهذا لا يتأتى ، لأن ابن طولون لم يستول على سورية إلا سنة ٢٦٤ هـ .

(٦) المسمودي ٣٣٦/٧ - ٣٤٢ .

(٧) كذلك في البصرة نسب من سكن في حي بني حمان وإن لم يكن منهم ، إليهم ؛ انظر معجم البلدان ٣٣٠/٢ .

العلويين . ولقد كان من الشعر على عرق ؛ وكثيراً ما تخطر له خواطر جيدة ؛ وكان يبكي قتلى بيته في أبيات مؤثرة . حتى عده بعض الشيعة المتحمسين أشعر شعراء قرنه ؛ بيد أنه لم يتلق دراسة منتظمة في النحو ؛ وكان يستحي ، وهو كبير السن ، أن يسأل غيره ؛ ولهذا وجدت في شعره أخطاء شنيعة ، كما يقول في محيا جميل :

[في وجه ذاك أخاطيط مسوودة] وفي مضاحك هذا الدر منشور

فالوجه أن يكون : منشوراً^(١) . وله شعر آخر^(٢) ، ادعاء عبید الله بن عبد الله بن طاهر لنفسه ، يقول فيه :

* أرقّت وما ليل المضام بنائم * فيستعمل صيغة مفعول الرباعي ، المستعملة في اللغة الدارجة ، بدلا من مفعول الثلاثي : مَضَمٍ .

وكان حال اللغة الدارجة أسوأ من ذلك كثيراً . . وقد كان لابد أن ينحط مستواها إذ كان عوام الأتراك هم أصحاب الكلمة في القصر . فقد وصل الأمر أخيراً إلى أن صار الوزير نفسه يتكلم اللغة الدارجة : روى أن إسماعيل بن بلبل ، الذي ولي الوزارة في حكم المعتضد (من سنة ٢٦٥ - ٢٧٧هـ) قال في أحد المجالس : قد كان أنفي ، بضم الهمزة ، بدلا من : قد كان نفي وقد أضاف خصمه ابن ثوابه إلى كلامه : في الخراء ، بصوت غير مسموع ، كما لو كان قد قال : قد كان أنفي في الخُرء^(٣) ؛ وجلب على نفسه بذلك ازدياد كره الوزير إياه . واستعمال صيغة الرباعي بدلا من صيغة الثلاثي ظاهرة مألوفة في اللغة الدارجة ، بحيث لم يزل البصريون والكوفيون ، منذ عهد الأصمعي وقطرب ، يعالجون دائماً موضوع فعلت وأفعلت^(٤) .

(١) الموشح ص ٣٤٦ وهو يجوز أن يكون خبراً تملق به الجار والمجرور ، والدر مبتدأ . كما يجوز أن يكون (منشور) خبراً لمبتدأ محذوف ، والتقدير : « وهو منشور » .

(٢) الموشح ص ٣٥٦ .

(٣) إرشاد الأريب ٣٩/٢ .

(٤) انظر الفهرست في أخبار النحويين واللغويين وأسماء كتبه في الفنون الثلاثة من المقالة الثانية ، كما يعالج ابن قتيبة هذا الموضوع في أدب الكاتب ٣٩٨ - ٤٠٠ (وانظر الاقتضاب ١٩٣ - ١٩٥ وشرح الجواليقي (٢٨١ - ٢٨٣) ، وكذلك عاجله ثعلب في كتاب الفصيح ٥ - ٧ . (١٠ - العربية)

وبطبيعة الحال كانت هنا أيضاً فروق عظيمة، في طريقة التعبير اللغوي من ناحية الصحة اللغوية، ترجع إلى التربية، والنسب، والمركز الاجتماعي. فرجال، كالطاهريين، كانوا لا يزالون يقيمون وزناً للغة الفصيحة. وقد كان جدهم طاهر بن الحسين (١٥٩ - ٢٠٧ هـ) خراسانياً، ولغته الأصلية الفارسية؛ ويروى أن آخر ما قاله هو: دَرْمَرَج نيز مَرْدِي فَايَدُ^(١) (حتى في الموت يجب أن يكون الإنسان رجلاً). وروى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، الذي عُمر طويلاً (١٥٠ - ٢٣٥ هـ)، على لسان إسحاق بن إبراهيم المصعبي، من رهن طاهر المذكور، أنه قال بالفارسية في قصيدة له من أخريات قصائده: * يامَرْدَمِي نَخَرُ^(٢) * (يارجل اشرب خمرًا). وإلى جانب هذا تمكن طاهر من العربية تمكناً تاماً باللسان والقلم. وقد اشتهرت بصورة خاصة رسائله التي يهني فيها المأمون عند دخوله إلى بغداد^(٣)، وكتاب مطول له حافل بالنصائح الغالية لابنه عبد الله عندما نصب هذا في عام ٢٠٦ والياً على ديار بكر^(٤). ويروى أنه استاء أشد الاستياء عندما خاطبه أحد الكتاب بعبارة سقيمة ملحونة^(٥). والآن، بعد جيلين من ذلك العهد، كان حفيده محمد ابن عبد الله (٢٠٩ - ٢٥٣ هـ) يحتسب في عداد أعلم الرجال وأوسعهم ثقافة في الدولة. ولما دعاه المتوكل إليه سنة ٢٣٧ هـ من خراسان إلى العراق، ولاه ولاية مضاعفة، إذ جعله والياً على الشرطة ببغداد، وقيماً على الجزية والخراج، ولما كان نزيهاً في علاقاته، واثقاً من نفسه، لبقاً في مواقفه، وإلى ذلك مسامراً حلو الحديث، فسرعان ما انتهت إليه الكلمة في بلاط الخلافة. ولقد كان يقيم وزناً للغة المتخيرة؛ وآخذ مرة حاجبه محمد بن أبي عون مزامحاً له، على كثرة استعماله لفظ: قد، في البيتين التاليين اللذين بعث بهما إليه مع أزهار من بستانه وريحان:

(١) تاريخ الطبري ١٠٦٣/٣.

(٢) الأغاني ٨٥/٥.

(٣) الفهرست ص ١٧٠.

(٤) ذكره الطبري ١٠٤٦/٣ - ١٠٦٢؛ وكتاب بغداد لابن أبي طاهر ص ٣٦؛ والكامل لابن الأثير ٢٥٨/٦.

(٥) إرشاد الأريب ٢٤/١.

قد بعثنا بطيِّب الرياح خير ما قد جئني من البستان
قد تخيَّرته لخير أمير زانه الله بالتقى والبيسان

[حيث وقع على ظهر رقعة:

عون ياعون قد ضللت عن القصص مدوعميت عن دقيق المعاني
حشو بيتيك « قد وقد » فإلى كم ؟ قدك الله بالحسام اليماني ^(١)

ومع هذا فقد كان محمد بن عبد الله نفسه غير ثابت القدم في قواعد النحو ، مثلاً في قواعد أسماء العدد ، فهو لم يكن يكتب : ألف درهم واحدة ، فحسب ، بل كان يغير الصيغة على هذا الوجه أيضاً كلما وقعت عينه على التعبير الصحيح : ألف درهم واحد ، في كتاب ، بل كان كتابه إذا أنكروا ذلك عليه يغلط عليهم ويهابونه فلا يبتدئونه فيه بشيء ، ولم يستطع إلا ثعلب (٢٠٠ ٢٩١ هـ) أن يرشده في إحدى المناسبات إلى الصواب ، حينما علم بذلك ؛ فقد أخبره الأمير يوماً أن الفراء ألف كتابه : البهي ، لعبد الله أبيه ، بأمر من طاهر جده ، فذكره ثعلب بكتاب : المذكر والمؤنث ، الذي ألفه الفراء أيضاً لآل طاهر ؛ ولما سأله محمد - دون شعور - عن موضوع هذا الكتاب تعلم ، بهذه المناسبة ، من ثعلب ، أنه ينبغي أن يقال : ألف درهم واحد ^(٢) . وأسوأ من هذا أن أخاه سليمان بن عبد الله - صاحب الشرطة ببغداد ٢٥٥ - ٢٦٥ هـ - صاغ مثني لاسم العدد : عشرون ، في شعر له :

* وقد مضت لي عشرونان ثنتان ^(٣) *

كما أن آخر الناهيين من الطاهريين ، وهو الرفيع الثقافة : عبيد الله بن عبد الله (٢٣٣ - ٣٠٠ هـ) - كان نابه الذكر في تلحين الأغاني بوجه

(١) الموشح ص ٣٤٩ فابمدها .

(٢) إرشاد الأريب ١٣٧/٢ .

(٣) الموشح ص ٣٥٧ . وذكر الرقم : اثنين أو اثنتين بعد المثني ليس أمراً نادراً في العربية ؛ ففي القرآن الكريم : « زوجين اثنين » (سورة ١٣/٣) « الهين اثنتين » (سورة ٥١/١٦) وانظر أمثلة أخرى في كتاب Wright II236 وهنا ألجأ الشاعر إلى التكرار وزن الشعر وقافيته (شبيثالر) .

خاص^(١) - جلب لنفسه المؤاخذة على شتى أنواع التساهل في أشعاره ، مثل استعمال : رَضِيَ ، بالإشباع بدلا من فتح الياء^(٢) .

هذا ، فالتربية النحوية ، والإلمام الراسخ باللغة الفصحى ، لم يكونا بعد إذ ذاك ؛ حتى في الأوساط الراقية للمجتمع الإسلامي ، أمراً مفهوماً بالبداهة فقد صار الكلام على طريقة البدو ، أى بالمحافظة على جميع ظواهر الإعراب - الأمر الذى كان يعد في القرن الثانى منتهى التقريظ لتعبير أحد البلغاء - يعتد نسجاً على الطراز القديم الذى لا يساير روح العصر . ولما زار الخليفة المعتضد مدينة البصرة سنة ٢٨٣ هـ . مع وزيره القاسم بن عبد الله ، استقبله أعيان المدينة وجمع غفير من الشعب على القوارب والسفن . وقد تقدم إذ ذاك أبو خليفة الجمحى الطاعن في السن (حوالى ٢٠٥ - ٣٠٥ هـ) ابن أخى العلامة لغوى : ابن سلام الجمحى ، وتلميذه ، فألقى شكاته بحضرة الخليفة من البلاء الشديد الذى قاسته المدينة من ثورة الزنج ، فى لغة من ذلك الطراز القديم البالى - إذ اعتاد الإعراب منذ صباه ، حتى صار فطرة ثانية له - بحيث دهش جميع الحاضرين^(٣) . كما أثبت أبو خليفة أيضاً أنه لغوى متزمت ، باعتراضه على استعمال الكلمة الفارسية : هَمٌ ، بمعنى أيضاً^(٤) .

ومع هذا ، فليس أوضح دلالة على تلك الهوة السحيقة ، التى قامت فى حياة اللغة على مر القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، بين العربية القديمة الفصحى ، والعربية المولدة الآخذة فى الانتشار ، من أن النحويين أنفسهم فى ختام القرن المذكور ، لم يكونوا يستعملون اللغة الفصحى فى مسامراتهم ومحاوراتهم .

فها هو ذا ثعلب (حوالى ٢٠٠ - ٢٩١ هـ) لم يجر فى محاضراته على قواعد الإعراب ، إذ كان يدخل المجلس ، فيقوم له تلاميذه ، فيقول لهم : أقعدوا ، بفتح الهمزة^(٥) ، كما فى اللهجة الدارجة إذ ذاك ؛ بيد أن العالم المحدث الكبير :

(١) الأغاني ٤٤/٨ - ٥٥ .

(٢) الموشح ص ٣٥٧ .

(٣) المسعودى (١٣٤٦ هـ) ٤٦٦/٢ .

(٤) تاريخ بغداد ١٩٤/٤ .

(٥) إرشاد الأريب ١٣٩/٢ .

إبراهيم الحربى (المتوفى ٢٨٥ هـ) لم يجد فى ذلك شيئاً معيباً^(١) . ولم يراع ثعلب النحوى حتى فى رسائله ؛ فقد كان إذا كتب كتاباً إلى بعض إخوانه من أصحاب السلطان لا يخرج عن طبع العامة^(٢) . وعلى الرغم من ذلك ، كان ثعلب أبرز ممثلى مدرسة الكوفة فى عصره . وكتابه : الفصيح^(٣) ، الذى يحتوى فى ترتيب واضح ، وأسلوب مختصر ، على طائفة كبيرة من قوالب اللغة الفصحى التى كانت تهددها إذا ذاك قوالب أقل منها فصاحة ، أو قوالب أخرى من لغة العامة ، هو من أكثر الكتب الأساسية فى مبدأ « تنقية اللغة العربية » تداولها بين القراء . وكان له تأثير باقى الأثر بعيد الخطر ، بعد قرون طويلة ؛ على الرغم من سوء حكم ابن الأثير عليه^(٤) . وروى عن نحوى آخر فى هذا العصر ، هو الكوفى محمد بن الحسن الأحوال أنه كان لحائناً يستعمل صيغاً من لغة العامة ؛ وقد سمعه نفظويه (٢٤٠ - ٣٢٣ هـ) يقول مثلاً : لم يزلوا بدلاً من : لم يزلوا^(٥) .

وهذا هو الأخفش الأصغر (حوالى ٢٣٥ - ٣١٥ هـ) الذى اشتهر قبل كل شئ بإخراج كتاب السكامل لأستاذه المبرد ، وكتاب النوادر لأبى زيد ، يستعمل الاسم المنسوب ، فى شعر نظمه ارتجالاً ، كما لو كان خالياً من الإعراب^(٦) ! وقد فعل مثلاً ذلك أيضاً - على غير أهبة واستعداد - معاصره المفجّع ، (المتوفى ٣٢٧ هـ) ؛ على حين أنه راعى التنوين فى إحدى قصائده الفاخرة مراعاة دقيقة^(٧) .

وبهذا توطد تماماً الحد الفاصل ، بين العربية الفصحى التى صارت منذ ذلك العهد لغة العلم والأدب ، والعربية المولدة الدارجة ، حوالى نهاية القرن الثالث ، حتى فى الأوساط المثقفة كذلك .

(١) تاريخ بغداد ٢٠٦/٥ .

(٢) إرشاد الأريب ١٤٢/٢ .

(٣) نشره : J. Barth ، فى ليزج سنة ١٨٧٦ م ، ثم نشره محمد أمين الخانجى بالقاهرة سنة ١٣٢٥ هـ ، مع شرحه لأبى سهل الهروى فى مجموعة « الطرف البهية لطلاب العلوم العربية » . وقد أعاد نشره محمد عبد المنعم خفاجى بالقاهرة سنة ١٩٤٩ (المترجم) .

(٤) المثل السائر ص ١٧٥ .

(٥) إرشاد الأريب ٤٨٣/٦ .

(٦) إرشاد الأريب ٣٢١/٥ .

(٧) إرشاد الأريب ٣١٩/٦ .

عربية الأدب في القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى)

أخذ النمو والانتشار اللغوى ، فى خلال القرن الثالث الهجرى / التاسع الميلادى ، يطارد العربية الفصحى التى نظم النحاة قواعدها ، التى قامت على أساس لغة البدو ، ويمعن فى عزلها باطراد من جميع مناطق اللغة الدارجة . بيد أنها ظلت فى الأدب الملكة المتوجة التى أقسم لها يمين الطاعة كل من انتمى إلى الثقافة بسبب أو نسب . لقد منحت كل أثر أدبى ثوبه اللائق به ، وإن كانت فروق الأسلوب بين الشعر الرفيع ، وأبيات الفرص والمناسبات ؛ وبين النثر الفنى المنمق ، وأدب المسامرة والمحاورة ؛ وبين كتابة العلماء ، وكتب الأدب المتخصص ؛ قد صبغت التعبير اللغوى بشتى الأصباغ والألوان . بيد أنها مع ذلك كله لم يعد يسمع رنينها فى الخطاب الحى . وإن لهجات البدو أنفسهم لتعد مع نقائهم الأثرى القديم ، خشنة غير مهذبة . وعلى الرغم من ذلك فقد تركزت — لأنها وحدها كانت ذات قواعد ثابتة ، ومعايير مقدره — أثراً خفياً فى اللفظ المنطوق ، وإن كان مختلف الصور بحسب درجة المتكلم من الثقافة ، وباختلاف الوسط الذى يتردد فيه اللفظ .

والنتائج ، التى ترتبت على النمو اللغوى المذكور بالنسبة للأسلوب ، أبرزها قدامة بن جعفر ، فى الحد الزمنى الفاصل بين القرنين الثالث والرابع ، فى كتابه : نقد النثر^(١) . إنه يتحدث ، لا عن رأى نظرى فحسب ، بل لقد استفاد من التجارب العملية لكاتب لم يزل يتردد فى أوساط الخدم الديوانية بدار السلام ، ويترقى إلى أن صار كاتب الدولة فى إحدى وزارات بغداد^(٢) ،

(١) لقد ثبت علمياً زيف عنوان هذا الكتاب ، ونسبته إلى قدامة بن جعفر ، فاسمه فى الحقيقة هو : « البرهان فى وجوه البيان » ومؤلفه هو : أبو الحسين بن وهب الكاتب . وقد نشره الدكتور أحمد مطلوب فى بغداد سنة ١٩٦٧ ، ثم نشره الدكتور حفى شرف بالقاهرة سنة ١٩٦٩ م (المترجم) .

(٢) إرشاد الأريب ٢٠٥/٦ .

وعرف ما ينتظر من كاتب جيد الأسلوب ، وهو يفرق في الأسلوب بين السخيف المملحون ، والجزل الفصيح (ص ١٢٠) ؛ فهذا من سمات الطبقات الحصيفة المثقفة من العلماء والحكماء ، وذلك من كلام الرعاع والعوام ، إلا أن الحكماء ربما استعملته في خطاب من لا يعرف غيره طلباً لإفهامه ؛ ولللفظ السخيف موضع آخر لا يجوز أن يستعمل فيه غيره ، وهو حكاية النواذر والمضاحك وألفاظ السخفاء والسفهاء ؛ فإنه متى حكاها الإنسان على غير ما قالوه خرجت عن معنى ما أريد بها ، وبردت عند مستعملها ، وإذا حكاها كما سمعها وعلى لفظ قائلها ، وقعت موقعها وبلغت غاية ما أريد بها (ص ١٢٠ س ٤ - ٨) . أما في الصلات بين الخاصة والعلماء ، والعرب الفصحاء ، والكتاب الأدباء ، فالمقام للأسلوب الجزل ، وهو يتعلم بمجالسة الأدباء ، ومعاشرة الخطباء ، وحفظ أشعار العرب ومناقلاتهم ، والمختار من رسائل المولدين الأدباء ومكاتباتهم . وللمران على ذلك ينبغي التبكير بتعليم الأولاد كتابة الرسائل ، ورواية أشعار القدماء ، وحفظ القرآن (ص ١٢٠ أسفل الصفحة) .

كذلك يتخذ قدامة موقفاً خاصاً تجاه نقاء اللغة ، واللحن فيها : فهو يرى أن الفصاحة الكاملة ، وصحة الإعراب ، لا تتم إلا لأعرابي بدوى نشأ حيث لا يسمع غير الفصاحة والإصابة ، فيتكلم حسب عادته وسجيته . نعم قد فقد بعض هؤلاء قوة السيطرة على لغتهم ، فوقعوا في اللحن لقربهم من الحاضرة ، ونزولهم على طريق السابلية ، فسقطت عند أهل اللغة منزلتهم ، ودُفعت ورُفضت لغتهم . أما الأعراب الخالص فإنهم متى خوطبوا باللحن لم يفهموا . وفيما عدا هؤلاء لا توجد اللغة الفصيحة إلا عند المولدين الذين تأدبوا ونظروا في النحو واللغة ، وأخذوا بهما أنفسهم ، ومرروا عليهما لسانهم حتى صار ذلك عادة لهم . أما لغير هذين النوعين فليس يصح إعراب ، ولهذا كثُر الخطأ في النحو ، وانتشر اللحن والفساد ، بحيث أصبح مغتفراً بوجه عام .

نعم يرى قدامة من الطبيعي أن يستعمل اللحن ويُتعمد له عند الرؤساء والملوك الذين يلحنون ولا يعربون ؛ فإن الرئيس والملك لا يحب أن يرى أحداً من أتباعه فوقه ؛ ومتى رأى أن أحداً منهم قد فضله في حال من الأحوال

نافسه وعاداه وأحب أن يضع منه ؛ كما صوب قدامة رأى رجل تكلم في مجلس بعض الخلفاء الذين كانوا يلحنون ، فلحن ، فعوتب على ذلك ، فقال : لو كان الإعراب فضلاً لكان أمير المؤمنين إليه أسبق (ص ١٢٤) ؛ كما يذكر أن اللحن قد يستملح من الجوارى والإماء ، وذوات الحداثة من النساء لأنه يجرى مجرى الغرارة منهن وقلة التجربة . وفيما عدا ذلك يطلب ، إذ كان من المترمّنين من رجال اللغة ، أن يتحرى الكاتب تجنب اللحن . على الأقل في اللفظ المكتوب ، الذى لا يغتفر فيه اللحن ؛ لأن الطرف يتكرر فيه ، والروية تجول في إصلاحه ؛ وليس كمثل الكلام المفوظ الذى يجرى أكثره على غير روية ولا فكرة (ص ١٢٤ س ٤) .

وقد أضاف قدامة إلى مطالبة النظرية في « نقد النثر » الإرشاد العملى إلى الأسلوب الجزل في كتابه « جواهر الألفاظ ^(١) » . ففي المقدمة (ص ٢-٨) يبين في لفظ قليل دال ، المطالب التى ينبغى أن تتحقق في الأسلوب الجزل ، ويوضح أقواله بأمثلة أحسن اختيارها .

ولما كان يعيش في عصر شهد النثر المسجوع فيه باكورة ازدهاره ببغداد ^(٢) فقد رأى من الطبيعى أن يستخدم الكاتب الناثر السجع من حيث هو أداة من أدوات الأسلوب ، وألقى وزناً راجحاً لكمال الأسلوب من حيث الشكل والقالب : ففي الترصيع ينبغى أن تكون الألفاظ متساوية البناء . متفقة الانتهاء ، سليمة من عيب الاشتباه ، وشين التعسف والاستكراه ، يُتَوَخَّى في كل جزأين منها متواليين أن يكون لهما جزءان متقابلان : يوافقانها في الوزن ، ويتفقان في مقاطع السجع ، من غير استكراه ولا تعسف ، كقول بعضهم : « حتى عاد تعريضك تصريحاً ، وصار تمريضك تصحيحاً » .

وينبغى أن يتسق البناء والسجع ، اتساقاً فنياً دقيقاً ، كما في الحديث المنسوب إلى النبي [صلى الله عليه وسلم] أنه قاله لجرير بن عبد الله البجلي ^(٣) :

(١) طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢ م .

(٢) انظر : Mez, Die Renaissance des Islams 231

(٣) كثر المال ٤٤/٨ ؛ الجامع الصغير للسيوطي ، وهو ينقله عن : غريب الحديث

لابن قتيبة .

« خير الماء الشَّيْب ، وخير المال الغَنَم ، وخير المزعى الأَرَاكُ والسَّلَم ،
إذا سقط كان لَجِيناً ، وإذا يبس كان دَرِيناً ، وإذا أكل كان لَبِيناً » .

كما ينبغي اعتدال الوزن ، كما في قولك : « اصبر على حَسْر اللقاء ،
ومَضَضُ الزال ، وشدة المِصْصاع ، ودوام المِراس » . على حين أنه لو قال :
على حر الحرب ، ومضض المنازلة ، وشدة الطعن ، ومداومة المراس ،
يفقد ذلك التوازن .

ولكن قدامة لا يكتفى قط بهذه المطالب المتعلقة بالأسلوب الشكلي ، بل
يعنى أيضاً عناية فائقة بالموضوع . فثله الأعلى هو الانسجام بين القلب والمادة ،
وهذا الانسجام يظهر أولاً في صحة التفسير بحيث يتعاقب التعبير اللغوي تماماً مع
مجرى التفكير دون نقص ولا زيادة .

وفوق هذا يفترض هذا الانسجام أن يكون كل مقطع جزءاً من المعنى ،
ويستقل في ذاته (توفير تمام الأقسام) ، كما أن الجمل المترادفة تتقابل أيضاً
في التفكير (تصحيح المقابلة) ؛ كما في المثال : « أهل الرأي والنصح ؛
لا يساويهم ذُوو الآفَن والغش ؛ وليس من جمع إلى الكفاية الأمانة ، كمن
جمع إلى العجز الخيانة » .

وكذلك في وسائل التعبير ينصح قدامة ، إلى جانب ما يتصل بالقوال ،
كمراعاة الاشتقاق في الجناس مثلاً ، استخدام ما يتعلق بالمعنى أيضاً ؛ فيبرز
الفكرة إبرازاً جميلاً كالاستعارة ، والمبالغة ، والتمثيل ، وما سماه : إرداف
اللواحق ، وهو نوع من الكناية فسرّه بأن تراد من اللفظ دلالة على معنى ،
فلا يؤتى باللفظ الخاص بالدلالة على ذلك المعنى بنفسه ، بل بلفظ هو ردفه
وتابع له ضرورة ، ليكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع .

حقاً يحمل النثر الفني في طياته دائماً مظنة تغلُّب الأسلوب على الفكرة
وقدامة نفسه لم يحتط لذلك ، بل ساعد عليه — من حيث لا يشعر — على الرغم
من شدة حرصه على الانسجام الحقيقي بين الشكل والموضوع ؛ إذ جعل مكاناً
في وسائل الأسلوب لكل من : « العكس » في نظم البناء ، أى صوغ الألفاظ ،

و « تكافؤ » المعاني في المقابلة والتوازي من جهة اللفظ أيضاً ؛ ففي كلتا الحالتين ينخضع المعنى للفظ ، ويكون موقوفاً عليه ، صادراً عنه ؛ فمثل : اشكر من أنعم عليك ، يقتضى في العكس : وأنعم على من شكرك ؛ ويبقى بعد هذا النظر فيما إذا كان ذلك التعبير ذا معنى مقبول . وقد تتولد أفكار عميقة على هذا النحو ، كما تدل عليه الجملة التي ذكرها قدامة عن عمرو بن عبيد : اللهم أغنى بالفقر إليك ، ولا تفقرني بالاستغناء عنك .

والأمر كذلك في حالة « التكافؤ » ، إذ يعين عنصر المقابلة في الألفاظ مادة التفكير ، كما في قوله : كدر الجماعة ، خير من صفو الفرقة ؛ فإن التركيب الأول بكلا شقيه ؛ يتطلب التركيب الثاني بكلا شقيه أيضاً . وهذه الجملة تفيد معنى مقبولا ، ولكن الأمثلة الأخرى التي ساقها قدامة تدل على مبلغ المسخ غير الطبيعي للأفكار ، الذي تؤدي إليه هذه الوسائل اللفظية ، إذا رفعت إلى مرتبة المبدأ والمذهب في الأساليب .

فمثلا تستدعى صورة الممدوح الذي يحصد بسيفه من يكفر نعمه ، عكس هذه الصورة ، أى أن يزرع بنعمه من يشكره : إنما هو مَالُكَ وسيفك ، فازرع بهذا من شكرك ، واحصد بهذا من كفرك .

وهنا تظهر الخطوات الأولى لذلك التطور الذي جعل النثر العربي المسجوع يتحول سريعاً إلى تلاعب لا طائل تحته بالألفاظ الجوفاء ، ينمى تورمه وانتفاخه كل فكرة طبيعية نمواً غير طبيعي ، ويهوى بها أخيراً إلى الفناء .

وعلى أثر هذه المقدمة يسوق قدامة فنوناً وألواناً من المترادفات العربية ، على أنها مادة الكتاب الأساسية ، تجمع في ترتيب موضوعي تلك الألفاظ والتعبيرات التي يجوز لصاحب الأسلوب الجيد أن يستخدمها .

على أن وضع الثروة اللفظية في ترتيب موضوعي لم يكن فكرة مبتكرة ، ولا سنة جديدة ؛ فنذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، وضع كثير من اللغويين شتى الموضوعات لعلم المفردات ، وجمعوا الثروة اللفظية المطلوبة في مجموعات متفرقة . ولكن موازنة بين كتاب قدامة ، وبين المترادفات

الناضجة تمام النضج إبان القرن الثالث ، في « كتاب الألفاظ ^(١) » لابن السكيت الكوفي (المتوفى سنة ٢٤٤ هـ) ، تدل ، مع التوافق التام المتجلى في تشابه المادة وتوافق الغرض ، على فروق عميقة الصدى على الرغم من ذلك .

فإن السكيت يجمع في طائفة من الموضوعات — يبدو أنه لم يمل عليه اختيارها نظره إلى الحاجة العملية لاستعمالها — تلك الثروة اللغوية الخاصة من لغة الأعراب البدو ، ويذكر في ذلك كثيراً من العبارات الغريبة ، النادرة ، الخارجة عن دائرة الاستعمال ، مع كثرة استشاده على ذلك ، إلى جانب الشعر القديم ، بأدب الأراجيز . على حين أن قدامة الذي يعرف الضرورات العملية حق معرفتها ، يقتصر على الثروة اللغوية العامة ، بالمستوى الذى يحتاج إليه الكتاب الإدارى في معظم رسائله الرسمية ، ويختار الموضوعات التى تتفق عناوينها المختلفة مع ذلك الغرض طبقاً لذلك . يضاف إلى هذا انتقاؤه في كل موضوع ألفاظاً وعبارات مطابقة للمقاييس الشديدة المتزمتة ، في مذهبه اللغوى المتطرف .

وبينما يعرض ابن السكيت مجموعة زاخرة بماء الحياة ، ومادة دسمة قوية من لهجات الأعراب الحية ، حتى في باب الفحش والسباب ، ويستمد من نبع لغوى معين ، أجرت سلساله فرص الخواطر وانفعال مختلف المؤثرات ، إذا بنا لا نجد عند قدامة لفظاً بعيداً ، ولا استعمالاً غريباً ؛ بل كلمة نابية غير شريفة ، أو عبارة مستهجنة غير متخيرة ، ولا متنخلة . بل عملياً واقعياً ينظم قدامة في سلك كل عنوان عن وعى ، ما يصح ويحسن في نظره من الألفاظ والعبارات ، واضحة مستنيرة بعضها إلى جانب بعض ، مع الاختصار في سياق الشواهد والمصادر وكثيراً ما يعرض في ذلك أجمعاً مزدوجة لكيلا يقتصر المراجع على استخدام اللفظ الذى يحتاج إليه ، بل ليجد كذلك لفظاً آخر ينتظم معه في قرَن .

ولم يكن قدامة كذلك ، أول من كتب مترادفات عربية لسد حاجات الكتاب العملية ؛ فهو ينقد في عبارة مختصرة من المقدمة ، كتاباً على هذا

(١) أخرجه لويس شيخو في صورة كتاب : « تهذيب الألفاظ » للتبريزى ، بيروت ١٨٩٦-١٨٩٨ .

الطراز يبدو أنه ظهر قبل ذلك بقليل . ويستطيع القارئ بسهولة - وإن لم يصرح بما يعنى - أن يعرف في ذلك « كتاب الألفاظ الكتابية »^(١) لعبد الرحمن ابن عيسى الهمداني . ففي الباب الأول من ذلك الكتاب توجد جميع الألفاظ التي نقدها مقدمة في مقدمة كتابه . وفوق هذا يظهر في كلا الكتابين ، وفي الترتيب الاختياري الذي سلكاه ، توافق بعيد المدى ، بحيث إنه لا بد أن يكون أحدهما ناقلاً عن الآخر ، إذا لم تركز إلى افتراض أنهما جميعاً يتبعان نظاماً واحداً لكتاب مشترك بينهما ، على الرغم من أنهما لا يتساويان في الحجم ، وأنهما أيضاً في الموضوعات المتشابهة التي يعرضان لها^(٢) قد اختارا عناوين تختلف تماماً في مدلول ألفاظها .

ويظهر أن الهمداني كان معاصراً لتقديمه أكبر سنّاً منه ؛ إذ كان كاتباً^(٣) لبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف^(٤) الذي مات في طبرستان ٢٨٥ هـ . وكانت وفاته في سنة ٣٢٠ هـ^(٥) . وكتابه « الألفاظ الكتابية » لم يصل إلينا في صورته الأصلية ، بل تبدو فيه زيادات ترجع إلى النحوي ابن خالويه^(٦) (المتوفى ٣٧٠ هـ) ، ولكن لا على أنها تنقيح كامل للكتاب ، بل مجرد تعقيبات^(٧) وتصحيحات^(٨) .

ويؤخذ من المقدمة أن الباعث للمؤلف إلى تأليف كتابه هو أنه وجد من المتأخرين في الكتابة قوماً أخطأهم الاتساع في الكلام ، فهم متعلقون في مخاطبتهم وكتبهم باللفظة الغريبة ، والحرف الشاذ ، ليطمئذوا بذلك من العامة ، ويرتفعوا عند الأغبياء عن طبقة الخشوع ؛ ووجد آخرين قد توجهوا بعض

(١) نشر في بيروت ١٨٨٥ .

(٢) عارض : جواهر الألفاظ لتقديمه ص ٢٧ - ٤٥ بالألفاظ الهمداني ص ٥ - ٢٢ ؛
وقدامة ص ٥٢ - ٨٣ بالهمداني ص ٢٨ - ٤٦ وقدامة ٤٦٢ - ٣٦٨ بالهمداني ٢٤٥ - ٢٥٦ .

(٣) تاريخ الطبري ٢/٣١٨٥ .

(٤) الفهرست ص ١٩٧ .

(٥) هكذا في ترجمته التي كتبت في نسخة بيروت مع ملاحظة أنه قيل أيضاً غير ذلك .

(٦) مثل ص ٤٠ ، ٤٤ ، ٤٥ من الألفاظ الكتابية .

(٧) انظر الألفاظ ص ٢٠٣ س ١ - ٤ ؛ ص ٢٠٦ س ٦ - ١٤ ؛ ٢٦٧ س ٨ - ١٤ .

(٨) انظر الألفاظ ص ١٠٢ ، ١٠٤ ، ٢٧٥ .

التوجه ، وعلوا عن هذه الطبقة ، غير أنهم يمزجون ألفاظاً يسيرة قد حفظوها من ألفاظ كتاب الرسائل ، بألفاظ كثيرة سقيمة من ألفاظ العامة ، استعانة بها ، وضرورة إليها ، لحفة بضاعتهم . ولمساعدة كلتا الطائفتين جمع طائفة من ألفاظ كتاب الرسائل والدواوين البعيدة من الاشتباه والالتباس ، السليمة من التعمير ، المحمولة على الاستعارة والتلويح ، الجارية على مذاهب الكتاب وأهل الخطابة . دون مذاهب المتشدين والمتفاسحين ، من المتأدبين والمؤدبين المتكلفين .

وهو يريد بهذا أن يرسل نماذج من كتب الرسائل وأفواه الرجال ، وعرصات الدواوين ، ومحافل الرؤساء ؛ أى صوراً تختذى لا فى كتابة الرسائل الخاصة فحسب ، كالتهاى والتعازى والبشارة ، والوعد والوعيد ، والاحتجاج والاختصار ، والتذكرة ، والإنذار ، والاعتذار ؛ بل كذلك فى كتابة الرسائل الرسمية والوثائق ؛ ما لم يكن موضوعها ذا طابع فى خاص .

وككتاب « قدامة » يحتوى أيضاً كتاب الهمداني ، فى أبوابه الستة والستين والثلاثمائة ، على عبارات الأدب الجزل بصورة تجمع فى كل باب ما يتصل بناحية معنوية معينة من المترادفات ، وصيغ الاستعارة ، والأمثال . ونشرت الشواهد فى الكتاب باقتصاد . وأحياناً تساق حكمة مثالية لعظيم ، أو آية من القرآن ، أو حديث للرسول [صلى الله عليه وسلم] . والنصوص النحوية جدد نادرة . وقد يحذر من عبارة مستكرهة بقوله : لا يقال ^(١) ؛ أو قوله مثلاً ^(٢) : كاد يفعل ذلك ، وكاد أن يفعل لغة ضعيفة ؛ أو قوله مثلاً ^(٣) : « أغلفَ السيف » غير مستعمل ؛ وينبغى أن يميز المرء بين الإفراط والتفريط ^(٤)

أما أن كتاب « الألفاظ الكتابية » للهمداني قد جمع أصنى لآلىء الإنشاء العربى فى صفحات قليلة ، فقد صرح بذلك الصاحب بن عباد ، الذى كان

(١) مثل ص : ٢١ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ١٠٣ ، ١١٤ ، ١٦٤ .

(٢) ص ٢٣٣ .

(٣) ص ١٢١ .

(٤) ص ١٤٠ وانظر : دوزى فى المادة ؛ وخزانة الأدب ١/٢٨١ .

هو نفسه أحد كبار الكتاب في القرن الرابع ؛ ولكن أدعى إلى الدهشة ذلك اللوم الذي عقب به على ذلك المدح : لقد جمع شذور العربية الجزلة في أوراق يسيرة ، فأضاعها في أفواه صبيان المكاتب ، ورفع عن المتأدبين تعب الدروس ، والحفظ الكثير ، والمطالعة الكثيرة الدائمة (١) .

وهذا الحكم ، على لسان خبير ، يبين كيف أنه سرعان ما تحول النثر الفني إلى بريق لفظي أجوف في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي . فليكن كتاب الهمداني قد قدم للكتاب ، السطحين الساذجين التفكير ، المادة اللازمة لتعبيرهم ؛ فإن سبب الانحطاط لم يكن راجعاً إليه ، بل إلى اتجاه الذوق الأدبي في ذلك العصر ، ذلك الاتجاه الذي أعلى مرتبة القالب على المعنى ، لمجرد الإعجاب برونق اللفظ ولمعانه .

على أن هذا التلذذ الجمالي باللغة ، من حيث جرس الألفاظ ورنينها ، ووزن لحنها الموسيقي ، كان دأباً وديناً للعرب منذ عهد سحيق . ففيما قبل الإسلام كان للخطيب إلى جانب الشاعر مقام عظيم ، إذا كان صاحب الكلمة العليا في القبيلة ، ولم يكن من النادر أن يستخدم النثر المسجوع (٢) . . وقد كان السجع يرفع الفسورات الانفعالية لدى الكهان القدماء فوق مستوى اللغة العادية ؛ كما كان أداة الأسلوب التي ميزت القرآن من ناحية الصورة ، من حيث هو كلام الله ، عن كلام الناس .

وكانت نتيجة كلتا الحالتين أن منع الأتقياء من استعماله حلية في كلام الناس . ولكن ، كما يحوط النغمة الرئيسة السائدة في الموسيقى لإيقاع دائم متنقل ، بين أنصاف النغمات وأرباعها ، مع ما في ذلك من تعاقب مختلف الأوزان والألحان ، وتنوع نغمات الختام ، إلى غير ذلك من الترديدات والتعقيدات ؛ وكما يملأ الوشي والحلى من النقش الزخرفي ، الصادر عن حرية الرسام وذوقه المقتن ، لوحات الرسم في العمارة الهندسية الخاضعة لقوانين دقيقة الخطوط ؛ كذلك وجد مثل الجمال الأعلى في الكلام المنثور أعلى درجات

(١) انظر ترجمة الهمداني في مطلع كتاب الألفاظ الكتابية ؛ بيروت ١٨٨٥ .

(٢) انظر : دائرة المعارف الإسلامية 2, 995 EI, مقالة : Pedersen

كماله في النثر الفني ، الذي يصور السجع فيه النقاط الثابتة الهادئة مخفوفة بالترصيعات وتساقق الألحان ، واللعب بالألفاظ ، وفواصل الكلام وأجزائه المختلفة .

ولهذا علت كلمة النثر المسجوع تدريجاً على الرغم من كل الشبهة والمعارضات الدينية ، وانعقد له إكليل النصر في كافة العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي . ومنذ ذلك العهد لم يتنازل عن السجع كتاب نثرى يريد أن يدعى بحق من الأسلوب الفني .

وبهذا صار التعبير اللاشعوري الذي كان يوحى به التأثير النفسى العميق ، تعبيراً إرادياً محضاً ، تصوغه الصنعة والفن الرفيق . وهنا كان الأدباء الخصبون الذهن ، الذين ملكوا زمام فنهم ، وحذقوا صنعتهم ، يصبقلون ويقومون ثقاف السجع لنثرهم عن عمد وقصد .

وهذه الكتب المختصرة ، مثل كتاب الهمداني ، كانت تقدم لهم في ذلك أجل الخدمات .

العربية ولهجات البدو

في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

أعلن مبدأ « تنقية اللغة العربية » ، منذ أول ظهوره في مختتم القرن الأول الهجري / السابع الميلادي ، لغة البدو مثلاً أعلى ، يجدر بالمسلم المثقف أن يتخذه قدوة وإماماً . وكانت لهجات البدو ، حتى أواسط القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، هي النبع القراح الخالد ، الذي يستقي منه النحاة وعلماء اللغة معارفهم عن العربية الفصحى .

وبنفس المستوى الذي نضحت به طرق التعبير في العربية المولدة بين الطبقات الوسطى والدنيا على لغة المجتمع الرفيع ، تغير نظر المثقفين إلى لهجات البدو من الأعراب . فالاحتذاء التام للغة البدو ، الذي كان حتى مختتم القرن الثاني ، أسمى مطامح الحضريين المثقفين ، صار على ممر القرن الثالث نوعاً من التعبير الذي يختلف باختلاف الأحوال ، بين أن يكون مطلوباً ، أو داعياً إلى السخرية ، أو غير لائق .

وهكذا صارت العربية الفصحى ، في أوائل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، لغة للكتابة قطعت جميع أشواط نموها وتكوينها ، ولم تعد قابلة لزيادة من النمو الحي . فقد غدت لغة قديمة نموذجية ، تغلب إشعاع الجمال الفني في قوالبها على الفاقة الخشنة ، والعراء المستكره ، في لهجات البدو المعاصرين .

حقاً لقد كانت لغة البدو إذ ذاك أيضاً في مستوى من الخلوص والنقاء لا تدانيه لغة الزراع والحضرين ، لا سيما إذا كانت ألسنتهم لا تزال محتفظة بمظاهر الإعراب والتصريف القديمة . بيد أنه في كل مكان كثر فيه اختلاط البدو بغيرهم من طبقات السكان ، وكذلك عند تحولهم بوجه خاص إلى الإقامة

والاستقرار ، وبهذا إلى الاتصال الذي لا غنى عنه بالسكان الزراع الذين كانوا يجدونهم أية سلكوا ؛ فقدت لغتهم من صفاتها وخلوصها قدرأ كبيراً .

وإلى أى حد كانت الأحوال متشابهة معقدة ؟ هذا ما يكشف عنه بيان الهمداني (المتوفى ٣٣٤ هـ) عن الصلات اللغوية في جنوبى الجزيرة العربية حوالى نهاية القرن الثالث^(١) . فهنا كانت اللغة الحميرية الأصلية لا تزال تمنع في الاختفاء أمام عربية الشمال . ويقول الهمداني^(٢) إن اللغة الحميرية القُحَّة المتعقدة كانت سائدة بعد في المنطقة الممتدة من حقل قُتَاب (عند يَريم الحالية) إلى ذَمَار . وقد كانت هذه هى المنطقة المحيطة بظفار عاصمة دولتهم القديمة . أما في العاصمة الجديدة للإقليم وهى : صنعاء . ففى أهلها بقايا من العربية المحضة ، ونبذ من كلام حمير (ص ١٣٥ س ٢٥) . ومدينة صنعاء مختلفة اللغات واللهجات ، لكل بقعة منها لغة ؛ لأنها كانت مدينة هامة إذ ذاك أيضاً . وعلى النقيض من ذلك يقع غربى صنعاء مركز ثان للغة الحميرية الخالصة (الحميرية المحضة ص ١٣٦ س ١) يمتدبين شِبَام أقيان عبر سلسلة جبال المصانع حتى جبل : تُخْلَى .

وكذلك كانت الحميرية كثيرة في منطقة : خَيْمَان ، الواقعة بعيداً نحو الشمال من صنعاء إلى ناحية صَعْدَة (ص ١٣٥ س ١٥) التى كانت تسود فيها عربية الشمال .

وفيما عدا هذا ، اختلطت الألسنة الأصلية بعربية الشمال شتى وجوه الاختلاط ، إذا لم يكن قد قضى عليها الداخولون من عرب الشمال تماماً .

وقد ضاعف من عناء الهمداني وتعبه في تصوير هذه الأختلاط من اللهجات ، أنه لم يكن يرى فقط أن لغة الكتابة هى القدوة والمثال ، بل كان يرى فوق ذلك أنها تصور اللغة الأصلية الخالصة البعيدة عن التغيير والتبديل ، والتي

(١) صفة جزيرة العرب ص ١٣٤ - ١٣٦ .

(٢) ص ١٣٥ س ٤ ، وفى كلمة : المتعقدة ، انظر الفهرس اللغوى الذى عمله :

دى غويه للكتاب .

تفرعت منها تدريجاً الألسنة واللهجات التي كانت سائدة في عصره بالفساد والتحريف .

وعلى هذا النحو وحده يتضح كيف استطاع أن يفترض (ص ١٣٥ س ٢٥) أن صنعاء كانت فيهم بقايا من العربية المحضة ، أو أن يلاحظ أن أهل عدن لغتهم مولدة رديئة (ص ١٣٤ س ٢٤) ، وأن في بعضهم ثوكاً وحقاً إلا من تأدب منهم .

ولا نستطيع أن نستنتج من مثل هذا الأسلوب في ملاحظة علاقات اللهجات بلغة الكتابة إلا أن الهمداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو ، ويحكم عليها من حيث الفصاحة والغنمة من وجهة نظر واحدة ، هي مطابقتها أو مخالفتها للقواعد . وهو ينظر بعد هذا ، هل هي معقدة صعبة الفهم على من خرج عن محيطها ؟

وهكذا نراه لا يفترض أن للهجتين : المهرية والشحرية ، أساساً من لغة أخرى ، تبعد عن عربية الشمال إلى حد يتعذر معه التفاهم ؛ بل يصور سكان الشحر والأسعاء على أنهم قوم لا ينطقون نطقاً فصيحاً ، والمهرين على أنهم مُعْتَمِ يَشَاكِلُون العجم (ص ١٣٤ س ١٧) .

ولا يذكر أكثر من ذلك عن لهجات حضرموت ، فهو يكتفى بأنهم ليسوا بفصحاء ، وربما كان فيهم الفصيح ، وأفصحهم كندة وحمدان وبعض الصدف (ص ١٣٤ س ١٨) .

وهو يعد من الفصيح كذلك تلك اللهجات التي يتكلم بها في سَرَو مذحج ، ومأرب وبيشان ، وحريب ؛ ففي هذه المناطق الواقعة على طريق العطور والتجارة ، التي كانت تمتد من مأرب عاصمة الدولة السبئية القديمة نحو الشمال الشرقي ، كانت اللغة الرديئة أمراً نادراً (ص ١٣٤ س ١٩) .

وكانت فصيحة أيضاً لهجة المنطقة بين مأرب وذِمَار ، التي يحددها الهمداني على الصورة التالية : جبل لإسبيل الواقع في الشمال الشرقي من ذمار ، وإقليم كُومَان المتناخم له من الشمال الشرقي أيضاً ، وإقليم الحَدَا المجاور له ، وجبل

دِقَرار الواقع فى منطقة مأرب ، وأخيراً منطقة « قائفة » التى تعد من منطقة « مراد » (١٣٥ س ٥) . وسكان كومان حميريون فى الأصل ، ولكنهم صاروا على عهد الهمدانى من قبيلة مذحج^(١) ؛ مما يدل على أن خلوص اللغة لا يرجع إلى الدم والنسب .

ويعد الهمدانى أيضاً فيمن يتكلمون بفصاحة أقساماً من منطقة همدان^(٢) الممتدة إلى الشمال الشرقى من صنعاء ومأرب حتى نجران ، وما جاور هذه الأقسام أيضاً ، حيث تسكن قبائل بَلْـحَارْث فى الرحبة ؛ على حين أن صَنَاف بالجوف الأعلى دون ذلك فى الفصاحة (ص ١٣٥ س ٢٠) .

كذلك يعد من الفصحاء سفيان بن أرحب ، وهو شعب من همدان ، على الرغم من أنهم يتخذون : أمّ ، بدلا من : أل ، أداة للتعريف^(٣) . ويستعملون المثنى بالآلف فى جميع الحالات^(٤) .

وبنو حرب ، فعُذ من همدان فى بلد : وادعة ، وهم أهل إمالة فى جميع كلامهم ؛ على حين أن بنى عمهم^(٥) بنى سعد أفصح (ص ١٣٥ س ٢٣) .

على أن المنطقة العظمى التى تغلب فيها الفصاحة تبدأ فى الشمال من حدود اليمن الحقيقية عند وادعة ، وتمتد عبر سلسلة السروات على الساحل إلى غربى شبه الجزيرة .

(١) انظر الهمدانى ص ٩٢ س ٢٢ (وأصلهم حميرى وهم يتمدحجون اليوم) .
(٢) يؤخذ من ص ١٣٥ س ١٩ أن هؤلاء هم : عذر مطرة ونهم ومرهبة وذبيان ، وهو يخالف لما ذكره فى س ١٢ من نفس الصفحة . وانظر فى هذه القبائل : J. Schleifer فى دائرة المعارف الإسلامية EI II 302 B

(٣) يعد هذا من خصائص لغة اليمن : انظر ابن يعيش على المفضل ص ١٢٢٠ ؛ الميى ٤٦٥/١ ؛ ووردت أيضاً فى مسند أحمد ٣٤٣/٥ فى الحديث : ليس من أمير أمصيام فى أمفر « (وفى البخارى فى كتاب الصوم : بأداة التعريف المعتادة أى الآلف واللام) ؛ ويسمى آخرون لغة حمير ، وهى التسمية المشهورة . انظر الصحاح للجوهري ومتتجات من شمس العلوم لنشوان الحميرى ٣٠ ١٠١

(٤) ذكر ابن جنى أن هذه لغة بلحارث ؛ انظر : O. Rescher, ZA 23 S. 23

(٥) انظر الهمدانى ص ٢٤٤ س ٣ .

وقد ذكر الهمداني (في ص ١٣٦ س ٣) من القبائل التي تسكن هذه المنطقة التي يخترقها طريق القوافل ، بعض أفخاذ من مذحج (جَنْسَب وزُبَيْد) ، وقضاعة (سَنْسَحان ونهد) وأزد شنوءة (بنى أسامة ^(١) وعنز) ، ثم من خثعم ^(٢) وهلال وعامر بن ربيعة ؛ ثم بعد هذا مرة أخرى فصائل من الأزد (الحِجْر ^(٣) ودَوْس وغامد ويشكر) ، ثم من فهم فثقيف فبجيلة ، وأخيراً طائفة يسميها بنى علي . ولكنه ينبه بوجه خاص إلى أن المجموعات التي تسكن سفوح الجبال الغربية من هذه القبائل (تجاه تهامة) أقل فصاحة ممن يعيشون في أعالي الجبال . وكما أثر جوار تهامة تأثيراً سيئاً في فصاحة اللغة في هذه المناطق ، أثر أيضاً نفس التأثير في إقليم الجوف ، كما يرى الهمداني (ص ١٣٥ س ٢١) إذ يقول إن سكان الجوف فصحاء إلا من خالطهم من جيرة لهم تهاميين .

أما أن أهل تهامة ينطقون عربية رديئة ، فهذا ما يستفاد بوضوح من ملاحظته (ص ١٣٥ س ١٠) ، حيث يقول إن بلد الأشعر وعك وحكم (من بنى سعد العشرة) من بطن تهامة لا بأس بلغتهم إلا من سكن منهم القرى ^(٤) ، وكما يقول في (ص ١٣٤ س ٢٥) ، يوجد قبيلتان أخريان في جوار الأشعرين ، هم بنو واقد ، الذين يعدون من ثقيف ^(٥) ، وبنو مجيد الحميريون في الأصل ^(٦) ، وهما فصيحتان أيضاً .

كذلك في ناحية صعدة توجد العربية الفصيحة فقط عند بنى خولان ، الذين يخيمون في السهل ، على حين أن بنى قبيلتهم الساكنين بالمنخفض (العَوْر) مُعْتَمَم غير فصحاء (ص ١٣٦ س ٢) .

ويصف الهمداني لهجات أخرى بأنها غير فصيحة ، كاللهجات الجارية

(١) انظر الهمداني ص ١١٨ س ١٥ .

(٢) يسميها الهمداني (ص ١١٦ س ١١) خثعم بن ربيعة بن عامر . ويبدو أنها من هوازن مثلها في ذلك مثل : هلال بن عامر بن صعصعة ، وعامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

(٣) انظر ص ١١٩ س ٧ .

(٤) كرر الهمداني في ص ١٣٥ س ١٨ أن « الأشعر وعك وبعض حكم . . . فصحاء » .

(٥) ص ٥٣ س ٢٥ .

(٦) ص ٥٣ س ٢٠ .

بين ذمار وصنعاء (١٣٥ س ٢٤) ولهجة السكاسك التابعين لسكندة .

ويعد وسطاً في الفصاحة ، وإلى الأكنة أقرب (ص ١٣٥ س ٦) لهجات بعض بقاع تقع في المنطقة الجبلية ألهان وأنيس ، (غربي دمار) ؛ وإلى الأكنة أقرب أيضاً ما جاور ذلك في جبال حركاز (ص ١٣٥ س ٧) وإن كان بينها ما هو متوسط بين الفصاحة والأكنة ؛ على أن بينها أيضاً ما هو أدخل في الحميرية المتعقدة ، لا سيما في القبائل الساكنة بمنطقة جبال الحضور .

وعن الجحادب الذين يدخلون ضمن القبائل الأخيرة يقول الهمداني (في ص ١٠٦ س ١٨) إن أصلهم حميري : والجحادب من خير وقد يهتمدون . وأبعد من ذلك نحو الشمال ، في همدان ، كما يقول الهمداني (في ص ١٣٥ س ١٢) هناك إلى جانب علسر ، وهسنوم ، وحجور الفصحاء ، يوجد غشم أيضاً مثل بعض مقدم ، وبعض الجبر . كذلك في النجد من همدان ، تسود عربية مخلوطة بحميرية في سهلي البون والخشب^(١) .

أما ظاهر همدان ، النجدي ، أي النواحي الواقعة على الأطراف من الهضبة ، فلغتها فصيحة أو أقرب إلى الفصحاء .

ولهجة جُبلان ، في المنطقة الجبلية الواقعة جنوبى جبال : ألهان ، عسيرة الفهم ، فيها تعقد ، على حين لهجة أن يحصب^(٢) ورُعَيْن المتصلتين بجُبلان من جهة المشرق أفصح من جُبلان (ص ١٣٥ س ٢) ، على الرغم من أن الأخيرين ، وهم رُعَيْن ، حميريون في الأصل^(٣) .

وكذلك شأن العلاقات اللغوية في منطقة الكلاع في الجنوب (ص ١٣٤ س ٢٦) : ففي نجديةا فصاحة عالية ، مع عسرة من اللسان الحميري (أي من أثر البقايا اللغوية الحميرية فيما يظهر) . وفي سراتها أي أعاليها (المناطق الجبلية) تعقد . وتسود اللهجة الحميرية تماماً في المناطق الواقعة بالداخل من النواحي

(١) انظر في اختلاط سكانه : الهمداني ص ١١١ س ٩ .

(٢) كتبها Müller : يحصب بالضاد المعجمة ، انظر : ملاحظاته على ص ١٠١ س ١ من كتاب الهمداني .

(٣) الهمداني ص ١٠١ س ٢٣ (حيث يقول : وجميع مخلاف رعين لا يسكنه إلا آل ذي رعين الخ) .

الجبليّة الوعرة من سَرُو حمير ، لا سيما بين من ينتمون — دون حق —^(١) إلى
جعدة بن كعب من هوازن التي هي من عرب الشمال ، ومساكنهم في
منطقة الجبال الجنوبيّة المرتفعة على الطريق من عدن إلى صنعاء . ويقول
الهمداني في وصف لهجتهم : ليسوا بفصحاء وفي كلامهم شيء من التحمير
ويجرون في كلامهم ويحذفون فيقولون : يابن مُعَمِّ في : يابن العمِّ ،
و : سَمَعُ في : اسْمَعُ (ص ١٣٤ س ٢١) .

وأبعد من ذلك إلى الجنوب ، توجد لهجة أفصح ، في لَحْج ، وأبْسِين^(٢) ،
ودثينة ، والعامريون من كندة والأوديون أفصحهم .

ويصف الهمداني لهجة السكاسك الساكنين بجوار مدينة جَنْد ، بأنها
متوسطة (ص ١٣٤ س ٢٦) .

ولهجات جيشان الواقعة جنوبي اليمن ، وما جاورها من بقاع ، حميرية .
مثل لهجة السرو (ص ١٣٥ س ١) .

وأخيراً في المَعَاوِر — في منطقة : تَعِيز الحالية — ينطقون في سافلتها لهجة
فيها مُغْتَمَّة ، وفي عليها أفصح من ذلك (ص ١٣٤ س ٢٥ ، وانظر
ص ٩٩ س ١٧) .

أما عن اللهجات التي يتكلم بها خارج اليمن ، فيكتفي الهمداني (ص ١٣٧
س ٨) بملاحظة عامة : وأما العروض ففيها الفصاحة ما خلا قراها ، وكذلك
الحجاز فنجد السفلى فيلى الشام وإلى ديار مضر وإلى ديار ربيعة ، فيها الفصاحة
إلا في قراها .

هذا ، بيد أنه لم تكن مراعاة هذا التنوع للحياة اللغوية المتجلى في اللهجات
هي العامل الوحيد الذي حمل المثقفين ، منذ القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ،
على تغيير نظرهم إلى لغة البدو ؛ بل لقد كان أدعى إلى ذلك التطور هذه

(١) انظر الهمداني ص ٩٠ س ١ .

(٢) انظر ص ٨٨ س ٢٠ .

الحقيقة الثابتة ، من أنه قد حل في ذلك العهد ، محل النشاط في الجمع والوصف الذي كان يقوم به علماء اللغة القدامى ، علم اللغة منظم تنظيماً فلسفياً زاد الباحثين قوة وثقة من أنفسهم .

فهذه البداهة المطلقة التي كان القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، يعتمد بها كل أعرابي فصيح على أنه قاض لغوى غير منازع ، وكان ينحني لحكمه ، ويمثل لمنطقه ، قد تركت مكاناً للروية والنظر العلمي ، الذي لم يعد - كما كان في القرن الثالث الهجري - يكتفى بأن يعترض على صيغ واستعمالات متفرقة من لغة الأعراب ؛ بل أخذ يبحث في نقد وتمحيص عن وجه معقول للتضاد بين لغة الأعراب وقواعد النحو .

وقد كان ابن جنى (المتوفى ٣٩٢ هـ) يختلط كثيراً في سني شبابه - إذ كان لا يزال يعيش في الموصل - بأعرابي من بني عُقَيْل ، هو محمد ابن العساف الشجري الذي كان ابن جنى يقدر صفاء عرييته ، وناقش معه بعض قضايا اللغة^(١) . وعلى الرغم من ذلك فقد خصص ابن جنى في كتابه : الخصائص ، باباً مستقلاً لأغلاط الأعراب^(٢) ؛ ذهب فيه بالاتفاق مع أستاذه أبي علي الفارسي (٢٨٨ - ٣٣٧ هـ) إلى أن الأعراب قد يقعون في اللحن ؛ لأنهم ليست لهم أصول يراجعونها ولا قوانين يستعصمون بها ، وإنما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به ، فربما استهواهم الشيء فراغوا عن القصد .

وها هو ذا مثلاً ينظر إلى الكلمات : حَلَّاتُ السُّوقِ ، بدلا من : حَلَّيت ورثأت زوجي ، بدلا من : رثيت ، ولبأت بالحج ، بدلا من : لبَّيت ، واستلأمت الحجر ، بدلا من : استلمت ، فلا يقدّر أنها لهجات خاصة أو لغات ذات نصيب من الصحة قل أو كثر ، وقصارى أمرها أن يتساءل : هل يجوز للكاتب البليغ استعمالها ؟ ولكنه يعدّها - ببساطة - من الغلط ، لأنها تتصادم مع أصول الصيغ والقوالب .

(١) انظر : إرشاد الأريب ٢٦/٥ ؛ شرح الدرّة الخفاجي ص ١٤٨ س ٥ - ١٢ .

(٢) ذكره السيوطي في المزهري ٢٠٨/٢ - ٣١٠ .

وبما أن لفظ : مصيبة يرجع أصله إلى : ص و ب ، فن الغلط إذاً جمعه على : مصائب ، بدلا من مصاوب ، وإن انتشرت هذه الصيغة المقيسة على صحائف خطأ في استعمال الأعراب اللغوى .

وعلى عكس ذلك يعد : أسئلة ، جمعاً قياسياً صحيحاً للفظ : مسيل ، أى مجرى الماء ، لأنه لا يرى أنه مشتق من سال (س ي ل) ، بل من : مسل بمعنى : سال أيضاً .

وكذلك يرى الميم فى : معين ، أى ماء جار ، أصلية ، لأنه فى نظره ليس من : العين ، بل من قولهم : أمعن له بحقه إذا طاع له به ، فكذلك الماء إذا جرى من العين فقد أمعن بنفسه وأطاع بها .

هذا وكون النزاع فى هذه الأمثلة راجعاً فى الأغلب إلى أصل الكلمة واشتقاقها ، لم يأت من ابن جنى عرضاً واتفاقاً ؛ فقد كان لابن جنى فى هذا الموضوع بالذات ، من حيث هو مؤسس مبدأ الاشتقاق الكبير ، رأى علمى ثابت . ولم يكن على استعداد أن يتنازل عنه ضحية لاستعمالات غير المثقفين من البدو .

وعلى النقيض من ذلك ما وصل إلينا فى ذلك التوجع الشعرى الذى قاله عمار الكلابى يشكو من غرور النحاة وجرأتهم^(١) :

ماذا لقينا من المستعربين ومن	قياس نحوهم هذا الذى ابتدعوا
إن قلت قافية بكرة يكون بها	بيتٌ خلاف الذى قاسوه أو ذرعوا
قالوا : لحت وهذا ليس منتصباً	وذاك خفض وهذا ليس يرتفع
وحرّضوا بين عبد الله من حمق	وبين زيد فطال الضرب والوجع
كم بين قوم قد احتالوا لمنطقهم	وبين قوم على أعراهم مُطبعوا
ما كان قولى مشروحاً لكم فخذوا	ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا
لأن أرضى أرضاً لا تُشَبَّ بها	نار المجوس ولا تُبْنَى بها البَيْسَع

(١) لإرشاد الأريب ٢٦/٥ . والأبيات مع اختلاف فى الرواية فى شرح الواحدى لديوان المتنئى ، نشر ديتريش ٥٣٣ - ٥٣٤ (ومجموعها ١١ بيتاً منها ٧ فى شرح العكرى - القاهرة ١٣٠٨/١٥) ، والشاعر هو عمار الكلابى (شبهتالر) .

ويروى أن قائل هذه الآيات استعمل لفظ : مزعوج ، وجر بذلك على نفسه لوم النحاة الذين لا يجيزون إلا : مُزَعَج . وهذا من الأحوال التي استعمل فيها مفعول الثلاثي غلطاً بدلاً من مفعول الرباعي ، مثل : مأثور ، بمعنى مختار ، ومتعوب بمعنى مُتَعَب^(١) ، ومفسود ، بمعنى مُفْسَد ، ومبغوض بمعنى مُبْغَض .

والحالة الآتية الذكر ذات فائدة خاصة من حيث دلالتها على أن التجديدات التي لا يزال يجري استعمالها في اللهجات الحديثة لم تقتصر على المدن ، بل ظهرت كذلك عند البدو من الأعراب .

ومثل هذا الموقف المرتاب ، وتلك النظرة الناقدة إزاء عربية البدو . ظهرت عند الأزهرى صاحب تهذيب اللغة (المتوفى ٣٧٠ هـ) . لقد امتشحن بالإسار عندما عارض القرامطة الحج بالهبير^(٢) ، وكان ذلك عند رجوعه من الحج سنة ٣١١ هـ ، وكان العرب الذين وقع أسيراً في أيديهم من قبيلة هوازن وفيهم جماعة من أسد وتميم ، وقد ظل عندهم دهرًا طويلاً ، وصحبهم في مشاتهم ومصيفهم . وفي مقدمة معجمه « التهذيب » اعترف بأن مخالطته لهم عادت على كتابه بفائدة عظيمة ، ولكنه قرن إلى ذلك أنهم كانوا يتكلمون بطبائعهم البدوية وقرائنهم التي اعتادوها ، ولا يكاد يكون في منطقهم لحن أو خطأ فاحش^(٣) .

هذا ، فمن كان يقصد إلى البدو ، فإنما كان يفعل ذلك قصداً إلى ثروتهم اللغوية ؛ وهكذا عاش المعجمي الأشهر : الجوهري ، في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بعض الوقت بين قبائل ربيعة ومضر^(٤) . ولا حرج في التلقي عن البدو في أى مكان ؛ ماداموا محتفظين بأساليب البداوة ؛ فقد حصل

(١) وردت هذه الصيغة أيضاً في النصوص النصرانية العربية ؛ انظر :

Graf, Sprachgebrauch 84

(٢) والهبيرزود في طريق مكة كانت عنده وقعة ابن أبي القرمطى بالحاج سنة ٣١٢ هـ (النجار) .

(٣) انظر تهذيب اللغة (اقتبسه : Zettersteen, MO 147) ، وإرشاد الأريب ٢٩٩/٦ ؛ وابن خلكان ٣١٦/٢ ؛ وانظر أيضاً كلام الأزهرى عن : السليقية ، أى طريقة البدو الطبيعية في الكلام . في تاج العروس ٣٨٣/٦ س ٣٠ .

(٤) إرشاد الأريب ٢٦٧/٢ .

الخارزنجي (المتوفى ٤٠٨ هـ) على معارفه اللغوية الواسعة التي لفت بها الأنظار إليه في بغداد ، من الأعراب الذين نصبوا خيامهم بين طوس وبست^(١) .

وذاك الحكم الناقد على لهجات الأعراب يرجع - قبل كل شيء - إلى أن الطبقات الوسطى من المجتمع في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي ، لم تعد تحوط البداوة بذلك الإطار البديع من الكسف والشغف ، والإعجاب العاطفي الشعري ، الذي كان لا يزال ، إبان القرن الثالث ، يرى في أبناء الصحراء الأحرار صوراً مجسمة للرجولة الحقة وجميع فضائل الإنسانية ، ومثلاً علياً للوفاء والشرف ، والسخاء وكرم الضيافة .

وحروب القرامطة الرهيبة ، التي زعزعت الدولة منذ ٢٧٧ / ٨٩٠ ، وخرّبت أقاليم برمتها ، وأشلت حركة التجارة والمعاملة ، وأعملت السلب والنهب في قوافل الحجيج ، وبلغت أخيراً في سنة ٣١٧ / ٩٣٠ ، باختطافها الحجر الأسود من حرم الكعبة الحرام بمكة ، منتهى قسوتها وفظاظتها التي اقشعر لها كل مسلم ؛ كل ذلك ألقى على البداوة ضوءاً آخر ، فعرضها في صورة قطعان من اللصوص الجشعين الخونة ، الناقضين للعهود ، الغلاظ الأكباد ، غير المثقفين ولا المهذبين ؛ وسرعان ما غير الرأي العام نظرته إليهم .

وقد ساق هذا جنباً إلى جنب تغير في حكم الشعور بالجمال ، والذوق الفني . ففي أيام الجاحظ كان يعد من أنفس المتع الاستماع إلى الأعراب الفصحاء ؛ أما في أواخر القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي ، فيقرر ابن بسام (حوالي ٢٣٠ - ٣٠٢ هـ) في أبيات يمتدح بها النحو ، أنه كثيراً ما سمع من الأعراب ألفاظاً مستكرهة قبيحة^(٢) .

ومن المعاييب التي يطعن بها الصاحب بن عباد في المتنبي ، أنه يحرص على تعاطي التفاصيل بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة ، حتى كأنه وليد خباء ، أو مغذّي بألبان النوق ، ولم يطق الحضر ، ولم يعرف المدر^(٣) .

(١) إرشاد الأريب ٦٥/٢ .

(٢) إرشاد الأريب ٣٢٥/٥ ؛ العمدة ٢٠٦/٢ .

(٣) الكشف عن مساوي شعر المتنبي للصاحب بن عباد (القاهرة ١٣٤٩) ص ١٤ .

ومع ذلك لم يكن من رأى ابن عباد أن شاعراً أياً كان يستطيع أن يبرز في الشعر دون إحاطة بغريب اللغة . فقد سجل أبو حيان التوحيدي في رسالته^(١) التي كتبها في مثالب ابن عباد وابن العميد ، «وقفاً أنكر فيه الصاحب على أحد الشعراء أن يتجرأ على قول الشعر وهو يجهل كثيراً من الغريب ، ثم سرد عليه — سائلاً — طائفة كبيرة من الكلمات النادرة المهجورة من لغة الأعراب ، كان يفخر الصاحب المعتد بنفسه إذ يحيط بمعرفتها ، فسأله عن المَبْسَلَع^(٢) ، وهو اللَّقْمُ الأَكْسُولُ ؛ والعُثْلُط^(٣) ، وهو اللبن الخائر الثخين ؛ والجَلْعَلَع^(٤) . وهو القنفذ وقيل الجُعَل ؛ والقَهْقَب ؛ بتخفيف الباء أو تشديدها ، وهو الضخم المسنن^(٥) ، أو الطويل الرغيب ؛ والباذنجان ؛ والقَهْبَلَس^(٦) وهو المرأة الضخمة ؛ والخَزْزَعِيْلَة ، وهي الباطل ؛ والقُدْعَمِيْلَة ، وهي المرأة القصيرة الخسيسة ؛ والقُرْمُوط^(٧) ، وهي ثمرة الغَضَى ؛ والجِرْفاس ، وهو الرجل الضخم الشديد ؛ واللُّثُوس ، وهو الرجل الذواق ؛ والسَّعْثَل . وهو الشيخ الأحق ؛ والطَّرْبَال^(٨) ، وهو كل بناء عال .

ثم سأله عن الفرق بين العَرِم وهو الدَّسَمَ وبقيّة القدر ؛ والرَّدَم ، وهو السد ؛ والحدَم ، وهو القطع ؛ والخرم ، وهو فصم الخرزة ونحوها ؛ والقضم وهو أكل الشيء اليابس ؛ والخضم ، وهو القطع ؛ والفضح ، وهو كسر

(١) إرشاد الأريب ٣٠١/٢ .

(٢) النقائض قصيدة رقم ١٠١ بيت ٤٥ .

(٣) اللبأ واللبن لأبي زيد ص ١٤٤ س ٥ .

(٤) نقل صاحب تاج العروس شرح هذه الكلمة عن ابن عباد .

(٥) انظر تهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٣٧٣ .

(٦) في النسخ المتداولة ، كما في النسخة الخطية : العرموط ، وقد ذكر البستاني في محيط المحيط ص ١٤٧١ أنها صيغة شعبية للفظ : عرموط ، وهو الصقر القوي والمارد الصعلوك ، ولكنه غير ظاهر هنا ، ويرى فيه مرجليوث لفظ القرموص مشيراً إلى كتاب الحيوان للجاحظ ٤٦/٣ ؛ ولكن هذا فيما يظهر تحريف مطبعي عن : قرموص ، وهو عشب اللحم ، وعند ابن الأعرابي : قرموط ، بمعنى الجحر الذي يضع فيه الجمل يبقه .

(٧) في النسخة المطبوعة : الطريال بالياء ، وهو غلط . وطربال ورد في شعر جرير : ديوان ص ٤٧٠ س ٣ ، وورد في شعر دكين الراجز ؛ انظر تاج العروس ٤١٦/٧ ؛ انظر معاجم اللغة وانظر الاصطخرى ص ١٢٤ س ٧ . وليست كلمة « طربال » عربية بدوية ، وإنما هي فارسية : تربال . انظر Vollers (شبيثالر) .

الشيء الأجوف ؛ والرضخ وهو كسر مثل الحصى أو النوى . والقصم وهو الكسر من غير فصل ؛ والقصم ، وهو كسر الشيء مع فصله ؛ والعَبْنَقَس وهو الرجل جدناه لأبويه أعجميتان ؛ والفَلَسْنَقَس^(١) ، وهو الرجل أبوه مولى وأمه عربية ، والخيْتور^(٢) وهو الخَدَّاع الخاتل ؛ واليَسْتور^(٣) وهو الباطل .

ثم سأله عن : الشَّنْعوف ، وهو قمة الجبل والخُدْرُوف وهو لعبة للأطفال (كالنحلة) ؛ والحَلَزُون^(٤) وهو دابة تكون في الرمث ؛ والقَفْسَنْدَر^(٥) ، وهو القبيح المنظر ؛ والجمعيل ، وهو الذى يجمع كل شيء ، وعن غير ذلك من الألفاظ البدوية التى طرحت من الاستعمال ، ولكن الصاحب لم يمثل فى أسئلته مبدأ « تنقية اللغة العربية » المتطرف ، الذى لا يقيم وزناً إلا للمادة اللغوية الموجودة فى شعر البدو من الأعراب ، بل نظر إلى استعمال ألفاظ الأعراب ، على أنه معتضلة من معضلات الأسلوب . وربما كان استيعابه للألفاظ اللغوية المستعملة خارج محيط الاستعمال البدوى الخالص ، هو سبب الطعن^(٦) فى معجمه اللغوى ذى السبعة الأجزاء : المحيط-الذى ألفه مع آخرين فيما يظهر- بأنه غزير المادة ولكنه فقير فى الشواهد .

ومما يدل على أن مبدأ « تنقية اللغة » كان بعيداً عن دائرة اهتمامه ، تلك الحقيقة المعروفة ، من أنه كان يسامر بلغة اللصوص والدجالين (بنى ساسان) أبا دلف الخزرجى ، الذى كان أيضاً شاعراً أفافاً حِلْسَ طريق ، وقدم للوزير

-
- (١) فى النسخة المطبوعة : والعنكس بالعين المهمله ؛ ولكن انظر فى التضاد بين العبارتين المذكورتين ، الألفاظ لابن السكيت ٤٨٠ والمعاجم .
- (٢) فى النسخة المطبوعة : الخيشور ، بالثاء المثناة وهو غلط ، وورد لفظ خيشور مثلاً فى ديوان هذيل ص ١٢٩ س ١ ؛ وفى الأغاني ٨٥/١٥ فى بيت موضوع على آكل المزار .
- (٣) ورد فى شعر عروة بن الورد ؛ انظر الديوان نشرة : Nöideke قصيدة ١ بيت ١٠ .
- (٤) هذا اللفظ المأخوذ من السريانية ، فسرهُ الديرى بأنه دود فى جوف أنبوبة حجرية يوجد فى سواحل البحار وشطوط الأنهار ؛ والظاهر أن هذا المعنى كان غريباً على البدو .
- (٥) ورد هذا اللفظ فى شعر أبى النجم ؛ انظر تاج العروس ٥٠٤/٣ ، وتهذيب الألفاظ لابن السكيت ص ٢٤٦ (دون تسمية القائل) ؛ وفى النسخة الخطية الفقهري بالفاء قبل القاف ، وقد رأى مخرج الكتاب أنه محرف عن قفندد بالبدال ، والصواب : قفندر بالراء كما ذكر .
- (٦) كشف الظنون (استانبول ١٣٠١) ٣٩٦/٢ .

قصيدة (القصيدة الساسانية) يصف فيها حياة الأقباقين والدجالين وسعيهم ، مع استعمال اصطلاحاتهم ورموزهم في استفاضة وتوسع ^(١) .

ولكن على حين يرى ابن عباد معرفة غريب اللغة أمراً لا مناص منه ، يرى أبو حيان في تعقيبه على الموقف الذي صورته آنفاً ^(٢) ، أن أحداً لا يهتم بمثل هذه الألفاظ غير ابن فارس ، أستاذ ابن العميد ، وأن الشاعر لا يصنع بمثل هذه الألفاظ شيئاً . وماذا بين الشاعر وهذا الضرب من الألفاظ ؟ الشاعر يطلب لفظاً حراً ، ومعنى بديعاً ، ونظماً حلواً ، وكلمة رشيقة ، ومثلاً سهلاً ، ووزناً مقبولاً .

فالسهولة والرشاقة ، والصقل والانتقاء ، هي المطالب التي تُتوخى في الأسلوب البليغ . وهذه الأمور تعد معايير في النثر كما في الشعر ، أي في جميع النتائج اللغوية الفنية لذلك العصر الإسلامي الأوسط ؛ وهي مع الإبداع والأصالة الفكرية من حيث المعنى والخيال ، تعبر ذلك النتاج الأدبي للقرن المذكور طابعاً عقلياً يتجه إلى الغوص والتعمق .

وهكذا يصبح الشعر الرفيع ضرباً من بلاغة التعبير يقترب من النثر ، وعلى العكس يكتسب النثر المسجوع صبغة شعرية فنية . وبينما كان يفرق من قبل تفريقاً واضحاً بين الشاعر والناثر ، صارت القاعدة أن الكاتب البليغ يعرف كيف يتصرف في التعبير بين الخطاب المنظوم والخطاب المنثور .

ولا توجد بين كبار رجال النثر في القرن الرابع ، من لم يقرض أيضاً الشعر الرشيق ، والنظم الأنيق : الخوارزمي ، البديع الهمداني ، ابن العميد ، الصاحب ابن عباد ، المهلب ، الإسكافي . . . وغيرهم .

ولإلى أي حد رسخ الشعور والإحساس بشدة القرابة ، وقوة الرابطة ، بين النثر والشعر ؟ هذا يتصدى لبيان كتاب « الصناعتين » لأبي هلال العسكري الذي يعالج كلا الأسلوبين جميعاً في النتاج الأدبي .

(١) نحو مائتي بيت من الشعر ذكرها الثعالبي في اليتيمة ١٧٦/٣ ؛ وانظر في هذا :

Goldziher, Muh. Studien 2, 165, Mez, Renaissance des Islames 238

(٢) إرشاد الأريب ٣٠٢/٢ .

« العربية » واللغة المولدة

في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي

آذن انحلال الدولة العباسية نهائياً إلى أكثر من عشر دويلات مستقلة سنة ٣٢٤ / ٩٣٦ ؛ بابتداء عهد جديد للعربية المولدة .

فاكتساب التحرر الجديد من سلطان بغداد ، لم يظهر أثره في السياسة والاقتصاد ، في كل إقليم ، فحسب ؛ بل كان كذلك بعيد الآثار في الدائرة اللغوية .

وقد انضمت لهجات كل إقليم ، بعضها إلى بعض ، وتألفت مجموعات من اللهجات تمتاز كل منها عن الأخرى امتيازاً يختلف ، قوة وضعفاً ، باشتراكها في كيفية خاصة من الأصوات ، والصيغ ، وقواعد التركيب ، والثروة اللفظية .

وهذه اللهجات الإقليمية، في العراق وبلاد الرافدين ، وسورية ، وفلسطين ، ومصر ، وشمال أفريقيا ، وأسبانيا ؛ نضحت على لغة المثقفين ، وأكسبتها في كل إقليم لوناً محلياً ذا طابع خاص ؛ بحيث أقدم «المقدسي» في كتاب رحلته المكتوب سنة ٣٧٥ / ٩٨٥ ، وفي وصفه للعالم الإسلامي إذ ذاك ، على محاولة تمييز كل إقليم ، من الوجهة اللغوية ، بذكر التعبيرات المحلية الخاصة به . وبهذا كان كتابه ، الذي يصور ذروة الأدب الجغرافي للعصر الإسلامي الأوسط ، كنزاً لتاريخ العربية المولدة ، ندين له ببيانات نفيسة القيمة ، لاسيما بالنظر إلى جغرافية الكلمات .

ومن ناحية أخرى بقي مقام العربية الفصحى ، من حيث هي لغة الأدب الوحيدة في العالم الإسلامي ، ثابتاً غير متازع ، نظراً لبقاء وحدة الثقافة في الدولة كاملة غير منقوصة ؛ بل لقد ازداد انتشار هذه العربية الفصحى عن ذي قبل ؛ لأن جميع الأقاليم أخذت تسهم في إقامة صرح الأدب العربي بنشاط أعظم من الأوقات التي كان أدب العراق يحتل فيها المقام الأول .

لم تضع حدود الأقاليم حواجز وفواصل في سبيل الأدباء والعلماء والكتاب والشعراء ؛ فالقالي (٢٨٨-٣٥٦ هـ) الذي نشأ في أرمينية ، وتأدب ببغداد ، علّم وأنتج في أسبانيا ، والخوارزمي (المتوفى ٣٨٣ هـ) غادر وطنه إلى العراق ؛ وخدم سيف الدولة في حلب ؛ والبلعمي في بخارى ؛ والميكالي في نيسابور ؛ والشار في سجستان ؛ والصاحب في أصفهان ؛ وعضد الدولة في شيراز ؛ وختم حياة مغامراته في نيسابور^(١) . ومثل ذلك طوّف بديع الزمان الهمداني في خراسان ؛ وسجستان ؛ وأفغانستان ؛ قبل أن يستوطن هراة ، حيث توفي بها سنة ٣٩٨ هـ عن نحو أربعين عاماً^(٢) .

وتقدم لنا مثالا آخر حياة المتنبّي ، التي كان مجالها بين العراق ، وسورية ، ومصر ، وفارس .

ومثل هذه الحياة في التجول والمغامرات لم يكن أمراً غير مألوف ؛ بل كان هو القاعدة المطردة . وهو يبين إلى أي مدى تشابهت إذ ذاك في جميع البلدان نظم الحياة الأدبية وشروطها . فقد طوفت طبقة كبيرة من الأدباء الجوالين في محيط العالم الإسلامي من أدناها إلى أقصاها ، وكفلت بذلك نشاطاً دائماً في تبادل الأفكار والمذاهب ؛ وحفظ هذا للغة الأدب طابعها القديم ؛ كما جعلها أيضاً لغة العلم والثقافة في العالم الإسلامي كله ، التي كانت تفهم أيضاً خارج المحيط العربي .

هذا ، وقد ساعد على اتساع دائرة نفوذ العربية ، أنها صارت لغة فصحي في درجة ثابتة كاملة الحلقات ، ولم يعد لها تأثير حي متبادل مع لهجات البدو فلم يعد من المستطاع أن ينشأ المرء ويتعرّع معها في بيئة لغوية حية ؛ بل كان عليه أن يتعلمها كما يتعلم لغة ميتة دائرة .

وتشير إلى وجهة نظر الدوائر الإسلامية إذ ذاك حول هذه المسألة ، دعوى المقدسي : أن أسمى درجات العربية كان يتكلم في فارس ، أي في

(١) يتيمة الدهر ١٢٣/٤ فا بعدها .

(٢) الكتاب المذكور ١٦٨/٤ فا بعدها .

أرض غير عربية اللغة ، لأن الناس هناك كانوا يبذلون اجتهداً عظيماً في دراستها .

وفي ذلك العهد كان يعد فصيحاً من سلم من الخطأ في مراعاة الإعراب والتصريف ، ولاحظ قواعد العربية في صوغ الأفعال والأسماء ، وتجنب العبارات الدارجة في اختيار الألفاظ . وإذن فقد صارت الفصاحة وسلامة اللغة أمراً محصوراً في الثقافة المكتسبة ؛ ومن هنا غدت حذقاً فنياً يحسنه المرء على تفاوت كبير في المراتب والدرجات .

وكان لا يعد إذ ذاك من اللحن اللغوى إلا الاصطدام الشنيع مع قواعد النحو ؛ فلم يعد ينشأ اللحن من الاختلاف بين الاستعمال اللغوى القديم والحديث في مجارى التعبير الحى .

وكثير من التصادم مع روح العربية الفصحى القديمة يواجهنا عند جميع المنشئين في أوائل العصر الإسلامى الأوسط ، لأن صلب الأسلوب في لغتهم قد صار فعلاً من العربية المولدة .

وحتى لغة المتنبي (٣٠٣ — ٣٥٤ هـ) التى تأثرت تأثراً قوياً بمثل لهجات البدو [قضى الشاعر ما يزيد على سنتين وهو صبي من سنة ٣١٣ إلى ٣١٥ هـ في قبيلة كلب في أرض السماوة ^(١)] تحمل سمات من العربية المولدة .

فهو يتحدث عن رُكَب ناقته ^(٢) ، فيجمعها على صيغة : رُكَبَاتُهَا ، بدلا من صيغة التثنية : ركبتيها . وهذا لا يصح توجيهه ، كما ذهب إليه الواحدى ، بالإشارة إلى آية سورة التحريم ٦٦ / ٤ : [إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما ؛ ولا إلى البيت الذى يتكرر الاستشهاد به كثيراً : ظهرهما مثل ظهور الثُرسَيسين ^(٣) .] إذ إن التثنية في هاتين الحالتين مفهومة من تثنية الضمير المضاف إليه ، أو من الاسم المثنى المضاف إليه ^(٤) . بل هو اتجاه إلى الظاهرة

(١) Blachere EI III 844

(٢) انظر : المثل السائر ص ١١ (ديوانه ص ٧٣٨ Diet) .

(٣) انظر فهارس الشواهد لفيشر ٢٥٨ .

(٤) انظر الشواهد والأمثلة التى ذكرها : Reckendorf, Arab. Synta S. 138

الملاحظة اليوم في كثير من اللهجات العربية . وهي مطاردة الجمع للمثنى وتغلبه عليه .

وشبيه بهذا استعمال لفظ الجمع : أيدي ، بل جمع الجمع : أيادي^(١) ، في مكان المثنى . ففي عهد الصفدي^(٢) (٦٩٤ — ٧٦٤ هـ) كانت جمهرة علماء اللغة تكتب في رسائلها الخاصة : المملوك يقبل الأيادي الكريمة ؛ وكان الإحساس اللغوي عند الصفدي تجاه المثنى ضعيفاً بحيث عد وضع لفظ : الأيدي ، بدلا من : الأيادي ، في ذلك التعبير الخاطيء ، وسببا كافية لتصحيحه ، ووضعه في قالب فصيح .

ومن العربية المولدة — عدا ما ذكر — عند المتنبى ، استعماله فعل المطاوعة : انهوى ، بمعنى هوى وسقط^(٣) ؛ وتعديته فعل : بعث ، بالياء وإلى جميعا :

[فأتجرك الإله على عليل] بعثت إلى المسيح به طيبسا^(٤)

واستعماله لفظ : رؤيا بمعنى الحلم ، بدلا من الرؤية ، بمعنى النظر^(٥) ، يرجع إلى أن علامات التأنيث ، كالتاء والألف المقصورة ، والممدودة ، قد اختلطت ، كما في الكلام الدارج في اللهجات الحديثة .

ويبدو أن هذه الظاهرة بدت مبكرة في هذين اللفظين : رؤيا ورؤية^(٦) ، ففسروا القرآن من أهل السنة يعدون لفظ : رؤيا ، في آية سورة الإسراء

(١) يراد من الأيادي ، في اللغة العربية القديمة غالباً : النعم والحسنات حتى في مثال الأغاني ١٤٠/١٦ الذي ذكره ركنдорف في كتابه السابق ص ١٣٨ .

(٢) انظر الكشكول للعامل (١٢٨٨ هـ) ص ٢١٥ .

(٣) شرح الديوان للواحدى (Diet) ص ٤٦٤ وانظر : شرح درة الغواص للنفاجي

ص ٦٣ وانظر : Fleischer I 173

(٤) من القصيدة ص ٩٩ في شرح الديوان ج ١ (طبع بولاق ١٢٨٧ هـ) ؛ وانظر درة

الغواص ص ٢١ .

(٥) مطلع القصيدة ص ١٥ من الديوان ج ١ ، وانظر : درة الغواص ص ٩٥ .

(٦) بل ساق ابن برى (المتوفى ٥٨٢ هـ) بيتا للراعي ، ذكره الشهاب النفاجي في شرح درة

الغواص ص ١٤٢ :

فكبر للرؤيا وهش فؤاده وبشر نفسا كان قبـسـل يلومها

انظر الموضع المذكور .

١٧ / ٦٠ فى قصة المعراج بمعنى المشاهدة الحقيقية ، عن نظر فى العلانية ، لا بمعنى الحلم ^(١) .

ويقرن الشاعر أن الناصبة بالفعل المضارع المرفوع ، كآخرين ممن سبقه ^(٢) ؛ كذلك يصوغ أفعال التفضيل من أسماء الألوان ^(٣) : لأنت أسود فى عيني من الظلم .

أما استعماله أفعال التفضيل من الرباعى حيث قال : أذهب للغيط ^(٤) ، فقد وجد ما يشبهه فى القرآن والشعر القديم ^(٥) ؛ وإن طالب المتزمتون فى اللغة بتغيير ذلك إلى أشد ذهاباً للغيط ، لزيادة الإيضاح والبيان .

وفى مثل هذه الأحوال لا يتيسر الفصل فى إرجاع الأمر إلى الاستعمال اللغوى للعربية المولدة ، أو إلى رخصة الشعر جرياً على طريقة اللغة الشعرية القديمة .

وهكذا يتكرر فى شعر المتنبي ما عابه النحاة القدامى ، وإن قاله الكميت ، وأجازه ثعلب ، وهو استعمال : أبرق ^(٦) ، (بالمعنى المجازى) ، واستعمال لفظ : ذو ، مع الضمير ، بمعنى صاحب ^(٧) ، له شبهة فى بيت الكميت ^(٨) ، كما فى النثر أيضاً ^(٩) .

(١) انظر شرح ديوان المتنبي لأحمدى ص ٢٤١ (نشر Diet) ، وانظر كتب التفسير فى الآية المذكورة .

(٢) انظر : Diet فى الشرح المذكور ص ٥٠٣ وملاحظته ص ٧١ .

(٣) انظر : Diet ص ٥٢ ؛ درة الغواص ٣١ ؛ خزنة الأدب ٣/ ٤٨١ ؛ ٤٨٤-٤٨٦ .

(٤) شرح الديوان للواحدى ص ٣٣ .

(٥) انظر : Fleischer Beitrage 4, 249-252 Reckendorf, Syntax, S. 95 Anm. ١ وانظر كذلك مقدمة الدرة الفاخرة فى الأمثال على أفعال لحمزة الإصفيهانى (المترجم) .

(٦) انظر ص ١٧ من شرح الواحدى المذكور .

(٧) ذواتها ، فى مطلع القصيدة ص ١٥٧ من شرح العكبرى على الديوان ج ١ .

(٨) انظر ابن يعيش ص ٣٥٥ و ص ٦٣ ...

(٩) صبحن الخزرجية مرهفات أبان ذوى أرومتها ذووها (

وقد نسب هذا البيت إلى كمب بن زهير - دون حق - فى أشعار الحماسة ٤٤٢ وفى ابن يعيش أيضاً .

(٩) انظر : فتوح البلدان للبلاذرى ص ١٣٢ س ٧ (نشر دى غويه) .

وإدخال أداة الاستثناء : "إلا" ، على الضمير المتصل^(١) ، هو وإن كان لم يرد في الشعر القديم ، فإن الفراء (المتوفى ٢٠٧ هـ) وضع يده على بيت استشهد به على ذلك^(٢) .

والجمع الشاذ : آخاء^(٣) ، أى إخوة ، المصوغ على مثال آباء ، كان معروفاً عند يونس^(٤) شيخ سيبويه .

والجمع غير القياسى : رؤوس^(٥) ، = رؤس بدلا من رؤوس ، استشهد عليه الواحدى ببيت ، هو وإن نسبه خطأ لامرئ القيس^(٦) ، فإنه أقدم من المتنبي على كل حال .

كذلك ترخيم اسم العلم : عمرو بن حابس ، إلى عمرو بن حاب ، فى غير النداء^(٧) ليس أمراً عديم النظير^(٨) وإذا استعمل المتنبي لفظ : حائل^(٩) ، فى الشعر ، بدلا من لفظ حال ، بالتشديد ، غير الممكن فى الاستعمال الشعرى ، فإنه يلجأ فيه إلى رخصة الشعر التى كان يلجأ إليها الشعراء فى مختتم القرن الأول^(١٠) .

والأمثلة التى ذكرت أخيراً تنقلنا إلى الحالات التى يتجلى فيها أسلوب

(١) إلاك ص ١٣٢ شرح الديوان للكبرى ج ٢ ؛ وانظر : درة النواص ص ١١٠ .

(٢) خزنة الأدب ٤٠٦/٢ .

(٣) انظر : الكشف عن مساوى شعر المتنبي للصاحب بن عباد ص ١٦ ، العمدة ٢٠٥/٢

(وفى الديوان شرح الواحدى : كل آباءه ، بدلا من : كل آخائه) وفى شرح الكبرى على الأصل .

(٤) انظر تاج العروس ١١/١٠ .

(٥) انظر شرح الواحدى ص ٩٥ .

(٦) انظر : ملحق ديوانه ق ٢/٢٨ (أهلوت) .

(٧) شرح الواحدى المذكور ص ٥٩٢ .

(٨) انظر خزنة الأدب ٣٨١/١ .

(٩) انظر شرح الواحدى ص ١٧٩ ، وابن الأثير فى المثل السائر ص ١٨٤ .

(١٠) استعمل قعنب بن أم صاحب لفظ : ضننوا (مختارات ابن الشجرى ص ٨) ؛

والعجاج لفظ : أظلل (أرجوزة رقم ٨٨/٢٩) ؛ وانظر نوادر ابن زيد ص ٤٣ ؛ سيبويه

١٠/١ (١٣١٦ هـ) ؛ الموشح ص ٩٤ ؛ وهناك مثال من النثر عند القالى فى الأمالى ٢٥٩/١

(الطبعة الثانية) ، وآخر فى حديث ؛ انظر اللآلى للبكرى ص ٥٧٦) .

الشاعر الخالص في اختيار الألفاظ وصوغ الكلام . ويتعلق بهذا إثارة أسماء الإشارة : ذا ؛ ذى ؛ هذا ؛ هذى ؛ بدلا من : هو والذي^(١) ، وإغراقه في ذلك حتى ذكر في بيت واحد إلى جانب ذا ، ذلك اللفظ المهجور تماما ، وهو : اللذ ، بدل الذي ؛ واللفظ الدارج : هُو (بدلا من : هُو) ، أى بالإشباع بدلا من فتح الواو^(٢) .

وفي مطلع القصيدة السادسة والخمسين ، الذي كثر حوله الجدل :

أُحَادٌ أَمْ سُدَّاسٌ فِي أَحَادٍ لِيُيَلِّتُنَا الْمَنُوطَةَ بِالتَّنَادِ

أخذ عليه^(٣) - بحق - استعماله لفظ : أحاد ، التقسيمي [مثلا : جاءوا أحاد أى متفرقين] وسداس أيضاً ، بدلا من اسم العدد المحض : واحدة ، وستة . يضاف إلى هذا أن هذه الصيغة إنما جرى بها الاستعمال في أسماء العدد الأربعة الأولى ، وإن أجاز الكميّ لنفسه ذات مرة لفظ : عشار^(٤) . وفي نفس البيت عد لفظ : ليلة خطأ من حيث الصيغة والدلالة ؛ إذ الصواب يقتضي . لِيُيَلِّتُنَا^(٥) ؛ ثم إنه وإن كان لفظ : دويبة ، معناه الداهية العظيمة ، فلا يقتضي هذا استعمال كل تصغير بمعنى التعظيم . ونستطيع أن نضيف إلى ذلك أيضاً أن حذف أداة الاستفهام في هذا البيت من ظواهر العربية المولدة .

كذلك خاصة أخرى من خصائص أسلوب المتنبي ، وهى تأليفه للجمل والألفاظ على وجه اختياري إرادى متصنع للغاية ، تعد أمارة ظاهرة على طابع العربية المولدة في حقيقة أسلوبه اللغوى . وفي الواقع يناسب العربية المولدة - لفقدانها الإعراب - نوع ثابت من نظام الجملة . وعلى النقيض

(١) العمدة لابن رشيق ٥٧/٢ .

(٢) انظر الديوان ص ٢٠١ (نشر : Diet) .

(٣) انظر شرح الواحدي والمكبرى على المطلع المذكور ، والحريرى في درة النواص

ص ١٤٨ .

(٤) انظر الأغاني ١٣/١٤٥ ؛ أدب الكاتب ص ٥٩١ .

(٥) انظر : Fleischer, Beiträge 4, 241

من ذلك نظام الجملة فى اللغة الفصحى القديمة ، فهو فيها حر وإن لم يخل من تقييد [بعض الأمثلة على فساد التأليف وفاها النقد حقها من التشهير ^(١)] . أما الاختيار الذى يؤلف المتنبي نظمه على مقتضاه سقياً مضطرباً ، فيتجلى فيه عجزه عن التعبير الموافق لروح العربية القديمة ؛ على العكس من تقديم المسند إليه فى الجملة الفعلية ، فهو ظاهرة خاصة بالعربية المولدة ، كذلك زيادة ضمير ^(٢) الإسناد المنفصل مع الجملة الفعلية أيضاً دون حصر ولا تأكيد كما ^(٣) فى البيت المشهور ^(٤) .

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

وعلى الرغم من ذلك كله ، لم تسترع هذه الظواهر المخالفة للفصحى فى شعر المتنبي انتباه معاصرة كثيراً ، بله الإحساس بأنها من اللحن . ويدل على ذلك جدل صاحب بن عباد فى الرسالة التى كتبها فى نقد المتنبي بعنوان الكشف عن مساوى شعر المتنبي ^(٥) . وقد كان صاحب بن عباد دعا الشاعر إلى زيارته بالرى ، حينما جاء إلى شيراز سنة ٣٥٤ هـ ، ولكن الشاعر الأبى النفس لم يره أهلاً لذلك ، فانتقم صاحب لنفسه فى رسالته المذكورة من أجل هذه الإهانة .

(١) انظر الكامل للمبرد ص ١٨ ؛ الموشح ١٠٢ - ١٠٤ ؛ سيبويه ٩/١ (ديرنبورج) .
(٢) زيادة هذا الضمير هنا أمر شائع جداً وقديم (وقد أخبرنى بذلك فك مؤخرأ) ويتحدث Reckendorf عن هذه الظاهرة فى كتابه . Synt. Verh, 380 مع شواهد البيد والهللين . ومن الواضح أن زيادة الضمير هنا ليست ضرورة شعرية ، بدليل ورود فى النثر فى مثل قوله تعالى : « وإن أنتم ضربتم » (١٠٦/٥) وقوله أيضاً « فإذا هى تلقف » (١١٧/٧) شيبانلر .
(٣) ص ٢٠٠ فى شرح المكبرى ج ١ ص ٥٣٣ فى شرح الواحدى .
(٤) أكثر ما أخذه المؤلف على شعر المتنبي تبع فيه رأى النحاة البصريين ، وهم الذين يقصدهم دائماً بوصف المتمتين فى اللغة ، ولكن المتنبي قد عرف بمتابعة الكوفيين ، وهم يعتمدون كل ماورد عن العرب بوجه من الوجوه . وقد عرف أنهم أوسع رواية من البصريين ؛ على أن كثيراً ما أخذه المؤلف على المتنبي ورد فى بعض القراءات القرآنية ، فضلاً عن النصوص العربية (النجار) .

(٥) طبع فى القاهرة (١٣٤٩ هـ) واشتمل الجزء الأول من اليتيمة للشعالبي على مضمون الكتاب المذكور . وقد ذكر القزاز القيروانى (المتوفى سنة ٤١٢ هـ) شيئاً من أخطاء المتنبي فى مقدمة كتابه « مايجوز للشاعر فى الضرورة » (المترجم) .

والرسالة في صورة خطاب إلى خير بالشعر طلب إلى الصاحب أن يعرب
— كتابة — عن رأيه النقدي في وضع المتنبي عن مستواه الرفيع . وهو يتظاهر
بإبعاد نفسه عن مظنة التحامل في الحكم — وأى عالم لا يهفو ، وأى صارم
لا ينبو ، وأى جواد لا يكبو — وأنه لا ينبغي إلا حقه في تعليل حكمه ، وهو
حق تمسك به محتدياً حذو الوزير العظيم : أبى الفضل بن العميد ، الذى ساق
الصاحب رأيه الحر في البحري وأبى تمام ؛ ثم ذكر الصاحب أن الدعوى
الخاطئة ، من أن علماء اللغة وحدهم هم الإخصائيون الذين يحدقون النقد ،
دعوى على غير أساس ، مشيراً إلى اختيارات ابن الخياط ^(١) التى جمعها دون
ذرة من الذوق الأدبي . وبعد أن أزال الصاحب بهذه المقدمة الطويلة ، التى
تعدل ثلث هذه الرسالة القصيرة ، هيبة القارىء ورهبتة تجاه الفن الرفيع ،
وأعده في مهارة وحذق للجرأة على نقد الشعراء ، خلص أخيراً إلى موضوعه ،
بادئاً بمأخذه على أبيات متفرقة للمتنبي (ص ١١ - ٢٦) دون جرى على
نظام ثابت .

وهو يتهمة كثيراً بالسرقة ، ويرميه بفساد الحس ، وسوء أدب النفس ^(٢)
في مرثيته لأبى سيف الدولة ، ويسخر من تعقيد أسلوبه وعسر فهمه ،
بحيث لا يعد أسلوب أبى يزيد البسطامى المشهور بالتعقيد شيئاً إليه ^(٣) .

كما يغمز إلى أشعاره الحكيم التى حظيت بإعجاب الكثيرين (ص ١٦
س ١١) ويحط من قيمة عدد من أفخم مطالعه ، ويهزأ من ثقة الشاعر بنفسه ،
ويتندر بأسلوبه ، حيث لا يتورع ابن عباد أيضاً عن إساءات للفهم مقصودة
عن خبث ونكاية (ص ٢٦ س ١) .

وفى هذا يجد الصاحب فى لوازم المتنبي وخصائص لغته مدعاة قوية
للهزاء والسخرية مثل ميل المتنبي إلى تكرير اللفظ ، وولعه بتريديد طرق

(١) كان شيخ الصاحب بن عباد ومات ٣٢٠ هـ ؛ انظر الفهرست ص ١٢١ ؛ إرشاد
الأريب ٦ / ٢٨٣ .

(٢) انظر فى هذه المرتبة : العمدة لابن رشيق ١٢٤/٢ ؛ المثل السائر ص ٤٩٦ .

(٣) انظر الرسالة الحاتمية (نشر البستاني بيروت ١٩٣١) ؛ O. Rescher, Isica 2, 439 - 475 .

التعبير^(١) — ذكر في بيتين ستة عشر وصفاً متتاليات^(٢) — والتعسف في الاطراد^(٣) ، والتفاسح بالألفاظ النافرة والكلمات الشاذة ، مثل كلمة : التوارب ، بدلا من التراب (ص ١٤ س ٦) ، وكلمة : جَفَفَخْتُ^(٤) ، أى فخرت (ص ٢٥ س ١٦) .

بيد أنه ، على الرغم من أنه لم يدع فرصة تمر دون النيل من الشاعر والسخرية منه ، وعد حرية الشعر عليه خطأ فاحشاً ، لم يوجه إليه تهمة اللحن في اللغة أصلاً ، مع أن في الأبيات التي ساقها كثيراً من الأمثلة على اللحن في الاستعمال اللغوي . وحتى في هذا البيت :

أحاد أم سداس في أحاد لييلتنا المنوطة بالتنادى

الذى يدعو لحنه إلى النقد دعاء صريحاً ، لم يعلق صاحب (ص ٢٠) إلا بأنه من عيون قصائده التي تحير الأفهام ، وتفوت الأوهام ، وتجمع من الحساب ما لا يدرك إلا بالارتماطيق وبالأعداد الموضوعة للموسيقى ، وتصور كلام الحكل ، ورطانة الزط .

وكذلك في البيت :

أطعنك طوع الدهر يا ابن ابن يوسف لشهوتنا والحاسدو لك بالرغم
اقتصر على تخطيط التركيب : الحاسدو لك .

وفي تعرضه للناحية اللغوية لا يتناول إلا ما تعلق بالأسلوب ؛ فهو يجد كلمة : جبرين (ص ٢٠ س ١) ، بدلا من جبريل^(٥) ، التي يستعملها

(١) انظر في التكرار العمدة لابن رشيق ٥٩/٢ فا بعدها ، وفي التريديد العمدة ٢/٢ .
(٢) ص ١٨٤ من شرح الواحدي وهناك مثال آخر به ٢١ وصفاً في ص ٩١ ومجموعة من أفعال الأمر في ص ٤٩٣ ؛ ٤٩٥ انظر : العمدة ٢/٢ فا بعدها ، وانظر المثل السائر ص ١٨١ ، ١٨٣ .

(٣) انظر : العمدة ٦٨/٢ .

(٤) انظر : المثل السائر ص ٩٨ .

(٥) انظر في هذه الصيغة وما شاكلها (إسرائيلين ، إسرائيلين ، إسماعيلين إلخ) آمالي القالي .

٤٤/٢ (طبع دار الكتب) .

المتنبى لضرورة الشعر : غريبة بغیضة ؛ كما یرى (ص ١٩ س ١٥) أن حذف كلمة : الدُّنَا ، جمع دنیا ، فی شعر المتنبى ، خیر من ذكرها ، ويتساءل (ص ١٦ س ١٥) فی سخرية من البيت :

شديد البعد من شرب الشَّمول تَرُنُّجٌ^(١) الهند أو طلع النخيل
هل استهلال الأبيات أحسن ، أم المعنى أبدع ، أم قوله : ترنج ، أفصح ؟ .
وهذا التساهل والتجاهل التام الذى يبدو من ابن عباد تجاه اللحن اللغوى فى شعر المتنبى ، هو ظاهرة عامة للموقف الذى أخذه الأدباء فى أوائل العصر الإسلامى الأوسط ، من مسألة الفصاحة وسلامة اللغة ؛ فبين الحين والآخر يتذكر أحد علماء اللغة ، على ضوء معارفه عن أدب القواعد القديمة ، أن هذا التركيب أو ذاك خاطئ فى قانون اللغة الفصحى القديمة ؛ ولكن مثل هذه الملاحظات تأخذ تدريجياً فى الندرة عند أدب الشروح ، حيث يأخذ تفسير الشعر هنا طابع الذوق الأدبى ، الذى لم يعد يصدر فى حكمه عن القواعد والنحو ، بل عن مقاييس الأسلوب بوجه خاص .

وكذلك من نتائج ذلك الطابع الصناعى الفنى للغة الأدب ، احتياج دواوين الشعر الرفيع ، والنثر الفنى البديع - فى ذلك العصر - إلى الشرح والتفسير ، حتى انتشرت لدى الرأى العام فكرة أنه كلما تعمس فهم الأثر الأدبى الفنى ، رجع وزنه وعلا قدره .

والمتنبى لم يكن يقتصر على إنشاد شعره فحسب ، بل كان يشفع ذلك أيضاً بالشرح والتوضيح . ومن رواته ابن جنى السالف الذكر (المتوفى ٣٩٢ هـ) الذى يروى أن الشاعر كان يلتقى وزناً كبيراً لحكمه بحيث كان يحيل سائله فى مختلف الأحوال عليه . وقد ذُكر من الأمثلة على ذلك^(٢) ماورد فى شعر المتنبى من تصغير لفظ : إنسان ، على : أنيسيان^(٣) ؛ وقوله^(٤) :

(١) ترنج لغة فى : أترج ، انظر أدب الكاتب لابن قتيبة ص ٤٠١ (نشر : Grünert)

(٢) إرشاد الأريب ٢٥/٥ .

(٣) انظر تاج العروس ١٠٢/٤ . والراجع عندى أن أنيسيان كلمة منحوتة من : أنيسى (مصغر أنسى) وإنسان (شيتالر) .

(٤) ابن خلكان ٥٦٣/١ ؛ وذكره الديرى فى حياة الحيوان ٤٦١/١ (١٣٤٧ هـ)

بادر هـواك صبرت أم لم تصبرا
بنصب المضارع - في ظاهر الكلام - بعد : لم الجازمة (١) .

ومهما يكن من أمر ، فمن الثابت أن ابن جني كتب شرحين لديوان المتنبي (٢) ، أحدهما وهو : الفسر (٣) لشرح ديوان أبي الطيب ، مقصور في جملته على شرح معاني الألفاظ ، على حين يعنى الآخر ، كما يعبر عن ذلك عنوانه : معاني أبيات المتنبي ، بما يحتويه شعره من أفكار .

ولم يكن ابن جني على الرغم من ذلك - إذا أخذنا بحكم الواحدى في مقدمته لشرح ديوان المتنبي ، المكتوب ٤٦٢ هـ - أباً عذرتها في تقريب فهم الأشعار الحديثة للقارئ . إذ يفترض شرح مثل هذه الأشعار - زيادة على الدراية العميقة باللغة والموضوع - تذوقاً لفنون الأدب ، وإحساساً بالجمال الفنى ، وحكماً ثابتاً صحيحاً . على حين أن ملكة ابن جني كانت ذات وجهة واحدة ، هى ميدان علم اللغة . ولذلك كان يرى عمله ينحصر في توضيح العبارات التى يستعملها الشاعر ، وبيان صيغها وعملها النحوى . وهو يرخى العنان فى ذلك كثيراً لتزوجه إلى بسط دقائق النحو العربى ، بحيث يشمل شرحه على القسم الأعظم من النوادر اللغوية التى جمعها أبو زيد ، ويعالج كثيراً من المسائل التى أثارها سيديويه .

وقد أورد كتابه لشرح الظواهر اللغوية النادرة (الغريب) نحو عشرين ألفاً من الشواهد (يحتوى ديوان المتنبي بأكمله على ٥٤٠٠ بيت) ؛ كما حفل بمجموعة كبيرة من الأفاصيص المقفرة التى لا تساعد أدنى مساعدة على فهم

(١) فى هذه الضرورة الشعرية التى جرى استعمالها فى كثير من شعر الأوائل (الأعشى قصيدة ١٧ بيت ٢٠ ؛ العجاج رقم ٥١ بيت ١٠ وغير ذلك ، انظر فهارس الشواهد لفischer ص ٢٥٢) يحمل على أنه أبدل الألف من نون التوكيد الخفيفة فى حالة الوقف ، انظر : خزانة الأدب ٥٦٩/٤) نعم يزعم اللحيانى (نزعة الألباء ص ٢٣٦) أن نصب المضارع بعد لم ، لهجة من لهجات العرب ، وروى قراءة شاذة فى ألم نشرح لك صدرك ؛ بفتح الفعل بعد لم ! ولكن ابن جني فى المحتسب رفض هذه القراءة ولم يسوغها .

(٢) الفهرست ص ١٢٨ .

(٣) نشره الدكتور صفاء خلوصى الجزء الأول منه فى بغداد ١٣٩٠ هـ (المترجم) .

شعر المتنبي . وعلى الرغم من ذلك ينقص ابن جني الفهم العميق ، والنفاذ في دائرة المعاني . فمثلا يتحدث المتنبي ، في ذلك الأسلوب التصويري المألوف في شعر الغزل ، عن مطر الدموع الذي يسكبه الحب المغرم ، إذا أظهرت الحسنة المتدلة المتجافية أسنانها البراقة عند الابتسام :

تبلّ خَدَيَّ كلما ابتسمت من مطر برقه ثناياها

فيفسر ابن جني هذا المطر بريق الحبيبة الذي يسيل من فمها إذا ضحكت^(١) . وهذا العجز عن الإحساس والشعور بمقاصد الشعر ومرامييه يزيد من بنحس شرحه وخفة وزنه ، إذا لاحظنا أن مثل هذا الديوان الموسوم بطابع البلاغة القوى ، يتوقف هضمه ، والنفاذ إلى عالم تفكير شاعره ، على الفهم السدي لا يتييس بسهولة لاستعاراته ومجازاته وأخيلته الكثيرة ، التي تحجب أفكاره أكثر مما تكشف عنها الغطاء .

ومن هنا أيضاً يتجنب شرح ابن جني ، اللاصق بمفردات الألفاظ ، جانب المعاني ، وتقدم الأفكار والابتكار فيها ، والبناء الداخلي للشعر . وبهذا يغفل الطابع الخاص الذي يميز الشعر العربي المحدث تمييزاً أساسياً عن شعر البدو . ففي هذا الأخير ربما جاز اكتفاء الشارح بتفسير بعض المفردات ، وعبارات الكلام ، وتوضيح غرض الشاعر ومرماه ، بذكر ألفاظ دالة مختصرة مثل : مديح ، هجاء ، فخر ، أو نحو ذلك . أما في شعر المحدثين ، ولا سيما شعر المتنبي بوجه خاص ، فإن بناء الشعر وتكوينه الداخلي يلعب دوراً عظيماً ، بحيث لا يجوز إغفاله في الشرح والتفسير .

فما يدل على أن القصيدة بتمامها كانت ماثلة أمام نظر المتنبي ، من حيث هي وحدة تامة الأجزاء عند الشروع في إنشائها ، ما يروى^(٢) من أنه كان إذا نظم قصيدة يتغنى بأبياتها بيتاً بيتاً ، وكلما توقف مرة بدأ يتغنى من أول القصيدة ؛ وكان يبذل جهداً كبيراً في الانتقال من جزء إلى آخر .

(١) انظر : المثل السائر ص ٢٢٩ .

(٢) انظر العبداء لابن رشيق ١/١٤١

وقد اشتهرت بعض قصائده لإبداعه ، وابتكاره في أبيات مطالعها ؛
على حين حظيت بعض قصائده الأخرى بالإعجاب بحذقه في أبيات خواتيمها .
ولكن الإلمام بمثل هذه الدقائق لم يكن من فن ابن جني ولا طبيعته .

ولم يغفل النقاد عن تبيان عيوب شرحه ؛ فقد حمل عليه معاصره ابن
فورج^(١) حملة شعواء في كتابين يطابق عنوانها موضوعهما : الفتح على
أبي الفتح^(٢) ؛ والتجني على ابن جني ؛ ولم يتورع في ذلك ؛ كما يشير إليه
نص من كتاب الفتح^(٣) . عن طعنه بتهم تخدش الشرف . ويشهد له الواحدى
الذى قرأ الكتابين^(٤) ، بأنه محق فيما ذهب إليه في غالب الأحوال .

كذلك كتب أبو حيان التوحيدي (المتوفى ٤٠٠ هـ) ردّاً عليه بعنوان :
الرد على ابن جني في شعر المتنبي^(٥) .

كما أن الشريف المرتضى (٣٥٥ - ٤٣٦ هـ) نقيب الأشراف العلوى
الذائع الشهرة ، اشترك في النزاع بكتابه : تنبيح الأبيات التى تكلم عليها ابن
جني^(٦) .

وآخر أيضاً ، هو أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الإصفهاني ، صنف
لبهاء الدولة البويهى (حكم ٣٧٩ - ٤٠٣ هـ) تهذيباً لشرح ابن جني الكبير في
قالب مصصح مختصر^(٧) .

(١) إرشاد الأريب ٤/٧ ؛ بنية الوعاة ص ٣٩ ؛ وانظر : فريدة المصر لأحمد الحق
ص ٧١٥ - ٧١٨ ؛ وتسميته : ابن فورجه ، التى ذكرها ياقوت بالتشديد ، هى في الظاهر صيغة
أخرى لى جانب : ابن فورك .

(٢) نشره عبد الكريم الدجيلي في بغداد سنة ١٩٧٣ (المترجم)

(٣) إرشاد الأريب ١/١٢٥ .

(٤) ديوان المتنبي ، بشرح الواحدى (نشر : Dieterici) ص ٣ .

(٥) إرشاد الأريب ٥/٣٨١ .

(٦) انظر : إرشاد الأريب ٥/١٧٤ ؛ لسان الميزان ٤/٢٢٤ ، وقد عرف هذا الكتاب
فذكره بمنوان : الرد على ابن جني في شرح ديوان المتنبي . وانظر : كشف الحجب للكتورى
ص ٩٧ وفهرست الطوسى ٢١٩ (شبرنجر) .

(٧) وقد أخذت عنه ترجمة المتنبي المستفيضة في خزانة الأدب ١/٣٨٢ - ٣٨٩ .

وأغلب الظن أن ابن وكيع (المتوفى ٣٩٣ هـ) قد حمل أيضاً على ابن جنى ،
في كتابه : المنصف ، الذى عالج فيه مسألة ابتكار المتنبي ومتابعته لمن سبقه ،
مع نقد وتحقيق ؛ لأن ابن جنى ألف ما يسمى : كتاب النقض على ابن وكيع
في شعر المتنبي وتخطته (١) .

وعلى كل حال يبدو أن ابن جنى احتفظ بأسلوب الشرح الذى اختاره ،
على الرغم من جميع النقد الذى وجه إليه بسببه ؛ إذ إنه ألف كتاباً خاصاً فى
شرح بيت واحد نظمه عضد الدولة البويهى (٢) ؛ وألف أيضاً فى العقد الأخير
من حياته شرحاً لأربع مراثٍ من شعر تلميذه : الشريف الرضى (٣٥٩ -
٤١٦ هـ) عنوانه : تفسير العلويات ، فى أربعة أجزاء ، لكل مرثية جزء (٣) .

هذا الطابع ، العلمى الأدبى ، للشعر الفنى ، الذى جعل ذلك الشعر وقفاً ،
أو حقاً ممتازاً لشريحة قليلة من عليّة المثقفين الضليعين فى القرن الرابع الهجرى /
العاشر الميلادى ، ازداد قوة على قوته فى القرن التالى ؛ بحيث قرن أبو العلاء
المعرى بعض دواوينه بالشرح والتفسير ، تيسيراً لفهمها على القارىء .

فأشعار شبابه فى سَقَطُ الزند ، التى تنم على تأثر قوى بالمتنبي ، والتى
صيغت فى أسلوب حافل بالأخيلة والمجازات ، احتاجت إلى شرح سقط الزند
(ضوء السقط) .

كذلك النثر المسجوع فى كتابه : الفصول والغايات أنشأه فى سن متأخرة
كما يظهر ، والذى قال فيه الرحالة الفارسى : ناصرى خسرو (٣٩٤ -
٤٥٢ هـ) حينما زار الشاعر سنة ٤٣٩ هـ : إنه بقى غير مفهوم فى القسم الأعظم
منه حتى لتلاميذ الأستاذ أنفسهم .

(١) إرشاد الأريب ٥ / ٣١ .

(٢) إرشاد الأريب فى الموضع السالف .

(٣) إرشاد الأريب ٥ / ٣٠ .

استعمال اللغة الدارجة في أشعار

القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

يحمل شعر القرص والمناسبات طابع العربية المولدة ، بمقدار أعظم وأظهر كثيراً من الشعر الفني الرفيع ؛ كما تعرض مادة غزيرة ، من الشواهد على ذلك ، المختارات المشهورة من أشعار القرن الرابع ، التي تشتمل عليها يتيمة الدهر للثعالبي (المتوفى سنة ٤٢٩ هـ) .

ويقدم الفصل المعقود لابن الحجاج على الأخص (المتوفى سنة ٣٩١ هـ) تصويراً جم الفوائد^(١) ؛ فهذا الشاعر الموهوب ، وإن كان زَمِيراً الخلق والمروءة ، والذي ينتمى إلى أسرة رفيعة من ذوى الجاه والمناصب ، والذي شغل منصب « المحتسب » ببغداد دحاً من الدهر في ظل بَخْشِيَار البويهى (حكم ٣٥٦ - ٣٦٧ هـ) ، ولكنه آثر أخيراً أن يبتز الأموال ، بأهاجيه وملحه ، من ذوى المناصب والرتب ؛ هذا الشاعر يعد أنه ممثلي أسلوب المجون والسخف .

وهذه وجهة فنية تحللت من جميع القيود المفروضة على صناعة الفن التقليدى ، واختارت - على معارضة متعمدة للشعر الرفيع - الأسلوب المبتذل الدارج ، بما فيه من ضعة ، وبذاءة ، وقدر ، ووضر .

وفى معارضته لوسائل الأسلوب القديم ، يدعى ابن حجاج النبوة فى السخف ، ويطلب إلى معشر السخفاء أن يؤمنوا بالمعجزات التى لا تجارى فى أبياته العارية من الحياء^(٢) .

وقد طابق الموضوع المبتذل الدارج أسلوب مبتذل دارج ؛ إذ تتجنب الثروة اللفظية من ذلك الشعر المماجن - فى الأعم الأغلب - كل مختار دقيق

(١) يتيمة الدهر ٢/٢١١ - ٢٧٠ .

(٢) إرشاد الأريب ٤/٧ .

من العبارات الجارية في الأسلوب الرفيع مادام هو لا يعارضه ولا يجاريه - وما دام لا يعارض وسائل الأسلوب في الشعر القديم - وهو يولع بدلا من هذا بتفضيل لغة العامة ، منتزلا إلى لهجات الشحاذين ، والعيّارين والخلّدين ، والمكدين . ببغداد ^(١) .

ويرجع إلى هذا الدخيل من لغة بغداد الدارجة ، ما يشيع في أشعاره من الألفاظ الفارسية ، مثل : ^(٢) لَقْلَقَ (ص ٢٤٦ س ١٦) وهو طائر ؛ والفصيح لَقْلَاق ؛ وهو لفظ دارج ، وأخذ استعماله ^(٣) على المتنبي ^(٤) : [يصيح الحصى فيها صياح اللقالق] ؛ وجُلَسَنار ^(٥) وهو الرمان (ص ٢٦١ س ١) ؛ بَلَّوَر [في الفارسية الحديثة : بِلُّر] (ص ٢٤٣ س ١٩) ؛ دَوْرَق [في الفارسية الحديثة : دَوْرَه] (ص ٢٤٦ س ١٥) ؛ نَمَكْسُود ^(٦) : اللحم المملح (ص ٢٥٢ س ١) ؛ سَكَبَاج ^(٧) : لحم مطبوخ على طريقة خاصة (ص ٢٢٠ س ١) وفي البيت (ص ٢٤٩ س ١٠) وردت الكلمات : دِكْشَاب أى ليلة أمس ؛ ودَوْعَبَاج ، أى اللبن الحامض ؛ وزيرَبَاج ، أى مرق اللحم .

وتكثر العبارات الفارسية بوجه خاص في قصيدته في غزل المذكر (ص ٢٦٤ س ٧ - ١٥) التي يسوق فيها حواراه مع غلام أعجمي .

(١) انظر : يتيمة الدهر ٢/٢١١ ، والعيار : الذكي الكثير التطواف ، وأطلق على الدجال الواسع الحيلة . والخلّي : نسبة إلى حي في بغداد ، اشتهر بكثرة أهل الحيل على الارتزاق . والمكدي من الكدية وهي شدة الدهر ، ويراد به أيضاً الفقراء المتسولون .

(٢) ترجع أرقام الصفحات المذكورة إلى الجزء الثاني من يتيمة الدهر (طبع دمشق ١٣٠١هـ)

(٣) المثل السائر ص ١٠٨ .

(٤) شرح المكبرى على الديوان ص ٨٩ (بولاقي) .

(٥) في الفارسية الحديثة : جلنار ، بسكون اللام وتسمى به النساء أيضاً ، وكان اسم أم بشار بن برد جلنار (انظر الأغاني ٢٠/٧٤) .

(٦) يرد هذا اللفظ كثيراً في كتاب المقدسي : أحسن التقاسيم ، انظر فهرس الأماكن فيه . Dozy ، في مادته ومادة (تمكسود) !

(٧) في الفارسية الحديثة : سكبيا ، وسكباجة كثير في كلام الجاحظ ، وذكر في تاريخ بغداد ١٤/٣٥٩ س ١٧ ، والأغاني ١٠/١٢٥ س ٧ ، وورد كتاب في الأ طبخة بعنوان : كتاب السكباج لحظّة وآخر لمبيد الله بن أبي طاهر ، انظر الفهرست ، وورد لفظ سكباج لقباً ؛ تاريخ بغداد ٣/٣٥٧ .

وفى ص ٢٤٨ س ١٩ ، يستعمل لفظ : هَمَّ ، بمعنى أيضاً ، الذى عابه من قبل أبو خليفة الجمحى فى القرن الثالث ، والذى أنكر استعماله من بعد كل من الحريرى (المتوفى ٥١٦ هـ) فى درة الغواص^(١) ، وفى القرن السابع الطبيب المشهور بكتابه فى أخبار مصر ، موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى (٥٥٧ - ٦٢٩ هـ) فى كتاب الذيل الذى ألفه تعقيباً على فصيح ثعلب^(٢) .

ويدل على أن ابن حجاج كان يحسن الفارسية لفظ : خَرَّ كُوش (ص ٢٣٥ س ١) الذى معناه فى الفارسية : أرنب ، وشبه به فى الشعر كلباً سلوقياً سريع العدو على المعنى الأصلى للفظ : له أذنا حمار .

كذلك مادة الألفاظ العربية عند هذا الشاعر ، كثيراً ما يستمدّها من لهجة بغداد الدارجة : (سَتَّى ، راسمال ، شَوْش أى أزعج) . وهى غنية بالتعابير الدارجة على الأخص فى غزل المذكر ، مثل الكلمة المولدة : سُرم ، بمعنى الدبر ، والصيغة الشعبية لها مُصرم ؛ وقد تجنب الكتاب الملتزمون للدقة ، بسبب ذلك ، المشترك اللفظى لهذه الكلمة وهو : الصرم ، بمعنى الهجر . وأخذ ابن الأثير^(٣) على المتنبي استعماله هذا اللفظ الفصيح الذى يكثر فى الشعر القديم .

ويعبر الشاعر فى ص ٢١٢ س ١٤ عن تحقيره لمبدأ « تنقية اللغة » تعبيراً حاداً عنيفاً .

وهو وإن استعمل لغة الكتابة كذلك ، فقد اشتملت أشعاره الهزلية بوجه خاص ، على سمات مولدة كثيرة : فقد ترك الهمز إلى حد بعيد (ص ٢٢١ س ١٧ برى بدلا من : برىء ؛ ص ٢٦٨ س ٢٠ قران بدلا من : قرآن ؛ ص ٢٣٩ س ٤ أظا بدلا من أظماً ، الخ) ؛ كما ترك حركات أواخر

(١) ص ١٨٣ .

(٢) انظر المزهر للسيوطى ١/ ١٨٠ .

(٣) الملل السائر ص ١٠٧ س ١٠ .

الكلمات في أحوال مثل : (ص ٢٣٧ س ٧ رُؤى بدلا من : رُؤى ؛
ص ٢٣٠ بَقى، بدلا من : بَقى) ؛ وأهمل تشديد ياء النسبة باطراد في القافية ؛
(مثل ص ٢٢٠ أسفل) ؛ واستعمل لفظ : مَسَّ ، ساكن العين باطراد بدلا
من فتحها ، واستعمل هُو وهى بالإشباع باطراد بدلا من فتح الواو والياء
(ص ٢٣٨ س ١ ؛ ص ٢٤٩ أسفل ؛ ص ٢١٤ س ٢) .

ومن مخالفة القواعد استعماله المؤنث على : غضبانه^(١) . بدلا من :
غضبي (ص ٢٥١ س ١٦) .

ويدل على قلق^(٢) في قواعد الإعراب والتصريف استعماله : الوَصَى .
بالإشباع بدلا من تشديد الياء ونصبها ؛ واستعماله : لا بد أن تحكى (ص ٢٦٥
س ١٨) ، أيضاً بإشباع الياء بدلا من فتحها واستعمال المضارع المرفوع بعد
حتى (انظر ص ٢٢١ س ١٥ ؛ ص ٢٤٩ أسفل) ، ومثل : أو ترى بدلا
من أو ترانى (ص ٢٤٥ س ٢) .

ولقد شهد كذلك غربي العالم الإسلامي في القرن الرابع تحرراً من النماذج
والقوانين المتوارثة ، التي أقرها العرف الأدبي في ميدان الشعر .

بيد أنه في الوقت الذي اتجهت فيه حركة التحرر المذكورة في الشرق إلى
الموضوع بوجه خاص ، واستنفدت قوتها في خبث التصوير للرذيلة والسقوط ،
واستخدام أساليب المعارضة في تحقير رفيع الخلال ، وكريم الخصال ، عمد
الشعر الأسباني العربي باختراع « الموشح » إلى إبداع قالب فني أعلن ثورة في
الأسلوب على العروض القديم .

(١) ثبت أنها لغة لبنى أسد .

(٢) لا يصح أن يوصف الغلط في الإعراب وقواعد التصريف على أنه قلق وتردد ؛ فكل
الخصائص المولدة في هذه الأمثلة المسوقة هنا عبارة عن استخدام لصيغ عامية ، غير أنه لا يمكن
القطع دائماً بسهولة بالسبب المؤدى إلى ذلك : أهو الضرورة الشعرية ، أم الأسلوب العامي
الساقط ؟ (شبيتلر) .

حقاً لقد ظهر من قبل بالمشرق في باكورة العصر العباسي شعر الأدوار من المزدوجة والخمسة ؛ ولكن هذا لم يختلف عن قالب الشعر القديم اختلافاً هاماً إلا من حيث الربط بين اثنين أو أكثر من أنصاف الأبيات - وغالباً من بحر الرجز - بقافية واحدة ، لتكوين دور واحد (على طريقة أ أ ، ب ب ، ج ج ، الخ) ، أو من حيث التأليف بين جميع مصاريع كل دور بواسطة قافية خاصة به ، مع تقيية المصراع الأخير من كل دور إلى نهاية الشعر بقافية مشتركة بين جميع أدوار القصيدة (على طريقة أ أ أ ، ب ب أ ، ج ج أ ، الخ) .

كذلك ما يشبه الأدوار الشعرية من تأليف أنصاف الأبيات على صورة التصريع أى الأجزاء المسجوعة ، لم تشهد في أوزانها عن طريقة العروض القديم . وأغلب الظن أن أقدم شعر الأدوار في أسبانيا يحول أيضاً في دائرة بحور العروض الأولى ؛ ولكنه حطم بعد ذلك أسوارها .

وعلى ما ذكر ابن بسام^(١) ، أنشأ قديماً أحد الشعراء في بلاط الأموي الأسباني عبد الله بن محمد (حكم ٢٧٥ - ٣٠٠ هـ) ، واسمه محمد بن محمود المقبرى الضرير^(٢) موشحات في القوالب المستحدثة [عبارته : وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة] وهذا لا يكاد يفهم منه إلا أن الموشحات قد أخذت هذه الثروة المتنوعة القوالب من حيث العروض في القرن الثالث الهجرى ، تلك الثروة التي ظهر إلى جانبها الشعر القديم ، بأوزانه الستة عشر ، فقيراً موحد النغمات .

بيد أن ابن بسام قد عد الأب الحقيقى لهذا الفن الجديد عبادة بن ماء السماء (المتوفى ٤٢٢ أو ٤١٩ هـ) الذى أبدع فناً ثابت الدعائم ، وابتكر على الأخص أسلوب « التضمير » الذى فسرّه ابن بسام بأنه يعتمد فيه على مواضع الوقف في المراكز .

(١) ذكره ابن شاعر الكتبى في : فوات الوفيات (١٢٩٩ هـ) ١ / ١٩٩ .

(٢) انظر : M. Hartmann, Das arabische Strophengedicht I Das Muwassah, S. 69 f.

والظاهر أن مراده بهذا هو الموشحات ذات الأقفال ، التي تتكون من أدوار ، كل دور منها ذو أبيات مجزأة ، توحد صدورها قافية ، وتوحد أعجازها قافية أخرى ؛ مع استقلال كل دور عن الآخر في قوافي صدوره وأعجازه ، ثم يختم كل دور بالقفل ؛ وهذا الأخير تتحد قوافيه السائدة في جميع القصيدة .

وفي الحق تدل موشحتنا عبادة ، اللتان ساقهما السكتي ، على عناية فائقة بإبداع القالب ؛ وكنموذج لذلك نذكر الدور الثاني من الموشح الثاني ، مع قفله :

رشيقة	المعاطف	كالغصن في القوام
شهدية	المراشف	كالدر في النظام
دِعْصِيَّة	الروادف	والخصر ذو انضمام

* * *

جِوَالَة القِلاَدَة مَحْلُولَةٌ عِقْدَ الإِزَارِ

حسنها أبدع من حسن ذِيَّكَ الْغَزَالِ أكحل المدمع

فالأجزاء الستة الأولى تؤلف الدور ؛ وما بعد ذلك هو القفل الذي يشتمل على القوافي المكررة في جميع الموشحة ، وكل دور تقفى أجزاءه تقفية خاصة كما ذكرنا . فالموشحة المذكورة تتألف من ستة أدوار ؛ مطلع الدور الأول :

لله ذات حسن	مليحة	الحَيَّا
ومطلع الثالث :	ليلية	الدوائب
ومطلع الرابع :	سفرجل	النهود
ومطلع الخامس :	عفيفة	الذيول
	نقية	الثياب

ويتحد الجزء الأول من القفل مع أجزاء الدور في الوزن فقط ، أى لا في القافية ، على حين تختلف بقية الأجزاء عنها في الوزن والقافية ، ولا تتحد

أجزاء القفل بعضها مع بعض ، ولكنها تتحد مع أجزاء بقية الأقفال في الموشحة كلها ، كما ذكر ، أى أن كل جزء يتحد مع الجزء المقابل له ، ففقل الدور الثالث مثلاً كما يلي :

ناديت وافؤاده من عادة ذات اقتدار
لحظها أقطع من حد مصقول النصال في الفتى الأشجع
وقفل الدور الأخير :

في النوم لى شَرَّاده وحكمها حكم اقتدار
كلما أُمْنِع منها ، فإن طيف الخيال زارنى أهجع

والقفل الأخير من الموشحة ، وهو الذى يسمى : الحَرْجَة ، هو القمة التى تتجه الموشحة كلها إليها ، ولذلك يحسب حسابها من أول الشروع فيها ؛ فجميع الأدوار الأولى ، عليها أن تجمع من شتات انتباه السامع لتوجهه إلى القفل الأخير . وهذا عليه أن يرضى تطلع السامع وتشوفه بمفاجأة معنوية ولفظية تشبع ميوله ، وتقنع فضوله ؛ كما يؤخذ معنى ذلك من : « دار الطراز » لابن سناء الملك ، ففى القفل الأخير من هذه الموشحة ، تؤثر هذه الكلمات الأخيرة أعظم التأثير :

. . . فإن طيف الخيال زارنى أهجع

وفى هذه الموشحة ، كما فى كل موشحة تامة ، تقدم ، على جميع الأدوار ، قفل مماثل لجميع الأقفال ، ويسمى : مطلع الموشحة :

حب المها عباده من كل بَسَّام السَّوار
قر يطلع من حسن آفاق الكمال حسنه الأبداع

هذا الفن المنتخّل الدقيق من التقفية والتسميط ، الذى يضفر أجزاء متباعدة من الموشحة ويدخلها بعضها فى بعض ، ويطلع الموشحات بأسمى طابع من الكمال الفنى الناضج ، ربما كان هو المعنى « بالتصفير » الذى يعد « عبادة ابن ماء السماء » أباً عذرتة .

كذلك الموسيقى التي كانت تلحن لهذه الموشحات [كل الموشحات كان هدفها الغناء] كان عليها أن تراعى هذا التنوع والافتنان ، وأن تأخذ أيضاً طابع التعقيد الحافل بالكمال الفني .

ولم يكن هذا التكوين العروضي البديع ، المعتمد في بناء هيكله على قواعد غريبة على الشعر البدوي الفصيح ، ولا ذلك الفن الغنى المتنخل في التقفية والتصريع ، ولا تلك الموسيقى الرفيعة المعقدة ، هي كل الخصائص التي ميزت بين الموشحات ، والشعر الفني القديم . بل كذلك يحملنا القالب اللغوي لهذا الفن الجديد على ملاحظة التحرر أيضاً من القيود الأولى .

فعلى رأى ابن سناء الملك^(١) ، ينبغي أن تكون « الخرجة » — فيما عدا المديح لأنها تتضمن اسم الممدوح في هذه الحالة — بعيدة عن أسلوب السخف الحجاسي (نسبة إلى ابن حجاج الماجن الذي ذكر آنفاً) ، وأن تكون صيغتها على قالب ابن قُزَّمان ، أى في أسلوب ملحون مجرد من الإعراب ، كما يحسن أن تشتمل على عبارات دخيلة وكلمات أعجمية اللغة^(٢) .

نعم لم يكن من السهل ، مع ذلك التغيير الشديد الذي أحدثه ترك الإعراب في مواد الألفاظ ، صوغ عبارات من اللغة الشعبية تصلح لذلك النظام العروضي العسير ، الذي يعتمد على مقاييس الحركات ، ولا يتحمل التطويل الزائد ، ولا المقاطع المغلقة غالباً ؛ وعلى ابن سناء الملك أن يدع لأن الخرجة في أحوال كثيرة لا بد أن تكون في أسلوب نحوي فصيح ، بل هذا هو المستفيض الغالب فيما بقي من الموشحات .

أما أن رأى ابن سناء الملك في ضرورة صوغ « الخرجة » باللغة الشعبية الدارجة لم يكن مجرد نظرية مفترضة ، بل حقيقة عملية ، فهذا مالا تنحصر الدلالة عليه فيما ورد من الموشحات الجارية على ذلك ؛ بل ما تدل عليه النماذج

(١) انظر تلخيص أقواله في كتاب M. Hartmann السالف الذكر ص ٩٩ فما بعدها .

(٢) ص ١٠١ من الكتاب المذكور .

الواردة في ديوان: يهودا هالسيبي (المتوفى ١١٤١ م) ، والتي تستعمل العبارات العربية والأسبانية القديمة مختلطاً بعضها ببعض على سواء ؛ كما تدل على ذلك قبل كل شيء موشحات ابن قزمان (المتوفى ٥٥٥ هـ) التي صيغ كل ما وصل إلينا منها باللغة الدارجة .

ذلك أن محاولة نظم « الزجل » أى الموشحة الشعبية الأسلوب ، إنما أمكن التجاسر عليها بعد أن تقدمت الموشحات الفصيحة باقتباس عبارات وجمل مبتدلة من لغة الشعب ، وهيات بذلك الصيغ والقوالب في لغة العامة للاندماج في أوزان الموشحة . على أنه يترأى أن هذا المزج والتقريب بين لغة الكتابة الفصيحة ، واللغة الدارجة العامية ، في الاستعمال الفني ، بقي مقصوراً على الأندلس ؛ على الرغم من أن أسلوب الموشحة قد شق مجالا لاحتذائه وتقليده خارج الأندلس ، في شمالى أفريقية ، ومصر ، وسورية ، وبلاد الرافدين .

أما لماذا لم ينفذ إلى العراق ^(١) ؟ فربما رجع ذلك إلى أن الموسيقى الفارسية هنا كانت أسبق إلى التغلغل والاستيطان ، إذ إن الموشحة ترتبط بالموسيقى العربية أشد الارتباط ، وحتى يومنا هذا تكون الموشحة جزءاً أساسياً لا يستهان به في محيط الموسيقى العربية ^(٢) .

(١) العراق هو بلاد الرافدين ، والمؤلف هنا متناقض في أقواله ! (المترجم) .
(٢) يشتمل كتاب الأغاني المصرية لمحمود حمدي البوقاقي المسمى « المغنى المصرى » على ٥٠٠ صوت منها ١٣٤ موشحة قصيرة ، القاهرة ١٣٦٦/١٩٠٨ .

وصف المقدسي للصلات اللغوية في المحيط الاسلامي

إبان القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

كتاب : أحسن التقاسيم ، في معرفة الأقاليم ، الذي أكمله أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ^(١) سنة ٣٧٥ / ٩٥٥ ، والذي يعد أنضج نتاج للعصر الإسلامي الأوسط في ميدان وصف الدول والبلدان ، لا يحتوى على طائفة صالحة من الأخبار عن الأمور اللغوية فحسب ، بل هو في نفس الوقت عظيم الفائدة من حيث أسلوبه الخاص .

فكما بلغ المؤلف الذروة في كلا مقصديه على سواء : من حيث استيعاب النظرة ، وقوة الملاحظة تجاه البلدان والشعوب ؛ ومن حيث الإحساس الدقيق ، والدوق المرفه ، أمام الأسلوب الأدبي ، والتعبير اللغوي ، عرف أيضاً كيف يوفق بين مطالب الكتابة في الناحية العلمية الخاصة ، ومذاهب الأسلوب الأدبي الرفيع .

ويدل استخدامه ذلك التعبير البلاغي : التقسيم [يعبر لفظ التقسيم في اصطلاح البلاغة عن استيفاء أقسام المعنى المراد بيانه] على توفر الميل الأدبي عند المقدسي ، كما يدل على ولعه بالنثر المسجوع ، الذي لم يقتصر على استعماله في المقدمة ، بل تعاطاه في مواضع كثيرة من صلب الكتاب .

ولشدة تعلقه بالسجع لا يندر أن يؤثر عبارات متنخلة متخيرة ، مثل استعماله لفظ : أثام ، بمعنى خطيئة ، مريداً به الخمر (٤١٠ س ٥) ولفظ : دِقَال ، أى قلاع ، بمعنى السفن (ص ٤٥٩ س ١٥) .

كما حُبب إليه تحليلية عبارته بالاعتباس القرآني ، مثل : من كل فج عميق

(١) « كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم » نشره M.J. De Goeje للمرة الثانية سنة ١٩٠٦ (المكتبة الجغرافية العربية ٣) .

(ص ٢٧٨ س ٧ سورة الحج ٢٢ / ٢٧) ؛ وما يدريك (ص ٣٧٨ س ٤) ،
وغير ذلك .

وأحياناً يضمن عبارات أدبية من الذاكرة ، مثل تعبيره عن قصان
الدروع القديمة التي رآها في تيماء ، والتي بطل استعمالها في أزياء السلاح لعهد
بالدروع الداودية (ص ٢٥٣ س ٤) .

وبحكم اعتياده على ملاحظة الفروق بين مختلف البلدان الإسلامية في
الكلام ، والأصوات ، واللغة ، لم يقتصر على ذكر قائمة من العبارات
المحلية (ص ٣٠ س ١٥ - ٣٢ س ٣) بل أكد أيضاً أنه سيتكلم في وصف
كل إقليم بلسانه ، وينظر على طريقته ، ويضرب من أمثاله ، فإذا تكلم في
غير الأقاليم - من أجزاء الكتاب - تكلم بلغة الشام لأنها لإقليمه الذي به
نشأ^(١) .

ومما يدل على أن مراده من لغة الأقاليم التي يتكلم بها لغة المثقفين لا لغة
الشعب الدارجة ، دعواه أن أصبح العربية يتكلم بها في المشرق ، أى في
الإقليم اللغوى الفارسي ، لأنهم يتكلفونها تكلفاً ويتعلمونها تلقفاً ؛ (ص ٣٢
س ٨) .

ومن هذه الناحية كان ذلك الكتاب كنزاً ثميناً من الوجهة اللغوية . فهو
يذكر (ص ٩٦ س ١١ - ٩٧ س ٢) أن أصبح العربية في جزيرة العرب عند
هذيل ، ثم في قسمة نجد ، ثم أخيراً بقية الحجاز ، على حين يصف لغة
بلاد السواحل (الأحقاف) بأن لسانهم (وحش)^(٢) .

وفي مدينة الثغر : صحار ، تسود اللغة الفارسية ، في التجارة والمعاملة .
كذلك الثغران : جدة وعدن ، أكثر أهلها فرس ، بيد أن العربية هي لغة
الكتابة والتفاهم .

ويذكر المقدسى الحميرية التي لا تفهم بسهولة .

(١) ص ٣٢ س ٤ .

(٢) « وحش » عبارة يولع المقدسى بكثرة استعمالها ، انظر دى غويه في الفهرست اللغوى
للكتاب .

ومن خصائص لهجة عدن التزام المثنى في جميع الأحوال : يَدَيْنِه ورَجْلَيْنِه ،
مع الجمع بين النون والإضافة ، وجعلهم الجيم كافاً ، أو جيماً غير معطشة^(١)
وساق مثلاً لذلك الحديث الذي روى فيه بدل لفظ : رَجَس ، رَكَس^(٢) .

وهو يصف عربية العراق (ص ١٢٨ س ٧ - ٩) بأنها حسنة فاسدة ،
والظاهر أن مراده أنها حسنة الوقع في الأذن وإن لم تطابق قواعد النحو ؛ بل
هو يعد لهجة بغداد أجمل اللهجات العربية وأحسنها لساناً (ص ٣٤ س ١٤) ، على
الرغم من اعترافه في موضع آخر بأنه طالما خجل من اللحن اللغوي على لسان
قاضي القضاة ببغداد ، دون أن يرى أحد في ذلك عيباً^(٣) .

ولهجة الكوفة أصبح نسبياً لقربهم من البادية وبعدهم عن النبط ، أما ضرة
الكوفة القديمة : البصرة ، فإنها منذ استيلاء الزنج عليها سنة ٢٥٧ هـ تأخرت
كثيراً ، بحيث لم يرها المقدسي أهلاً لعلها في هذا السياق أصلاً ؛ فهو
يقتصر على ملاحظة أن اللهجة العربية في البطائح (المستنقعات بين البصرة
وواسط) ركيكة قبيحة (ص ٣٢ س ٩ ؛ ٣٤ س ١٦) ؛ ولا شك أن هذا
نشأ من اختلاف السكان هناك بين قبائل عربية ، وأنباط . وأخلاف السكان
الآراميين القدامى ، وأمشاج الزط الذين أسكنهم الحجاج هناك^(٤) ، وأخيراً
العدالذي لا يخصى من الزنج ؛ وهو يقول عن سكان البطائح النبط باختصار :
ليس لهم لسان ولا عقل .

ومثل عربية العراق ، كذلك عربية إقليم ما بين النهرين في حكم المقدسي
(ص ١٤٦ س ٢ - ٣) حسنة ، أى حسنة الجرس في السمع ، وإن
لم تكن سليمة من جهة النحو ؛ وعلى كل حال فهي من هذه الوجهة أصبح
من لغة سورية ، لأن سكان ما بين النهرين عرب بدو في الأعم الأغلب ،

(١) انظر في هذا : Marçais, EI I, ١٠٩٠

(٢) انظر البخاري في كتاب الوضوء ولفظ رجس في Wensinck, Concordance

(٣) ص ١٨٣ س ٥ ، وعبارته : كنت إذا حضرت مجلس قاضي القضاة ببغداد أخجل من
كثرة ما يلحن ولا يرون ذلك عيباً .

(٤) انظر : دائرة المعارف الإسلامية EI, IV ١٣٣٧

كما تدل على ذلك أسماء مناطقها : ديار بكر ، ديار ربيعة ، ديار مضر ؛ وهو يمدح على الخصوص لهجة الموصل بأنها أحسن لهجاتها ؛ كما تمتاز صيدا بين مناطق سورية ، بأنها (أوحش) لهجاتها (ص ٣٤ س ١٥) .

وعلى الرغم من أن لغة أهل الذمة بمصر (أى المسيحيين) هى القبطية (ص ٢٠٣ س ٥) ، فإن لغة البلاد هى العربية ، وإن كانت لهجة يصفها المقدسى بالركاكة والرخاوة (أى الإهمال من جهة النحو) ، لأن السكان اتكلموا على لسانهم فلم يتكلفوا الأدب ، والكتاب الذين يتمتعون بهذه الثقافة ، يختارون من النصارى (ص ١٨٣ س ٥) .

وأخيراً يجد المقدسى لهجة المغرب شديدة الاختلاف عن عربية البلدان الإسلامية الأخرى ، منغلقة عسيرة الفهم ، أما البربرية فلا يستطيع فهمها أصلاً ، (ص ٢٤٣ س ١٠) .

وعظيمة الفائدة — بوجه خاص — تلك القائمة ، المشار إليها آنفاً . من الاستعمالات المحلية ؛ فهى تشتمل على مترادفات من أوصاف الأشخاص والأشياء التى يحتاج إليها المسافر ، وتبادر إلى ذهنه : أنواع السفن ، وأوصاف رجالها ، ومفردات خاصة بالملاحة ، واصطلاحات جغرافية ، وألفاظ المكس ورجاله ، والمقاييس والموازن ، والخانات والفنادق والعبيد والخدم ، والمراتب المختلفة ، والأسواق والمتاجر ، والتجار والبضائع ، والأقمشة والثياب ، وأدوات النعال ، والأوعية ، والنباتات ، والحيوانات الأليفة — يضاف إلى ذلك قائمة تشتمل على ٤٩ صنفاً من أجناس التمر ، و ٢٤ نوعاً من سمك دجلة الذى يجلب إلى سوق البصرة (ص ١٣٠ ملحوظة P) — والصيدان وورطانتهم ، وعجلات الرى والسقى ، والقنوات ومجارى المياه ، وأخيراً اصطلاحات الإدارة والحكم

نعم هو لا يحدد فى ذلك مناطق استعمال كل تعبير ، بيد أن مواضع أخرى من كتابه ، وورود الكلمات فى مظان أخرى ، واشتقاقها اللغوى ، أو بعض التقييدات التى توجد عند كتاب آخرين ، كل ذلك يساعد أحياناً على ذلك التحديد .

وهكذا يبين فهرست أسماء السفن في حكاية أبي القاسم بن المطهر^(١) مثلاً، أن أكثر أسماء السفن الخمسة والثلاثين التي عدها المقدسي^(٢) كانت تستعمل في العراق — وإن لم يلزم من ذلك اختصاص العراق بها — : جاسوس : سفينة التفتيش ؛ خَيْطِيَّة : سفينة من خشب البَلُوط الهندي لا توثق ألواحها بالمسامير بل بألياف النخل ؛ زَبْزَب : قارب حربى صغير ؛ طَيَّار : قارب سريع للتجديف خاصة ببغداد والعراق ؛ شَذى : قارب حربى ؛ كما يذكر لفظ : قارب، المنتشر استعماله في المغرب وكذلك لفظ : بُرْمَة التي لا يعرف أصلها .

ويبدو أن من خصائص العراق أيضاً لفظ : زورق^(٣) (قارب) ؛ ومِعْبَر (معدية) .

ومن المستعمل في البلدان الواقعة على المحيط الهندي : بيرجه : سفينة لصوص البحر ؛ دُونِيج : سفينة ذات قلع واحد تسيّر على السواحل ؛ وما يدخل هنا أيضاً فيما يظهر : شَنْكُولِيَّة^(٤) وَزَنْبُوق Sambuk في حالة ما إذا جعل ذلك بدلا من المطبوع شَنْبُوق^(٥) (ص ٣٢ س ٢) .

وما يختص بالبحر الأبيض : شَلَنْدَى : مركب بيزنطى لنقل الجنود ؛ شِينَا (سفينة بيزنطية كثيرة القلاع Galeere) .

وللتعبير عن محرك السفينة (الدَفَّة) تعد كلمة : سَكَّان ، أصيلة الموطن بالعراق لصحة وجودها في اللغة المندائية^(٦) واللغة الأكادية في صيغة :

(١) Abulkasim ein bagdader Sittenbild, hrsg. von A.Mez, (١)
Heidelberg 1902:107

(٢) جمعت المواد المتصلة بهذه الكلمات في أطروحة الدكتوراه التي قدمها في مدينة (بون) الألمانية : Kindermann : Schiff im Arabischen, Zwickau 1934

(٣) ورد هذا اللفظ في شعر ذى الرمة قصيدة رقم ٢٠ بيت ١٥ وملحق ديوان الزريان القصيدة ٣ بيت ١٥ وديوان رؤية القصيدة ٢٧ بيت ٣٠ و ٤١ / ٦٥ .

(٤) فسرهما دى غويه في فهرست ألفاظ الكتاب بسفينة لصوص البحر ، على أنها مأخوذة من : شَنْجُول : لص في الفارسية .

(٥) انظر : Kindermann في الأطروحة المشار إليها ص ٤٥ .

(٦) Johannesbuch 152, I Lidsbarski

سَيَّكَانُ ، وقد استعمله طرفه بن العبد (ق ٢٨/٤) في سفينة بنهر دجلة ،
والفرزدق (ديوانه ص ٨٦٨) في وصف السفن في الخليج الفارسي ^(١) .
أما في المغرب ^(٢) فيستعملون في ذلك لفظ رَجُل . وربما كان ذلك أيضاً
في سورية ^(٣) .

وللتعبير عن الملاح يستعمل في سورية لفظ : نَسُوق ، كما ذكره الجوهري
وهو مأخوذ عن اليونانية ، على حين أن لفظ : ملاح ، الذي يرجع أخيراً إلى
السومرية ، ربما كان خاصاً بالعراق .

ويعبر الملاحون العراقيون عن السير إلى أسفل النهر : شِبَالاً ، وإلى أعلى
النهر : زَقَافاً ^(٤) ؛ وقد ذكر المقدسي الاصطلاحين في وصفه للعراق ولغته
(ص ١٢٤ س ٧) .

وتسمى الريح المساعدة في العراق : شَرْئَه ^(٥) ؛ وفي غيرها (ربما في
سورية ؟) : طَارُوس .

كذلك لفظ قَلَس ، المأخوذ عن اليونانية ، بمعنى حبل السفينة ، الذي
ذكره المقدسي إلى جانب لفظ : حبل ، كان مستعملاً في العراق بشهادة ابن
دريد ^(٦) .

وعظيمة هي الفروق في دائرة أسماء المقاييس والموازين والنقد ؛ فمثلاً
لفظ : مَن (Mine) معروف في جميع المحيط الإسلامي بمعنى رطلين ،
إلا في مكة حيث يستعمل لفظ : رطل (ص ٩٩ س ٤) ؛ كذلك يستعمل

(١) ذكرت مظان أخرى في : Fraenkel, Fremdwörter 222

(٢) ذكر Dozy شواهد مستخرجة من رحلة ابن جبير ص ٣٢١ س ٥ والشرح
المغربى لشعر مسلم بن الوليد ١٩/١٢ .

(٣) انظر المسعودي ٢٨٢/١ طبع باريس ، يوافق ٧٨/١ س ٧ (طبع القاهرة ١٣٤٦ هـ) .

(٤) انظر حكاية أبي القاسم السالفة الذكر ص ١٠٨ س ١ ، وكلا اللغتين مأخوذ
عن الآرامية .

(٥) انظر فهرس ألفاظ الكتاب وحكاية أبي القاسم ١٠٨ .

(٦) انظر : A. Siddiqi, Ibn Duraid 737 وانظر النسبتين : القلاس والقلوسي

في مكة بدلا من لفظ : قنطار ، لفظ : بهار ، ويزن ثلاثمائة رطل (ص ٩٩ س ٩) . وأصغر النقد في كل مكان عادة لفظ : حَبَّة ، واسمها في عمان : طَسُوهُ^(١) . وهو دليل على اتصال هذا الإقليم بالدولة الساسانية من الناحية الاقتصادية . فكلمة : تاسوك في الفارسية الوسطى ، وتاسو ، في الفارسية الحديثة ، وطسُوج ، في العربية ، تعبر عادة — بحسب الأصل — عن ربع الدانق ، وبهذا عن جزء من أربعة وعشرين جزءاً من الدينار ، ثم بطريق المجاز عن جزء من الأرض يمكن سقيه بربع من الماء . وأخيراً عبر به عن الناحية ، لأنها تصور أقل وحدة من وحدات التنظيم الإداري .

وذكر المقدسي من وسائل السقي والرى إلى جانب لفظ : دولاب (الساقية أو عجلة الماء) الفارسي ، ولفظ : حَسَنَانَة ، العربي ، لفظ زَرْئُوق بمعنى البئر ، وهو لفظ ينتمي إلى الآرامية^(٢) ولا يزال حياً إلى اليوم عند أهل نجد^(٣) وفي خوزستان تسمى السواقي : نواعير ، جمع ناعورة أو ناعور ، وهذا اللفظ الآرامي الأصل^(٤) ، كان غير معروف في المغرب ، بحيث وجد المقدسي من اللازم التعبير عنه بلفظ : دواليب (ص ٤١١ س ١١) .

ومن الألفاظ الدالة على سكان الريف ، في مقابلة كل من سكان البادية وسكان الحضر ، يظهر أن لفظ : قَرَيَاتِي^(٥) من ألفاظ اللهجة السورية ، ولفظ سوادى من ألفاظ العراق^(٦) ، كلفظ : رُستاقى ، نسبة إلى : رُستاق ، من البهلوية رستاك^(٧) .

(١) هذا ما يؤخذ من ص ٩٩ س ١٤ ومن عطفة طسوج على حبة في ص ٣١ س ٣ .

(٢) انظر : Fraenkel, Fremdwörter 134 واختلط هذا اللفظ على Mez في

كتابه : Renaissance ص ٤٢٤ بلفظ : زرزور .

(٣) Bräunlich, The Well in Ancient Anrabia 31 f.

(٤) Fraenkel في الكتاب السابق ص ١٣٤ و Mez في Renaissance 424

(٥) وهي نسبة شاذة إلى الجمع المولد : قريات بفتح الراء ذكرها المقدسي في ص ١٧٣ س ٦ .

انظر دي غويه في فهرس الألفاظ . واستعمل الجاحظ لفظ : قروى في البيان ٦٨/١ س ٢٧ ، ٤/٢ في مقابل : بدوى .

(٦) انظر : حكاية أبي القاسم ص ١٠٧ س ٨ .

(٧) لسان الرستاق ص ٤٧١ س ١١ هي لغة السهل من كرمان .

ومن الألفاظ الدالة على السنور، ثبت استعمال لفظ هِرَّ ، اسماً مؤنثاً في العربية القديمة ؛ ولفظ : دِمَّة ، المأخوذ من : دِمَتُ ، الحبشية، يبدو أنه كان مستعملاً في جنوب الجزيرة^(١) . ولفظ : قطة كلفظ : قَطُّس ، يبدو رجوعه إلى اللغة المصرية ، وهو منتشر في سورية ومصر وشمال أفريقيا . ولفظ : سِنُور ، مستفيض في الكتابة القديمة بالعراق^(٢) .

وفي أسبانيا يسمى عنقود العنب : كَرْمَة ، ويستعمل المقدسي كثيراً جمعه على : كرامات - وقد أثبت «دى غويه» أنه مغربي في فهرس الألفاظ - في وصفه للأندلس . وفي المشرق يستعمل بدلاً من ذلك لفظ : دالية ، المأخوذ من الآرامية . وفي موضع آخر (ص ٢٣٥ س ٦) نستفيد عرضاً أن الحديقة تسمى بالأندلس : مُسْنِيَة ؛ وهناك أيضاً ينبه إلى أن لفظ : إقليم ، يدل في أسبانيا على ما يقابل رستاق وهو المنطقة الريفية .

وفي أحوال أخرى يدل الاختلاف اللغوي على اختلاف الثقافة وتضادها بين سكان البادية ، وسكان الحضر المستقرين ، ذلك التضاد الذي بلغ من البعد بحيث تصور اللهجات البدوية إلى اليوم وحدة لغوية مستقلة .

فمثلاً لفظ : أثنافي ، أى حجارة الموقد ، لفظ بدوي ، على حين لفظ : موقدة ، الذي لم يذكره الجوهري ، مستعمل عند سكان الحضر . زيادة على ذلك يستعمل المقدسي (ص ٣٦٤ س ١٣) لفظ : دِيكُنْدَان ، (الأثنافي أيضاً) الفارسي ، في وصف بناء سد يأجوج ومأجوج ، لإعارة هذا الوصف صبغة محلية .

ويبدو أنه يقصد إلى تنويع الكلام وتجميله أكثر مما يرى إلى التلوين بالصبغة المحلية ، في ذكر التعبيرات المختلفة عن : الخصى ؛ فلفظ : خصي ، القديم الجاف ، قد خفف إلى لفظ : خادم ؛ ولما كانت التربة كثيراً من صنعة الخصبان ، فقد خوطبوا تأديباً بالفاظ : معلم ، أستاذ ، شيخ . وهكذا

(١) انظر دوزي في المادة . وكذلك نولدكه : : 58 NBSS

(٢) انظر كلمات أخرى بمعنى القطة في حياة الحيوان للدميري تحت كلمة : سنور ولما يقابلها في المغرب انظر مقالة فيشر في : ZDMG 71, 217

يتحدث المقدسي (ص ٢٤٢ س ١٣) مع «عَرِيب» الخادم عن أمر الخدم، ويوجه الخطاب إليه بلفظ : المعلم ، ثم استعمل هذه الألفاظ أيضاً في غير الخطاب بمعنى «الخصي» .

وأحياناً يتعاطى المقدسي ألفاظاً خارجة عن محيط اللغة العربية ، كما في التعبير عن مجامع الأبنية التي لا تقتصر على تقديم أماكن لراحة المسافرين الأجانب - على وجه الخصوص - ومحطات لرحالهم ، بل تشمل أيضاً ، كما هو الحال في كبار الفنادق الحالية ، على مخازن ومتاجر ومصانع ، وتقرن بين صفة دار الضيافة وصفة السوق العامة ؛ وفي هذا يعد لفظ : فندق ، المأخوذ من : باندكيون اليونانية ، من خصائص سورية ومصر وشمالي أفريقية أي منطقة نفوذ الدولة البيزنطية ؛ مثل لفظ : خان في فارس ؛ ولفظ : تَجم فيما وراء النهر ، الذي يستعمله المقدسي كثيراً في وصفها ، وإلى هذا يستخدم أيضاً اللفظ العربي : دار التجار ^(١) .

وإذا كان المقدسي يستعمل زيادة على ذلك للدلالة على ساحات السوق لفظ : قيصرية ، فربما جاز لنا أن نرى في هذا اللفظ أثر اللهجة السورية ، لأنه راجع إلى أصل يوناني كان جارياً في تلك البلاد التي خضعت سالفاً للسلطان البيزنطي ^(٢) .

وفي التعبير عن استحكامات الأبنية ، يبدو أن لفظ : حصن ، مقصور على جزيرة العرب وسورية وفلسطين ، على حين كان لفظ : قلعة ، يتردد في محيط أوسع انتشاراً ، وعلى الأخص في شمالي أفريقية وأسبانيا ؛ ويطابقه في المنطقة اللغوية الإيرانية لفظ : كلات ^(٣) ؛ وفي خراسان وما وراء النهر تسمى القلعة التي توجد في كل مدينة تقريباً : قُهَسْتَدَز ^(٤) ، ومعناه الأصلي : الحصن القديم .

(١) وعلى عكس ذلك يدل لفظ : خانقاه على «الدير» في كرمان ، انظر دى غويه في فهرس الألفاظ .

(٢) انظر دائرة المعارف الإسلامية : Strceek El 2,706

(٣) انظر في هذا اللفظ : دائرة المعارف الإسلامية .

(٤) انظر في لفظ : قهنتدز ، المغرب للجوالقي ص ١٢٢ س ٣ ؛ معجم البلدان ٢١٠/٤ ؛

تاج العروس في المادة ، وهو يطابق في المغرب لفظ : قصبة ، انظر : El 2. 838

بيد أن عناية المقدسي اللغوية لم تقتصر على العربية ، بل تمتد إلى جميع اللغات التي يجري الكلام بها في العالم الإسلامي . ومن المهم حديثه عن الصلات اللغوية في إيران لذلك العهد^(١) . وكلامه صريح في أنه كان يفهم الفارسية إلى حد كبير ، حتى إنه كان يستطيع أن يحكم على لهجاتها بحسب مكانتها من لغة الأدب .

فهو يسم لهجة نيسابور (ص ٣٣٤) بأنها فصيحة مفهومة غير أنهم يكسرون أوائل الكلم (علامة الفعل الأصلية : ب) مثل بِيشَسُوْ ، أى كُنْ ، ويزيدون السين بلا فائدة مثل : بِكْفَنَسَتِي .

ويعد لهجتى طوس ونسا قريبتين إلى لهجة نيسابور ، بل أحسن لساناً ؛ كذلك لسان بُسْت حَسَنَة ، ولهجة سجستان فيها تحامل وخصومة ، يخرجون الكلام من صدورهم ويجهرون فيه ؛ على حين أن لسان مرو ومروروز له مهابة وعظمة ، غير أن فيه تحاملاً وطولاً ومداً في أواخر الكلام ، كذلك لهجة بلخ حسنة إلا أن فيها كلمات تستقبح .

وغاية في القسوة حكمه على لسان هراة (الوحش) ، وهنا يحكى قصة عن بعض ملوك خراسان إذ جمع رجالاً من خمس كور خراسان الأساسية ، فلما حضروا تكلموا جميعاً ، فقال عن السجستاني : هذا لسان يصلح للقتال ، والخراساني يصلح للتقاضى ، والمروزي يصلح للوزارة ، والبلخي يصلح للرسالة (لكتابة الرسائل) ، أما لسان هراة فيصلح للكنيف (٣٣٤) .

وتشبه اللهجة المروزية لهجة سَرْخَس وأبيورد ؛ وبين المروزية والهروية لهجة (جَرْجستان جَرْج الشار) ؛ وبين المروزية والبلخية لهجة جوزجان . وأخيراً تشبه البلخية لهجتا طخارستان وباميان ، إلا أن هاتين منغلقتان عسirtا الفهم . أما لغة خوارزم فهي لا تفهم أصلاً . وقد لفت نظره في اللهجة البخارية تكرار كلمات من الحشو الذي لا طائل تحته ؛ مثل : يكى ، أداة للتفكير ،

(١) انظر ص ٣٣٤ س ٧ ؛ ٣٣٦ س ١ ؛ ٣٦٨ س ٩ - ١١ ؛ ٣٩٨ س ٧ - ١٠ ؛

٤١٨ س ١ - ١١ ؛ ٤٧١ س ١١ - ١٢ ؛ ٤٨٢ س ٩ .

إلى جانب حرف : ي (ياء التنكير) أو : دَانِسْتِي ، هل تعلم ؟ ولكنها لغة البلاط (دَرِيَّة) ؛ لأن بخارى كانت عاصمة الصفريين .

وفي السمرقندية لاحظ المقدسي صوتاً بين الكاف والقاف ، والظاهر أنه نوع من الجيم ؛ وعد من لهجات الهيطل لغة الشاش أحسنها . والصغدية تشبه لغة القرويين في بخارى ؛ وهنا يستطرد ملاحظاً أن الناس في كل إقليم من الأقاليم التي ذكرها يتكلمون في الريف (الرساتيق) بلسان مغاير لهجة الحضر .

وفي اللهجتين المتقاربتين : لهجتي قومس وجرجان ، اللتين يصفهما بالخلابة ، يستعملون علامة الفعل الأولى : هَا ، بدلا من : ب ، مثل : هَاكُنْ : افعِل .

ونستفيد في موضع آخر (ص ٣٦٩ س ٤) أن العالم في جرجان يسمى : معلماً ، وأن : لوك ، معناه جيد . وقريب إلى ذلك لسان طبرستان الذي يقول المقدسي إن فيه عجلة . أما الدبلوماسية فهي ذات صبغة مخالفة لما تقدم منغلقة عسيرة الفهم . ولفت نظره في الجيلانية حرف الخاء ؛ والخزمية عسيرة الفهم ؛ ولهجة الري (ص ٣٩٨ / ٨) تستعمل اللاحقة الفعلية : رَ ، مثل : رَادِه ، رَاكُنْ ؛ وفي همدان يقولون : وَآتَم . وفي لهجة قزوین يستعمل حرف القاف ، ويقولون للجيد : نِجْ (بدلا من : نك . والأصفهانية لهجة (وحشة) فيها مد .

. ووصف المقدسي حالة اللغة (في ص ٤١٨ س ١ - ١١) في خوزستان وصفاً مفصلاً ، فقال : إنهم يمزجون بين العربية والفارسية إذ يحسنون اللغتين على سواء ، وأحسن ما تراهم يتكلمون بالفارسية حتى ينتقلوا إلى العربية . والكرمانية (ص ٤٧١ س ١١ - ١٢) تشبه الخراسانية ، وهي سهلة الفهم على النقيض من البلوصية التي تشبه لغة السند .

ثم يصف لغة مكران (ص ٤٨٢ س ٩) بأنها (وحشة) .

وجدير بالملاحظة أن المقدسي يسوق حديثاً مذهيباً يصرح بروح العداء للفرس : « أبغض الكلام إلى الله الفارسية ، وكلام الشياطين الخوزية ،

وكلام أهل النار البخارية ، وكلام أهل الجنة العربية ^(١) . وهذا الخبر الذى كشف النقاد المسلمون ^(٢) عن شدة الجرأة فى وضعه ، تعلمه المقدسى فى رامهرمز حيث كانت اللغة الخوزية ، التى لا صلة لها بالعربية ولا بالفارسية ، لا تزال مستعملة على ألسنة السكان .

كذلك نستفيد طرفاً من أسماء الأعلام المعتاد استعمالها فى فارس (ص ٣٩٨ س ٤ - ٦) . فى الرى يقولون بدلا من : على ، حسن ، أحمد : علكا ، مسكا ، حمكا ، للتمليح . وفى همدان يقولون بدلا من : أحمد ، محمد ، عائشة : أحمدلا ، محمدلا ، عيشلا ؛ فيضيف الأولون مقطع - كا ، والآخرى مقطع : - لا ، إلى الأسماء . وفى ساوة يضيفون مقطع : آن ، أبو العباسان ، حسنان ، جعفران . وفى كرمان أحب الكنى : أبو جعفر ؛ أما فى أصفهان فهو : أبو مسلم ؛ وأخيراً فى قزوین : أبو الحسين .

هذا ، وإن ذلك الطلاء البلاغى ، والافتنان فى أنواع الأساليب التى حلى بها المقدسى كتابه ، لا يمكن أن يندفع النظر عن أن لغته فى جوهرها من العربية المولدة .

فهو لا يعنى كثيراً بالترقية بين المقصور والممدود ، وهو يسوق فى قافية السجع (ص ١٥١) مع لفظ : دنيا ، الكلمتين : لأوى . (بدلا من لأواء) وأمثيّا ، الذى هو بدوره جمع مولد للفظ : ماء ^(٣) ؛ ومثل (ص ٤٤ س ١٤) لفظ : كِرّا ، بدلا من : كراء .

ووردت عنده صيغة « تفاعل » من رأى : ترايا . وهو يصوغ (ص ٢٢٥ س ٧ ، ١٢) جمعاً للفظ : مأجن : على مواجین ؛ ولللفظ : أذاة ، ضرر (ص ٢٠٢ س ٣) على : أذايات .

(١) ص ٤١٨ س ٦ - ١١ ؛ انظر : تهذيب التهذيب ١ / ٢٢٩ ، ويوجد حديث فى كنز العمال ١٨٤/٢ يحرم استعمال الفارسية فى الحج .
(٢) انظر ابن حبان (ذكره ابن حجر فى الموضع السابق) ، والذهبى فى ميزان الاعتدال ، وابن حجر فى لسان الميزان ، تحت : إسماعيل بن زياد .
(٣) انظر : Nöldeke NBSS 168

ومن المولد استعماله لفظ : أَخْشِر (ص ٣٤ س ١٧) بدلا من : خَيْر ^(١) .
ومن الاستعمال الشعبي الدارج معاملته التركيب الإضافي معاملة اللفظ المفرد ،
وصوغه النسبة إليه على هذا الأساس (ص ٢٠٣ س ٤) كان شفوعياً
أبو عمرياً (أى شافعى المذهب يقرأ على طريقة أبي عمرو ^(٢)) .

وكثيراً ما يستعمل أوصافاً مختومة بمقطع : - آنى ، مثل : بلغمانى
(ص ٤٧٩ س ٩) ، ذنبانى ، كالذيل (ص ٤٠٣ س ١٨) ، طولانى ،
طويل (ص ٤٨٧ س ٣) .

وهو يستعمل لفظ : منبوت : ، بمعنى مُنْبِت (ص ١٨٣ س ١٩)
وداخل ، مكان : أدخل ؛ ويستعمل مضارع المعلوم : يزن ، يجد ، يقدر ،
وربما أيضاً : يقف ، بمعنى مضارع المجهول .

وهو يقول (ص ٤٥٠ تعلق) : أدخلوا به ، أى دخلوا به ، وهو تعبير
خطأه الحريرى ^(٣) .

وهو يعدى خطب بالام أو على ، فى حديثه عن الأمير الذى يتم له
الاعتراف بالولاية بإلقاء الخطبة .

ولمى جانب استعماله لفظ : خاصة ، عند التخصيص ، يستعمل أيضاً
لفظ : وبخاصة ، وبخاصية .

وجدير بالملاحظة من تعبيرات الاستعانة بالأداة على تحديد الغرض
استعماله : بِرَسْم ، بمعنى : لأجل (ص ١٨٨ تعليق) .

ومن الاستعمال الشعبي الدارج استعماله : ترى ، بمعنى : فإذا ، فيكون
(ص ٣٦٤ س ٩) .

وهو يستعمل أحياناً : ما ، بمعنى أى شئ .

(١) Fleischer, Beiträge 4, 248

(٢) يفصد أبا الطيب بن غلبون (المتوفى ٣٨٩ هـ) ، انظر : تاريخ القرآن لنولدكه ،
٢١٧ ، ١٧٢/٣ .

(٣) درة الغواص ، ص ١٦ .

وهو يجرى على قواعد الإعراب والتصريف بوجه عام ، وإن دل تعبيره (ص ٣٥٨ س ٥) وتراهم . . . حزبان ، بدلا من : حزيين ، وربما أيضاً (ص ٣٧٧ س ٨) شبه ثوران ، بدلا من : ثورين [القراءة فى كلتا الحالتين مؤكدة السجع] على أن الشعور الحى عنده إزاء الإعراب غير قوى .

وكذلك فى الجمل الشرطية تظهر التعبيرات المولدة فى استعمال المضارع مع إذا ، بدلا من إن مع الماضى .

ومن العربية المولدة قبل كل شىء الثروة اللفظية . ذلك أن وصف البلدان والشعوب الإسلامية ، ليس من السهل اليسير بوسائط اللغة العربية القديمة . فنتائج الصناعة ، ومحاصيل الزراعة ، والمهن ، والحرف ، والظواهر المختلفة المتنوعة للحياة اليومية ، ينبغى التعبير عنها بالمصطلحات المتعارفة ؛ وفى هذا تلعب اللغة الفارسية دوراً عظيماً . على أنه هناك أيضاً ، حيث لا توجد أسباب واقعية يجلب إليه أن يستخدم ألفاظاً وعبارات مولدة . ومن أمثال هذه الألفاظ القرية إليه : على كل حال ؛ بما يدور ، بمعنى تحلق ؛ بليد ، بمعنى قدر (من) الفارسية الحديثة : يليد) ، بلاذه ، قدارة ؛ كحفين ، غلبة ، بمعنى العصبية .

ومن المعروف أن النسخة التى نشرها دى غويه De Goeje تعتمد على مخطوطتين متغايرتين ، تقدمان صورتين مختلفتين للكتاب . فكثيراً ما تقدم إحداهما صيغة شعبية ، على حين تذكر الأخرى صيغة فصيحة مكانها . وفى مثل هذه الأحوال عمد الناشر غالباً - طبقاً للسنة المتبعة فى القرن الماضى - إلى اختيار الصيغة الفصيحة فى النص ، والتنبيه إلى الأخرى فى التعليق ، وإن ذكرها أيضاً فى الكشاف لألفاظ الكتاب .

على أنه لا يقتصر الأمر على احتمال تسرب عبارات شعبية إلى النص بسبب تساهل الكتاب - وهذا ينطبق أيضاً بصفة أساسية على جميع النصوص التى لا تتناول بالناية الدقيقة فى الرواية المدرسية ، ولذلك كانت ضحية لإهمال الكتاب وتساهلهم - بل قد حصل العكس أيضاً ، حيث عمد الكتاب أحياناً إلى تصحيح عبارات دارجة فى النص من تلقاء أنفسهم .

فمثلا (ص ١٢٥ س ٢) كتب أحد الكتاب على هامش النسخة : B معلقاً على الجمع الدارج : الأفام (وضع دى غويه : الأفواه اعتماداً على نسخة : C) ملاحظته الاستنكارية : لا يصدق أن المؤلف يقع في مثل هذا الخطأ الشنيع .

فلو وجدت نسخة أخرى مشهورة ، أخذت عن نسخة : B تلك ، لربما قرأنا فيها العبارة الصحيحة : الأفواه ، بعد التصحيح بناء على التعليق المذكور .

وفي مكان آخر (ص ٣٩٤ س ٣) سأقت - على عكس ما سبق - نسخه : C أفام (أو بعبارة أخرى على سبيل التصحيح : أفام) ؛ ولنولده NBSS175 (Neue Beitrage zur semitischen Sprachwissenschaft) كل الحق إذ ذكر هذا الجمع : الأفام ، من خصائص المقدسى .

كذلك يوجد (ص ٣٠٤ س ١٣) في نسخة : B الحقائق ، وفي نسخة : C الحقييات ، و (ص ٤٠ س ١٥) وكذلك (٢٣٨ س ٤) الهيعة في : B ، والهيعة في : C على حين تقدم كلتا النسختين (ص ٤٨١ س ١٠) الصيغة الملحونة : يهوعلون^(١) .

أما مسألة : كيف كتب المقدسى نفسه في حقيقة الأمر ، فلا يمكن الحكم فيها بصفة عامة . بل لا بد في كل حالة خاصة من الفحص الدقيق .

وعلى حين يلتقى المقدسى وزناً للأسلوب المجود المتنخل ، ويكتب فوق هذا في نثر مسجوع ، يتخلى كتاب متخصصون آخرون ، في قمة العصر الإسلامى الأوسط ، عن كل طلاء بلاغى ، ويستخدمون في كتبهم لغة تعد من العربية المولدة ، لا من حيث قوالها الداخلية فحسب ، بل كذلك من حيث ثروتها اللفظية وعباراتها الخاصة كذلك .

وقد حفظ هؤلاء الكتاب من الانزلاق في الشعبية الدارجة بالكلية ، أنهم كانوا لا يزالون يعيشون في جو التراث الحى للثقافة الإسلامية ، والتربية

(١) الهاء في أول الهيعة والهولة يمكن أن تكون بالقياس على الهيعة (قول : أهلا وسهلا) أما الواو في الهولة فهي قياس على الهولة (شبيتار) .

اللغوية . فبوساطة المدرسة والمدارس ، التي أحاطتهم علماً بالعربية القديمة وأعلامها الأوائل ، وبسبب اعتمادهم في علومهم الخاصة على أسلافهم أيضاً من الوجهة اللغوية ، نجدهم محصنين قليلاً أو كثيراً بسياج من قوانين النحو ، يراعون قواعدها ولو إلى حد معلوم ، يختلف باختلاف الأشخاص .

وهكذا نجد مثلاً الثروة اللفظية التي يستعملها ابن النديم في كتابه الفهرست ^(١) الذي ألفه سنة ٣٧٧ ، مولدة في الكثير الغالب : أسباب (ص ٥٣ س ١٦) بمعنى أقارب ^(٢) ؛ طنز (ص ٨٦ س ١٠) بمعنى مزاح ^(٣) ؛ طيب (ص ٤٤ س ١٢ ؛ ص ١٥٢ س ١٦) بمعنى : ذكى ، واستعمله الجاحظ أيضاً من قبل ^(٤) ؛ حكاية بمعنى : خبر ^(٥) . سائر ، بمعنى جميع ^(٦) ، وهو منتقد عند المترجمين اللغويين .

وهو يستعمل أيضاً صيغاً مولدة مثل : حلاب ، جمع حلبة (ص ١١٣ س ٢٨) ، ومثل ما ذكر ابن خالويه ^(٧) أنه مأخوذ من رطانة صبيان الكتاب : حواميم (ص ٢٦ س ١٤) بدلا من آل حاميم ؛ ومثل النسبة على : جسماني وروحاني (١٠ س ٢٣) وهيولاني ، أى مادي (ص ١٠ س ٧) وصنعاوى أى كيميائي (٣٥١ س ١٨) وكثير من الألفاظ الدخيلة .

وهو لا يكتفى بصوغ لفظ : أولا ، على الظرفية ، بل يصوغ منه أيضاً مؤثلاً على : أوله ؛ وهو ماعده الحريري ^(٨) (حوالى سنة ٥٠٠) خطأ لغوياً شنيعاً على ألسنة العوام .

-
- (١) أخرجه فلوجل في إيبيج ١٨٧١ م .
 - (٢) توجد أمثلة أخرى لذلك الاستعمال في : إرشاد الأريب ١٣٦ / ٢ س ٤ ؛ ٢١٠ / ٢ س ٦ وغيرها ؛ تاريخ بغداد ١٨٤ / ٣ س ٢١ وغيرها ؛ الأغاني ١٥٣ / ٢٠ س ١٣ وغيرها .
 - (٣) قال الجوهري عن ذلك : معرب أو مولد ، وانظر جولدزهر 816 (1912) JRAS .
 - (٤) انظر البخله للباحث (نشر فان فلوتن وملاحظته على ذلك ص VIII) .
 - (٥) انظر ماكدونالد في دائرة المعارف الإسلامية : EI II 321 .
 - (٦) انظر : درة الغواص ، ص ٣ .
 - (٧) كتاب ليس ، حكاية المزهر ١٨٠ / ١ .
 - (٨) درة الغواص ، ص ١٢٦ ، وانظر : Fleischer, Beiträge 5, 123 .

ومن الشعبي أيضاً هذا التعبير : رجع ففعل (ص ٣٣١ س ١٤) بمعنى
كرر الفعل . وقوله : وستة سورى (ص ٣٣٦ س ٨) أى وستة كتب سورية ،
لم يطابق بين الوصف والموصوف ، كما فى اللهجات الحديثة فى الوقت
الحاضر (١) .

وكثيراً ما يفصل بين المضاف والمضاف إليه بلفظ معطوف على المضاف
مثل : (ص ٧٧ س ٨) أسماء وأخبار جماعة من علماء النحويين واللغويين ممن
خلط المذهبين (٢) ، بدلا من الصحيح : أسماء جماعة من علماء النحويين واللغويين
ممن خلط المذهبين وأخبارهم . وكما فى هذا المثال المذكور : علماء النحويين
واللغويين ، نجد أنه يحذف فى مواضع مختلفة أداة التعريف من اللفظ المضاف
لوصفه : مشايخ البصريين (ص ٢٨ س ١٤) أو علماء البصريين (ص ٥٤
س ٢٣) .

وهذا التركيب له نظائر قديمة فى : يوم الأحد ، ربيع الأول ، على سبيل
الإضافة ، وما يشبه ذلك ، وإن لم تجد اعترافاً من النحاة ؛ وهى جارية
باطراد فى الاستعمال الحديث .

كذلك من لغة العامة استعمال المجرور بدلا من المرفوع ، مثل (ص ٣٢٩
س ٣) كونين ، بدلا من : كونان ؛ ونسختين ، بدلا من نسختان (ص
٢٧٤ س ٢٦ ؛ ٢٧٥ س ٥ ؛ ٢٧٦ س ٦) .

(١) انظر : قواعد اللغة المصرية العامة تأليف : Spitta Bey ص ٣٩٨ . وانظر كذلك
ركندورف فى : KI. Schriften II ١٣ وفيه فى : 39/40 (1943) ZDMG 97 (شبينالر).
(٢) ورد مثل ذلك نادراً فى الشعر القديم ، انظر الأعشى قصيدة ٢٠ بيت ٤٩ . أما اليوم
فهو كثير الاستعمال .

اللغة العربية في عهد السلجوقيين

لم تكد تعمّر قرنين من الزمان مرحلة « عربية الأدب الفصحى » في أوائل العصر الإسلامي الأوسط ، تلك المرحلة التي بدأت في الثلث الأول من القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، مع الانحلال النهائى للدولة العباسية ، والتي نشرت لواء عربية الأدب فوق كافة ربوع العالم الإسلامى ، شعاعاً موحّداً ، ورباطاً وثيقاً .

ذلك أن الغارات التي نشطت منذ بداية القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى ، فيما وراء النهرين ، والتي أشعل نيرانها السلجوقيون ، بعد أن دخلوا في الرقعة الإسلامية قبل بضع عشرات من السنين ، مقبلين من أبعد نقطة في حدوده الشمالية الشرقية ، لم تؤد تلك الغارات من الناحية السياسية فقط إلى إنشاء دولة مدت ظلها ، مع الدول التي خلفتها بحكم التوارث الإقطاعى ، على مناطق مترامية الأطراف في آسيا الوسطى والصغرى حتى أواسط القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى ، في مدة وجيزة ؛ بل لقد أحدثت أيضاً تغييرات أساسية في ناحية الإدارة والاقتصاد .

فباستيلاء السلجوقيين على الحكم وصل الأتراك ، الذين ينتمون إلى أواسط آسيا ، والذين اعتنقوا الإسلام فيما وراء النهرين وخراسان ، إلى الرياسة والسلطان ؛ فاتخذوا دولة السامانيين ونظمها نموذجاً لهم ، وصارت الفارسية على عهد السلجوقيين لغة البلاط ، والسفارات الرسمية ، والسياسة ، والأدب والشعر ؛ وأخذت تنافس العربية من خراسان إلى داخل سورية .

وقد كتب بهذه اللغة كل من كتابى : « سياسة نامه » ، الذى ألفه الوزير نظام الملك سنة ٤٨٤ هـ ليقدمه إلى سيده : السلطان ملك شاه ؛ و « التبر المسبوك » الذى ألفه الغزالي لمحمد ، خلف ملك شاه .

وإذا نسب إلى السلطان محمود بن محمد هذا (حكم ٥١١ - ٥٢٨ هـ) أنه كان جيد الدراية بالعربية^(١) ، فلا يقصد من ذلك إلا أنه تلقى فيها تعليماً مؤسساً ، لأن العربية حفظت مكانتها الفذة من حيث هي لغة القرآن ، والعبادة والفقه الشرعى ؛ ووجدت من أثر السياسة الدينية الشديدة المحافظة ، التى سار عليها السلجوقيون ، عناية أكثر من أى عهد سابق .

نعم طالما تمتع العلماء والكتاب والشعراء ورجال الفنون من قبل ذلك بالخطوة عند الأمراء ، فعادت هذه الحماية الأدبية على تلاميذهم أيضاً عن طريق مباشر ؛ ولكن الأمراء السلجوقيين هم الذين ربطوا تشجيعهم ومؤازرتهم لرجال العلم بالتكليف الرسمى ، والإسناد العملى .

ولما كانوا مقتنعين بأن بقاء سلطانهم ، وأمان دولتهم ، متوقف على طائفة من القضاة ، ورجال الإدارة ، راسخة القدم فى المذهب السنى المحافظ فقد أسس السلاطين والوزراء والولاة وكبار أصحاب المناصب فى الدولة ، منذ أواسط القرن الخامس الهجرى/الحادى عشر الميلادى ، مدارس قام فيها العلماء المقربون (وأحياناً كبار القضاة) على تخريج النشء المطلوب ، لإدارة الضرائب والدخل والخراج ، ورعاية الفقه والقوانين .

وقد كان من أثر التحديد العملى لهدف طبيعة التعليم المذكور ، أن صار الفقه الشرعى محوراً لمنهاج التعليم بالضرورة . أما دراسة النحو ، فلم تكن لها إلا دلالة علم اللغة المقدس (sacra philologia) وكان هدفها تعريف التلاميذ باللغة الفصحى .

وتسمح لنا بنظرة فى نوع هذا التعليم وطريقته ، كتب أبى زكريا التبريزى (٤٢١ / ١٠٣٠ - ٥٠٢ / ١١٠٩) ، الذى ظل عشرات من السنين أستاذاً للعربية فى مدرسة الدولة الأولى : المدرسة النظامية ببغداد ، التى أسست سنة ٤٥٩ هـ للفقيه الشافعى أبى إسحاق الشيرازى :

(١) ابن خلكان ٥١٩ / ٢ (١٢٩٩ هـ) .

فهو يذكر في مقدمة كتابه المعروف : شرح ديوان الحماسة ، كيف اهتدى إلى التفكير في شرح هذا النص . وهو يصدر في هذه المقدمة عن رأى المحافظ المشهور : من أن أشرف العلوم كلها علم الكتاب والسنة ؛ ولا يصح حقيقة معرفتهما إلا بعلم الإعراب ، الدال على الخطأ من الصواب ؛ وعلم اللغة الموضحة عن حقيقة العبارات ، المفصحة عن المجاز والاستعارات ؛ وعلم الأشعار . وهو يسوق ، للتنبيه على قيمة الشعر ، الحديث المروى عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) : « إن من البيان لسحرا ، وإن من الشعر لحكما » (١) ؛ ويذكر أيضاً خبراً عن ابن عباس أنه لم يفسر آية من كتاب الله عز وجل إلا نزع فيها بيتاً من الشعر (٢) .

وقد ساقه ذلك إلى أشهر المختارات من أشعار العرب : حماسة أبي تمام ، الفصيحة التي تناولها كثير من الشراح . وهو أيضاً كان قد شرحها شرحاً مستوفى ، غير أنه وجد أن أكثر تلاميذه يطلبون شرحاً يفسر الأشعار بيتاً بيتاً ، ليسهل عليهم معرفة ما يشكل في كل بيت منه ؛ وهكذا عقد عزمه على شرح المختارات مرة أخرى ، وهو يريد في ذلك أن يبين اشتقاق أسامي الشعراء ثم يفسر الأشعار بيتاً بيتاً على الولاء ، مع شرح الغريب ، والإعراب ، والمعنى ، وذكر اختلاف آراء الشراح السابقين في المواضع التي اختلفوا فيها ، وإيراد الأخبار ، أى الأسباب والدواعى التي دعت إلى إنشاء الشعر .

وتبين مقدمة التبريزى المشار إليها أن طلاب العلم ، في أول مدرسة عليا للدولة ، لم يكونوا بحالة تسمح لهم بفهم الأشعار الفصيحة دون شرح أولى .

(١) الترمذى : أدب ، وانظر مراجع الحديث في : فتح البارى ١٠/٤٤٦ ؛ كنز العمال ١١٧/٢ والصواب : لحكا بصيغة الجمع ، كما في عيون الأخبار (نشر بروكلمان) ١٠/٤٠٩ والأغاني ٢١/٤٩ : ١٧ والحماسة ١٠/١٣ ومن المؤلفات رواية المثل بالفرد كذلك (لحكمة) وهو كذلك في الترمذى : أدب . وانظر : معجم فسنك ١/٤٩١ ب ١٣ (شبيثالر) .

(٢) ابن سعد ج ٢ قسم ٢ ص ١٢١ س ٢ ؛ ويتعلق بذلك خبر الخارجى نافع بن الأزرق عن ابن عباس ، المتضمن أسئلة عن مواضع من القرآن ، وتفسير ابن عباس لها ، مستشهداً على تفسيره بأقوال من شعر العرب ، وقد وردت هذه الرواية على صور مختلفة كثيراً ؛ انظر : الكامل ص ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ؛ مقدمة جهرة أشعار العرب ؛ الإتيقان ص ٢٨١ - ٣٠٩ وغير ذلك . ونشرها الدكتور إبراهيم السامرائى في بغداد ١٩٦٨ م (المترجم)

وشرح التبريزي ، الذي أريد به أن يسد هذه الحاجة ، والذي احتفظ بمكانته ، من حيث إنه عون مريح على قراءة هذا الديوان ، حتى يومنا هذا^(١) إنما هو مجموعة تضم ، في مهارة وحذق ، نتائج الجهود التي بذلها علماء اللغة القدامى^(٢) .

فمثلا اشتقاق أسماء شعراء الديوان ، مأخوذ برمته من مختصر ابن جني (المتوفى ٣٩٢ هـ) المختص بهذا الموضوع : المبهج في أسماء شعراء ديوان الحماسة^(٣) ، دون تسمية ذلك المصدر في كل حالة .

كما يظهر أن الأخبار عن الحوادث التي هيأت الدواعي الخاصة لإنشاء الأشعار ، ترجع بصورة عامة كما يبدو إلى شرح أبي رياش^(٤) .

وكذلك شرح التبريزي للمعلقات ، لايزيد زيادة تذكر على خلاصة بحوث علماء اللغة ، في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ، كما يتبين ذلك من موازنته بشرح ابن الأنباري السابق عليه ؛ ولكنه يمتاز أيضاً باختصاره وشموله .

ومما يتسق مع هذه الطريقة المتجهة اتجاهاً كلياً إلى سد حاجات التعليم ، أن التبريزي قد تناول كلا من كتاب الألفاظ ، وإصلاح المنطق^(٥) لابن السكيت بالتهذيب الدقيق ، حيث أكمل النصوص ، وذكر أسماء الشعراء ،

(١) انظر في ضد هذا الحكم الإيجابي على شرح الحماسة للتبريزي مقالة ريتز في مجلة : Oriens II(1949) 249 (شيتالر) .

(٢) الحقيقة أن التبريزي كان في جمهور شرحه عالة على المرزوقي في شرحه للحماسة . انظر مقدمة عبد السلام هارون للشرح الأخير ص ١٦ (المترجم) .

(٣) طبع بالقاهرة ١٣٤٨ هـ .

(٤) انظر في أبي رياش : إرشاد الأريب ٧٤/١ فا بعدها ، وشرحه لديوان الحماسة ذكر في خزنة الأدب عدة مرات .

(٥) ثبت كذلك أن التبريزي نقل معظم كتابه تهذيب إصلاح المنطق ، من شرح شواهد إصلاح المنطق لابن السيرافي . انظر : رسالة تلميذنا محمد صالح التكريتي في تحقيق الكتاب الأخير (المترجم) .

وشرح الغامض من أبيات الشواهد لفظاً ومعنى^(١) .

وخلف التبريزى فى المدرسة النظامية زميله ، وسليل وطنه : من مدينة
أسترا باذ : على بن أبى زيد (المتوفى ٥١٦ هـ)^(٢) .

وتدل نسبته التى عرف بها : الفصيحى ، على وجهته وهدفه العلمى ؛
وهو يدين بهذه النسبة لولعه بكتاب الفصيح لثعلب ؛ الذى كان يحفظه ويكثر
من قراءته على تلاميذه^(٣) .

ولما كان مجاهراً بترعته الشيعية ، لا يدارى فيها ولا يوارى ، فقد اضطر
إلى النزول عن التدريس بالمدرسة النظامية لأبى منصور الجوالقى (٤٦٦ -
٥٣٩ هـ)^(٤) الذى تسامت عقيدته السنية على كل مظنة .

وقد عنى الجوالقى - على النقيض من أستاذه التبريزى - عناية خاصة بمتن
اللغة العربية . وكتاب المعرب^(٥) ، من بين مؤلفاته ، يعد مختصراً مريحاً ،
لأعمال أجيال سالفة من الباحثين ، ولكنه لا يكاد يحتوى على رأى جديد^(٦)
كما أن شرحه على كتاب : أدب الكاتب لابن قتيبة^(٧) ، مجهود جرد متواضع

(١) كانت لغة التبريزى الأصلية الفارسية بنهجة أذربيجان ؛ انظر القصة المروية فى ذلك
عند السمعاني فى الأنساب ١١٠ ب ، وذكرها ياقوت فى الإرشاد ١٧٣/١ ؛ ونقل ياقوت
فى معجم البلدان ٨٢٣/١ عن التبريزى أنه كان ينطق : تبريز ، بكسر التاء ؛ وليس معنى هذا
هذا أنها تنطق كذلك فى الفارسية ، وإنما هو تعريب منه لذلك اللفظ ، لأن المتزمتين للغويين
لا يعترفون باسم على وزن تفعيل بالفتح .

(٢) انظر : نزهة الألباء ص ٤٤٨ ؛ إرشاد الأريب ٤١٥/٥ - ٤٢٠ ؛ بغية الوعاة ٣٥١ .
(٣) وكذلك الحال فى « البقالى » تلميذ الزمخشري ، فقد لقب بالأدبى ؛ لحفظه موسوعة
الأدبى المعروفة فى النحو . انظر : الجواهر المضية ٣٧٢/٢ .

(٤) نزهة الألباء ٤٧٣ ؛ إرشاد الأريب ١٩٧/٧ ؛ بغية الوعاة ٤٠١ .

(٥) نشره إدوارد سخاو فى ليبزج سنة ١٨٦٧ م ، عن مخطوط فى ليدن ؛ وأكمل شينيتايك
بعض مافيهِ من السقط عن طريق مخطوطين فى دار الكتب المصرية (ZDMG 33, 208-224)
وهناك نسخة مكتوبة فى القرن السابع ناقصة من الأول والآخر فى ميونيخ ؛ فهرست
جلالز ١٢٣ كما نشره الشيخ أحمد شاكر بالقاهرة سنة ١٣٦١ هـ (المترجم) .

(٦) انظر المعرب ص ٢٦ م ١١ .

(٧) طبع بالقاهرة ١٣٥٠ هـ .

يتلاشى أمام الأعين ، إذا وازناه قبل كل شيء بالشرح النفيس القيمة للنقادة البطليوسي .

والصورة التي يقدمها التبريزي لانهطاط مستوى الثقافة اللغوية في بغداد إبان القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، تجد ما يؤيدها ويكملها في كتاب عن اللحن اللغوي ، على ألسنة الطبقات المثقفة : درة الغواص ، في أوهام الخواص^(١) ، الذي ألفه معاصر للتبريزي ، هو الحريري ، صاحب المقامات المشهور (المتوفى سنة ٥١٦ / ١١٢٢) .

وكما يؤذن به العنوان ، لا يعنى الكتاب المذكور بالأخطاء اللغوية الجارية على لسان الجماهير العامة من الشعب ، التي كان يوجد إذ ذاك عدد كبير من المؤلفات فيها ، بل بأخطاء الطبقات الرفيعة^(٢) ، أي الأوساط التي كان الحريري نفسه ينتمى إليها بأصله ومرتبته .

فقد كان الحريري صاحب الأخبار بالبصرة ، كما أن أباه لم يكن من الأغنياء فحسب ، بل كان كذلك رجلاً ذا ثقافة خاصة^(٣) ، بحيث اهتم بأن يتلقى ابنه العلم على أشهر نخبة البصرة لذلك العهد : الفضل بن محمد القصباني^(٤) .

والحريري يمثل مبدأ « تنقية اللغة العربية » المتزمت ، والأخطاء التي يثيرها في درة الغواص ، هي في أغلب الحالات نفس الأخطاء التي لاحظها ابن قتيبة قبل ذلك بقرنين ونصف في كتابه : أدب الكاتب ؛ محليات تسربت تدريجاً إلى لغة المثقفين .

(١) نشره : Thorbeke في لبيزج ١٨٧١ ؛ وتشتمل طبعة الجواثب باستانبول سنة ١٢٩٩ هـ على شرح الشهاب الخفاجي على درة الغواص أيضاً .

(٢) وهو الحال كذلك في كل الكتب المؤلفة في لحن العامة في العربية . انظر كتابنا : لحن العامة والتطور اللغوي ٦٤ (المترجم) .

(٣) يؤخذ هذا من درة الغواص ص ٧٩ ص ١ .

(٤) ذكره الحريري في درة الغواص ، ص ٣١ ، ٤٥ ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، ١٩٥ ؛ ويؤخذ من نزهة الألباء لابن الأنباري ص ٢٥ (انظر : إرشاد الأريب ١٤٣/٦ وبغية الوعاة ص ٣٧٣) أنه مات في السادس من صفر ٤٤٤ هـ ؛ فإذا صح هذا فلا يكون ميلاد الحريري كما قيل في سنة ٤٤٦ هـ بل يكون متقدماً على ذلك بمشر سنوات على الأقل .

بيد أن أعظم من تلك الأحوال إفادة ، ما ذكره الحريري من الأخطاء التي وقع فيها معاصروه من شدة حرصهم على سلامة التعبير ، فلم يصيبوا القصد ، لتلاشى الشعور اللغوي ، والدوق العربي السليم عندهم ، تجاه طبيعة اللغة الفصيحة .

وهكذا نراهم يستعملون مثلاً الإعراب ، في حالة سرد الألفاظ دون تركيب جملي ؛ فهم يعدون : واحدٌ ، اثنان ، ثلاثة الخ (ص ١٧١) بالإعراب مع أن الإعراب إنما يصح في حالة التركيب ، وفي سياق الجملة ؛ ولهذا تستغنى مجاميع الحروف المذكورة في أوائل السور (الحروف المقطعة) عن كل إعراب ، ولا تقبل الجمع ؛ فثل صيغة : حواميم ، بمعنى السور المبدوعة بحاميم ، إنما هي مسخ وضع بدلا من : آل حاميم ، أو ذوات حاميم . ومن الترتيب الخالي من الإعراب : بينَ بينَ ، صباحَ مساءً ؛ وهما ليسا منصوبين على الظرفية ، وإنما ختما بالفتحة مراعاة لجمال الصوت . ولكن معاصري الحريري يقولون بدلا من التعبير الأول : بين الينين (ص ٦٣) ، على حين يستبدلون من الثاني خطأ : صباح مساء ، على الإضافة أيضاً (ص ١٩٣) .

ويدل على اضطرابهم وعدم تمكنهم في استعمال الإعراب ما لاحظناه الحريري من أنهم يخلطون بين : بكم ثوبك مصبوغاً ، وبكم ثوبك مصبوغ : فالأول سؤال عن ثمن الثوب ، والثاني سؤال عن ثمن الصباغة ؛ والفرق بينهما مثل الفرق بين : في الدار زيد قائماً ، أي زيد في الدار وهو قائم ؛ وفي الدار زيد قائم ، أي زيد قائم في الدار^(١) (ص ١٩٤) ..

كذلك تلاشى عندهم الشعور الحي بالفرق بين المضارع المرفوع والمنصوب والمجزوم ؛ ولذلك استعملوا في أمر الغائب صيغة المضارع المرفوع : يعتمدُ ، بدلا من الصحيح : ليعتمدُ (ص ١١٦) .

(١) انظر الخفاجي على درة النواص ، ص ٢٤٧ س ١ .

وكذلك لم تعد لهم ألفة بصيغة المضارع المؤنث للمخاطب والغائب في حالة الجمع ، التي استعيرت عنها في اللغة الدارجة بصيغة المذكر ، والتي امتازت في اللغة الفصحى بنون النسوة ، مثل : يكتبن وتكتبن ، إزاء المذكر : يكتبون وتكتبون ، فعمدوا إلى التفرقة بين الجنسين بمجرد التاء أول الفعل في حالة جمع المؤنث الغائب (تكتبن) ظناً منهم أن التاء هي علامة التأنيث في صيغ المضارع (ص ١٣٨) .

وعلى عهد الحريري كان التنوين قد أهمل في اللغة الدارجة منذ زمن طويل ، ولهذا كان خطأ المثقفين في استعماله غير قليل . فقد صاغوا مثلاً : دنياً ، أى عالماً (ص ٧٠) ، وهو استعمال غلط ؛ شذ ابن الأعرابي فدافع عنه ، كما تسرب إلى الحديث الشريف في نصوص البخاري^(١) ، على الرغم من أن أكثر النحاة قد أدركوا الوجه الصحيح من أن « دنيا » على أنه وصف للمؤنث (أدنى) غلبت عليه الاسمية ، لا يقبل التنوين في حالة التنكير كذلك .

وزيادة على ذلك ، اختلطت في العربية المولدة علامات التأنيث ، من التاء والألفين المقصورة والممدودة ، وهذا يوضح أن معاصري الحريري غيروا لفظ : عزلاء بمعنى فم الزادة ، إلى عزلة^(٢) (ص ١٦٦) ، واختنى تدريجاً أيضاً الفرق بين ألف القطع وألف الوصل ، ونشأ من ذلك أن وقع بعض المثقفين في أخطاء من هذا النوع .

وينحى الحريري بشدة اللائمة (ص ١١٨) على صيغة : لبست ، بكسر الباء مع همزة الوصل ، وهي خلط بين صيغتي : بنت وابنة .

وأجرى حكم الفعل المعتل الياء على الفعل المضعف في اللغة الدارجة ؛ ولهذا بالغ معاصروا الحريري في إجراء الفعل المضعف مجرى السالم ، فقالوا : سارره ، بدلا من : سارّه (ص ٨٥) ؛ كما صاغوا من أفعال معتلة أوزاناً

(١) القسطلاني ٥٦/١ .

(٢) تروى « عزلة » بدلا من : « عزلاء » مثلاً عند أسامة (نشر ديرنبورج) ٥/٧٣ : « ومنخرأه يدميان بالدم كالعزلتين » وأشار إلى ذلك فون كريم في WZKM 2 (1888) 267 (شبيثالر) .

على قياس الفعل الصحيح ، مثل : مَشَوْرَة ، بدلا من مَشَوْرَة (ص ٢١) ، وكما في اسمى المفعول : مبيوع ، بدلا من : مبيع ، ومصوون ، بدلا من : مصون (ص ٥٩) .

كذلك لم تتوفر لديهم الخبرة باستعمال فعلى المدح والذم : نعم وبئس ، لعدم جريانهما في اللغة الشعبية ، ففي اللغة الفصيحة يتطلب كلا الفعلين إلى جانب الاسم المسند إليه المدح أو الذم ، اسماً مرفوعاً آخر يعين موضوع الجملة برمتها : نعم الرجل زيد ، بمعنى : أى رجل جدير بالمدح هو زيد ، أما : نعم الرجل فقط ، فهو مدح لمبهم بلام الجنس ، محتاج إلى التمييز . وإذا قيل : نعم ما فعلت ، فهو كذلك محتاج إلى تمييز المفعول ؛ وعلى هذا خطأ الحريري ما يقوله معاصروه ، مثل : نعم من مدحت ، وبئس من ذمت (١) (ص ١٤٤) .

وكان اسم الموصول القديم في اللغة الشعبية قد تحول إلى الصيغة الجامدة : اللّى ؛ واستعمل أيضاً في مصدر الجمل المصدرية ، مثل : أن فعل كذا ؛ ولهذا استعمل المثقفون على عهد الحريري صيغة اسم الموصول القديم أيضاً : اللّى ، متصدرة الجملة المصدرية ، فقالوا مثلاً : الحمد لله اللّى كان كذا (٢) أى : أن كان كذا (ص ١٦٢) .

ومن المشهور في قواعد النحو أن الفعل المسند إلى المثني والجمع الظاهرين الواقعين بعد الفعل ، يلزم حالة الإفراد ، ولكن اللغة الشعبية طابقت (٣) هنا أيضاً بين الفعل والفاعل (كما في لغة أكلوني البراغيث) ، وعلى هذا طابق معاصرو الحريري أيضاً بينهما (ص ١٠٨) .

كما عاملوا لفظي : كلا وكلتا معاملة المثني ، فأخبروا عنهما بصيغة المثني وقالوا : كلا الرجلين خرجا ، وكلتا المرأتين خرجتا ، مع أن الفصيحي :

(١) انظر شرح درة الغواص للشهاب الخفاجي ص ١٨٨ وانظر : Nöldeke NBSS 219

(٢) انظر في ذلك البحث القيم الذى كتبه أستاذنا شيبثالر في مجلة Oriens (١٩٦٢)

١٥/٩٧-١٤ بعنوان « الحمد لله الذى ، وما أشبهه » (المترجم) .

(٣) هذه المطابقة قديمة جداً في اللغات السامية . انظر مقالتنا عن « الركام اللغوي للظواهر المنتشرة في اللغة » في المجلة العربية (١٩٧٧) المجلد الثاني ١/٥٩ - ٦٠ (المترجم) .

خرج وخرجت ؛ وإن ورد الاستعمالان في شعر الفرزدق^(١) ، ديوان
ص ٣٤ بيت ١ (درة ص ١٠٣) .

وعلى حين تقع في الأمثلة التي ذكرنا أخطاء ناشئة من شدة الحرص على
سلامة اللغة ، وموافقة القواعد ، تدل أخطاء أخرى ذكرها الحريري أيضاً
على مبلغ ضعف شعور المثقفين ، وقلة خبرتهم بالعربية الفصيحة .

فهم لم يعودوا يلاحظون أن أسماء الآلات تتميز بالميم المكسورة في أول
الكلمة عن أسماء الأمكنة والأزمنة ؛ ولذلك يستعملون مثلاً لفظ : مَرَوْحَة ،
لا في معنى الموضع الكثير الريح ، بل في معنى ما يُرَوِّحُ به (ص ١٥٦) .

كما لم يفرقوا بين الاسم الدال على المرة الواحدة وهو : فَعْلَة بفتح الفاء ،
والاسم الدال على هيئة الحدث وهو : فِعْلَة بكسر الفاء ، والاسم الدال على
الفِعلَة ، وهو : فُعْلَة بضم الفاء (ص ١٧١) .

وأهملوا جمع الفعلة ، فقالوا مثلاً : ثلاثة شهور ، بدلاً من : ثلاثة أشهر
(ص ١٦٣) .

واستعملوا في صيغة الاستفهام لفظي : أو ، وأم ، دون فرق ولا تمييز ،
على حين أن اللغة الفصيحة تستعمل : أو ، في الاستفهام عن أحد الشئيين ،
مثل : أزيد عندك أو عمرو ؟ بمعنى هل أحد هذين عندك ؟ وفي الإجابة على
ذلك يقال : نعم أولاً . وتستعمل : أم ، في الاستفهام عن التعيين ، نحو :
أزيد عندك أم عمرو ؟ بمعنى قد علمت أن أحدهما عندك ، ولكن أيهما الذي
عندك ؟ (ص ١٩٥) .

كما لم يفرقوا بين : نعم وبلى ، فيضعون كلا منهما موضع الآخر ؛
وموضع نعم هو جواب الاستخبار المجرد من النفي ، وموضع بلى هو جواب

(١) وقد اجتمعا في قوله :

كلاهما حين جد الجرى بينهما قد أقلما وكلا أنفيها راني
وانظر الحفاجي على الدرة ص ١٤٧ .

الاستخبار عن النفي ؛ ولهذا وقعت في جواب قوله تعالى : «أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ»
(سورة الأعراف ١٧٢/٧) ؛ قال ابن عباس : لو أنهم قالوا : نعم لكفروا ،
(ص ١٩١) .

وأخيراً يمكن التنبيه إلى الأحوال التي لم يلاحظ فيها معاصرو الحريري
قواعد حذف تاء التأنيث وإثباتها . فقد صاغوا قوالب مثل : امرأة شكورة
وصبورة ، على حين أن هذه التاء إنما تدخل في اللغة الفصيحة على وزن :
فعول بمعنى مفعول ، لا بمعنى فاعل (ص ١١٢) ؛ ومثل هذا قولهم جُبَّة
خلقة ، والصواب جُبَّة خَلَقَ ، لأن العرب ساوت فيه بين نعت المذكر والمؤنث
(ص ١٦٣) . وكما قالوا ضَبْعَةٌ (ص ٧٤) ورِخْلَةٌ وهي الأنثى من ولد
الضأن ، والصواب : ضبيع ورِخْل ، لأنهما لا يكونان إلا مؤنثين (ص ٩٧)

وينكر الحريري جمع : جُئَوَالِق على : جُئَوَالِقَات ، وصوابه : جُئَوَالِقِ؟
والجُئَوَالِق الغرارة . (ص ١٩٠) ؛ على أن جمع المؤنث السالم قد انتشر انتشاراً
واسعاً ، على حساب جمع التكسير للمفرد المذكر ، بحيث ذكر الحريري
عدداً كبيراً من الشواذ في ذلك الباب : جمع حَمَام ؛ خَيْال ، جَوَاب ، مَكْتُوب ،
مَقَام ، مَصَّام ، إِيوان ، وهو حديدة تكون مع الرائض ، وإِيوان بكسر الباء
وضمها وهو عمود في الخباء ؛ وجمع أسماء الشهور : شعبان ، شوال ، المحرم ؛
والألفاظ الأعجمية : ساباط ، سَرادق ، إِيوان ، هاوْن ، سِجِل ؛ كما في
جمع تصغير المفرد المذكر مثل : درهيمات وثوبيات .

وهذه الحرب التي حمل الحريري لواءها في درة الغواص ، لم تحتدم تجاه
أخطاء متفرقة من الحماقات اللغوية ، أو الاستعمالات الشعبية ، بل هي موجهة
إلى روح العربية المولدة على الإطلاق .

وهو يمثل مذهب اللغويين البصريين المتطرف المتزمت في « تنقية اللغة
العربية » ؛ فهو يتطلب مثلاً أن يقال : جاء القوم بأَجْمُعهم ، بضم الميم (ص ١٦٧)
على أنه جمع للفظ : جَمْع ؛ على حين يجوز ابن قتيبة^(١) وابن السكيت^(٢) ، إلى

(١) أدب الكاتب ص ٤٤٣ .

(٢) إصلاح المنطق ٢١٢/١ .

جانب هذا ، أن يقال : بأجمعهم ، بفتح الميم ، على أنه لفظ : أجمع ، المستعمل في التأكيد .

وهو يقصر استعمال لفظ : ثدى ، على : ثدى المرأة (ص ١٨٧) على الرغم من ورود هذا اللفظ للرجل أيضاً ، حتى في الحديث ^(١) .

وفي تأريخ الأيام يغلبط الطريقة المتبعة (ص ٧٥) : في عدهم أيام الشهر . بأن يقولوا : لأول يوم من الشهر ، مستهل الشهر ، لعشرين خلت من شهر كذا ؛ سالكاً في التاريخ مذهب المتزمطين القدماء ^(٢) كما ذكره أبو علي الفارسي في تذكرته : وعلى هذا يقال في أول الشهر : أولَ يوم من شهر كذا ، أو غرة شهر كذا ؛ واليوم الثاني : لليلتين خلتا ؛ واليوم الثالث إلى العاشر : لثلاث ليال خلون ، لأربع ليال خلون الخ ؛ واليوم الحادى عشر إلى الخامس عشر : لإحدى عشرة ليلة خلت الخ ، واليوم الخامس عشر : منتصف شهر كذا ؛ واليوم السادس عشر إلى اليوم العشرين : لأربع عشرة ليلة بقيت من شهر كذا الخ ؛ واليوم الحادى والعشرين إلى الثامن والعشرين : لعشر ليال بقيت من شهر كذا الخ ؛ واليوم التاسع والعشرين لليلتين بقيتا من شهر كذا ؛ واليوم الثلاثين : سلخ شهر كذا ^(٣) .

ويتمسك الحريرى ، في النظرية المتعلقة بلفظي : من ومنذ ، بمذهب سبويه ، الذى يخصص الأولى بابتداء المكان ، والثانية بابتداء الزمان (ص ٧٧) ولم تقتصر معارضة ذلك على الكوفيين ، بل عارضه أيضاً بعض العلماء من صفوف البصريين ، كالبرد ^(٤) .

وفي مسألة الألفاظ الأعجمية ، يمثل الحريرى رأى القائل بوجوب وضع اللفظ الأعجمى في قالب عربى ، وطبعه على ذلك النحو بالطبع العربى .

(١) انظر الشباب الخفاجى على درة الفواص ، وانظر : Nöldeke NBSS ١٢١

(٢) انظر أدب الكتاب للصوى ص ١٨٠ فما بعدها .

(٣) هذا التزم في التعبير لايعول عليه أكثر العلماء ؛ انظر الشباب الخفاجى على الدرة

ص ١١٤-١١٧ .

(٤) انظر الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنبارى ص ١٦٣ فما بعدها .

وعلى هذا يجب أن يقال : شَطْرُنْج بكسر الشين ، بدلا من من فتحها ،
ودستور بضم الدال بدلا من فتحها ، وسرداب بكسر السين بدلا من فتحها ،
وهاون بضم الواو بدلا من فتحها (ص ١٣١ ، ١٠١ ، ٤٩ ، ١٧٧) ولكنها
قوالب بقيت غريبة في الاستعمال الحى ، لأنها لديه غير مألوقة ، ولجراتها
- فى بغض الأحيان - على تحويل المعنى والدلالة فى تغيير اسم المدينة المعروفة :
سامراء ، إلى : سُرَّ مَسْنُ رأى (ص ١٨٠) .

كما تمسك الحريرى بمذهب البصريين فى النسبة ، من وجوب النسب إلى صيغة
المفرد ، ما لم تكن صيغة الجمع عَلَمًا (ص ١٥٣) على الرغم من ورود صيغ
قديمة ، مثل : الأنصارى .

وجدد التنبيه - الذى لم يغن فتىلا - إلى منع النسب إلى مجموع صيغة
التركيب الإضافى وما شاكله ، فلا يقال : رامهرمزي ، ودارقطنى ،
واثنا عشرية ، بل راحى ودارى (ص ١٥٣) .

أما تصحيحه تصغير مختار على : مُسَخَّرٌ (ص ١٠٠) وتخطئته خيتر ، فهو
ضرب من ضروب التزمت البالغ أقصى درجات التطرف ، ومثلها كثير فى
أوزان التصغير ^(١) .

وفى كل هذا ، لم يخل الحريرى من الترجيح الاختيارى ، بل التصحيح
الخطأء تماما فى بغض الأحيان ؛ فهو يذهب (ص ٩٩) - مع
ان قتيبة ^(٢) - إلى أن لفظ : بَصُور ، بضم الصاد ، خاص برؤية البصيرة ،
وأبصر ، خاص برؤية العين ؛ على حين أن فى آية سورة القصص (١١/٢٨) :
« فَبَصَّرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ » ، أى رأته (أخت موسى) بالعين .

وهو يرى أن لفظ : ركاب : أى موكب السلطان مثلا ، خطأ ، لأنه
يرى أن الركاب اسم يختص بالإبل (ص ١٣٠) ، ولكنه أخطأ فى ذلك ،
لأن معنى الركاب هنا هو آلة الركوب المعلقة فى السرج ، ويستعمل فى كل

(١) انظر نزهة الألباء ص ٢٠٠ .

(٢) أدب الكاتب ص ٣٨٠ .

من الفارسية والتركية أيضاً ، كالعربية ، كناية عن سير الملك ، تأدباً مع الملوك^(١) .

وهو يريد تفسير لفظ : زوج ، بأنه أحد الزوجين ، المرأة أو الرجل ، ويخطئ إطلاقه على مجموع الاثنين أيضاً (ص ١٨٥) وهو خطأ ؛ لأن الاستعمال الثانى أيضاً معروف قديماً وحديثاً .

ولفظ : قَبِئَنة : معناه فى لغة العرب الجارية المغنية بوجه خاص ، والأمة بوجه عام ؛ وإذا قصره الحريرى على التفسير الأخير ، مزيفاً الأول (ص ١٩٧) فهو يتابع فى ذلك أبا عمرو بن العلاء^(٢) ، الذى ربط هذا اللفظ بكلمتى : قين ، أى حداد ، وقان القين الحديد ، سَوَّاه ، ووجد معنى : الأمة ، بذلك أنسب ، لما فيه من معنى الخدمة والامتهان .

وينتقد الحريرى (ص ١٢٩) مع ثعلب^(٣) : ركض الحصان بمعنى جرى ، مفسراً معناه بضرب الحصان بالرجلين لكى يسرع . وهذا خطأ لأن الفعل ورد لازماً بمعنى جرى ، ومتعدياً بالمعنى الذى ذكره .

وهو يفرق يحق بين : بَشَّارة بفتح الباء ، وبِشَّارة بكسر ها ، وبُشَّارة بضمها (ص ١٤١) فهى بالفتح الجمال والحسن ، وبالكسر ما بشرت به من بشرى ، وبالضم حق ما يعطى على البشارة بالكسر ؛ أما قوله : إن البشارة بالكسر تستعمل فى الشر كذلك ، فقد اعتمد فى هذا على حالة التهكم باستعمال الضد ، فى مثل قوله تعالى : «فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (سورة الانشقاق ٢٤/٨٤)

أراد الحريرى أن ينفخ من روحه فى العربية القديمة الفصيحة ، ليبعثها إلى الحياة من جديد ؛ بيد أن القوة الكامنة التى لا تبارى ، فى اللغة الدارجة الحية ، كانت أقوى من كل مبادئ المتزمتين وتعاليمهم .

(١) انظر الشهاب الخفاجى ص ١٧٣ ؛ وانظر : دائرة المعارف الإسلامية : EI III 1251

(٢) انظر فى هذا : Geyer : Zwei Gedicht (SWA 192,3) 2, 161

(٣) فصيح ثعلب ص ٩ س ٢ (نشر : Barth)

نعم ، بل لقد انزلق الحريري نفسه في التيار ، فلم يندر عنده اللحن والخروج على القواعد التي قررها في « الدرة » .

فبدلاً من لفظ : أول ، بضم اللام ، تعثر قلمه فكتب : أولاً^(١) ، اللفظ الذي خطأه (في ١٢٦) .

وعلى النقيض من تعاليمه (ص ١٨٢) ، استعمل لفظ : حساب ، بمعنى : حسابان^(٢) .

وهو يعلم (ص ١٢٩) أن فعل : سُقِطَ في يده ، فعل غير شخصي ملازم للبناء للمجهول ، ومع ذلك يكتب في مقاماته (ص ٣٩٦ س ٣) سُقِطَ الفتي في يده .

وهو يؤكد في الدرة (ص ٩٥) أنه لا يجوز صوغ الرباعي المضعف من أسماء العدد ، بل الثلاثي فقط مع أنه يقول في مقاماته (ص ٣٢٩ س ٤) : فتربع صاحب ميمته في نظمه ، وتسبع صاحب ميسرته على رنمه ؛ فخالف نفسه .

وهو ينبه في كلامه (ص ٤٣) إلى أن لفظ كافّة لا يعرف باللام ولا بالإضافة ، وأنه لا بد من تنكيره ونصبه على الحال ، حتى وإن قال ابن قريّة القاضي (المتوفى ٣٦٧)^(٣) ؛ في بعض حكمه : الكافة ؛ ومع ذلك يقول الحريري في موضع آخر (ص ١٧٦) : اتفق كافة أهل الملل .

وهو يزعم (ص ٢٦) أن وزن : افعلّ ، يقال فيما تمكّن واستقر وثبت واستمر ، أما إذا كان اللون عرض بسبب يزول ومعنى يحول فيقال فيه : افعالّ ، مثل اصفارّ واحمارّ . ولكن هذه الدعوى غير معروفة : على حين أنه نفسه يقول في المقامة الحرامية (ص ٤٨ س ٧) : فازورت مقتلته واحمرت وجنتاه ؛ وقال في موضع آخر : اسود العيش الأبيض .

(١) مثلاً : درة النواص ص ٧٦ س ١٤ .

(٢) انظر الخفاجي ص ٢٣٣ س ٣ .

(٣) انظر : تاريخ بغداد ٣١٧/٢ - ٣٢٠ وابن خلكان ٤٥/٢ وما بعدها .

وهو يحذر من سوء استعمال علامات التأنيث ، ولكنه يقول (في المقامات ص ٥٥ س ٤) : غزالة ، بمعنى ظبية .

وبهذا يقدم الحريري البرهان على أن الملاحظات العميقة ، والتعليمات الدقيقة لمذهب المتزمتين الذي يمثله في الدرة ، لم تكن — عملياً — مستطاعة التنفيذ .

هذا ، بيد أن كلا من النتاج الأدبي المرموق ، كمقامات الحريري ؛ والملاحظات الدقيقة ، البعيدة الغوص على الأخطاء اللغوية ، عند المثقفين ، كدرة الغواص ، لم تستطع أن تقف التطور اللغوي في سبيله التي سلكها .

فلا ذلك الانحلال المطرد في الدول الإسلامية ، ولا الاضطرابات الداخلية في دولة السلاجقة ، ولا تلك الحروب العنيفة المحتدمة في وجه الصليبيين (١٠٩٥ - ١٢٩١ م) ، ولا الدويلات التي قامت بالشرق ، كانت تسمح بتهيئة الجو الصالح . والبيئة المواتمة للعناية بالتراث الأدبي التليد .

حقاً لقد لقيت كتابة الحريري عن اللحن اللغوي في دوائر الطبقات الخاصة ، اهتماماً كبيراً عند صدورها ، وأثارت حلقات من النزاع المستعر الذي تجاذبه عدد من مشاهير اللغويين في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي . بيد أن كتب مناقشتهم ومنازعاتهم إن دلت على شيء ، فإنما تدل على مبلغ ضعف الإحساس اللغوي العام ، وفي دوائر اللغويين الإخصائيين بوجه خاص ؛ كما تدل على مدى ضعف ملكة النقد والتمحيص عندهم ، بحيث لم يعودوا يستطيعون إدراك الفروق الأساسية بين العربية الفصيحة ، والعربية المولدة ، فاتجهوا إلى الاعتراف بألفاظ ، وقوالب ، وتعبيرات مولدة ، بل شعبية دارجة أحياناً ، على أنها صحيحة في العربية الفصيحة ، مادام قد ثبت ورودها في كتابة القرون الثلاثة الإسلامية الأولى ؛ وحلوا من أجل ذلك على تزمت الحريري حملة شعواء ، واختلفوا فيما بينهم على أى الظواهر اللغوية التي غلطها الحريري يمكن تصحيحها وتسويغها ؟

وهكذا كتب ابن برى المصري (٤٩٩ - ٥٨٢ هـ) المعروف بحواشيه على الصحاح ، تعليقات برهن فيها على صحة عدد كبير من العبارات التي خطأها

الحريرى ، وعددها ابن وطنه الشهاب الخفاجى (حوالى ٩٧٩ - ١٠٦٩ هـ) بعد حوالى خمسمائة عام ، متأثراً بمذهبه ، جديرة بإدماجها فى شرحه على درة الغواص (١)

وهذه التعليقات تم على ضعف وتخاذل كبير فى ملكة النقد والحكم الصحيح ؛ فمثلاً لا يستطيع ابن برى أن ينكر أن مادة : ش و ش ، غريبة على العربية ، وأنها من خصائص اللغة المولدة (٢) ؛ بيد أنه يصحح عربيتها ، اعتماداً على أن الليث صرح بذلك (٣) .

كما حاول أن يمحو الفرق الواضح بين عبارتى : مخوف ، أى حصل الخوف منه ، ومُخِيف ، أى مولدٌ للخوف ، بأنه فى حالة قولنا : الطريق مخوف لا بد من تقدير مفعول محذوف ، تقديره : أخاف الطريق زيداً المهلاك ، وإذا قلنا الطريق مخيف ، فالطريق ليس هو المخوف منه فى المعنى ، وإنما المخوف منه فى المعنى هو المهلاك والعطب ، واستنتج من ذلك أن مآل المعنيين واحد ، وكلا التعبيرين صحيح (٤) .

وكذلك الأمر فى حُجِّيَّة الحديث فى شئون اللغة ، فكون الحديث غير حجة فى أمور اللغة ، لعدم التعبد بلفظه ، حقيقة كان فى وسع كل عالم باللغة ، حتى فى هذا العصر المتأخر ، أن يكون على علم منها ؛ ولكن ابن برى لا يكتفى باتخاذ الحديث مصدراً للغة ، بل يعول فى ذلك أيضاً على الروايات التى ثبت ضعفها ، حيث آثر الأخذ بالرواية : « بُعِثْتُ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَبْيَضِ » بدلاً من الرواية المستفيضة « بُعِثْتُ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ » ، أى إلى العرب والعجم ، واستدل بذلك على صحة التعبير الأول فى المعنى المذكور (٥) .

أما ما كان يفهمه ابن برى من مبدأ « تنقية اللغة العربية » فيدل على ذلك

(١) انظر الشرح المذكور ص ٦٣ س ١١ ، ص ٧٣ س ١١ ، ص ٩٨ ش ١٧ .

(٢) انظر فى تسريبها من الآرامية : Nöldeke. ZDMG 37, 537

(٣) الخفاجى ص ٦٢ س ١٧ .

(٤) الخفاجى ص ٢٤٨ س ٣ .

(٥) الخفاجى ص ٢١٩ ، وانظر فى الحديث : مسلم كتاب المساجد .

كتابه : « أغلاط الضعفاء من أهل الفقه من أقطار مختلفة »^(١) ، وهو عبارة عن ثلث جاف لنحو مائة حالة من الاستعمالات اللغوية المنتشرة بين الفقهاء التي يبدلها ابن برى بعبارات يعدها فصيحة . دون شرح ولا تعليل^(٢) . ويوجد بينها بعض الأحوال المعروفة من الكتب القديمة لعلماء اللغة المتشددين على أنها أخطاء مشهورة : مثل حذف همزة المد في كلمة : ولاء ، أى السيادة على الرقيق (ص ٢١٨ س ٣) ، ومثل معاملة الفعل المهموز اللام على نمط المعتل اللام (ص ٢١٥ س ٣) : بداية ، بدلا من : بُدْءاء ؛ (ص ٢١٥ س ٦) مِيضَاء ، بدلا من مِيضْءاء ؛ ومثل إبدال حرف بحرف عن طريق المماثلة الجزئية ، مثل (ص ٢١٩ س ١٢) مَزْدَغْءة ، بدلا من : مِصْدَغْءة ؛ ومثل الإبدال غير القياسى (ص ٢١٩ س ٤) نَحْاص ، بدلا من : نَحْاس ، تاجر الرقيق ؛ (ص ٢١٩ س ٣) هَدَر ، أسرع ، بدلا من حَدَر ؛ (ص ٢١٩ س ٢) بَشِيشمة ، بدلا من : مَشِيشمة ، محل الولد ؛ (ص ٢١٩ س ١٢) دَشِيش أى الدقيق الخشن ، بدلا من : جَشِيش^(٣) . ومثل الخلط بين : قسم بكسر القاف (ص ٢١٨ س ٥) بمعنى : حصّة ونصيب ، وقسم بفتح القاف بمعنى المصدر أى التقسيم ؛ ثم الأحوال الكثيرة التي استعملت فيها صيغ مولدة ، مثل : مُصِلّاءة ، بدلا من : مصلى (ص ٢٢٠ س ١٤) ، ومثل : أَجِشّة ، بمعنى حدائق (ص ٢١٦ س ٢) وآصُع جمعا لصاع بدلا من أصْوُع (ص ٢١٨ س ٧) ومثل : حَزَرَات بسكون الزاى ، بدلا من فتحها ، بمعنى خيار المال (ص ٢١٧ س ٢) ؛ ثم أحوال مثل : جَدْعَة بسكون الذال بدلا من فتحها ، بمعنى الحَمَل الصغير (ص ٢١٧ س ٣) وبكسرة بتحريك الكاف بدلا من تسكينها ، بمعنى العجلة التي يدور عليها جبل البئر (ص ٢١٦ س ٤) ومثل : شَوْرَة العروسة ، بدلا من : شَوَار العروس (ص ٢٢٠ س ١٤) .

(١) Nöldeke-Festschrift, Orientalische Studien I, في: Ch. Torrey: نشرة

211 - 224

(٢) ومعظمها منقول من كتاب: « تثقيف اللسان وتلقيح الجنان » لابن مكى الصقل ، دون إشارة . قارن الكتابين (المترجم) .

(٣) انظر : R. Mielck, Terminologie und Technologie der Müller und Bäcker im islamischen Mittelalter 37

وفي الأفعال يهتم بوجه خاص بالخلط في تصريف الفعل ، ولا سيما في أسماء الفاعل والمفعول (مثل ص ٢٢٠ س ٢ ، ص ٢٢٢ س ٥) ، واستعمال المجهول خطأ (مثل ٢٢٠ س ٢ ؛ ٢٢١ س ١٠) .

كما اهتم اهتماماً خاصاً بالألفاظ الأعجمية التي ينظر إليها ابن برى بنظرة المترمتين اللغويين ، فهو يطلب : صابورة (ص ٢١٩ س ١٠) ، وهو ما تثقل به السفن من متاع ، بدلا من : سابورة ، من الكلمة اللاتينية Saburra ومعناها الرمل أو الثقل في قعر السفينة ؛ ويطلب : قَدَس (ص ٢٢١ س ٢) ويجمع على أقداس ، ومعناه السطل ، بدلا من الكلمة ، اليونانية الأصل بنفس المعنى : قادوس ؛ ويطلب : جِصّ (ص ٢١٩ س ٩) ، بدلا من : جِبْس ، ويطلب : زَنْبِيل (ص ٢٢١ س ١٣) بكسر الزاى أو زَبِيل ، بدلا من : زَنْبِيل ، بفتحها ؛ ويطلب : مَرَوْرُود (ص ٢٢١ س ١٢) بتخفيف الراء الثانية بدلا من تشديدها^(١) ، وهي كلمة معربة عن : مَرُورود ، ناحية من فارس ؛ ومرو اسم نهر . ويطلب جمع اللفظ القبطى : قَبْش ، على : قوامسة ، بدلا من قامسة (ص ٢١٩ س ١٦) ، خالطاً في ذلك بين الكلمة القبطية المذكورة بمعنى نائب البطررك ، والكلمة اللاتينية الأصل : قُومِس ، وهي تسمية كانت تطلق بالأندلس على رئيس الطوائف المسيحية .

كما التبس عليه (ص ٢٢٠ س ٦) لفظ : باعوث ، الوارد في كتاب منسوب إلى الخليفة عمر^(٢) ، بمعنى عيد الفصح عند المسيحيين ، فطلب تصحيحه على : باغووث ، بالغين المعجمة . ولفظ باعوث يرجع إلى السريانية باعوثا ، ومعناه فيها بحسب الأصل : صلاة ، ولا يدل فيها بوجه عام على مطلق التغنى بالدعاء ، بل معناه عند المسيحيين الملكانيين ، أغنية خاصة^(٣) .

كذلك في تفسير الغريب الوارد في الحديث ، لا يصادف ابن برى دائماً كثير من التوفيق ؛ نعم هو يفرق تفرقة صحيحة بين لفظى : باسور وناسور

(١) هكذا يجب أن تقرأ . انظر : معجم البلدان ٤/ ٥٠٦ .

(٢) كنز العمال ٢/ ٣٠٢

(٣) انظر : G. Graf, ZS 7. 240 und 244

(ص ٢٢٠ س ٨) ، و٥١ تعبيران وردا في مجاميع السنة مختلفين مختلفين^(١) ؛
ولكنه يخطئ حيث يصحح (ص ٢١٩ س ١٤) لفظ : أرض بـوَر^(٢)
بفتح الباء ؛ لأن ضم الباء الذي يخطئه هو ، يؤيده اللفظ السرياني : بـوَرًا ،
الذي أخذ منه اللفظ العربي .

هذا ، وقد كتب أيضاً تعليقات في مناقشة « درة الغواص » ابن ظفر^(٣) ،
الذي توفي في « حماة » بعد مغامرات كثيرة سنة ٥٦٧ هـ أو ٥٦٨ هـ^(٤) ، والذي
كتب أيضاً شرحين على مقامات الحريري ، وألف فوق هذا شرحاً لغريب
ألفاظ المقامات .

وعلى نفس الطريقة كتب أيضاً العالم اللغوي البغدادي : ابن الخشاب
(المتوفى ٥٦٧ هـ) نقداً على الدرة ، ووقع من أجل ذلك في نزاع مع « ابن
برى » الذي كتب كتاباً في الرد عليه^(٥) . والظاهر أن ذلك الاختلاف حول
تصحيح بعض العبارات التي خطأها الحريري .

وأخيراً تلاشى الإحساس اللغوي تجاه سلامة اللغة كل التلاشي ، حتى
عد بعض النحاة ظواهر لغوية مولدة ، من اللغة الصحيحة الفصيحة ، مجرد
أنها وردت عرضاً في حديث ينسب على أى وجه إلى الرسول (صلى الله عليه
وسلم) .

(١) انظر البخارى : تقصير الصلاة ، حيث ذكر : بواسير ، على الوجه الصحيح .
وسنن أبي داود : صلاة ؛ وابن ماجه : إقامة الصلاة ، حيث ورد على عكس ذلك : ناسور .

(٢) لم يقتصر ورود هذا اللفظ على الحديث المذكور في لسان الميزان ٢٦٦/٣ هـ ، كما ذكره
المقبلي ، بل ورد كذلك في مواضع أخرى ، مثل كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أكيدر
صاحب دومة الجندل ؛ ابن سعد ج ١٢ ص ٣٦ س ٢١ .

(٣) انظر : إرشاد الأريب ١٠٣/٧ ؛ حاجي خليفة ٤٨٤/١ هـ (١٣١٠ هـ) وقد ظن أنه
شخصان لاشخص واحد .

(٤) كذا ذكره ابن العماد الأصفهاني الذي كان من معارفه . أما التاريخ الذي ذكره ياقوت
في الإرشاد ١٠٢ / ٧ والذي يذكر في مواضع أخرى وهو ٥٦٥ هـ ، فهو لا يكاد يصدق ، لأنه
قد ثبت أن ابن ظفر ظل يمارس التعليم والإقراء حتى سنة ٥٦٦ هـ ، وانظر : ZDMG 42,626 Anm.1
(٥) انظر : كشف الظنون ٤٨٥/١ هـ .

فقد أراد بعضهم أن يصحح العبارة التي وردت في شعر رثوبة (قطعة رقم ٢١ / ٢ أهلوت) : كاد أن يفعل ، بدلا من الفصيحة : كاد يفعل ، اعتماداً على أنها وردت في الخبر : كاد الفقر أن يكون كفراً^(١) ، على أن أبا البركات بن الأنباري (٥١٣ - ٥٧٧ هـ) قد رد على ذلك بأن « هذا الحديث إن صح [لم يرد هذا الحديث في المجاميع الصحيحة] فزيادة : أن ، من كلام الراوى لا من كلامه عليه السلام ، لأنه صلوات الله عليه أفصح من نطق بالضاد »^(٢) .

وعلى الرغم من هذا فقد لقي الرأي القائل بحجية الحديث في أمور اللغة تأييداً مطرداً . ويقال^(٣) إن أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة^(٤) هو النحوى : ابن خروف^(٥) ، الأندلسي ، الذي اختل في آخر عمره ، ومات في حلب في أوائل القرن السابع الهجري ، والذي نال شرحه على : « الكتاب » لسيبويه ، و « الجُمَل » للزجاجي ، حظوة كبيرة .

وتبعه في ذلك أشهر نحاة القرن السابع : ابن مالك ؛ وقد كان عظيم الاعتماد والاهتمام بالحديث ، حتى إنه عاون « اليونيني » على تصحيح نسخة من البخاري ، وألف مصنفًا خاصاً في تفسير بعض النصوص المشككة من الحديث^(٦) . وهو يرى أن القرآن هو أوثق المصادر وأصحها في أمور اللغة ،

(١) الجامع الصغير للسيوطي ، وانظر : تمييز الطيب من الحبيث لابن الديبع ص ١١٤ ، (طبع ١٣٤٧ هـ) وفيما أحاديث أخرى تشتمل على ذلك التعبير .

(٢) الإنصاف ص ٢٣٤ (نشر : Weil)

(٣) انظر ابن الضائع في شرح الجمل ، كما هو مذكر في خزنة الأدب ٥/١ ص ١٢

(٤) لم يكن ابن خروف أول من استشهد بالحديث كما توهم هذه العبارة ، فعند سيبويه وأبي علي الفارسي بعض الأحاديث . ولكن كان ابن خروف أول من أكثر من الاستشهاد بالحديث . وهذا هو نص عبارة ابن الضائع في خزنة الأدب ٥/١ : « قال : وابن خروف يستشهد بالحديث كثيراً » فلتحرر عبارة المؤلف (المترجم) .

(٥) نفح الطيب ٩٠٠/١ ؛ بغية الوعاة ص ٣٥٤ ؛ إرشاد الأريب ٢٠/٥ ؛ وتختلف الروايات في هذه المراجع اختلافاً كبيراً .

(٦) انظر : ZDMG 92, 81 f واسم كتابه : « شواهد التصحيح والتوضيح لمشكلات الجامع الصحيح » نشره محمد فؤاد عبد الباقي بالقاهرة سنة ١٩٥٧ م (المترجم) .

وتجيء أحاديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) بعد ذلك مباشرة في المرتبة الثانية ؛ على حين أن كلام البدو من الأعراب في المرتبة الثالثة ^(١) . وقد أدى به هذا إلى تصحيح تعبير مثل : أكلوني البراغيث ، لجرد أنه ورد مثله في حديث رواه البخارى ومسلم ، وصيغته : « يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار » ^(٢) .

وتوسّع الأسترا باذى ، الذى كتب حوالى سنة ٦٨٣ هـ شرحه المشهور على متن الكافية لابن الحاجب ^(٣) ، في صحة الاستشهاد فى أمور اللغة أيضاً حتى بأهل البيت . وبهذا طرأ على طبيعة العربية تحول حاسم .

وهكذا لم تعد عربية الأدب فى العصر الإسلامى الأوسط ، منذ مختتم القرن الهجرى الثالث ، لساناً طبيعياً لطائفة لغوية من الشعوب ، بل لقد تحولت إلى لغة أقامت قواعد النحو ومبادئها أساساً لتكوينها الحقيقى ، وطابعها الداخلى ، ولم تعد العناية بسلامة اللغة من حيث ظواهر الإعراب والتصريف ، التى ضعف إحساس الكتّاب بها ، أهم من العناية بمحشد طائفة من العبارات القديمة ، والاستعمالات العربية الغربية ، التى تقحم لإقحاماً ولكن دون اقتصار على حدود استعمالها البدوى القديم .

وقد كان مبلغ تمسك الكاتب باللغة الصحيحة ، ووقوفه عند مبدأ تنقية اللغة ، يختلف كثيراً عن ذى قبل إما باختلاف الموضوع الذى يتناوله ، أو باختلاف الثقافة اللغوية التى حصل عليها ، وفى بعض الأحيان كانت لهجة وطنه الذى نشأ فيه ، تلعب كذلك دوراً هاماً فى تحديد تعبيره .

وكلما أخذت الرابطة التى كانت تربط بين جميع البلدان الإسلامية من ناحية الثقافة والعلم ، تضطرب عُراها ، وتضعف أو اصرها ، بسبب الحروب

(١) فوات الوفيات ٢/ ٢٨٨ (طبع ١٢٩٩ هـ) ؛ بغية الوعاة ص ٥٥ ، المقرئ ٦٠٨/١ .

(٢) البخارى : مواقيت الصلاة ، التوحيد ؛ مسلم : مساجد ؛ موطأ مالك (الزرقانى ٣٠٨/١) ؛ النسائى : الصلاة ؛ وفى البخارى : بدء الخلق ، ورد التعبير الفصيح : الملائكة يتعاقبون إلخ ؛ وأظهر من ذلك نص الموطأ (الزرقانى ٣٠٩/١) إن لله ملائكة يتعاقبون إلخ .

(٣) انظر : خزانة الأدب ٤/١ وفى ترجمته انظر الخزانة أيضاً ١٢/١ - ١٤

المتتالية ، ازداد الانحلال والانحطاط في المستوى اللغوي والثقافي العام ، واستقل كل إقليم بثقافة خاصة ، ولهجة لغوية محلية .

وقول ابن الصلاح (٥٧٧ - ٦٤٣ هـ) إن كثيراً من شيوخ عصره لا يدرون ما يروون ، ولا يضبطون ما في كتبهم ضبطاً يصلح لأن يعتمد عليه في ثبوته ، لا ينطبق على المحدثين فحسب ، بل على جميع العلماء في عصر السلجوقيين بوجه عام^(١)

وإزاء هذا التحول الكبير ، لم يكن من المستغرب أن تتكاثر الأخطاء واللحن في قواعد العربية الفصيحة ، وأن تنضح اللهجات المولدة بقوة أشد من ذي قبل على لغة الأدب ، وأن تأخذ هذه اللغة في كل إقليم طابعها المحلي .

وهكذا يجرى الفارس العربي المشهور : أسامة بن منقذ (٤٨٨ / ١٠٩٥ - ٥٨٤ / ١١٨٨) على الحدود والقوالب العربية المتوارثة في أشعاره ؛ بيد أنه في الحديث عن ذكرياته ، ومغامراته التي شهداها في حياته [تردد مجرى حياته في المرحلة الكثيرة الزعازع والقلقل المحدودة ، باستيلاء الصليبيين على بيت المقدس سنة ٤٩٢ / ١٠٩٩ واسترجاع صلاح الدين لها سنة ٥٨٣ / ١١٨٨] يخرج عن قيود اللغة الأدبية ، فيكتب في أسلوب عربي طبيعي سهل ، يبدو فيه كثير من الطابع العام المتعارف اليوم في اللغة العربية السورية .

وحتى النحوى ابن يعيش (٥٥٣ / ١١٥٨ - ٦٤٣ / ١٢٤٥) يتنازل في شرحه للمفصل عن التظاهر بالأدب ، فيكتب في أسلوب عادى ركيك .

وفي تراجم الأطباء التي كتبها معاصره المتأخر عنه قليلاً: ابن أبى أصيبعة^(٢) (٦٠٠ / ١٢٠٣ - ٦٦٨ / ١٢٧٠) نستفيد معرفة لغة المسامرة والحديث ، التي كانت سائدة بالقاهرة بين الطبقات المثقفة لذلك العهد .

وفي ذلك تقدم لغة كل كاتب في ذلك العصر المتأخر ، مشاكلها الخاصة ؛ ولا بد من محاولات كثيرة لكشف النقاب عن جميع هذه التفاصيل .

(١) انظر عبارة ابن الصلاح المذكورة بتمامها في شرح الإمام النووي على صحيح مسلم (على هامش القسطلاني ٢٠/١) .

(١) انظر : Aug. Müller, Ueber Text- und Sprachgebrauch von Ibn abi Usaibiase Geschichte der Aerzte, in SMA 1884, 853-977

نظرة خاطفة

جاء السيل المغولى، الذى أصاب فى الصميم بلداناً ، كان لها التصدر فى قيادة ركب الثقافة والمدنية فى العالم الإسلامى ، والذى اكتسح خلافة بغداد (٦٥٦ / ١٢٥٨) فأكمل حلقة الختام فى مراحل الانحلال اللغوى التى بدأت بظهور السلاجقة ؛ وبهذا تقطعت الخيوط الأخيرة من الثقافة التليدة المتوارثة فى الأقاليم التى تغلغل فيها المغول . وما ظهر بعد ذلك فى تلك الأقاليم من حركات تتجه إلى النهوض على استحياء ، لم تكن له صلة مباشرة بالقديم الغابر .

وقد برزت « مصر » إلى المكان الأول بين بلدان العالم الإسلامى منذ ذلك العهد ؛ فقد نجت من عاصفة المغول ، وصارت تحت إمرة سلاطين المماليك ، بعد رد الصليبيين على أعقابهم ، أولى دول الإسلام العظمى .

ذلك أن الثراء الواسع العريض ، الذى قام بمصر على أساس التجارة الهندية الواسعة المدى ، فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) ، قد هيأ الأسباب الضرورية لنشاط الحياة العقلية ، وساعد على إنشاء نهضة أدبية فى مصر وسورية ، تميزت — من الوجهة اللغوية — بظهور التعبيرات المحلية المصرية .

ولقد دامت هذه النهضة قرنين من الزمان ، ولكن كشف البرتغاليين طريق البحر إلى شرق الهند ، كان من أثره المباشر القضاء على امتياز مصر التجارى ، والقضاء على ذلك الثراء العظيم . وبهذا فقدت مصر سلطانها المسيطر واستولى العثمانيون عليها فى سنة ٩٢٣ / ١٥١٧

وعلى غرار مصر ، خضعت كل البلدان الناطقة بالضاد ، على وجه التقريب — ما عدا مراکش — شيئاً فشيئاً ، لسلطان العثمانيين .

وتشمل المرحلة التي بدأت بذلك العهد ، ممتدة إلى آخر القرن التاسع عشر الميلادى ، أحلك قرون التاريخ العربى ، لا من الوجهة السياسية فحسب ، بل من الوجهة اللغوية كذلك .

وعلى النقيض من هذا تبدو المرحلة الحديثة ، التي تلت ذلك ، نَسِيرَة مشرقة مشمولة بالنور التاريخى الساطع . وتبدأ هذه المرحلة الأخيرة بحملة « نابليون » على مصر سنة ١٧٩٨م ، مقترنة بشعار تنظيم نفسها ، وترتيب أمرها ، تجاه العالم الغربى .

فإدخال النظم الغربية الذى بدأ على يد « محمد على » وإقامة المدارس والمعاهد على النمط الأوروبى ، وتغذيتها بالعلماء الأوربيين ، وإرسال الشباب المصرى إلى الجامعات الأوربية ، وتأسيس مطبعة للدولة ، وإصدار صحيفة رسمية ، وإنشاء مكاتب للترجمة ، تقوم بنقل عدد لا يحصى من المؤلفات الأوربية فى شتى أنواع العلوم والفنون إلى العربية ، تيسيراً لتناولها فى العالم العربى ؛ كل ذلك عاد على اللغة العربية — فى مصر بادية ذى بدء — بآثار بعيدة المدى فى التأثير .

ومما يشهد بذلك تلك الألفاظ الدخيلة من اللغات الأوربية : أولاً من الفرنسية والإيطالية ، وأخيراً من الإنجليزية .

وقد أدت كثرة ذلك الغريب ، المهدّد لكيان العربية ، إلى قيام حركة مضادة ، تدعو إلى استحضار الماضى العظيم ، وإحياء تليد الحضارة والثقافة من التراث القديم . وقد أعلنت تلك الحركة عن نفسها ببعث لغوى جديد ، فطبع منذ ذلك العهد ما لا يحصى من كتب الأدب العربى ، فى جميع العصور بالقاهرة وغيرها ، وأدى الاشتغال بالآثار الأدبية من مخلفات العصور الغابرة إلى بعث حركة « التنقية اللغوية » مرة أخرى .

ولم يقف الأمر عند نشر المؤلفات الكثيرة فى النحو العربى ، وما إليه من المعاجم العديدة الأجزاء ، بل اشتدت العناية أيضاً بالبحث فى مسائل الاستعمال اللغوى ، وصواب التعبير . وقد استعوض فعلاً عن كثير من الكلمات الأجنبية ، بألفاظ عربية حديثة .

ومن أعمال المجمعين العلميين فى القاهرة ودمشق، إيجاد ألفاظ مناسبة للعدد الوفير من المدلولات ، لا سيما فى دائرة الشئون الهندسية ، والآلية ، والطبية ، والكيميائية ، والطبيعية ، وغيرها مما جلبته الحضارة الغربية الحديثة .

وهذا الكفاح فى وجه « الغريب اللغوى » يدور فى الأعم الأغلب حول مشكلة استعمال الكلمة ، واستخدام المادة اللغوية المولدة ، وتيسير النقل المجازى ، ومسألة الوضع الحديث .

على أنه لا يتعرض بمساس للنقل من الغرب فى الأمور العملية ، واقتباس الأشياء والمدلولات الغربية الأصل . فثلاً الحقيقة الثابتة من أن الشرق مدين للغرب بالسيارة ، لا يحوها استعمال هذا اللفظ الفصيح : سيارة ، ومعناه الأصل : قافلة ، بدلاً من : أوتوموبيل .

وأهم من ذلك أن حركة « تنقية اللغة » تقصر نقدها غالباً على ظواهر وسائل التعبير ، على حين أن بواطن القوالب العربية معرضة لتأثير القوالب الأوربية ، المتغلغل خفياً دون انقطاع . فالمصرى الحديث الذى يستعمل مثلاً هذا التعبير : (تحية) قلبية ، فى موضع herzlich و heartily ، يعترف بالتأثير الغربى من وجهة مضاعفة : فهو يصوغ على نموذج أوربى ، من اسم عربى ، بوساطة نسبة عربية ، وصفاً لا يجوز حسب القواعد العربية الفصيحة صوغه من أسماء الأعضاء الجسمية^(١) ؛ كما أنه من ناحية أخرى يخالف مذهب لغته التى تعد القلب مركز العقل والشجاعة ، فينسب إليه مشاعر وإحساسات تنسبها العربية الأصيلة إلى الكبد أو الضلوع أو الأحشاء .

ومثل هذه الترجمة المعنوية ، التى هى العادة المتبعة فى عربية الصحافة بوجه خاص ، تقرب الشقة بين العربية الحديثة ، واللغات الأوربية الراقية تقريباً بَيْتاً ، بحيث قديتأتى فى المستقبل عدها عضواً فى الرابطة اللغوية الأوربية بالمعنى الذى قصد إليه : تروبتسكوى Trubetzkoy .

(١) لستاندرى علام اعتمد المؤلف فى هذا الحكم ، فالنسب إلى أسماء الأعضاء جائز فى العربية جوازها فى غيرها (المترجم) .

بيد أن الآثار البعيدة العمق ، التي تركها الغرب في العربية الحديثة ، لا تقتصر على العربية الفصحى ، بل كذلك اللهجات المحلية آخذة في التغير البطيء المتواصل الخطى بواسطة التأثير بالغرب^(١) . فقد كان من أثر انكماش الأمية أن تغلغل لغة الكتابة الحديثة بقواعدها ، ومفرداتها في دوائر كانت لا تعرف من قبل سوى العامية ، كما تعمل الصحافة عملها أيضاً في ذلك الاتجاه .

ومما يوحّد الألسنة وينبئ الفروق اللغوية ، التجنيد في الخدمة العسكرية ، إذ يجمع الرجال من المناطق اللغوية المختلفة في حياة واحدة .

وأبعد من ذلك أثراً ما تقوم به في هذا السبيل مسارح السمر الشعبي ، التي تقدم الأغاني والمقطوعات الفنية .

ومما يعمل على الانسجام وتقريب الألسنة بوجه خاص : المذيع ، والحاكي ، والخيالة (السينما) الناطقة .

ولما كانت مصر قد تقدمت خطوات فسيحة في ميادين النقل الآلي والفني المشار إليها ، فقد يكون متيسراً أن تصبح لغة التحادث القاهرية هي المثل الأعلى للعالم العربي خارج مصر في نواحي النطق الصوتي ، والتعبير السائد ، والثروة اللفظية ؛ وأن يعيد التاريخ ثانية لمصر تلك المكانة التي حققت لها التصدر في طليعة البلدان الناطقة بالضاد على عهد المماليك في القرنين السابع والثامن الهجريين (الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين) .

وقد ظهر أخيراً في ميدان اللغة أثر آخر من آثار التأثير بالغرب ، حيث علت أصوات في دوائر بعض دعاة الإصلاح في مصر ، تنحى بالنقد على العربية الفصحى نفسها ، وتحدث عن صيغ التعليم اللغوي بصيغة جديدة ، توأم قواعد التربية اللغوية الحديثة .

(١) انظر : I. Lecerf, Atti del III. congresso internazionale dei Linguisti :

(سنة ١٩٣٥) ص ١٨١ - ١٨٦ .

وقد كان لازماً على العربية الفصيحة أن تقضى على تلك الحركة ، لا لأن انتصارها قد لا يبقى أثراً للنحو العربى ، بل لما هو أهم من ذلك ، وهو أن الحركة المذكورة تراعى اللهجة المحلية رعاية قوية يتعسر أو يتعذر معها استخدام اللغة الجديدة رباطاً عاماً لكل البلدان الناطقة بالعربية . وبهذا يمتد الإشكال ، ويخرج من الدوائر اللغوية الضيقة إلى دوائر الثقافة الإسلامية عامة .

وإن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمى أساسياً لهذه الحقيقة الثابتة ، وهى أنها قد قامت فى جميع البلدان العربية ، وما عداها من الأقاليم الداخلة فى المحيط الإسلامى ، رمزاً لغوياً لوحدة عالم الإسلام فى الثقافة والمدنية .

ولقد برهن جبروت التراث العربى التالىد الخالد ، على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها إلى زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر .

وإذا صدقت البوادر ، ولم تخطىء الدلائل ، فستحتفظ أيضاً بهذا المقام العتيد من حيث هى لغة المدنية الإسلامية ، ما بقيت هناك مدنية إسلامية .

ملحق

مادة : ل ح ن ، ومشتقاتها

يتطلب معنى اللحن اللغوى أن يكون الصواب متقدماً عليه . وكلاهما يمكن حصوله وتصوره إذا تجاوز التفكير فى اللغة خطوات نشأتها الأولى . بيد أن مثل هذا التفكير والتأمل فى نشوء اللغة كان بعيداً كل البعد عن عرب البادية قبل الإسلام .

حقاً كان لهم ذوق مرهف ، وإحساس ناضج كل النضج بجمال اللفظ المنطوق : سواء فى الخطاب البسيط المألوف ، أم فى النثر الفنى المسجوع ، أم فى الكلام الموزون المنظوم . كما عرفوا أيضاً تلك العوائق الحسية والنفسية التى تعترض النطق ، وتؤثر فى المنطق ، فيعيا^(١) الخطيب أو يُرتج عليه .

ولاحظوا كذلك عيوب اللسان كاللغة ، والرثّة^(٢) ، واللجلجة ، والحُبْسَة ، بل لاحظوا أيضاً خصائص من اللهجات واللغات الخاصة^(٣) ؛ ولكنهم لم يعرفوا كتباً للخطأ فى القواعد والخروج على النحو .

وهذا اللفظ القديم : اللحن ، الذى يطلقه علماء اللغة والنحو اصطلاحاً على : الخطأ فى اللغة ، إنما اكتسب هذا المدلول نتيجة لاتفاق عرفى على تغيير معناه الأصلى فى وقت متأخر نسبياً .

والمدلول الأصلى للفظ : لَحَنَ ، بفتح الحاء ، هو : مال ؛ وتفسر المعاجم دون ذكر الشاهد : لحن إلى ، بمعنى : مال إلى^(٤) . ومن هنا تدل مشتقات

(١) انظر مثلاً المفضليات قصيدة رقم ٩١ بيت ٢٣ ؛ ديوان الحطيئة ص ٧٧ س ١٩ .

(٢) انظر التسمية بالأرت مثلاً (الاشتقاق لابن دريد ٢٣٧ س ١٥) .

(٣) انظر الكامل للمبرد ص ٣٦٤ (نشر : Wright) .

(٤) قرن الزمخشري فى كتابه : الفائق ٢/٢٢١ لحن إلى لحد بمعنى ضل ؛ ومسألة تعلق

المادتين مع : لظ ، بمعنى أصلى واحد ، ترجع إلى مبحث الاشتقاق الأكبر .

هذه المادة على معان تتميز بالإشارة إلى الميل والتحول عن الهيئة المألوفة . وهذا لا يعنى أن الحالة المألوفة هي الصواب ، وأن الميل والتحول عنها يؤدي إلى الانحراف والخطأ ؛ كما لا يعنى أن المقصود هو التحول إلى الصواب ، الحق .

وعلى هذا فعنى : لَحْنٌ على وزن : فَطِنٌ ، سريع الميل والالتفات ، أى حَوْلٌ قُلُوبٌ ، وهذا معناه الفطن الأريب ؛ وهكذا يصف لبيد مثلاً (قصيدة رقم ١٣ بيت ٣ ؛ ص ٦١ نشر الخالدي) وليدًا يمانياً مَرِنًا على الكتابة :

متعود لَحْنٌ يعيد بكفّه قلما على عُسْبٍ ذَبَلْنَ وبانٍ

وفعل : لحن بكسر الحاء يفسر على ذلك بمعنى : فطن ؛ ومصدره : اللحن بفتح الحاء ، كما في بيت قنبر بن أم صاحب^(١) الذى عاش في عهد الوليد بن الملك :

[غَمَسْتُ عَنْهُمْ وَمَا ظَنِّي بِمُخَافَتِهِمْ] وسوف يعرفهم ذو اللب واللحن^(٢)

وقد روى أيضاً^(٣) أن اللحن بسكون الحاء مصدر لحن بفتحها ، ورد بمعنى الإصابة والفطنة كذلك .

وأفعل التفضيل : ألحن ، ورد في حديث مستفيض ، روى في كل مجاميع السنة^(٤) يحث المؤمنين على الصدق والحق إذا تقاضوا إلى الرسول (صلى الله عليه وسلم) : « إنما أنا بشر مثلكم ، وإنكم تختصون إلي ، فلعن بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضى له على نحو ما أسمع منه ، فن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيئاً ، وإنما أقطع له قطعة من النار » .

(١) انظر التبريزي في : شرح الحماسة ص ٦٣٦ (نشر : Freytag) .

(٢) أدب الكتاب ص ١٣٢ ؛ والظاهر أن هذا البيت من الأبيات التي رواها ابن الشجري لقنبر المذكور في مختاراته ص ٧ - ٩ وإذا كان هذا البيت من قصيدة المختارات حقاً ، كان به إقواء لأن القصيدة من روى النون المضمومة (شبيبة الر) .

(٣) انظر أمالي القائل ١/٥ ص ١ .

(٤) الموطأ ، كتاب الأقضية (الزرقاني على الموطأ ٣/١٧٩ ؛ البخاري : كتاب الأحكام) وانظر فنسك في : فهارس الأحاديث ٣٧/٢ .

ولما كان معنى اللحن في هذا المثال الأخير متحققاً في أن يكون أحد الخصمين أعرف بإلباس حالته حُلَّة من البلاغة المُقنَّعة في بعض الروايات بدلا من : لعل بعضكم أن يكون ألحن : لعل بعضكم أن يكون أبلغ^(١) — فقد استعمل لفظ : اللحن ، بسكون الحاء ، في معنى : التعبير بصورة مخالفة للمألوف بوجه عام ، ويدخل في ذلك الغناء ، بمعنى أن اللحن غالباً هو النغمة^(٢) المخالفة للمألوف في أصوات الغناء .

ويمكن استعمال اللحن مجازاً أيضاً في هديل الحمال وغنائه^(٣) . فقد قال شاعر بدوى من شعراء القرن الثاني : هو جههم بن خلف^(٤) ، في أبيات له^(٥)

تَغَنَّتْ عليه بلحن لها مُهَيِّجٌ للصَّبِّ ما قد مضى
وقال في مكان آخر^(٦) :

مألوفة الألحان مطراب الضحى تبكى بشجو دائم وتوجع
وفي قصيدة نسبت إلى جحدر ، أحد لصوص العرب ومعاصر الحجاج قال في حمامتين^(٧) :

(١) البخارى : كتاب المظالم (وانظر فنسك في المرجع السابق ٢١٧/١) .
(٢) وهذا هو المقصود دائماً في الأغاني لأبي الفرج . وإلى جانب ألحان ولحن ذكر الزمخشري أيضاً في أساس البلاغة : ملاحن ، في صيغ الجمع . وإطلاق اللحن على النغمة مستفيض في اللهجة اليهودية العربية ، ويرد كثيراً في ديوان يهودا هاليفي . وفي النصوص النصرانية العربية معناه نوع خاص من الغناء الديني . انظر : G. Graf ZS 9, 245
(٣) هكذا البكري في اللآلئ ص ٢١ س ٢ خلافاً لأبي على القالي ١/٥ حيث يريد أن يفسر ألحان الحمام باللغات على أن اللحن هو اللغة .

(٤) الفهرست ص ٧٠ .

(٥) كتاب الحيوان للجاحظ ٦١/٣ .

(٦) حماسة ابن الشجري ص ١٧١ .

(٧) أمالي القالي ٢٨٢/١ ؛ شرح شواهد المعنى للسيوطي ص ١٤٠ نقلا عن تاريخ دمشق لابن عساكر ؛ الديميري ٥١/٢ ؛ خزائن الأدب ٨٤/٤ نقلا عن كتاب اللصوص للسكري ؛ معجم البلدان لياقوت ٢١١/٢ . والبيت في الكامل للمبرد ٨٤ والعقد الفريد (القاهرة ١٣٠٥ هـ) ١٤٣/٣ (الزمردة الثانية في آخرها ، قولهم في الحمام) الأصمعيات (نشر أهلوت) رقم ٣٨/٧٤ — ٣٩ (لسوار بن المضرب) وعيون الأخبار ١٢/١٨٤ (للمعلوط) مع اختلافات قلت أو كثرت (شبيثالر) .

تجاوبتسا بلحن أعجمى على غصنين من غرب وبان
ومثل هذا المعنى ورد أيضاً في البيت الذي لم يسم قائله^(١) :

باتا على غصن بان في ذُرَى فَسَنَ يردُّ دان لحوناً ذات ألوان

أما أن لفظ : لحن ، على صيغة اسم الفاعل ، استعمل أيضاً بمعنى :
حسن الصوت ، فيدل عليه المثل المعروف : « ألحن من الجرادتين » : أى
أحسن صوتاً وغناء .

والجرادتان كانتا قينتين لمعاوية بن بكر العمليقي ، سيد العمالقة في سالف
الدهر .

وكذلك المثل الآخر : « ألحن من قينتي يزيد »^(٢) ، والمراد بهما حباية
وسلامه ، مغنيتا يزيد بن عبد الملك اللتان قيل فيهما لإنهما كانتا ألحن من رُئي
في الإسلام من قيان النساء .

ويتصل بهذا المعنى فعل : لَحَّنَ بالتشديد ، أى رَتَّلَ بالنغم القرآن مثلاً ،
حيث نهى المحافظون عن ذلك^(٣) .

وأخيراً صار لفظ : تلحين (وجمعه : تلاحين) أى طريقة الغناء ، أو
النغمة الرئيسية ، اصطلاحاً من اصطلاحات الموسيقى^(٤) .

(١) أمالي القالي ٦/١ ؛ كتاب الأضداد لابن الأنباري ص ٢١٠ ؛ تاج العروس ٣٣١/٩ ؛
وذكر القالي مثالين آخرين لهذا المعنى .

(٢) مجمع الأمثال للميداني (١٣٤٢ هـ) ١٨٤/٢ - ١٨٦ .

(٣) انظر مسند الدارمي : فضائل القرآن .

(٤) انظر : Dozy, Supplement في المادة . وقد استعمل شاعر من عهد المأمون
فعل : لحن في تقسيم أصوات الغناء ، وهو محمد بن حازم الباهلي (الأغاني ١٥٨/١٢) ، كما
ذكره ابن قتيبة في : عيون الأخبار ١٠٩/٣ ، وهذا ورد أيضاً في رواية ساقها الزجاجي في أماليه
ص ٤٩ س ٢ ؛ كما ذكره أيضاً الهمداني في صفة جزيرة العرب ص ٢٠٣ س ٧ بمعنى تقسيم
النساء أصوات الأغاني التي ينحن بها على الموق الخ .

ويقصد من اللحن أيضاً : النطق على أسلوب مخالف للمألوف ، كما يراد طريقة التعبير بوجه عام . وفي هذا المعنى يقول ذو الرمة ^(١) :

« في لحنه عن لغات العُرب تعجيم »

ويقول عبيد بن أيوب ، أحد لصوص العرب في القرن الثاني للهجرة ،
الغول :

أَرَنْتْ بلحن بعد لحن [وأوقدت حوالى نيراناً تلوح وتزهر ^(٢)]
وفي بيت لم يُسَمَّ قائله ^(٣) :

وقوم لهم لحن سوى لحن قومنا وشكل وبيت الله لسنا نشاكله
ويتصل بذلك القول المأثور : « هذا ليس من لحنى ولا من لحن قومي » ،
سناه تقريباً : ليس هذا من شأنى ولا من طريقى ^(٤) .

وهذا المعنى : طريقة التعبير ، ورد في كثير من الأحاديث ، وإن كان
الصعب التحقق من قدمها وصحتها . فقد روى أن أبا ميسرة عمرو بن
حبيل (المتوفى ٦٣ هـ) أحد الصحابة المتأخرين ، استعمل هذا التعبير :
ايمن ^(٥) . ورأى كل من الأصمعى وأبى زيد لفظ : لحن ، مرادفاً
لغة ^(٦) ؛ وعلى ذلك فعنى : لحن ، نطق بلغته الخاصة ^(٧) .

(١) ديوان ذى الرمة قصيدة ٧٥ بيت ٤٤ (نشر : مكارتنى) .

(٢) حيوان الجاحظ ٥٠/٦ ؛ الشعر والشعراء ص ٩٣ ؛ إعجاز القرآن للباقلانى ص ٤٤ ؛
طلى في شرح شواهد المعنى ص ١٠٧ ، خزانة الأدب ٢١٣/٣ ؛ واستعمله الفرزدق في عواء
، (أمالى المرتضى ٢٩/٤) وفي مكانه بالديوان : نبج بدلا من : لحن .

(٣) تاج العروس في المادة .

(٤) ذيل الأمالى للقالى ص ٣٩ ؛ وذكره الزحشرى في الأساس ٢٢٢/٢ ؛ وكلاهما على أنه
تلام أب مهدية الأعرابي أحد من يروى عنهم الأصمعى (المعارف ص ١٧١) . الذى يروى
بصمعى هو أبو مهدى الباهلى ، أما أبو مهدية الكلابى فيروى عنه أبو عبيدة . انظر كتابنا :
مامة والتطور اللغوى ، هامش ٢١ (المترجم) .

(٥) أمالى القالى ١/٥ (اقرأ مع الفائق للزحشرى ٢٢٢/٢ أبا ميسرة) .

(٦) أمالى القالى ١/٥ ؛ الفائق ٢٢٢/٢ ؛ وروى صاحب تاج العروس ٣٣١/٩ أن هذا
باللحن المذكور خاص بلهجة بنى كلاب .

(٧) أمالى القالى ١/٦ ؛ الملاحن لابن دريد ص ٧٩ (القاهرة ١٣٤٧ هـ) .

وبهذا فسرت ثلاثة أقوال نسبت إلى الخليفة عمر بن الخطاب ، وإن كان يظهر ضعف نسبتها إليه ، وهى : (١) تعلموا الفرائض والسنن واللحن^(١) . (٢) تعلموا اللحن فى القرآن^(٢) . (٣) أبى أقرؤنا وإنا نرغب عن كثير من لحنه^(٣) . على أن الغالب استعمال اللحن فى معنى الطريقة غير المألوفة فى التعبير ، بوجه من الوجوه : فقد يقصد من ذلك أن تريد الشئ فتورى عنه بقول آخر . وهذا المعنى يبرز بوضوح فى بيت من قصيدة قالها القتال الكلابى الذى عاش فى عهد مروان بن الحكم ، يلوم قومه لتخلفهم عن مساعدته :

ولقد لحنتم لكم لكيما تفهموا ووحيت^(٤) وحيأ ليس بالمرتاب^(٥)

وفى مثال ثان لهذا التعبير يقول مالك بن أسماء صهر الحجاج بن يوسف فى جارية تغنى بها :

منطق صائب وتلحن أحيا نأ وخير الحديث ما كان لحننا^(٦)

(١) أمالى القالى ٥/١ وفى الأساس والفائق والنهاية لابن الأثير فى المادة .

(٢) النهاية لابن الأثير ٥٦/٤ (١٣٢٢ هـ) .

(٣) الفائق ٢٢٢/٢ ؛ النهاية لابن الأثير ٥٧/٤ .

(٤) استعمال الثلاث : وحى ، بدلا من الرباعى : أوحى ، ورد فى قراءات شاذة ، مثل : وحى إلى ، بدلا من : أوحى إلى (آية سورة الجن ١/٧٢) ، ومعناه الأصل يؤخذ من آية سورة مريم ١١/١٩ : « فأوحى إليهم أن سبحوه بكرة وعشيا » أى أشار إليهم . ومن هذا المعنى يتفرغ المعنيان الآخران : : (١) الوحي الشرعى الذى ينزل على الرسول فى صور مختلفة (ويتصل بما ذكره فى دائرة المعارف الإسلامية ١١٨١/٤ من أن أصله فى العبرية والآرامية السرعة ، وفى الحبشة بمعنى المعرفة) (٢) الرسم ، الكتابة ، الخبر .

(٥) أمالى القالى ٤/١ ، والبكرى فى اللآل ١٣/١ (كما ذكره أيضاً ابن حجر فى الإصابة ٩٤/٣ طبع القاهرة ١٣٢٨ هـ) ؛ أدب الكتاب للصولى ص ١٣٠ ؛ تاج العروس ٣٣١/٩ ؛ الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٠٩ ؛ ورواه الزنجبشرى فى الكشف ص ١٣٧٠ ، ومحب الدين فى شرح شواهد الكشف ص ٤٢ : لكيما تعرفوا . ومن رواه دون تسمية قائلة روى الشعر الثانى : واللحن يعرفه ذوو الألباب . وانظر الميدانى ١٨٥/٢ وأملى المرتضى ١١/١ .

(٦) بيان الجاحظ ٩٢/١ ؛ عيون الأخبار ج ١ فى المقدمة ؛ الشعر والشعراء . ص ٤٩٢ ؛ إرشاد الأريب ٢٢/١ .

ولما اشتهر لفظ اللحن في الاستعمال المتأخر بالمعنيين : الخطأ اللغوي ، والغناء ، وهم الجاحظ فظن أن الشاعر أراد أنها تلحن في الكلام أى تخطىء ، وأن اللحن في الكلام مما يستحسن من النساء^(١) .

نعم قد نبهه إلى وهمه العالم المشهور بين رجال القصور : على بن يحيى المنجم (المتوفى ٢٧٥ هـ) ، ولكنه لم يستطع لإصلاح ما كتبه في كتابه البيان والتبيين بعد أن سار في الآفاق وانتشر أيما انتشار^(٢) .

ونظراً لذلك التأثير البعيد الذى كان لكتب الجاحظ في الأجيال من بعده ، لم يكن غريباً أن يؤخذ تفسيره الخاطيء بالقبول في أوساط مختلفة ؛ كما فعل ذلك ابن قتيبة في « عيون الأخبار »^(٣) ، وهو كتاب نال من الخطوة مالا يكاد يقل عن كتاب البيان والتبيين ، وأسهم أيضاً في إذاعة ذلك التفسير .

نعم لم تحرس المعارضة دونه بين حين وآخر ، كما أملى ابن دريد (المتوفى ٣٢١ هـ) على تلاميذه تصحيحاً مدعوماً بالحجة ، للتفسير الذى ذكره الجاحظ^(٤) ، وكما فعل مثل ذلك في جيل آخر بعد ابن دريد أبو بكر الصولى^(٥) (المتوفى حوالى ٣٣٦ هـ) .

وذكر ابن الأنبارى (المتوفى ٣٢٧ هـ) - الذى يتفق شرحه للفظ اللحن مع شرح ابن الأعرابى (المتوفى ٢٣١ هـ) الذى يرى الكلمة من كلمات الأضداد - أن مذهب ابن قتيبة من أن العرب تستحسن اللحن في كلام النساء غير صحيح ، إذ إن العرب لم تزل تستقبح اللحن من النساء كما تستقبحه من

(١) البيان ١/٦٢ .

(٢) الأغاني ٤٣/١٦ (ونقله عنه تاريخ بغداد ١٢/٢١٤ ؛ اللآلى ١/١٧) وله رواية مساوقة عن المرزبانى في أمالى المرتضى ١/١٢ ؛ إرشاد الأريب ٦/٦٥ ؛ الروض الأنف ٢/١٩٠ .

(٣) انظر مقدمة عيون الأخبار .

(٤) الميدانى ٢/١٨٥ عن حمزة الأصهبانى . وفي مقدمة كتاب الملاحن يذكر ابن دريد التفسير الصحيح دون تعرض للجاحظ .

(٥) أدب الكتاب ص ١٣٠ .

الرجال ؛ ثم عضد ذلك بشواهد في طيب حديث الصواحب (١) .

بيد أن ذلك التفسير الخاطيء لم يكن من السهل تلاشيهِ ؛ فقد ذكره قدامة ابن جعفر (٢) ، وإن فهم من كلامه أنه يأخذ به لعدم اتضاح تفسير آخر في نظره (٣) ؛ ويؤخذ من كلامه أيضاً عدم ارتياعه إلى أن الخطأ في كلام النساء يعد جميلاً .

وفي ختام القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) استطاع أحد حوارى الجاحظ وهو أبو حَيَّان التوحيدى أن يحاول تسويغ حمل اللحن في هذا البيت على المعنى الذى ذكره الجاحظ ، أى الخطأ في الكلام ، وإن لم ينف أيضاً احتمال تفسيره بالرمز والإشارة (٤) . وابتداء من القرن الخامس درج الناس على فهم التفسير الصحيح للبيت ، أى الرمز والإشارة (٥) .

وورد هذا المعنى فى النثر فى خبر عن غزوة الخندق . فقد أرسل النبي [صلى الله عليه وسلم] سعد بن معاذ وسعد بن عباد وغيرهما إلى بنى قريظة ؛ ليتبينوا ما إذا كانت قريظة تريد أن تنكث عهدها معه ، وقال لهم : فإن كان حقاً فالحنوا لى لحناً أعرفه (٦) « ، فلما رجع الرسل ذكروا للرسول [صلى الله عليه وسلم] لفظى : « عضل والقارة » وهما قبيلتان غدرتا بأصحاب النبي [صلى الله عليه وسلم] من قبل ، فعلم النبي [صلى الله عليه وسلم] من ذلك أن قريظة نكثت العهد .

(١) الأضداد لابن الأنبارى ص ٢١٠ (القاهرة ١٣٢٥ هـ) وتجد مواضع من حديث الصواحب فى البيان للجاحظ ١٠٩/١ ؛ عيون الأخبار ٨١/٤ - ٨٤ ؛ زهر الآداب (على هامش العقد ١٣١٦ هـ) ١٣/١ ؛ حماسة ابن الشجرى ص ١٩٥ ؛ أمال المرتضى ١٥٧/٢ ؛ حكاية أبي القاسم ٥٤ ؛ تاج العروس ٢٦٩/١٠ وغير ذلك .

(٢) نقد النثر ص ١٢٤ - ١٢٥ (القاهرة ١٩٣٤) .

(٣) انظر قدامة فى الموضوع السابق . وهو يروى البيت : وغير الحديث . ولكن روى أيضاً : وأحل الحديث ، كما عند الجاحظ وابن قتيبة إلخ .

(٤) إرشاد الأريب ٦/٦٦ .

(٥) المرتضى ، البكرى ، الميدانى ، الزنجشى فى المواضع المذكورة آنفاً ؛ وانظر ابن رشيق فى الممددة ٢١٠/١ ؛ إرشاد الأريب ٢١/١ ؛ ألف باء ٤٤/١ وغير ذلك .

(٦) ابن هشام ص ٦٧٥ ؛ الروض الأنف ١٩٠/٢ ؛ الواقدي : ص ١٩٧ ؛ الكامل للمبرد ص ٦٣٢ .

واشتهر أيضاً على أنه مثال للحن بمعنى اللغز والتورية ، ما جاء في رسالة أرسلها أحد الأعراب في يوم الوقيط ، وهو يوم من أيام العرب في عهد فتنة عثمان ، إلى قومه يحذروهم من الغزو^(١) ؛ قال : « قل لهم فليعروا بجلى الأحمر ، وليركبوا ناقى العيساء » يعنى ليركوا عالية الصمان ويرحلوا إلى صحراء الدهناء .

وأخيراً ، يتصل بهذا ما جاء في آية سورة محمد [عليه السلام] ٣٠/٤٧ ، وهو الموضع الوحيد الذى ورد فيه لفظ الحن في القرآن ؛ وفي هذه الآية : التى نزلت بعد غزوة بدر بقليل ، يقول الله سبحانه عن المنافقين : « أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ » . ولا يوجد أفصح ولا أبلغ . ولا أنصح ولا أبين في إصابة المحز من ذلك التعبير : لحن القول ، في وصف طريقة التعبير المعسولة التى لا يبدو في ظاهر جرسها سوء ، التى يرمز بها أعداء محمد [صلى الله عليه وسلم] إلى معان يفهمها إخوانهم في الرياء والنفاق . ويتعلق بهذا السياق أيضاً فعل : لَاحَنَ (وهو مرادف لفعل : فَطَظَنَ^(٢)) . أى أظهر له ذكاه وفطنته ، ولا سيما بتعاطى التورية والإلغاز ؛ كما في بيت الطرماح ، قصيدة ٤٧ بيت ٥^(٣) :

وأدَّتْ إلى القول عنهن زَوْلَةٌ تُسَلِّحِينَ أو ترنو لقول الملاحن

وعلى حين يراد من اللحن بالمعنى الأخير ، أى التورية والتعمية كما في الأمثلة الأخيرة ، الرمز إلى السامع بغير ما يفهم من صريح الكلام ، يستعمل اللحن أيضاً ، في أحوال أخرى ، بمعنى ما يقصد إليه المتكلم نفسه ، من معنى يقصده ولا يتبين من ظاهر اللفظ ، كما في حالة استعمال الألفاظ المشتركة في معان غير متبادرة منها .

(١) نقائض جرير والفرزدق ٣٠٥/١ ؛ وذكر ابن دريد رواية أخرى في الملاحن ص ٤ ، ونقلها القالى في الأمالي ٦/١ (وعنه البكرى في الآلى ص ٢١) والمرئى ١٢/١ ؛ ونوجد الكلمات التى ذكرها ابن دريد والقالى في معانى الشعر للأشنادانى ص ٥٧ .
(٢) أساس البلاغة ٢/٢٢٢ ، فسر : يلاحن الناس بقوله : يفاظهم ويفالطهم بفطنته ودهائه .
(٣) ديوانه (نشر كرنكو) ص ١٦٤ .

وقد ظن كثيرون إذا أقسموا يمينا على شيء أنهم يرضون ضمائرهم بالقصد إلى معنى غير ما يفهمه السامع ؛ فلذا حلف لإنسان : ما سألت فلاناً حاجة قط ، قصدوا في أنفسهم من لفظ : حاجة ، أمراً معيناً .

وقد ذكر ابن دريد في كتابه : الملاحن^(١) ، مجموعة من مثل هذه الألفاظ المحتملة لمعان مختلفة ، مع ملاحظته على ذلك أن من يضطر إلى اليمين يستطيع استخدامها لينقذ نفسه من كيد المتسلط ، ويسلم مع ذلك من غضب القوى الجبار . وقد أمكنه أن يجمع من هذه الألفاظ نحو أربعمئة كلمة من كلمات الحيل في القسم ، من بين العدد الهائل من الألفاظ المشتركة في العربية :

وتنقل خطوات قليلة لَنَفْظَ : لحن ، من معنى التسهيل والتعمية ، إلى معنى الخطأ في التعبير : لحن بفتح الحاء ، أخطأ في الكلام ؛ لحن بالتشديد ، عده لاحقاً ، عد عليه لاحقاً ؛ لَحْنَانٌ وَلَحْنَانَةٌ وَلُحْنَنَةٌ ، كثير اللحن .

وإلى هذا اسم الفاعل : لاحن ، في قولهم : قَدَحَ لاحن ، أى ليس بصافى الصوت عند الإفاضة ، وقوس لاحنة عند الإنباض ، أى عند شد وترها للرمل^(٢) .

وهذا المعنى ، أى الخطأ في الكلام ، يبدو في العهد الإسلامى في غير عربية البدو كثير الورود [لم يعق هذا الاستعمال عن الانفراد في التعبير إلا استعمال اللحن بمعنى الغناء أيضاً] بحيث تورط ابن الأعرابى النحوى الكوفى (١٥٠ - ٢٣١ هـ) إذ ساقه اطراد ذلك الاستعمال إلى اعتقاد أن : لحن معناه أخطأ في الكلام ، أو فطن وأصاب الصواب ، وأنه على ذلك من قبيل الأضداد^(٣) .

(١) نشره: H. Thorbecke سنة ١٨٨٢ فى هايدلبرج ، وأنا أستخدم هنا طبعة القاهرة

١٣٤٧ هـ

(٢) انظر الأساس للزمخشري ٢/٢٢٢

(٣) كتب أخيراً فى طبعة الأضداد فى اللغة العربية هانز كفلر فى تقديمه لكتاب الأضداد لقطرب (المتوفى ٢٠٦ هـ) الذى نشره أخيراً : وقطرب لا يذهب إلى أن كلمة لحن من قبيل الأضداد كما فعل ابن الأعرابى .

وهذا الرأي المنحرف يتفق مع مذهب ذلك الكوفي العجيب الذى يذهب مثلاً إلى جواز إبدال الضاد بالطاء حسب الرغبة والاختيار^(١) ، والذى ينكر فضل أبى عبيدة والأصمعى فى تحقيق اللغة وجمعها^(٢) ، والذى يعد شعر أبى نواس وغيره من المحدثين كالريحان يُشَمَّ وَيَذْوَى فَيُرى به^(٣)

ويظهر فى باب اللحن من كتاب الأضداد لابن الأنبارى^(٤) (المتوفى ٣٢٧ هـ) ما أدى إليه هذا التفسير الذى مسخ معنى ذلك اللفظ : اللحن ، فى تفسير التعبيرات المتفرقة .

ومن الأمثلة لذلك ما ذكره ابن الأعرابى فى شرح البيت المذكور آنفاً للمالك بن أسماء :

منطق صائب وتلحن أحياناً نأ وخير الحديث ما كان لحناً
إذا قال : منطق قاصد للصواب وإن لم يصب ، وتصيب وتفتن أحياناً ،
وخير الحديث ما كان إصابة وفطنة .

وهذا التأويل المتهافت يجد شبيهه فى تفسير ابن الأعرابى أيضاً ، لبيت من شعر امرئ القيس فى معلقته^(٥) .

وليس من التطور اللغوى للكلمة استعمال « لحن » فى لغة العوام والدجالين والمتسولين بمعنى : « أعطى » . وقد استخدمها بهذا المعنى « أبو دلف » فى قصيدته الساسانية^(٦) .

(١) ابن خلكان ٢/٢٩٩ (١٢٩٩ هـ) .

(٢) تاريخ بغداد ٥/٢٨٢ .

(٣) الموشح ص ٢٤٦ ، ٢٦٧ ، ٢٧٥ ؛ وكان ابن الأعرابى متعصباً على أبى تمام بوجه خاص (الموشح ص ٣٠٤ ، ٣٢٩) ، ولذا ينكر عليه ابن الأثير كل حق فى الكلام فيما يتصل بالذوق الأدبى (المثل السائر ص ٤٩٠) .

(٤) الأضداد لابن الأنبارى ص ٢٠٧ - ٢١٤ (القاهرة ١٣٣٥ هـ) .

(٥) انظر خزانة الأدب ١/٥٥٠ .

(٦) يتيمة الدهر للشمالى ٣/١٨٣ .

هذا ولا يزال ينقصنا كل دليل يبين متى تم نقل لفظ اللحن إلى معنى الخطأ في الكلام . وأغلب الظن أنه استعمل لأول مرة بهذا المعنى عندما تنبه العرب بعد اختلاطهم بالأعاجم إلى فرق ما بين التعبير الصحيح والتعبير الملبحون . وكثير من هؤلاء لم يكونوا يستطيعون إخراج حروف الحلق والإطباق بالدقة المعروفة في العربية من مخارجها ، فاستعاضوا عنها بحروف أخف على ألسنتهم وأسهل على طباعهم . وكان من أثر هذا إلى جانب الثراء العظيم في ألفاظ العربية ، أن نشأ من التحريف واختلاط الكلمات مالا مناصر عنه في التفاهم العادي .

فإذا قال أعجمي مثلاً : أَهَلْ ، الذي معناه ظهر أو فرح ، بدلاً من : أَحَلْ ، بمعنى أجاز وأذن ؛ أو : أرب ، الذي معناه الحاجة أو العقل ، بدلاً من : عرب جمع عربي ؛ أو : سار ، الذي معناه ذهب ، بدلاً من : صار بمعنى : تحول ؛ أو : دَلَّ الذي معناه هدى ، بدلاً من : ضَلَّ ، بمعنى غوى وحار ؛ أو : ترك ، الذي معناه : ودع وأبقى بدلاً من : طرّق ، بمعنى دق على الباب ليلاً ، ولم يكن من السهل على العربي أن يتابع كلامه بالفهم الصحيح وكان لا بد أن يؤدي ذلك إلى إدراك العربي معنى الخطأ اللغوي ، والخلط في التعبير .

وليكن هناك من الفرص قبل الإسلام أيضاً ما يسمح باختلاط العرب بغيرهم من الأعاجم في المناسبات المختلفة ؛ فإن الهجرة العربية الكبرى التي تمت في القرن الأول للإسلام ، وهجّيات الفرصة العظمى لاحتكاك العرب بالأعاجم ، واصطدام لغتهم باللغات الأخرى ، هي التي يعول عليها بالنسبة لما ترتب عليها من آثار جماعية غير فردية .

وقد كانت نتائج ذلك ما لاحظناه في الأبواب المتقدمة ، وما قررناه من قيام مبدأ « تنقية اللغة العربية » في أواخر القرن الأول للهجرة (السابع الميلادي) .

ومن آثار نشأة ذلك المبدأ المتزمت إطلاق لفظ اللحن على الخطأ اللغوي ، كما ورد مثلاً في شعر رؤبة ، ويحيى بن نوفل .

وقد يجوز أن نضيف هنا إلى هذين الشاهدين بيتاً للحكم بن عبدل الأسدي^(١)
وكان هذا الشاعر موالياً لوالى البصرة الأموى : عبد الملك بن بشر بن مروان
(حكم البصرة فى سنتى ١٠٢ - ١٠٣ هـ^(٢)) ، وكانت بينه وبين حاجب
الأمير ملاحاة وخصومة ، فأراد أن يحمل الأمير على إقالته من منصبه وقال
يهجوه :

ليت الأمير أطاعنى فشفيتـه من كل من يُكْفى القصيد ويلحن^(٣)

هذا البيت إلى البتين المشار إليهما من قبل ، يبدو - فيما أعلم - أنه أقدم
الشواهد على استعمال كلمة : لحن ، فى معنى الخطأ اللغوى .

(١) انظر الأغاني ١٤٨/٢ - ١٥٩ .

(٢) Zambaur, S. 40

(٣) حيوان الجاحظ ١/١١٨ .

فهرس تحليلى لموضوعات الكتاب

مقدمة المترجم ٣ - ٤

تعليقات المستشرق الألماني أنطون شبيتالر ٥ - ١٢

١ - تمهيد

(ص ١٣ - ١٧)

الإسلام يقرر مصير العربية - العربية لغة الدين والحضارة فى العالم الإسلامى - سقوط الدولة الأموية لم يضعف العربية - العصر الذهبى للعربية فى أوائل الدولة العباسية - العربية فى عصر السلجوقيين - ص ١٤ : مصر تزعم البلدان العربية - نقد بعض دعاة الإصلاح حديثاً لعقيدة العربية الفصحى - عسر رسم صورة واضحة لـ العربية فى ١٣٠٠ عام - القواعد العربية بلغت مستوى عظيماً من الكمال - لا تزال كتب النحو تعد العربية لغة إعراب - تلاشى الإعراب منذ أجيال - الإعراب فارق بين الفصحى والمولدة - ص ١٤ : الإعراب وسيلة سطحية فى تمييز اللغة الفصيحة - جوهر القالب اللغوى هو المميز - فقدان الإعراب فى جميع اللغات ماعدا العربية والبابلية القديمة - النزاع حول تاريخ تلاشى الإعراب فى لغة التخاطب - أشعار البادية - اختلاف النحاة إلى عرب البادية - بعض البقايا الجاهدة فى لهجات البدو - أساليب العروض - القرآن - ص ١٥ : التركيب العربى كالتركيب اللاتينى - شهادة القرآن بعدم الفرق بينه وبين لغة العرب - لا يعارض هذا قيام فروق اللهجات - قواعد رسم المصحف تدل على فروق اللهجات المحلية - ص ١٧ : القرآن يعرض صورة لا يداينها أثر عربى - اختلاف القرآن عن لغة الكهنة والعرافين - ص ١٧ : مخالفة القرآن للقواعد ليس شذوذاً عن العربية - تطور العربية بعد وفاة الرسول . (صلى الله عليه وسلم) .

٢ - العلاقات اللغوية فى عهد الدولة العربية (الأموية)

(ص ١٨ - ٥٨)

هجرة القبائل للغزوات مشرق عصر جديد للعربية - تأثير العربية وتأثرها بلغات الأقاليم الجديدة - اختلاف اللهجات لم يحل دون تفاهم العرب - ص ١٨ : فروق اللهجات التى لفتت أنظار النحاة - سياسة عمر العبرى (١٧ - العربية)

بإزاء العرب والعربية — معسكرات العرب أسس للمدن الإسلامية من بعد — ص ١٩ : تعذر قيام حد فاصل بين العرب وأصحاب الديار الأصليين — نشأة طبقة عربية من عظام الملاك — نشوء لغة مبسطة للتفاهم بين العرب ومن يتصلون بهم — Pidigin English — lingua franca — ص ٢٠ بعض ظواهر لغة التفاهم الجديد — ص ٢١ : الروايات العربية عن أوائل النحو غير تاريخية — الدافع إلى الملاحظات النحوية — اصطلاحات التحليل النحوية — اصطلاحات سيبويه — ص ٢٢ : حذق الزنوج للعربية في الجاهلية والإسلام — سكان المدن وألسنتهم وأنسابهم — إشارة القرآن إلى اللغة الأجنبية — معرفة بعض الصحابة بلغة أجنبية — ص ٢٣ : تأثير أسرى الفتح في العربية — الأسرى يكونون الطبقات الوسطى والدنيا في المجتمع الإسلامي — اختلاف طبقات المجتمع من الوجهة اللغوية — نشوء لغة دارجة محلية — ممارسة العربية للغات المحيطة بها — ص ٢٤ : الأنباط ولغتهم — الفارسية لسان الإدارة في الشرق — اليونانية لسان الإدارة في المغرب — الفارسية بالبصرة والكوفة في القرن الأول — العلاقات اللغوية بالبصرة — ص ٢٥ : أساورة البصرة — عبيد الله بن زياد وأسرته — سخرية ابن مفرغ من عبيد الله بن زياد — ص ٢٦ : حياة ابن مفرغ دليل على انتشار الفارسية بالبصرة — انتقام ابن زياد منه — ص ٢٧ : العلاقات اللغوية بالكوفة — الحيرة ومكانتها قبل الإسلام وبعده — العناصر الفارسية في الكوفة — ص ٢٨ : ديلم ، سكان الكوفة — الجاحظ يصف تأثير الفارسية في العربية — ص ٢٩ : الفارسية تنفذ إلى الوطن العربي القديم — الجاحظ يصف أثر الفارسية في المدينة وماحولها — ص ٣٠ : شواهد من شعر جرير والفرزدق — مناقشة الشواهد المذكورة — ص ٣١ : موازنة الشواهد بالفقه الإسلامي — القبطية في مصر — العربية مقصورة على المعسكرات — أغلب المهاجرين إلى مصر من قبائل يمنية — اليونانية هي اللغة الرسمية — متى صارت العربية لغة رسمية — ص ٣٢ : أثر القبطية ضئيل في العربية — تلاشي القبطية في القرن السادس — طبيعة الحياة العربية وأثرها في نشر اللغة — ص ٣٣ : أبناء الجوارى في الإسلام — أبناء سمية — ص ٣٤ : أسرة المهالبة — ص ٣٥ : نبوغ أبناء الجوارى في أواخر القرن الأول — حرص الأمويين على خلوص الدم العربي — إبعاد أبناء الجوارى عن الخلافة واستثناء يزيد — ص ٣٦ : تأثير الحياة البدوية بالمؤثرات الأجنبية — ظهور

الأخطاء اللغوية في دوائر المجتمع العليا — نشوء مبدأ : تنقية العربية — الأماويون
 حماة المبادئ العربية — ص ٣٧ : عبد الملك بن مروان — عمر بن عبد العزيز —
 ص ٣٨ : الحجاج — طعن خصومه في لغته — ص ٣٨ : رؤية — ص ٤٠ :
 خالد بن عبد الله القسري — ص ٤٠ : موقف الدوائر الإسلامية من حركة
 تنقية اللغة — الحسن البصري — ص ٤١ : مآخذ على قراءة الحسن — ص ٤٢ :
 ظهور خصائص أجنبية في اللسان المتمكن من العربية — لهجة الفقيه الدمشقي
 « مكحول » — لهجة « نافع » « شيخ مالك » — تعرض الشعر لمنافسة الأجانب —
 زياد الأعجم — ص ٤٤ : أبو عطاء السندی — ص ٤٥ : من الزنوج من
 ملك زمام العربية — أحد الزنوج يهجو جريراً — ص ٤٦ : رداءة التأليف
 في شعر الفرزدق — فتور الإحساس اللغوي عند شعراء أواخر القرن الأول
 — شعر الطرماح — ص ٤٧ : مآخذ على الطرماح — ص ٤٩ : الكميت بن زيد
 — مآخذ عليه — ص ٥٢ : شعر ذى الرمة ومآخذ عليه — ص ٥٤ : موازنة
 بين شعر الغزل بالحجاز وسائر الشعر في الدولة — ص ٥٤ : عمر بن أبي ربيعة —
 قصص الغرام في أوائل العصر الإسلامي — رأى ابن الكلبي في قصة مجنون
 ليلى — قصص بني عذرة — الدوافع إلى دراسة النحو — ص ٥٦ : عبد الله
 ابن أبي إسحاق النحوي ينقد الفرزدق — هجاء الفرزدق لإياه — ص ٥٧ :
 أبو عمرو بن العلاء ينقد اللحن — ص ٥٨ : يونس بن حبيب ينقد ابن قيس
 الرقيات — نقد كثير .

٣ — عربية الدولة ولغة الشعب في أوائل العصر العباسي

(ص ٥٩ — ٩٢)

سقوط الدولة لم يضعف العربية — لغة القرآن تصير جزءاً من حقيقة
 الإسلام — الأسرة العباسية تبرز الطابع الديني لسلطانها — الثقافة العربية مثل
 أعلى — الشعوبيون لم يستطيعوا نقض مكانة العربية — العصر العباسي الأول
 يشهد باكورة العلم العربي — نحو الفارسي « سيويه » — ص ٦٠ : كتاب
 سيويه يدل على اعتماد القواعد على استعمال عرب البادية — لا يستشهد بشعر
 المحدثين — يستشهد بشعراء لم يعتمدهم أكثر علماء اللغة — ص ٦١ : لم
 يستشهد بأبي يحيى اللاحقي — لم يستشهد ببشار — البدو حجة في جميع مسائل
 اللغة — الحوار بين سيويه والكسائي — ص ٦١ : فصحاء الأعراب —

لم تعد الفصحاة أمراً طبيعياً في القرن الثاني - بعض من عرف بسلامة لفته
بالبصرة - ص ٦٣ : موازنة بين الأمويين والعباسيين - ص ٦٣ : اثنان
من الفرس في طليعة أدباء العربية : ابن المقفع وبشار - أدب ابن المقفع
ولغته - ص ٦٤ : موازنة بين لغته ولغة عرب البادية - ص ٦٥ : بشار
ابن برد وأدبه ولغته - ص ٦٧ : تطور أسلوب ابن المقفع وبشار مرحلة
جديدة في تاريخ العربية - ص ٦٧ : التطور الجديد يحمل سمات مولدة -
محاورة بين أبي عمرو بن العلاء وعمرو بن عبيد مؤسس الاعتزال - ص ٦٨ :
نقد الأصمعي للغة ابن المقفع وتصحيح ابن درستويه - بعض البدويين ينقد
لغة المنصور - ص ٦٩ : النحو يستبد أحياناً في وضع قواعده - اللغويون
لم يتفقوا دائماً على الاستعمال اللغوي الصحيح - خلاف البصرة والكوفة في
القياس النحوي وتفسير الظواهر اللغوية - تعصب اليزيدي لمدرسة البصرة -
ص ٧٠ : غضبه على أئمة الكوفيين - انتشار العيب باللحن من بدء العصر
العباسي - طعن يونس بن حبيب في حماد الراوية - ص ٨١ : الكميث يرفض
إملاء شعره على حماد - رأى المفضل الضبي في حماد - رأى أبي عمرو بن
العلاء في حماد - سوء قصد البصريين بالكوفيين - جناد بن واصل الكوفي
ورأى يونس والتوزي فيه - ص ٧٢ : علماء الكوفة يعنون بمسائل سلامة
اللغة - طعن حفص بن أبي ودة في شعر المرقش - رد حماد عجرد عليه -
ص ٧٢ : الطعن باللحن في دوائر علماء الفقه - أبو حنيفة وقصة لحنه - ص ٧٤ :
لحن أبي شيبه قاضي واسط - ص ٧٥ : شبيب بن شبة - خالد بن صفوان -
ص ٧٥ : الاشتغال بالعربية في غير العراق - قلة عناية المدينة بدراسة العربية -
رأى الأصمعي في المجتمع المدني - عيسى بن دأب - ص ٧٧ : رأى خلف
الأحمر في ابن دأب وابن شوكر - عجب الأصمعي من لحن مالك بن أنس -
مالك يستأنس للحنه بلحن شيخه ربيعة الرقي - ص ٧٨ : ملاحظة التساهل
اللغوي في القراءات المدنية - قراءة نافع - ص ٧٩ : التساهل في النحو
ظاهرة عامة عند المحدثين - الجاحظ ينقل رأى ابن خنبرة في رواية الحديث
باللحن - ص ٨٠ : هل جوز الشعبي تصحيح ما روى ملحوناً من الحديث ؟
- أيوب السخيتاني - هل تجب مراعاة سلامة اللغة في رواية الحديث ؟ - رأى
الأعمش الكوفي - ص ٨١ : سعيد بن عبد العزيز التنوخي - حماد بن سلمة -

باعث سبويه إلى دراسة النحو - ص ٨١ : عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي - وهب بن جرير - سفيان بن عيينة يرجع إلى ابن مناذر في تفسير غريب الحديث - ص ٨٢ : لحن هشيم بن بشير محدث العراق - وكيع بن الجراح - ص ٨٣ : إسماعيل بن أبي خالد - أسرة أبي أيوب الطنافسي - عبد الأعلى بن عبد الأعلى البصري - مهدي بن مهلهل يتخلص من اللحن بالوقوف على أواخر الكلمات - موقف ابن المديني من تصحيح اللحن في الحديث - ص ٨٤ : ابن الطبري المصري - النسائي - الاستشهاد بروايات من الحديث على تصحيح اللحن - أقوال عن عمر في الحث على تعلم العربية - ص ٨٦ : نهى عمر عبد الله بن مسعود عن القراءة بأسانه الهذلي - روايات عن ابن مسعود - ص ٨٦ : لم يسهم أهل الحديث في حركة تنقية اللغة - لم يمنع اللحن أهل الحديث أن ينبغوا في فنهم - ص ٨٧ : لم يقتصر ظهور اللحن على غير المثقفين - استيعاب النحاة لصيغ المقصور والممدود بسبب اللحن فيهما - الجاحظ يحكي لحن يوسف بن خالد التيمي - ص ٨٩ : خطأ « نولدكه » في الاحتجاج على صوغ أفعل التفضيل من أسماء العيوب الخلقية - ص ٩٠ : تعسر الحكم على لغة الطبقات الدنيا والوسطى في المدن والأقاليم - افتراض عدم انتشار العربية بين شعوب البلدان المفتوحة - ص ٩٠ : الفارسية كانت سائدة في مدن العراق - الأصمعي كان يحسن الفارسية - ص ٩١ : لإجادة الفارسية إلى جانب العربية كانت أمراً شائعاً - انتشار الألقاب الفارسية في الأسماء العربية .

٤ - اللغة العربية في عصر هارون

(ص ٩٣ - ١٠٨)

بلوغ الدولة ذروة سلطاتها في ظل هارون - ازدهار علوم العربية - اقترانها بأعلام العلماء - لغة البدو هي المثل الأعلى - خلاف علماء اللغة مع اللهجة الدارجة - البصريون يهتمون القراءة باللحن - ص ٩٤ : الخليفة يظل العلماء بعطفه - فصاحة زبيدة - الأصمعي يخطيء أبا يوسف الفقيه - ص ٩٥ بصر الكسائي باللغة - باعت الكسائي إلى تعلم النحو - ص ٩٥ : لم يحصل واحد من علماء اللغة على دراية كاملة بالعربية - أبو عبيدة يعجب من فصاحة أم الهيثم الأعرابية - الخلاف حول من يرجع إليه في العربية - ابن الأعرابي

لا يعتد بالأصمعي ولا أبي عبيدة - عدم رسوخ ابن الأعرابي نفسه في اللغة -
ص ٩٧ : قلة خبرته بالأنساب - أقدم الآثار الأدبية لحركة تنقية اللغة ينسب
إلى الكسائي - ص ٩٨ : نقد تحليلي لنسبة الكتاب - الأصمعي ينظم الاستعمال
اللغوي بتحديدات معنوية دقيقة - لم يسلم الأصمعي من مخالفة الاستعمال البدوي
ص ٩٩ : البطليوسي يلوم ابن قتيبة على متابعتة للأصمعي - الشعر الرفيع
يعتنق مبدأ تنقية اللغة في جميع العصور - شعر أبي نواس - ص ١٠١ :
وقوع شعراء الطبقة الثانية في اللحن الصريح - العماني - إبراهيم الموصلي -
مسلم بن الوليد - ابن سيابة - ص ١٠٢ : اللحن في أشعار القصور أقل منه
في شعر الفرص والمناسبات - أبو النضر يعد لحنه لهجة - تهكم أبان منه -
محمد بن يسير البصري وشعره - ص ١٠٤ : لغة الشعب تجد مساعداً في التعبير
الأدبي لأول مرة في عصر هارون - رثاء البرامكة - ص ١٠٤ : أول من نظم
الموالي - نشأة محور الأغاني الشعبية - قالب المزدوجة وأقدم نماذجها - ص ١٠٦ :
تاريخ الدوييت أو الرباعي - عربية الكلام في أواخر القرن الثاني - ص ١٠٧ :
ابن منذر يوازن بين لهجة مكة والبصرة .

٥ - العربية المولدة

(ص ١٠٩ - ١١٨)

مبدأ « تنقية اللغة » يجعل عربية البدو مثلاً أعلى للكلام والتحرير - أثر
الحضارة في اللغة - عربية الدولة واللغة الدارجة - العربية المولدة تكتسب
مناطق جديدة - لم يتأثر المجتمع الراقي بالعربية المولدة حتى القرن الثالث -
الأوساط البدوية أبعد من التأثر بها - اليهود والنصارى بالمشرق يستخدمون
اللغة الدارجة - ص ١٠٩ : الآثار المسيحية - العربية في القرن الثاني تقدم
أول الوثائق للعربية المولدة - حظ اليهود والنصارى ضئيل من الثقافة العربية -
خصائص مادتهم اللغوية لم تقو على تكوين لهجة خاصة - لهجة يهود المدينة في
عهد الوحي تختلف عن لغة سكان المدينة - على التمييز من ذلك لهجة نصارى
العرب - عربية الأدب اليهودي النصراني تكونت خارج الجزيرة - ص ١١١ :
خصائص اللغة المذكورة - حرف الضاد خاص بالعربية - ص ١٠٣ :
الفرق الخاص بين المولدة والفصحى - ص ١١٤ : ترك الإعراب في اللغات
السامية لا يقتضي أن يكون راجعاً في العربية إلى طبيعتها - سبب هذه الظاهرة -

نشأة قوالب جديدة من التعبير تأخذ صفة الإعراب النحوية - ص ١١٤ :
أثر اختلاف الترتيب في علاقات المطابقة - ص ١١٥ : الانتقال من النوع
اللغوي التركيبي إلى النوع التحليلي - الخلط في النحو والتصريف من ظواهر
التطور اللغوي لآمن أسبابه - ص ١١٨ : النصوص العربية اليهودية والنصرانية
تعين على دراسات اللهجات الشعبية الحديثة .

٦ - العلاقات اللغوية في عصر المأمون وعقيدة الاعتزال الرسمية

(ص ١١٩ - ١٣٧)

امتداد عهد الازدهار بعد هارون حتى أواسط القرن الثالث - العصر
الذهبي للأدب العربي - كتب الجاحظ تكشف العلاقات اللغوية من أواخر
القرن الثاني حتى النصف الأول من القرن الثالث - ص ١٢٠ : الجاحظ
يتنبه إلى لغة الأطفال - لهجة الأجنبي تنم عليه - الجاحظ يتنبه إلى أثر تعدد
اللغات على لسان شخص واحد - موسى الأسوارى من أعاجيب الدنيا في
الفصاحة بالعربية والفارسية - ص ١٢١ : لم يعن الجاحظ باللغات الأجنبية
لذاتها - أول كتاب في اللغة الفارسية - ص ١٢١ : الجاحظ يوجه عناية
خاصة إلى عيوب اللسان - الجاحظ يعقد فصلاً طويلاً عن واصل بن عطاء -
ص ١٢٢ : أسماء عيوب اللسان عند الجاحظ - ص ١٢٤ : بيان الجاحظ عن
اللهجات واللغات الخاصة - الجاحظ يصف في كتاب البخلاء دوائر الأدب
في البصرة - تصوير الجاحظ للغة المحادثة بالبصرة - نظرة في رموز المحتالين -
في أدب المائدة - ص ١٢٥ : حديث الجاحظ عن الأعراب - الجاحظ يبين
مواضع وجوب استعمال الإعراب وإهماله - الجاحظ يذكر أول لحن سمع
بالبادية ويعقد باباً خاصاً للحن - ص ١٢٦ : الجاحظ يفصل أنواع التشديد
والتصنيع في الكلام - ص ١٢٧ : نموذج الأسلوب المتقعر وشخصية أبي
علقمة النحوى - استعمال الإعراب والتصريف كان يعد تقعرًا على عهد
الجاحظ - ص ١٢٨ : لحن بشر بن غياث المريسى أحد تلاميذ أبي يوسف -
الشعاع على قافية المهمزة - ص ١٢٩ : على بن الجهم يسقط من نظر المبرد
للحنه - ص ١٣٠ : لغدة الأصهباني معاصر أبي حنيفة الدينورى - تأثير لغة
الأعراب بالتحديدات المختلفة - سبب تقدم مدرسة البصرة على مدرسة الكوفة
في نظر الرياشى - عمارة بن عقيل حفيد جرير ومآخذ النقد عليه - ص ١٣١ :

الشعر الرفيع في القرن الثالث يطابق المثل الأعلى في نظر النحاة — شعر أبي تمام — ص ١٣٢ : بعض المآخذ عليه — ص ١٣٣ : أشعار الفرص والمصادفة أقوى تأثراً باللغة الدارجة — شعر ابن زينب المراكبي — الجماز البصري وعبد الصمد بن المعذل — ص ١٣٤ : الحسن بن وهب السكاكبي — اللغة الدارجة تبتعد باطراد من النموذج الصحيح — ص ١٣٥ : هناك فروق في لغة المحادثة — المأمون يؤخذ عماله على اللحن — وزير المعتصم يعجز عن تفسير كلمة في إحدى الرسائل — ص ١٣٦ : ضعف ثقافة المعتصم — نفوذ الأتراك على عهد المعتصم ، الفتح بن خاقان يشذ بسعة الثقافة عن صفوف الأتراك — ص ١٣٧ : كتاب أخلاق الملوك ليس للجاحظ — نفوذ الأتراك يخفض مستوى اللغة .

٧- العربية نصير لغة الأدب الفصحي في النصف الثاني من القرن

الثالث الهجري — التاسع الميلادي

(ص ١٣٨ — ١٤٩)

اضمحلال الدولة وأثره في اضمحلال العربية — انتشار الأساليب المولدة — ص ١٣٨ : شكوى ابن قتيبة وتسجيله لفساد اللغة — ص ١٤٩ : كتاب أدب الكاتب ووصفه — موازنة بينه وبين الجاحظ — ابن قتيبة يذبح عن مبدأ تنقية اللغة المتطرف — ابن قتيبة لا يجيد عن رأى الأصمعي — بيان مصادر أدب الكاتب وتحليل أبوابه — ص ١٤٢ : لا يعنى ابن قتيبة في كتبه الأخرى إلا عرضاً بمسائل اللغة — ص ١٤٣ : لم يجد ابن قتيبة صدى بعيداً عند معاصريه — لم يف هو نفسه بالتزام مطالبه — حتى الشعر الرفيع في عصره لم يجر على مبادئه — شعر البحتري — ص ١٤٤ : ابن الرومي — أحمد بن المديبر — ص ١٤٤ : علي بن محمد الحماني العلوي — انحطاط اللغة الدارجة أيضاً بسبب نفوذ عوام الأتراك في القصور — الوزير يتكلم اللغة الدارجة — ص ١٤٦ : ظهور الفروق العظيمة في التعبير بين الأوساط المختلفة — آل طاهر — ص ١٤٨ : ضعف التربية النحوية والملكة اللسانية — الكلام على طريقة الأعراب لم يعد يساير روح العصر — ص ١٤٨ : ضعف الملكة اللسانية عند النحويين في ختام القرن الثالث — ثعلب — الأنخفش الأصغر — ص ١٤٩ : نهاية القرن الثالث تضع حداً فاصلاً بين العربية الفصحي والمولدة الدارجة .

٨ - عربية الأدب في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

(ص ١٥٠ - ١٥٩)

النمو اللغوي يطارد العربية الفصحى - العربية ملكة متوجة في دائرة الثقافة والأدب - أثر النمو اللغوي في الأساليب - قدامة بن جعفر يبرز نتائج النمو المذكور في كتابه : نقد النثر - تفرقه بين الأسلوبين السخيف والجزل - موقفه تجاه خلوص اللغة واللحن فيها - ص ١٥١ : قد يستحسن اللحن - الإرشاد العملي إلى الأسلوب الجزل في كتاب جواهر الألفاظ لقدامة - باكورة ازدهار السجع ببغداد في عصر قدامة - السجع أداة من أدوات الأسلوب - وسائل كمال الأسلوب - ص ١٥٢ : قدامة يعنى أيضاً بالموضوع - الأسلوب اللفظي في النثر الفني يطفئ على الأفكار واتصالها - ص ١٥٣ : لم يحتفظ قدامه لذلك بل ساعد عليه - الخطوات الأولى نحو تطور النثر إلى تلاعب بالألفاظ - ص ١٥٤ : لم يبتكر قدامة وضع الكنز اللغوي في ترتيب عملي - مبدأ الاتجاه إلى ذلك منذ القرن الثاني - موازنة بين كتاب قدامة وكتاب الألفاظ لابن السكيت - ص ١٥٥ : لم يكن قدامة أيضاً أول من حاول سد حاجات الكتاب العملية - كتاب الألفاظ الكتابية للهمداني - موازنة بين الكتابين - كتاب الألفاظ الكتابية يحتوي على زيادات لابن خالويه - ص ١٥٦ : الباعث للهمداني إلى تأليف كتابه - ص ١٥٧ : رأى صاحب ابن عباد في كتاب الهمداني - دلالة هذا الرأي على انحطاط الأدب - سبب الانحطاط اتجاه الذوق الأدبي في ذلك العصر - التلذذ الذوقي باللغة وجرسها ديدن العرب منذ قديم - مقام الخطيب إلى جانب الشاعر قبل الإسلام - السجع يرفع الفورات الانفعالية لدى الكهان القدماء - السجع في القرآن - ص ١٥٩ : علو كلمة السجع تدريجاً .

٩ - العربية ولهجات البدو في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

(ص ١٦٠ - ١٧٣)

تغير نظر المثقفين إلى لهجات البدو - احتذاء لغة البدو على ممر القرن الثالث نوع من التقدير - العربية الفصحى تصير لغة الكتابة في بدء القرن الرابع - اختلاط البدو بغيرهم أفقد لغتهم صفاءها وخلوصها - ص ١٦١ : بيان الهمداني عن العلاقات اللغوية في جنوب الجزيرة حوالى نهاية القرن الثالث -

اختلاط الألسنة الأصلية بعربية الشمال - طريقة الهمداني ضاعفت من عنائه في تصوير أخلاط اللهجات - الهمداني يرى أن لغة الكتابة العربية هي اللغة الأصلية في جنوبي الجزيرة - ص ١٦٢ : الهمداني يقيس كل لهجة بمقاييس النحو - لايفترض اللهجات اليمن أساساً من لغة أخرى غير عربية الشمال - ملاحظات الهمداني السطحية على اللهجات وتقسيمها إلى فصيحة ومعقدة - تفصيل لهجات القبائل الجنوبية - المهرية والشحرية - لهجات حضرموت - سرو مذحج - مأرب - بيهان - حريب - تحديد المنطقة بين مأرب وذمار - منطقة قائفة - كومان - ص ١٦٣ : منطقة همدان - لهجة سفيان ابن أرحب - بنو حرب - المنطقة العظمى التي تغلب فيها الفصحاة - القبائل التي تسكنها - ص ١٦٤ : أهل تهامة عربيتهم رديئة - ناحية صعدة - بعض لهجات أخرى غير فصيحة - لهجات المنطقة الجبلية - ألهان وأنيس غربى ذمار - جبال حراز - جبال الحضور - ص ١٦٥ : الجحادب - بعض قبائل غتم (غير فصيحة) - ظاهر همدان النجدى - لهجة جبالان - لهجة يحصب ورعين - منطقة الكلاع - سرو حمير - ص ١٦٦ : لحج وأبين ودثينة والعامريون - لهجة السكاسك - لهجات جيشان - المعافر في منطقة تعز الحالية - اللهجات خارج اليمن - العروض - الحجاز - الشام - ديار مضر - ديار ربيعة - نشوء علم اللغة في هذا العصر على أساس فلسفى بعد انقضاء عصر النشاط في جمع اللغة - ص ١٦٧ : ابن جنى يعقد في كتاب الخصائص باباً لأغلاط الأعراب - ص ١٦٨ : عمار الكلبي يشكو من غرور النحاة وجرأتهم - ص ١٦٩ : الأزهرى صاحب تهذيب اللغة - ص ١٧٠ : اختلاف نظرة الطبقات الوسطى إلى البدو عن ذى قبل - حروب القرامطة من أسباب تغيير رأى المجتمع في البدو - ابن بسام يسمع من الأعراب ألفاظاً مستكرهة - الصاحب بن عباد يعيب على المتنبي تفاسحه بالألفاظ النافرة - موقف ابن عباد من غريب اللغة - ص ١٧١ : رسالة أبى حيان التوحيدى في تحقير ابن عباد وابن العميد - ص ١٧٢ : لم يمثل ابن عباد مذهب تنقية اللغة المتطرف - الطعن في معجم ابن عباد اللغوى ذى السبعة الأجزاء - ص ١٧٣ : أبو حيان التوحيدى يعقب على موقف ابن عباد - المطالب التى تتوخى فى الأسلوب البليغ - تلاشى الفرق بين بلاغة التعبير فى الشعر والنثر - كتاب الصناعتين لأبى هلال .

١٠ - العربية واللغة المولدة في القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

(ص ١٧٤ - ١٨٨)

انحلال الدولة العباسية مبدأ عهد جديد للعربية المولدة - نشأة مجموعات متميزة من اللهجات - المقدسي يحاول تمييز كل إقليم من الوجهة اللغوية - كتاب المقدسي نفيس القيمة في جغرافية الكلمات - اللغة الفصحى تبقى عنوان وحدة الثقافة في العالم الإسلامي - ص ١٧٥ : لم تقم حواجز بين الأقاليم الإسلامية تمنع التبادل العلمي - حياة التجول كانت قاعدة مطردة - العربية الفصحى صارت تكتسب بالتعلم لا بتأثير الوسط العربي - ص ١٧٥ : أسمى درجات العربية في فارس - مقياس فصاحة العربية في ذلك العهد - مقياس اللحن اللغوي - حتى لغة المتنبي تتأثر بالعربية المولدة - ص ١٧٧ : أمثلة من ذلك - خصائص في أسلوب المتنبي - ص ١٧٩ : أمثلة من ذلك - لم تلفت الظواهر الخاصة في شعر أنظار المتنبي معاصريه - الصاحب بن عباد يحمل على المتنبي في كتاب خاص - ص ١٨٢ : مطاعن الصاحب في المتنبي - ص ١٨٤ : تساهل ابن عباد تجاه اللحن ظاهرة عامة عند أدباء العصر - ص ١٨٤ : حاجة العصر إلى شرح مصنفات الشعر والنثر - المتنبي يشفع شعره بالشرح - ابن جني يكتب شرحين لديوان المتنبي - ص ١٨٥ : لم يكن ابن جني عمدة في شرح الشعر وتذوق الجمال الفني - انحصار عمله في دائرة النحو واللغة - ص ١٨٦ : لا يجوز في الشرح إغفال التكوين الداخلي للشعر - طريقة المتنبي في نظم الشعر - من نقد ابن جني من العلماء - ابن فورجه - ص ١٨٧ : أبو حيان التوحيدى - الشريف المرتضى - أبو القاسم الأصفهاني - ابن وكيع - ابن جني لا يترجم عن طريقته في الشرح - يؤلف كتاباً في شرح بيت واحد - أربعة أجزاء في شرح أربع مراث للشريف الرضي - ص ١٨٨ : أبو العلاء المعري يقرن بعض دواوينه بالشرح - سقط الزند قوى التأثير بالمتنبي - الفصول والغايات .

١١ - ظهور اللغة الدارجة في أشعار القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

(ص ١٨٩ - ١٩٧)

شعر الفرص والمناسبات يحمل طابع العربية المولدة - يتيمة الدهر للثعالبي - شعر ابن حجاج مرآة للغة عصره - مذهبه في الشعر - ص ١٩٠ : كثرة

الدخيل من لغة بغداد في شعره - ص ١٩١ : ابن حجاج يحسن الفارسية -
تحقيقه مبدأ تنقية اللغة - ص ١٩٢ : تحرر بلاد المغرب أيضاً من النماذج
الأدبية المتعارفة - موازنة بين التحرر الموضوعي في المشرق والتحرر
الأسلوبي في المغرب - اختراع « الموشح » في المغرب - أوليات الموشح
في المشرق - ص ١٩٣ : أول من اخترع الموشح بالمغرب -
محمد بن محمود المقبرى الضرير - عبادة بن ماء السماء - ص ١٩٤ : نموذج
من موشحات عبادة - ص ١٩٥ : قالب التصفير - الموشح والموسيقى -
خصائص الموشحات من عوامل التحرر اللغوي - ص ١٩٦ : اللغة الشعبية
في الموشحات - محاولة نظم « الزجل » - المزج بين الفصيحة والدارجة في
الاستعمال الفني بالآندلس - ص ١٩٧ : تقليد المشرق للمغرب في الموشحات -
السبب في عدم نفوذ الموشحة إلى العراق .

١٢- وصف المقدسي للعلاقات اللغوية في المحيط الإسلامي

إبان القرن الرابع الهجري - العاشر الميلادي

(ص ١٩٨ - ٢١٤)

كتاب أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - قيمته من ناحيتي الموضوع
والأسلوب - ولع المقدسي بالنثر المسجوع - ميله إلى الاقتباس - ص ١٩٩ :
تضمينه للآثار الأدبية - تعبيره في وصف كل إقليم بلغة ذلك الإقليم - مراده
لغة المثقفين لا لغة الشعب - أصبح العربية في فارس - مناطق الفصاحة
اللغوية - في جزيرة العرب - الثغور - لهجة عدن - ص ٢٠٠ : عربية
العراق - لهجة الكوفة والبصرة - ما بين النهرين - ص ٢٠١ : مصر
المغرب - قائمة من الاستعمالات المحلية في شتى الشئون - ص ٢٠٢ :
فهرست أسماء السفن - ص ٢٠٣ : أسماء المقاييس والموازين والنقد -
ص ٢٠٤ : وسائل السقي والري - الألفاظ الدالة على سكان الريف - أسماء
السنور - ص ٢٠٥ : الاختلاف اللغوي دليل اختلاف الثقافة - قصده
إلى تنويع الكلام وتجميله أكثر من التلوين بالصبغة المحلية - استعماله ألفاظاً
خارجة عن محيط العربية - ص ٢٠٧ : لم تقتصر عناية المقدسي على اللغة
العربية بل تناولت اللهجات الفارسية لذلك العهد - كان يحسن الفارسية -
لهجة نيسابور - ص ٢٠٧ : لهجتا طوس ونسا - مروروذ - لسان هراة -
سرخس وأبيورد - جرجستان - جوزجان - طخارستان وباميان - لهجة

خوارزم - لهجة بخارى - سمرقند - لهجات الهياطل - الصغدية - قومس
وجرجان - ص ٢٠٨: لسان طبرستان - الديلمية - الجيلانية - الخزرية -
لهجة الري - همدان - قزوین - الأصفهانية - خوزستان - الكرمانية
والخراسانية - البلوصية ولغة السند - لغة مكران - المقدسي يروي حديثاً مذهبياً
في اللغة الفارسية - أسماء الأعلام الشائعة في فارس - ص ٢٠٩ : لا نجدنا
الطلاء البلاغي في لغة المقدسي عن أن لغته مولدة - نماذج من التوليد في
لغته - ص ١٢١: طريقة : « دى غويه » في نشر كتاب المقدسي - ص ٢١٢:
موازنة بين المقدسي ومعاصريه في أسلوب الكتابة - أسلوب ابن النديم .

١٣ - اللغة العربية في عهد السلجوقيين

(ص ٢١٥ - ٢٣٧)

لم تكد العربية الفصحى تعمر قرنين من الزمان - عوامل ذلك -
الفارسية تصير لغة رسمية - استخدامها في التأليف - ص ٢١٦ : إتقان
العربية بالتربية والتعليم - سياسة السلجوقيين الدينية تحفظ العربية - تأسيس
مدارس ذات هدف عملي للدولة - الفقه القانوني مركز الدائرة - كتب
التبريزي تصور طريقة التعليم - تأسيس المدرسة النظامية ببغداد - ص ٢١٧ :
شرح ديوان الحماسة للتبريزي - ص ٢١٨ : مصادر التبريزي في شرح
الحماسة - تهذيب التبريزي لكتابي : الألفاظ وإصلاح المنطق - خلف
التبريزي في المدرسة النظامية - ص ٢١٩ : الفصحى - الجواليقي - كتاب
المعرب - شرح أدب السكاك للحواليقي - موازنته بشرح البطليوسي -
كتاب درة الغواص للحريري - ص ٢٢٠ : بيئة الحريري - يمثل مبدأ تنقية
اللغة - مصادر درة الغواص - تلاشي الشعور اللغوي في عصر الحريري -
ص ٢٢١ : نماذج - ص ٢٢٥ : أمثلة من تزمت الحريري وتعسفه -
ص ٢٢٧ : الترجيح الاختياري والتصحيح الخاطيء عند الحريري - نشاط
اللغة الدارجة أقوى من مبادئ المترمين - ص ٢٢٩ : الحريري نفسه
يتزلق في تيار اللحن - نماذج - ص ٢٣٠ : لم تستطيع الملاحظات اللغوية
وقف تطور اللغة - عوامل ضعف العناية بالتراث الأدبي - كتابة الحريري
تثير اهتماماً كبيراً - احتدام النزاع بين الحريري ومشاهير اللغويين - دلالة
ذلك على ضعف الإحساس اللغوي وملكة النقد - اعتراف اللغويين باللغة

الشعبية - اختلافهم على تصحيح ماخطأه الحريري - تعليقات ابن برى على درة الغواص - الشهاب الخفاجى - ص ٢٣١ : تحليل هذه التعليقات ودلالاتها على ضعف ملكة النقد - فكرة ابن برى عن مبدأ تنقية اللغة - كتاب أغلاط الضعفاء من أهل الفقه لابن برى - ص ٢٣٢ : نقد الكتاب المذكور وتحليله - تعليقات ابن ظفر على درة الغواص - ص ٢٣٤ : تعليقات ابن الخشاب - نزاعه مع ابن برى - تلاشى الإحساس اللغوى وأمثلة من ذلك - الاحتجاج بالحديث فى أمور اللغة - ص ٢٣٥ : ابن خروف أول من اعتمد حجة الحديث - ابن مالك - الحافظ اليونينى - مراتب فصاحة اللغة فى رأى ابن مالك - توسع الاستراباذى فى الاحتجاج اللغوى - تحول عربية الأدب إلى لغة النحو والقواعد - ص ٢٣٦ : اختلاف الكتاب فى التمسك باللغة الصحيحة - تقرير ابن الصلاح عن شيوخ عصره - اللهجات المولدة تنضح بقوة على لغة الأدب - أسلوب أسامة بن منقذ - ص ٢٣٧ : ابن يعيش النحوى وأسلوبه - تراجم الأطباء لابن أبى أصيبعة - مرآة اللغة المسامرة والحديث بالقاهرة .

١٤ - نظرة خاطفة

(ص ٢٣٧ - ٢٤٢)

أثر السيل المغولى فى تاريخ اللغة - مصر تنصدر بلدان العالم الإسلامى - النهضة الأدبية فى مصر تستمر قرنين من الزمان - كشف البرتغاليين طريق البحر إلى الهند وأثر ذلك فى انخراط النهضة - خضوع البلدان الإسلامية للعثمانيين - ص ٢٣٩ : أحلك قرون التاريخ العربى - بدء المرحلة الحديثة بحملة « نابوليون » - إدخال النظم الغربية على يد محمد على - الألفاظ الدخيلة حديثاً فى العربية - نشوء معركة تنقية اللغة من جديد - ص ٢٤٠ : أعمال المجمعين العلميين فى القاهرة ودمشق - طبعة الكفاح فى وجه الغريب - اقتراب العربية إلى طبعة التعبير الأوروبى - ص ٢٤١ : لا يقتصر تأثير الغرب على العربية الفصيحة بل يتناول اللهجات المحلية - أثر انكماش الأمية فى تطور اللغة - الصحافة - الخدمة العسكرية - مسارح السمر الشعبى - المذيع والحاكى والخيالة (السينما) الناطقة - ازدهار الحضارة بمصر يجعل لغة التحدث القاهرية مثلاً أعلى - استعادة مصر مكانتها فى زعامة البلاد العربية -

أصوات النقد للعربية الفصيحة - العربية تقضى على حركة النقد - ص ٢٤٢ :
العربية هي الرباط العام لكل البلدان الناطقة بالضاد - هي الرمز اللغوى
لوحدة العالم الإسلامى - العربية لسان المدنية الإسلامية .

ملحق - مادة : ل ح ن ومشتقاتها

(ص ٢٤٣ - ٢٥٥)

عرب البادية لم يعرفوا اصطلاح اللحن - كانوا يعرفون العوائق اللسانية -
مدلول اللحن نشأ عن اتفاق عرفى - المدلول الأصلى للحن - ص ٢٤٤ :
معنى لحن على وزن فطن - مصدر اللحن بسكون الحاء - أفعل التفضيل -
وروده فى الحديث - ص ٢٤٥ : اللحن مجاز فى هديل الحمام - ص ٢٤٦ :
اسم الفاعل « لاحن » - ألحن من الجرادتين - لحن بالتشديد - تلحين -
معنى آخر للحن - ص ٢٤٧ : لحن اليمن - أقوال مأثورة عن عمر فى اللحن -
اللحن بمعنى التورية - ص ٢٤٩ : وهم الجاحظ فى تفسير بيت للمالك بن أسماء -
تنبيه على بن يحيى المنجم للجاحظ - انتشار كتب الجاحظ عاق دون إصلاح
الخطأ - ص ٢٤٩ : ابن دريد يصحح خطأ الجاحظ - أبو بكر الصولى -
تأثير الجاحظ فى ابن قتيبة - نقد ابن الأنبارى لابن قتيبة - تأثر قدامة
ابن جعفر بالجاحظ - ص ٢٥٠ : أبو حيان التوحيدى يدافع عن الجاحظ -
اللحن بمعنى التورية والرمز فى الحديث - فى رسالة لأحد الأعراب - فى
سورة محمد عليه السلام - ص ٢٥١ : فعل لاحن - معنى آخر للحن -
ابن دريد وكتابه : الملاجن - ص ٢٥٢ : اللحن بمعنى الخطأ فى التعبير -
قدح لاحن وقوس لاحنة - اشتهار اللحن فى المعنيين : الخطأ والغناء - خطأ
ابن الأعرابى فى عده اللحن من قبيل الأضداد - انحراف مذهب ابن الأعرابى
بوجه عام - ص ٢٥٤ : متى نقل لفظ اللحن إلى الخطأ فى الكلام - ص ٢٥٤
ارتباط ذلك بمبدأ تنقية اللغة - بعض الشواهد القديمة .

فهرس الأعلام^(١)

(الهزة)

- آلوزد Ahlwardt : ١٣/٥٦ ت ١/٣٩ ؛ ٤/٣٩ ؛ ٦/٤٧ ؛ ٣/٥١ ؛
١٠/٥٦ ؛ ١/٨٩ ؛ ٥/٩٧ ؛ ٤/٩٩ ؛ ١٥/١٠٠ ؛ ٢/١١٠ ؛ ٦/١٢٩ ؛
٧/١٧٩ ؛ ١/٢٣٥ ؛ ١٤/٢٤٥
أبان بن عبد الحميد ، أبو يحيى اللاحق : ١/٦١ ؛ ١٢/١٠٢ ؛ ١٤/١٠٢ ؛
١/١٠٥ ت ٦/٧٠
أبان بن الوليد البجلي : ٩/٤٧ ت ٣/٤٧
أبان بن الوليد بن عقبة : ٨/٤٧
إبراهيم بن أدهم : ٥/٧٨
إبراهيم بن إسحاق بن بشير الحربى : ١٠/٧٣ ؛ ١/٧٤ ؛ ١/١٤٩ ت ٢٥/١٦
إبراهيم بن إسماعيل العلوى بن طباطبا : ١١/١٢٢
إبراهيم بن حبيب : ١٤/١٠٥
إبراهيم السامرائى : ٩/٢١٧
إبراهيم بن السرى الزجاج = الزجاج .
إبراهيم بن سيابة = ابن سيابة .
إبراهيم بن عثمان ، قاضى واسط : ١١/٧٤
إبراهيم بن على = أبو إسحاق الشيرازى الفقيه الشافعى .
إبراهيم بن على بن تميم الحصرى = الحصرى .
إبراهيم بن محمد البيهقى = البيهقى .
إبراهيم بن محمد بن عرفة ، نفطويه = نفطويه .
إبراهيم الموصلى : ١/١٠٢ ؛ ٩/١٠٢ ؛ ٢/١٠٧ ؛ ٦/١٠٧
إبراهيم بن هرمة = ابن هرمة الشاعر .
إبراهيم بن هشام بن إسماعيل : ١٠/٤٦

(١) الأرقام المذكورة بعد الحرف (ت) تبين مواضع ورود الأعلام فى التعليق أسفل الصفحات .

إبرمان A. Ebermann : ت ١٣/٢٦

الإبشيبي : ت ١٢/١٢٣

ابن أبي إسحاق ، عبد الله الحضرمي النحوي : ٢٢/٥٥ ؛ ٥/٥٦ ؛ ١٢/٥٦
ت ٥/٧٢ ؛ ٦/٥٦

ابن أبي أصيبعة ، أحمد بن القاسم : ١٩/٢٣٧ ت ٢/١١٦ ؛ ٨/١١٦

ابن أبي البغل ، أبو القاسم أحمد بن يحيى : ت ١٤/١٢٢

ابن أبي سنة المغني : ١٥/٩٦

ابن أبي شبة المغني : ١٦/٩٦

ابن أبي طاهر ، أحمد بن طيفور : ٦/١٤٣ ت ١/١٤٣ ؛ ٤/١٤٦

ابن أبي القرمطي : ت ٣/١٦٩

ابن أبي يعلى ، محمد بن محمد بن الحسين : ت ٣/٧٣ ؛ ١٤/٨٦

ابن الأثير المؤرخ ، علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم ، عز الدين :
ت ٥/٣٩ ؛ ١٠/٣٩ ؛ ٥/١٤٦

ابن الأثير الأديب ، أبو الفتح نصر الله بن محمد ، ضياء الدين : ٦/١٢ ؛

٤/١٣٣ ؛ ٩/١٤٩ ت ٢/٢١ ؛ ٣/٧٩ ؛ ٦/٧٩ ؛ ١٠/١٧٩ ؛

١٥/١٩١ ؛ ١/٢٤٨ ؛ ٢/٢٤٨ ؛ ٣/٢٤٨ ؛ ٤/٢٥٣

ابن الأخرم ، أستاذ الحاكم الأصغر : ١٠/٨٧

ابن الأعرابي ، محمد بن زياد النحوي الكوفي : ٤/٨٣ ؛ ٦/٩٦ ؛ ١٢/٩٦ ؛

١٥/٩٦ ؛ ١/٩٧ ؛ ٢١/٩٨ ؛ ٢٣/٩٨ ؛ ٢/٩٩ ؛ ١٦/٢٤٩ ؛

١٧/٢٥٢ ؛ ٨/٢٥٣ ؛ ١٣/٢٥٣ ت ٩/١٧١ ؛ ٦/٢٥٢ ؛ ٣/٢٥٣

ابن الأنباري = أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله .

ابن الأنباري = أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار .

ابن برى ، عبد الله بن برى بن عبد الجبار المصري : ٢٥/٢٣٠ ؛ ٥/٢٣١ ؛

١٦/٢٣١ ؛ ٢١/٢٣١ ؛ ٣/٢٣٢ ؛ ٤/٢٣٣ ؛ ٢٣/٢٣٣ ؛ ١١/٢٣٤

ت ٩/١٧٧

ابن بسام ، علي بن محمد بن نصر ، أبو الحسن : ٢٠/١٧٠ ؛ ١٣/١٩٣ ؛

٢٢/١٩٣ ؛ ٢٠/١٩٣

ابن ثوابة ، محمد بن أحمد ، أبو عبد الله : ١٦/١٤٥

- ابن جبیر ، محمد بن أحمد ، أبو الحسن : ت ٢/٢٠٣
ابن الجراح ، محمد بن داود : ١١/١٢١
ابن الجزری ، شمس الدین محمد بن محمد ، أبو الخیر : ت ١/٥٧
ابن جنی ، أبو الفتح عثمان بن جنی : ٦/٨٦ ؛ ١٠/١٦٧ ؛ ١٢/١٦٧ ؛
٣/١٦٧ ؛ ١١/١٦٨ ؛ ١٩/١٨٤ ؛ ٣/١٨٥ ؛ ٧/١٨٥ ؛ ١١/١٨٥ ؛
٦/١٨٦ ؛ ١٢/١٨٦ ؛ ٣/١٨٧ ؛ ٦/١٨٧ ؛ ١٠/١٨٧ ؛ ١/١٨٨ ؛
١/١٨٨ ؛ ٥/١٨٨ ؛ ٥/٢١٨ ؛ ت ٧/٢٣ ؛ ٨/٤١ ؛ ٢/٤٢ ؛ ٤/٤٢ ؛
٤/٥٥ ؛ ٤/٨٨ ؛ ٨/١٣١ ؛ ١٠/١٦٣ ؛ ٦/١٨٥ ؛ ٩/١٨٧
ابن الحاجب النحوی ، عثمان بن عمر ، أبو بکر : ٧/٢٣٦
ابن حبان ، محمد بن أحمد بن حبان البستی : ت ٨/٩١ ؛ ٣/٢٠٩
ابن حجاج ، الحسين بن أحمد بن حجاج ، الشاعر البغدادی : ٧/١٨٩ ؛
١٧/١٨٩ ؛ ٧/١٩١ ؛ ١١/١٩٦
ابن حجر ، أحمد بن علی بن محمد العسقلانی ، شهاب الدین : ت ٢/٢٣ ؛
٣/٣٣ ؛ ٤/٣٥ ؛ ٨/٣٥ ؛ ٨/٣٧ ؛ ٦/٤٢ ؛ ١٠/٦٦ ؛ ٣/٧٢ ؛
٧/٧٧ ؛ ٩/٨٠ ؛ ١١/٨١ ؛ ٦/٨٥ ؛ ٨/٩١ ؛ ٦/١١٦ ؛ ٣/٢٠٩ ؛
٤/٢٠٩ ؛ ١٠/٢٤٨
ابن خالویه ، الحسين بن أحمد بن خالویه ، أبو عبد الله : ١٣/٦٨ ؛ ١٣/١٥٦ ؛
١٢/٢١٣ ؛ ت ٨/٣٨ ؛ ٨/٤١ ؛ ٢/٤٢ ؛ ٤/٤٢ ؛ ٥/٦٨ ؛ ٩/٦٨ ؛
٦/٧٩ ؛ ٨/١٣١ ؛ ٩/١٣١
ابن خرداذبه ، عبيد الله بن أحمد ، أبو القاسم : ٦/١٠٧
ابن خروف ، علی بن محمد النحوی : ١٠/٢٣٥ ؛ ت ٥/٢٣٥ ؛ ٦/٢٣٥ ؛
٧/٢٣٥
ابن الخشاب ، عبد الله بن أحمد البغدادی : ٩/٢٣٤
ابن خلکان ، أحمد بن محمد بن إبراهيم : ت ١/٣٧ ؛ ٥/٤٢ ؛ ٤/٤٤ ؛
٥/٤٤ ؛ ٢/٦٥ ؛ ٧/٧٣ ؛ ٨/٧٥ ؛ ٢/٧٨ ؛ ١٢/٨٢ ؛ ٨/٩٤ ؛
٤/٩٧ ؛ ٧/١١٢ ؛ ١١/١١٣ ؛ ٤/١٢٢ ؛ ٦/١٢٢ ؛ ١٢/١٢٢ ؛
٦/١٦٩ ؛ ٥/١٨٤ ؛ ١/٢١٦ ؛ ٣/٢٢٩ ؛ ١/٢٥٣ .

ابن الخياط ، محمد بن أحمد بن منصور ، أبو بكر : ٨/١٨٢
ابن درستويه ، عبد الله بن جعفر بن محمد بن درستويه ، أبو عبد الله : ١٢/٦٨
ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن : ٩/٧٤ ؛ ٤/١٠٨ ؛ ١١/٢٤٩ ؛
١٣/٢٤٩ ؛ ٤/٢٥٢ ت ١١/٢٦ ؛ ٤/٤٩ ؛ ٧/٥١ ؛ ١١/٥٢ ؛
٢/١٢٣ ؛ ٢/١٢٤ ؛ ٦/١٢٧ ؛ ٢/٢٤٣ ؛ ١٣/٢٤٧ ؛ ٥/٢٤٩ ؛
١/٢٥١ ؛ ٣/٢٥١

ابن الديبع ، عمرو بن علي بن محمد الزبيدي : ت ١٤/٣١ ؛ ١/٢٣٥
ابن رائق : ٥/١٣٨
ابن رسته ، أحمد بن عمر ، أبو علي : ت ٥/٣٤
ابن رشيقي ، أبو علي الحسن بن علي : ت ١/٤٦ ؛ ١/١٨٠ ؛ ٣/١٨٢ ؛
١/١٨٣ ؛ ٢/١٨٦ ؛ ١٠/٢٥٠

ابن الرومي ، علي بن العباس : ٦/١٤٤
ابن زينب المراكبي ، عبد الله بن إسماعيل : ٩/١٣٣
ابن الزيات ، محمد بن عبد الملك : ٩/١٣٤
ابن السراج ، محمد بن السري البغدادي النحوي : ت ٥/١٢٢
ابن سعد ، محمد بن سعد ، كاتب الواقدي : ٥/٨٥ ت ٦/٣٣ ؛ ٧/٣٣ ؛
٤/٣٥ ؛ ٨/٣٧ ؛ ٥/٦٢ ؛ ٧/٧٤ ؛ ٧/٨٠ ؛ ١/٨١ ؛ ١٩/٨١ ؛
٢/٨٢ ؛ ٤/٨٤ ؛ ٥/٨٤ ؛ ٢/٨٨ ؛ ٧/٩١ ؛ ١/١١٠ ؛ ٥/٢١٧ ؛
٥/٢٣٤

ابن السكيت ، يعقوب الكوفي : ٤/٨٣ ؛ ١٧/١٣١ ؛ ٩/١٤٠ ؛ ١/١٥٥ ؛
٤/١٥٥ ؛ ١٤/١٥٥ ؛ ١٦/٢١٨ ؛ ٢٤/٢٢٥ ت ٥/١٧١ ؛ ٢/١٧٢ ؛
٩/١٧٢

ابن سلام ، محمد بن سلام الجمحي : ١١/١٤٨ ت ١/٢١ ؛ ٦/٣٨ ؛
٣/٥٥ ؛ ٤/٥٥ ؛ ٥/٥٦ ؛ ٩/٥٦ ؛ ٣/٦٢ ؛ ٥/٧٠ ؛ ٦/٧٢ ؛ ٣/١٢٢ ؛
ابن سناء الملك ، هبة الله بن جعفر : ١٤/١٩٥ ؛ ٩/١٩٦ ؛ ١٧/١٩٦ ؛
٢٠/١٩٦

ابن السيرافي : ت ٩/٢١٨
ابن سيرين ، محمد : ١٨/٧٩

- ابن سيّابة ، إبراهيم : ٧/١٠٢
ابن شاذى وزير المعتصم : ١٩/١٣٥
ابن شاذى الكتبى ، محمد : ٦/١٩٤ ت ١/١٩٣
ابن الشجرى ، هبة الله بن على : ٦/٤٥ ؛ ٣/٥٢ ؛ ١١/٧٦ ؛ ١١/١٧٩ ؛
٢/٢٤٤ ؛ ١٠/٢٤٥ ؛ ٣/٢٥٠
ابن شوكر السندى : ٤/٧٧ ؛ ٦/٧٧
ابن الصلاح ، عثمان بن عمرو بن عثمان ، تقي الدين : ٣/٢٣٧ ت ١/٢٣٧
ابن الضائع ، على بن محمد بن على : ٤/٢٣٥ ؛ ٦/٢٣٥
ابن الطبرى المصرى : ١٥/٨٤
ابن طيفور ، أحمد = ابن أبى طاهر .
ابن طولون ، أحمد : ٩/١٤٤ ت
ابن ظفر ، محمد بن عبد الله : ٥/٢٣٤ ت ١٠/٢٣٤
ابن عباد = الصاحب بن عباد .
ابن عباس = عبد الله بن عباس .
ابن عدى ، الهيثم : ٣/٨٧
ابن العماد ، عبد الحى بن أحمد بن محمد بن العماد الحنبلى : ٨/٢٣٤ ت
ابن العميد ، محمد بن الحسين ، أبو الفضل : ١٠/١٤٣ ؛ ٣/١٧١ ؛
١٥/١٧٣ ؛ ١٩/١٧٣ ؛ ١٥/١٨٢
ابن عساكر ، على بن الحسن بن هبة الله أبو القاسم : ١٢/٢٤٥ ت
ابن فارس ، أحمد بن فارس اللغوى : ١٢/٧٣ ؛ ٥/١٧٣
ابن فورجة ، محمد بن أحمد : ٥/١٨٧ ت ٢/١٨٧ ؛ ٣/١٨٧
ابن فورك = ابن فورجة .
ابن قادم النحوى ، محمد بن عبد الله ، أبو جعفر : ٩/١٣٥
ابن قتيبة الدينورى ، عبد الله بن مسلم : ١٨/٤٣ ؛ ٤/٨٣ ؛ ٣/٩٩ ؛
٢٩/١١٤ ؛ ٣/١٣٤ ؛ ٢٣/١٣٨ ؛ ٤/١٣٩ ؛ ٢٣/١٣٩ ؛ ٢٦/١٣٩ ؛
١٢/١٤١ ؛ ١٩/١٤١ ؛ ١٦/١٤٢ ؛ ٢٤/١٤٢ ؛ ١/١٤٣ ؛ ١/١٨٤ ؛
١٣/٢١٩ ؛ ١٨/٢٢٠ ؛ ٢٤/٢٢٥ ؛ ١٨/٢٢٧ ؛ ٩/٢٤٩ ؛ ١٧/٢٤٩
ت ٦/٢٠ ؛ ٢/٢١ ؛ ٧/٢٣ ؛ ٢/٢٦ ؛ ٢/٢٨ ؛ ٩/٣٩ ؛ ١٤/٤٣ ؛

٥/٤٤ ؛ ٩/٥١ ؛ ٦/٥٦ ؛ ٤/٦٨ ؛ ٧/٧٠ ؛ ٣/٧٥ ؛ ٦/٧٨ ؛

٢/١٠٠ ؛ ٦/١٢٥ ؛ ٦/١٤٥ ؛ ٤/١٥٢ ؛ ٧/٢٤٦ ؛ ٧/٢٥٠ ؛

ابن قحطان : ت ١٣/٩٠

ابن القرية ، أيوب بن يزيد : ت ٢/٣٨

ابن قريظة القاضي ، محمد بن عبد الرحمن : ١٥/٢٢٩

ابن قزمان ، محمد بن عبد الملك : ١٢/١٩٦ ؛ ٣/١٩٧

ابن القفطي ، علي بن يوسف بن إبراهيم : ت ٣/٩٢

ابن الكلبي ، هشام بن محمد بن السائب : ٨/٥٥ ، ١٦/٨٨ ت ١/٣٣

ابن كناسة ، أبو محمد عبد الله بن يحيى : ٧/٥٠

ابن ماجة : أبو عبد الله محمد بن يزيد : ت ٩/١٢٩ ؛ ٢/٢٣٤

ابن مالك النحوي ، جمال الدين محمد بن عبد الله : ١٩/١١١ ؛ ١٣/٢٣٥

ابن المديني ، علي بن عبد الله بن جعفر : ١٠/٨٣ ؛ ١٣/٨٤

ابن المعتز ، عبد الله : ت ٢/١٣٢

ابن مفرغ ، يزيد بن ربيعة الحميري : ٦/٢٦ ، ١٢/٢٦ ؛ ٩/٣٤ ت ١/٣٣

ابن المقفع ، عبد الله : ٢/٦١ ؛ ٢٣/٦٣ ؛ ٢٦/٦٣ ؛ ٢/٦٤ ؛ ١٢/٦٤ ؛

٤/٦٥ ؛ ٥/٦٥ ؛ ٦/٦٥ ؛ ١١/٦٥ ؛ ١٨/٦٥ ؛ ٢١/٦٥ ؛ ٢٥/٦٥ ؛

١٢/٦٦ ؛ ٣/٦٧ ؛ ٤/٦٨

ابن مكى الصقلي : ت ٣/٢٣٢

ابن مناذر ، محمد : ٣/٨٢ ؛ ١٠/١٠٣ ؛ ١١/١٠٧ ت ١٤/٢٥ ؛ ١١/٩١

ابن المنجم ، علي بن يحيى : ٢١/١٣٦ ؛ ٤/٢٤٩ ت ٧/٢٢

ابن ميادة ، الرماح بن أبرد ، أبو شراحيل أو شرحيل : ٥/٣٦ ؛ ٨/٣٦

ابن النديم ، محمد بن إسحاق ، صاحب الفهرست : ٥/٢١٣

ابن هرمة ، إبراهيم : ١٩/١٢٨ ؛ ٢/١٢٩

ابن هشام ، عبد الملك : ت ٤/٣٣ ؛ ٥/١٠٨ ؛ ١١/٢٥٠

ابن وكيع : ١/١٨٨ ؛ ٣/١٨٨

ابن وهب أبو الحسين : ت ٢/١٥٠

ابن يعيش ، يعيش بن علي بن يعيش الحلبي النحوي : ١٧/٢٣٧ ت ٥/٥٧ ؛

٧٩ / ٣/٨٨ ؛ ٩/٩٩ ؛ ١١/١١٢ ؛ ٤/١٣٤ ؛ ٥/١٦٣ ؛ ١٠/١٧٨ ،

١٢/١٧٨

- أبو الأبيض العنسى : ١٦/٨٩
أبو إسحاق الشيرازى الفقيه الشافعى ، إبراهيم بن على : ٢٣/٢١٦
أبو الأسود الدؤلى ، ظالم بن عمرو بن جندل : ١٩/٢١ : ١٩/٣١ ت ٢/٢٥
أبو أيوب الطنافسى : ٣/٨٤
أبو البركات بن الأنبارى ، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله : ٤/٢٣٥
ت ٧/٤١ ؛ ٥/٧٣ ؛ ٩/١١١ ؛ ٧/٢٢٠ ؛ ٥/٢٢٦
أبو بكر بن الأنبارى ، محمد بن القاسم بن بشار : ١٢/٢١٨ ؛ ١٥/٢٤٩
ت ١١/٢٦ ؛ ١/٢٤٦ ؛ ١٢/٢٤٨ ؛ ١/٢٥٠ ؛ ٥/٢٥٣
أبو بكر الخوارزمى ، محمد بن العباس : ١٩/١٧٣ ؛ ٣/١٧٥
أبو بكر بن دريد ، محمد بن الحسن = ابن دريد .
أبو بكر الصديق ، عبد الله بن عتيق : ٧/٣٥
أبو بكر الصولى ، محمد بن يحيى : ١٣/٢٤٩ ت ١/٩٤ ؛ ٢/٢٢٦ ؛ ١١/٢٤٨
أبو بكر بن على الصنهاجى : ت ٥/٣١
أبو بكرة نفيح بن سمية = نفيح بن سمية .
أبو تمام ، حبيب بن أوس الطائى : ١٥/٨٩ ؛ ١٣/١٣١ ؛ ١٩/١٣١ ؛
٢/١٣٢ ؛ ٦/١٨٢ ؛ ١٠/٢١٧ ت ٣/١٣٢ ؛ ٣/٢٥٣
أبو الجاموس ، ثور بن يزيد : ٢٦/٦٣
أبو حاتم السجستانى ، سهل بن محمد : ٢/١٣١ ت ١١/٧٦
أبو حامد الغزالى ، محمد بن محمد : ٢٢/٢١٥
أبو حباب : ١٢/٥١ ت ١٨/٥١
أبو حزام العكلى ، غالب بن الحارث : ٤/١٢٩
أبو الحسن بن طباطبا : ت ١٥/١٢٢
أبو حنيفة الدينورى ، أحمد بن داود : ٥/١٣٠ ت ٦/١١٦
أبو حنيفة ، النعمان بن ثابت : ٢/٧٣ ؛ ٦/٧٣ ؛ ١٣/٧٣ ؛ ١٩/٧٣ ؛
٢/٧٤ ؛ ٥/٧٤ ت ٢/٧٤
أبو حيان التوحيدى ، على بن محمد بن العباس : ٢/١٧١ ؛ ٤/١٧٣ ؛
٩/١٨٧ ؛ ٧/٢٥٠
أبو حية النيرى ، الهيثم بن الربيع : ت ٢/٥٢

أبو خليفة الجمحي ، الفضل بن الحباب : ٩/١٤٨ ؛ ١٤/١٤٨ ؛ ٢/١٩١
أبو داود السجستاني ، سليمان بن الأشعث الأزدي : ت ٨/١٢٢ ؛ ٢/٢٣٤
أبو الدرداء ، عويمر بن مالك الأنصاري : ١٠/٨١
أبو دلف الخزرجي ، مسعر بن مهلهل اليبوعي : ٩/١٢٤ ؛ ١٩/١٧٢ ؛
١٤/٢٥٣

أبو دلف العجلي ، القاسم بن عيسى بن معقل : ١٢/١٣٢
أبو داود الإيادي ، حارثة بن الحجاج : ١٣/٦٠ ت ١١/١٣١
أبو رمادة : ٢/١٢٢ ت ٢/١٢٢
أبو رياش ، أحمد بن إبراهيم القيسي : ٩/٢١٨ ت ٦/٢١٨
أبو زكريا التبريزي ، يحيى بن علي : ٢٠/٢١٦ ؛ ١٨/٢١٧ ؛ ١/٢١٨ ؛
١٠/٢١٨ ؛ ١٥/٢١٨ ؛ ٢/٢١٩ ؛ ١٠/٢١٩ ؛ ٣/٢٢٠ ؛ ٦/٢٢٠
ت ٤/٤٤ ؛ ١/١٥٥ ؛ ١/٢١٨ ؛ ٣/٢١٨ ؛ ٨/٢١٨ ؛ ١/٢١٩ ؛
٣/٢١٩ ؛ ١/٢٤٤

أبو الزناد ، عبد الله بن ذكوان الفقيه المدني : ٤/٨٥
أبو زيد الأنصاري ، سعيد بن أوس بن ثابت : ١٠/٦٢ ؛ ١٤/٩٣ ؛ ١٦/٩٣
١٧/٩٧ ؛ ٨/١٣٠ ؛ ١٤/١٤٩ ؛ ١٥/١٨٥ ؛ ١٤/٢٤٧ ؛ ت ١٥/٥١ ؛
١١/٦٢ ؛ ٣/١٧١ ؛ ١٢/١٧٩
أبو سعيد المعلم = أبو سعيد المؤدب ، محمد بن مسلم القضاعي : ٧/٦٢ ؛
١٥/٦٢

أبو سفيان ، صخر بن حرب بن أمية : ٧/٣٤
أبو سهل الهروي : ت ٤/١٤٩
أبو شيبه الواسطي ، عبد الرحمن بن إسحاق : ١٢/٧٤
أبو صعصعة العامري ، يزيد بن عوف : ٣/١٢٩
أبو صفرة : ١٥/٣٤ ت ١١/٣٤
أبو الصقر = إسماعيل بن بلبل .
أبو الطيب اللغوي ، عبد الواحد بن علي : ت ٧/٧٦ ؛ ٧/٨٤
أبو الطيب بن غليون : ت ٢/٢١٠
أبو العاص بن عبد الوهاب الثقفي : ت ٧/٦٢
أبو عبادة الوليد بن عبيد البحرى = البحرى .

- أبو عبيدة ، معمر بن المنفى : ١٢/٣٤ ؛ ١٧/٩١ ؛ ١٨/٩١ ؛ ١٤/٩٣ ؛
٢/٩٤ ؛ ١/٩٦ ؛ ٧/٩٦ ؛ ٩/٩٦ ؛ ٨/١٣٠ ؛ ٨/١٤٠ ؛ ٣/٢٥٣ ؛
ت ٢٨/١٦ ؛ ١٤/٥١ ؛ ٤/٩٦ ؛ ١/١٢٣ ؛
أبو العتاهية ، إسماعيل بن القاسم : ٢٢/١٠٤ ؛ ٧/١٠٩ ؛
أبو عطاء السندی ، أفلح بن يسار : ٤/٤٤ ؛ ٥/٤٤ ؛ ١٢/٤٤ ؛ ١٧/٦٠ ؛
أبو عكرمة الضبي : ت ٨/١٢٩ ؛
أبو العلاء المعري ، أحمد بن عبد الله بن سليمان : ١٢/١٨٨ ت ٤/٥٣ ؛
أبو علقمة النحوي : ٨/١٢٧ ت ١٠/١٢٧ ؛
أبو علي الفارسي ، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار : ١٥/١٦٧ ؛ ٧/٢٢٦ ؛
ت ٦/٢٣٥ ؛
أبو علي القالي ، إسماعيل بن القاسم = القالي .
أبو علي المالكي : ت ١/٨٥ ؛
أبو عمرو الداني ، عثمان بن سعيد : ت ٧/٥٧ ؛ ١٠/٥٧ ؛
أبو عمرو بن العلاء الخزاعي التيمي : ٦/٤١ ؛ ٥/٥٧ ؛ ١/٥٨ ؛ ١٣/٦٧ ؛
٢٠/٦٧ ؛ ٧١ / ٩ ؛ ٥/٨٩ ؛ ٤/٢١٠ ؛ ٨/٢٢٨ ؛ ت ١٥/٥١ ؛
٧/٥٧ ؛ ٢/٥٧ ؛
أبو الفرج الإصفهاني ، علي بن الحسين : ١/٤٤ ؛ ١٠٧ / ٧ ت ٢/١٤٤ ؛
٢/٢٤٥ ؛
أبو الفضل الرياشي ، العباس بن الفرج : ١٤/١٣٠ ؛
أبو الفضل بن العميد ، محمد بن الحسين = ابن العميد .
أبو الفضل الميكالي ، عبيد الله بن أحمد : ٤/١٧٥ ؛
أبو القاسم بن طباطبا العلوي : ت ١٢/١٢٢ ؛
أبو القاسم بن المطهر : ١/٢٠٢ ت ١٤/١٢٤ ؛ ٥/٢٠٣ ؛ ٧/٢٠٣ ؛
٤ / ٢٥٠ ؛ ٩/٢٠٤ ؛
أبو لهب ، عبد العزى بن عبد المطلب : ١١/٣٥ ؛
أبو محمد اليزيدي ، يحيى بن المبارك : ١٦/٦٩ ؛
أبو معمر عبد الله بن سخبرة : ١٣/٧٩ ؛
أبو منصور الجواليقي ، موهوب بن أحمد = الجواليقي .

- أبو المنهال ، عثبان بن وصيلة : ١/٣٧
أبو مهدي الباهلي : ت ٧/٢٤٧
أبو مهدي الكلابي : ت ٦/٢٤٧ ، ٧/٢٤٧
أبو موسى الأشعري ، عبد الله بن قيس : ٢/٨٦ ؛ ٣/٨٦ ت : ٤/٨٦
أبو ميسرة ، عمرو بن شراحيل أو شرحبيل الصمخاني : ١٢/٢٤٧
أبو النجم العجلي ، الفضل بن قدامة : ت ٨/١٧٢
أبو نخيلة ، يعمر السعدي : ١٨/٦٠
أبو النضير ، عمر بن عبد الملك : ١٣/١٠٢ ؛ ١٦/١٠٢
أبو نواس ، الحسن بن هاني : ٧/٩٩ ؛ ١٤/٩٩ ؛ ٧/١٠٢ ؛ ١٩/١٠٥ ؛
٤/٢٥٣ ت ٢/١٠٦
أبو هلال العسكري ، الحسن بن عبد الله بن سهل : ١٧٣ / ٢٢
أبو وجزة ، يزيد بن أبي عبيد السعدي : ت ١٢/٥٢
أبو يحيى اللاحقي = أبان بن عبد الحميد .
أبو يزيد البسطامي ، طيفور بن عيسى بن آدم : ١٦/١٨٢
أبو اليقظان ، سحيم بن حفص النسابة : ت ٩/٣٩
أبو يوسف القاضي ، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب : ١٢/٩٤ ؛ ١٥/٩٤ ؛
١٥/١٢٨
أبي بن كعب : ٣/٢٤٨
الأحذب السعدي : ١١/٨٩
أحمد بن أبي خالد ، وزير المأمون : ١٥/١٣٥
أحمد بن الحسين ، أبو الفضل بديع الزمان الهمداني = البديع الهمداني .
أحمد بن الحسين ، أبو الطيب المتنبي = المتنبي .
أحمد الحق : ت ١/١٨٧
أحمد بن حنبل : ت ٦/١٦٣
أحمد زكي : ت ٢/٧٧ ؛ ٣/١٣٧
أحمد شاكر : ت ١٣/٢١٩
أحمد بن طيفور = ابن أبي طاهر .
أحمد بن طولون : ت ٩/١٤٤

- أحمد بن علي بن ثابت = الخطيب البغدادي .
أحمد بن فارس ، أبو الحسين = ابن فارس اللغوي .
أحمد بن محمد بن إسماعيل ، أبو جعفر النحاس النحوي المصري = النحاس .
أحمد بن محمد البشتي الخارزنجي = الخارزنجي .
أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي = المرزوقي .
أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي = الخفاجي .
أحمد بن المدبر : ٨/١٤٤ ت ٧/١٤٤
أحمد مطلوب : ت ٣/١٥٠
أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري = البلاذري .
أحمد بن يحيى بن يسار ، ثعلب النحوي الإمام = ثعلب .
الأخطل ، غياث بن غوث ، أبو مالك : ١٣/٤٥ ؛ ١٨/١١٠ ت ٤/٤٥
الأخفش الأصغر ، علي بن سليمان : ١٣/١٤٩
الأخفش الأوسط ، سعيد بن مسعدة الجاشعي : ١٢/٦١
أزدة بنت سمية : ٢/٣٤
الأزرق ، أحمد بن إبراهيم : ت ٥ / ١٠٨
الأزهرى ، أبو منصور محمد بن أحمد : ١٠/١٦٩ ت ٦/١٦٩
أسامة بن منقذ : ١٠/٢٣٧ ت ٢/٢٢٢
الأستراباذي ، محمد بن الحسن الرضى الأستراباذي ، نجم الدين : ٦/٢٣٦
إسحاق بن إبراهيم المصعبى : ٦/١٣٥ ؛ ٨/١٣٥ ؛ ١١/١٣٥ ؛ ٧/١٤٦
إسحاق بن إبراهيم الموصلى : ٦ / ١٤٦
الإسكافي ، علي بن محمد بن القاسم : ٢/١٧٣
إسماعيل بن أبي خالد هرمز الكوفي : ١٧/٨٣
إسماعيل بن بلبل ، أبو الصقر : ١٤/١٤٥
إسماعيل بن حماد الجوهري = الجوهري .
إسماعيل بن زياد : ت ٤ / ٢٠٩
إسماعيل بن عباد ، الصاحب = الصاحب بن عباد .
الأسود بن أبي كريمة : ٦/١٢١

- الأشعري ، أبو الحسن علي بن إسماعيل : ت ٢/٤٠ ؛ ٢/٦٨
أشناس التركي : ١٣٦ / ٣ ؛ ٤/١٣٦ ؛ ١٤/١٣٦
الأشنانداني ، أبو عثمان سعيد بن هارون : ت ٤/٦٦ ؛ ٣/٢٥١
الاصطخري ، إبراهيم بن محمد : ت ١٣/١٧١
الأصمعي ، عبد الملك بن قريب : ٩/٣٥ ؛ ٥/٤٧ ؛ ١٤/٤٧ ؛ ٥/٤٩ ؛
٨/٤٩ ؛ ٧/٥١ ؛ ١١/٥٢ ؛ ١٢/٥٢ ؛ ١/٥٤ ؛ ٥/٥٤ ؛ ١٣/٦٠ ؛
١٦/٦٠ ؛ ١/٦٥ ؛ ٥/٦٨ ؛ ١/٧٦ ؛ ١٠/٧٦ ؛ ٤/٧٧ ؛ ١٢/٧٧ ؛
١١/٩٠ ؛ ١٢/٩٠ ؛ ١٤/٩٣ ؛ ١٠/٩٤ ؛ ١٣/٩٤ ؛ ١٦/٩٤ ؛
٦/٩٦ ؛ ٩/٩٦ ؛ ١٧/٩٨ ؛ ٢٢/٩٨ ؛ ٢٤/٩٨ ؛ ٣/٩٩ ؛ ٨/١٣٠ ؛
٦/١٤٠ ؛ ٢٠/١٤٥ ؛ ١٤/٢٤٧ ؛ ٣/٢٥٣ ؛ ت ٣/٣٨ ؛ ١١/٥١ ؛
٣/٥٤ ؛ ٤/٥٤ ؛ ٦/٥٤ ؛ ٥/٧٦ ؛ ١٧/٧٦
الأعرج الطائي : ت ٧/٧٩ ؛ ٢/١٣٣
الأعشى ميمون بن قيس : ت ٢/٦٦ ؛ ٩/٩٠ ؛ ١/١٨٥ ؛ ٣/٢١٤
أعشى همدان ، عبد الرحمن أبو المصباح : ٦/٧٦ ؛ ٨/٧٦
الأعمش ، سليمان بن مهران : ٦/٤٢ ؛ ١٥/٨٠
إلياس برشنايا : ت ٦/٣٩
امرؤ القيس بن حجر الكندي : ٧/١٧٩ ؛ ١٤/٢٥٣ ؛ ت ٢/٥٦ ؛ ٦/٦٨
أم جعفر ، زبيدة = زبيدة .
أم الهيثم الأعرابية ، غنية : ١/٩٦
الأمين : ١٨/٦٩ ؛ ١٦/٩٩
أمية بن أبي الصلت : ١٤/٥٠ ؛ ١٥/٦٠
أوجست فيشر = فيشر .
أيوب بن كيسان السخيتاني : ٧/٨٠
(ب)
بابك الخُزَمي : ١٢/١٢٤
الباخرزي ، علي بن الحسن بن علي ، أبو علي : ٦/٥٣ ؛ ت ٥/٥٣ ؛ ١٤/٧٦
بارت Barth : ت ٢/٥٨ ؛ ٣/١٤٩ ؛ ٣/٢٢٨

- الباقلاقي ، أبو بكر محمد بن الطيب : ت ٢/٢٤٧
البحترى ، أبو عبادة الوليد بن عبيد : ٤ / ١٤٣ ؛ ٦ / ١٨٢ ؛ ت ٥ / ٨٩
البخارى ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي : ٨ / ٨٧ ؛ ٤ / ٩٠ ؛ ١٠ / ٢٢٢ ؛
١٥ / ٢٣٥ ؛ ٤ / ٢٣٦ ؛ ت ٩ / ٧٥ ؛ ٧ / ١٦٣ ؛ ٢ / ٢٠٠ ؛ ١ / ٢٣٤ ؛
٣ / ٢٣٦ ؛ ٤ / ٢٣٦ ؛ ٦ / ٢٤٤ ؛ ١ / ٢٤٥
بختيار البويهى : ١٠ / ١٨٩
بدر الدين (ناشر ديوان بشار) : ت ٤ / ٦٦
البديع الهمداني ، أبو الفضل أحمد بن الحسين : ١٩ / ١٧٣ ؛ ٦ / ١٧٥
براون Browne : ت ٧ / ٦١
برجشتراسر Bergsträsser : ت ٦ / ٨٦
البردخت ، علي بن الخليل : ٨ / ٧٢ ؛ ١٠ / ٩١
برزويه : ٥ / ٦٤
برصومة (زامر الرشيد) : ٩ / ١١٢
بركلاند Berkland : ت ١٥ / ١٠
بروخ Broch : ١٧ / ٧٨
بروكلمان C. Brockelmann : ت ٧ / ٩ ؛ ٦ / ٩٧ ؛ ١١ / ٩٧ ؛ ٦ / ١٠٠ .
٦ / ١٢٥ ؛ ٧ / ١٢٩ ؛ ٢ / ٢١٧
بروينلش Bräunlich : ت ٢ / ٥٣ ؛ ٣ / ١٢٦ ؛ ٤ / ٢٠٤
برويز : ت ٨ / ٢٨
بريتوريوس Praetorius : ٨ / ٩
بريفيه Brevier : ت ٢ / ٣٠ ؛ ٦ / ١٧١
البستاني ، بطرس : ت ٤ / ١٨٢
بسخرة بن بهبوزان : ت ٩ / ٣٤
بشر بن غياث المريسي : ١٤ / ١٢٨
بشر بن المعتمر المعتزلي : ٨ / ١٠٥
بشر بن المفضل : ١١ / ٦٢
بشار بن برد : ٩ / ٦١ ؛ ٢٣ / ٦٣ ؛ ٢٢ / ٦٥ ؛ ٢٥ / ٦٥ ؛ ٥ / ٦٦ ؛
٨ / ٦٦ ؛ ١٤ / ٦٦ ؛ ١٦ / ٦٦ ؛ ٤ / ٦٧ ؛ ١٠ / ١٠٦ ؛ ١٤ / ١٠٦ ؛
١ / ١٠٧ ؛ ٧ / ١٠٩ ؛ ت ٩ / ٩٠

- بشكست النحوى المdney : ت ١/٧٦
البطليوسى ، عبد الله بن محمد بن السيد : ٥/١٤٠ ؛ ١٠/١٤٠ ؛ ٢/٢٢٠
ت ٢/٥١ ؛ ٢/٩٧ ؛ ١١/١٠٣
البقالى (تلميذ الزمخشري) : ت ٧/٢١٩
بكر بن عبد العزيز بن أبى دلف العجلى : ١١/١٥٦
البكرى ، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد : ت ٥/٤١ ؛ ٦/٥١ ؛
٢/٨٦ ؛ ١٤/٩٠ ؛ ١٤/١٧٩ ؛ ١٠/٢٤٨ ؛ ٩/٢٥٠ ؛ ٢/٢٥١
البلاذرى ، أحمد بن يحيى بن جابر : ١١/٢٧ ت ٢/٢٥ ؛ ٤/٢٥ ؛ ٥/٢٥ ؛
٣/٢٨ ؛ ٦/٢٨ ؛ ٩/٢٨ ؛ ٧/٣٣ ؛ ٢/٣٤ ؛ ٢/٣٥ ؛ ٥/٣٦ ؛
٥/٣٧ ؛ ١٠/٣٩ ؛ ٣/٨٦ ؛ ٩/١١٣ ؛ ١٤/١٧٨
بلاشير R. Blachère : ت ١/١٧٦
بلال بن أبى بردة : ١/٣٩ ؛ ١/٧٥ ؛ ٦/٧٥
بلال بن رباح الحبشى الصحابى : ٨/٢٣
البلعمى ، أبو على محمد البلعمى : ٤/١٧٥
بهاء الدولة البويهى ، أبو نصر بن عضد الدولة : ١٥/١٨٧
بهاء الدين العاملى ، محمد بن الحسين : ت ٣/١٧٧
بيتنجن F. Beathgen : ت ٧/٣٩
بيدبا (بدبى) : ٨/٦٤
بيلسن Pedersen : ت ٢/١٥٨
البيدق ، محمد الراوية المعروف بالبيدق : ت ٢/٣١
بيريس Perés : ت ٤/٥٨
بيكر C. H. Becker : ت ٥/١٤٤
البيهقي ، إبراهيم بن محمد : ت ٣/٣٧ ؛ ١٣/١٠٣ ؛ ٤/١٣٥ ؛ ٣/١٣٦
بيفان Bevan : ت ٤/٣٠ ؛ ٥٠/٣٠
(ت)

التبريزى = أبو زكريا التبريزى .

تبع : ١٤/٢٦

الترمذی ، أبو عیسی محمد بن عیسی : ت ٤/٩٠ ، ٩/٩١ ، ١/١٢٧ ،
٤/٢١٧ ؛ ١/٢١٧

تروبتسکوی 'Trubetskoy : ٢٣/٢٤٠

تسترستین Zettersteen : ت ٩/٢٥ ، ٥/١٦٩

توربیکه Thorbecke : ت ٣/٥١ ، ١/٢٢٠ ، ١/٢٥٢

توری Ch. Torry : ت ٦/٥٤ ، ١٧/٧٦ ، ١١/٩٠ ، ١/٢٣٢

التوزی ، عبد الله بن محمد بن هارون : ١٤/٧١ ، ١٥/٧١

(ث)

الثعالبی ، عبد الملك بن محمد بن إسماعیل : ٦/١٨٩ ت ١/١٧٣ ، ١٢/١٨١ ،
٨/٢٥٣

ثعلب ، أبو العباس أحمد بن یحیی بن یسار : ٧/٥٨ ، ١٠/١٤٧ ، ١٣/١٤٧ ؛

١٥/١٤٧ ، ٢٠/١٤٨ ، ٣/١٤٩ ، ٦/١٩١ ، ١١/٢٢٨ : ت ٨/٥١ ؛

٢/٥٨ ، ١٨/٧٨ ، ٧/١٤٥ ، ٣/٢٢٨

ثور بن یزید = أبو الجاموس .

(ج)

الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر : ١٣/٢٨ ، ١٠/٢٩ ، ١/٣٠ ، ٩/٣٠ ؛

١٥/٣٢ ، ١٤/٤٠ ، ١٨/٤١ ، ٢/٦٥ ، ٤/٦٩ ، ٣/٧٣ ، ١٣/٧٩ ؛

٤/٨٤ ، ١٩/٨٧ ، ٣/٨٨ ، ١٣/١١١ ، ٥/١١٥ ، ١٧/١١٩ ؛

٢٠/١١٩ ، ١/١٢٠ ، ١٠/١٢٠ ، ١٢/١٢٠ ، ١٩/١٢٠ ، ٧/١٢١ ؛

٨/١٢١ ، ٩/١٢١ ، ١٧/١٢١ ، ٧/١٢٢ ، ١١/١٢٢ ، ٥/١٢٣ ؛

١٣/١٢٣ ، ٣/١٢٤ ، ٦/١٢٤ ، ٣/١٢٥ ، ١٣/١٢٥ ، ١٥/١٢٥ ؛

١٧/١٢٥ ، ١٠/١٢٦ ، ١٣/١٢٦ ، ١/١٢٧ ، ٤/١٢٧ ، ٣/١٢٨ ؛

١٤/١٢٨ ، ١/١٣٠ ، ٣/١٣٧ ، ٥/١٣٧ ، ٢٦/١٣٩ ، ١٨/١٧٠ ؛

٢/٢٤٩ ، ٧/٢٤٩ ، ١٢/٢٤٩ ، ٧/٢٥٠ ، ٨/٢٥٠ : ت ٦/٢٠ ؛

٢/٢٣ ، ٥/٢٣ ، ١/٢٣ ، ٣/٢٣ ، ٤/٢٣ ، ٩/٢٦ ؛

٢/٣٦ ، ٥/٣٦ ، ٥/٣٧ ، ٨/٣٧ ، ١١/٣٧ ، ١/٣٨ ، ٩/٣٨ ؛

١/٤٠ ، ٦/٤٠ ، ٧/٤٠ ، ١/٤١ ، ٤/٤١ ، ١/٤٢ ، ٢/٤٣ ، ٤/٤٣ ؛

٥/٤٥ ، ٩/٤٥ ، ٢/٥٢ ، ٦/٦٢ ، ١٤/٦٢ ، ٣/٦٥ ، ٥/٦٦ ؛

: ٣/٧٥ : ١١/٧٤ : ١/٧٣ : ٨/٧٢ : ٢/٧٢ : ٢/٦٩ : ١٣/٦٦
 : ٦/٨٠ : ٤/٨٠ : ١١/٧٩ : ٥/٧٨ : ٢/٧٧ : ٩/٧٦ : ٧/٧٥
 : ١٣/١٠٣ : ٥/٩٤ : ١١/٩١ : ١٠/٨٧ : ٣/٨٦ : ١٥/٨٥ : ٤/٨٣
 : ٢/١٢٠ : ١/١٢٠ : ٣/١١٥ : ٥/١١١ : ١/١٠٨ : ٢/١٠٥
 : ٩/١٢٠ : ٨/١٢٠ : ٦/١٢٠ : ٥/١٢٠ : ٤/١٢٠ : ٣/١٢٠
 : ٥/١٢٢ : ١/١٢٢ : ١١/١٢١ : ٧/١٢١ : ٦/١٢١ : ١/١٢١
 : ١٨/١٢٢ : ١٧/١٢٢ : ١٤/١٢٢ : ١١/١٢٢ : ٩/١٢٢
 : ٧/١٢٣ : ٦/١٢٣ : ٥/١٢٣ : ٤/١٢٣ : ٢/١٢٣ : ١/١٢٣
 : ١٣/١٢٤ : ٥/١٢٤ : ١/١٢٤ : ١٠/١٢٣ : ٩/١٢٣ : ٨/١٢٣
 : ٨/١٢٥ : ٥/١٢٥ : ٤/١٢٥ : ٣/١٢٥ : ٢/١٢٥ : ١/١٢٥
 : ٦/١٢٦ : ٥/١٢٦ : ٤/١٢٦ : ١/١٢٦ : ١٠/١٢٥ : ٩/١٢٥
 : ٤/١٢٨ : ٣/١٢٨ : ١٣/١٢٧ : ١٢/١٢٧ : ٧/١٢٧ : ٥/١٢٧
 : ٥/٢١٣ : ٨/٢١٣ : ٧/٢٠٤ : ١١/١٩٠ : ٨/١٧١ : ٤/١٣٥
 : ٧/٢٥٠ : ٢/٢٥٠ : ٦/٢٤٩ : ١٦/٢٤٨ : ٢/٢٤٧ : ٩/٢٤٥
 ٣/٢٥٥

جابر Geyer : ١٦/٨ ت ١٣/١٠ : ١٠/٩٠ : ٢/٢٢٨

جبريل بن بختشيوخ : ٢/٩٢

جحدر ، أحد لصوص العرب : ١٢/٢٤٥

الجرادتان : ٧/٢٤٦

جراف G. Graf : ت ٥/١١٢ : ٦/١١٣ : ٥/١١٥ : ١/١١٧ :

١/١١٨ : ٢/١٦٩ : ٣/٢٣٣ : ٥/٢٤٥

جرير بن حزم : ١٣/٦٢

جرير بن عبد الله البجلي : ٢٣/١٥٢

جرير بن عطية : ١٢/٣٠ : ٢٠/٣٠ : ٣/٣١ : ٢/٣٦ : ١٢/٤٥ :

٩/٩١ : ٨/٩٩ : ٢٠/١٣٠ : ٢٢/١٣٠ : ١/١٣١ ، ت ١/٢٣ : ٤/٤٥ :

١/٢٥١ : ١١/١٧١ : ٧/٤٥

جرونرت Grünert : ت ١/٥١ : ٢/٨٣ : ٢/١٣٤ : ١/١٣٩ : ١/١٨٤ :

جعثن ، أخت الفرزدق : ٤/٣١ ، ٧/٣١

- جعفر بن سليمان الهاشمي : ٣/٧٦
 جعفر الصادق : ١٤/١٤٤
 جعفر بن يحيى بن خالد : ٨/١٠٤
 جلازر Glaser : ت ١٣/٢١٩
 جلد مايستر Gildemeister : ت ١/٣١
 جلائنار ، أم بشار بن برد : ت ٨/١٩٠
 الجمّاز البصري ، محمد بن عبد الله : ١٣/١٣٣
 الجمحي ، محمد بن سلام الجمحي = ابن سلام .
 جنّاد بن واصل : ١٢/٧١ ؛ ١/٧٢
 الجهشياري ، أبو عبد الله محمد بن عبدوس : ت ١٠/٢٦ ؛ ١/٧٧
 جهم بن خلف : ٨/٢٤٥
 الجواليقي ، أبو منصور موهوب بن أحمد بن الخضر : ٨/٢١٩ ؛ ١٠/٢١٩
 ت ١١/٢٥ ؛ ٢/٥١ ؛ ٧/٥١ ؛ ١٢/٦٦ ؛ ١/٦٧ ؛ ١٠/٨٣ ،
 ١٢/٩٠ ؛ ١٠/٩٤ ؛ ٢/٩٧ ؛ ٧/١٢١ ؛ ٦/١٣٥ ؛ ١٠/١٣٥ ؛
 ٥/٢٠٦ ؛ ٧/١٤٥
 جورج ياكوب G. Jacob : ت ٦/٣٤
 جولد تسهر I. Goldziher : ت ١٠/١٦ ؛ ١٣/٣٤ ؛ ١٠/٤٤ ؛
 ٧/٦٦ ؛ ٧/٧٨ ؛ ٣/٨٥ ؛ ٢/٨٧ ؛ ٤/١٠١ ؛ ٩/١٢٠ ؛ ٢/١٧٣ ؛
 ٤/٢١٣
 الجون الكندي : ١٠/٩٥
 الجوهرى ، إسماعيل بن حماد : ٨/٩٨ ؛ ١٩/١٦٩ ؛ ٥/٢٠٣ ؛ ١٦/٢٠٥ ؛
 ت ٨/١٦٣ ؛ ٤/٢١٣

(ح)

- حاجي خليفة ، مصطفى بن عبد الله ، كاتب جلبي : ت ٩/٧٣ ؛ ٦/٢٣٤
 الحارث بن كلدة : ١٨/٣٣ ؛ ٢٢/٣٣ ؛ ١/٣٤
 حارثة بن الحجاج = أبو دواد الإيادي .
 الحاكم الأصغر : ٩/٨٧
 حبابة ، قينة يزيد بن عبد الملك : ٩/٢٤٦

حبيب بن أوس الطائي = أبو تمام .

الحجاج بن يوسف الثقفي : ١٩/٢٠ ؛ ١/٣٨ ؛ ٣/٣٨ ؛ ٤/٣٨ ؛ ١٥/٣٨ ،
٦/٤١ ؛ ١٥/٨٩ ؛ ٤/١٢٧ ؛ ١٢/٢٤٥ ؛ ٩/٢٤٨ ت ٢/٣٨ ؛ ١٤/٥١

حرب : ١٦/١٢٣

الحريري ، أبو محمد القاسم بن علي : ١٨/١١١ ؛ ٣/١٩١ ؛ ١٧/٢١٣ ؛
٦/٢٢٠ ، ١٢/٢٢٠ ؛ ١٦/٢٢٠ ؛ ١/٢٢١ ؛ ١٣/٢٢١ ؛ ١٧/٢٢١ ؛
٧/٢٢٢ ؛ ١٤/٢٢٢ ؛ ١٨/٢٢٢ ؛ ٢١/٢٢٢ ؛ ١٠/٢٢٣ ؛
١٤/٢٢٣ ؛ ٢٠/٢٢٣ ؛ ٤/٢٢٤ ؛ ٤/٢٢٥ ؛ ١١/٢٢٥ ؛ ١٣/٢٢٥ ؛
١٩/٢٢٥ ؛ ١٦/٢٢٦ ؛ ٢٠/٢٢٦ ؛ ٧/٢٢٧ ؛ ١٦/٢٢٧ ؛ ٧/٢٢٨ ؛
١١/٢٢٨ ؛ ١٩/٢٢٨ ؛ ١٧/٢٢٩ ؛ ٣/٢٣٠ ؛ ٦/٢٣٠ ؛ ١٣/٢٣٠ ؛
٢٤/٢٣٠ ؛ ١/٢٣١ ؛ ٧/٢٣٤ ؛ ١٢/٢٣٤ : ت ١/٣٠ ؛
٩/٥٣ ؛ ٤/١٠٦ ؛ ٥/١١٦ ؛ ٢/١١٧ ؛ ١/١٣١ ؛ ٣/١٨٠ ؛
٨/٢٢٠ ؛ ٦/٢٢٠

حسان بن أبي حسان النبطي : ٧/٤٣

الحسن بن أحمد بن عبد الغفار = أبو علي الفارسي .

الحسن بن أحمد بن يعقوب ، أبو محمد الهمداني = الهمداني .

حسين بن الحر : ت ٤/٨٦

الحسن بن عبد الله البصري : ٤/٤١ ت ١٠/٢٦

الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري = أبو هلال العسكري .

الحسن بن هاني = أبو نواس .

الحسين بن وهب الكاتب : ٩/١٣٤

الحسين بن أحمد أبو عبد الله بن خالويه = ابن خالويه .

حسين بن الأصرم : ١٠/٩٥

حسين تورال : ت ٦/١١١

الخطيئة ، جروول بن أوس : ت ١/٢٤٣

حفص الأموي : ٣/١٢٩

حفص بن أبي ودعة : ٤/٧٢ ؛ ٥/٧٢

حفص بن عمر الحوضي : ٦/٨٧

حفي شرف : ٣/١٥٠

الحكم بن أبي العاص : ٦/٩١
الحكم بن عبدل الأسدي : ١/٢٥٥
حماد الراوية ، أبو ليلى بن ميسرة أو ابن سابور : ١٧/٧٠ ؛ ٢٠/٧٠ ؛
١/٧١ ؛ ٢/٧١ ؛ ٤/٧١ ؛ ٥/٧١ ؛ ٩/٧١ ؛ ١٢/٧١ ؛ ٢/٧٢ ؛
٤/٧٢ ؛ ٩/٨١ ت ٥/٧١ ؛ ٨/٧١
حماد بن سلمة البصري : ٢/٨١
حماد عجرد بن يحيى ، أبو عمرو بن نهبي : ٧/٧٢
حمزة بن بيض : ت ١٢/٣٩
حمزة بن الحسن الأصفهاني : ت ١٢/١١٣ ؛ ٧/١٧٨ ؛ ٥/٢٤٩

(خ)

خارجة بن مصعب : ت ٧/٧٩
الخارزنجي ، أحمد بن محمد البشتي : ١/١٧٠
خالد بن الحارث المحدث : ١١/٦٢
خالد بن صفوان : ٣/٧٥
خالد بن عبد الله القسري : ٦/٤٠ ؛ ٩٠/٤٠ ؛ ١٢/٤٠ ؛ ١٥/٤٠ ؛
ت ٤/٤٧ ؛ ٣/٤٧
خالد بن يزيد (خالويه البصري) : ٩/١٢٤
الخالدي : ٧/٢٤٤
خشينشار : ١٦/٩١
الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت : ١٩/٧٣ ؛ ١/٧٤ ؛
ت ١٠/٧٣
الخفاجي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر المصري : ١/٢٣١ ت ١٠/٣٧ ،
١٠/٦٨ ؛ ١/٨٣ ؛ ١٤/١١٣ ؛ ١٠/١٢٩ ؛ ٢/١٣١ ؛ ١/١٦٧ ؛
٤/١٧٧ ؛ ٩/١٧٧ ؛ ٢/٢٢٠ ؛ ١/٢٢١ ؛ ١/٢٢٣ ؛ ٣/٢٢٤ ؛
١/٢٢٦ ؛ ٣/٢٢٦ ؛ ١/٢٢٨ ؛ ٢/٢٢٩ ؛ ٣/٢٣١ ؛ ٤/٢٣١ ؛ ٥/٢٣١
خلف الأحمر : ٣/٧٧ ت ٤/٧٧
الخليل بن أحمد : ٣/٢٢ ؛ ١/٦٣ ؛ ت ٢/٢٢

خليل بن أبيك الصفدي = الصفدي .
الخوارزمي ، محمد بن أحمد بن يوسف ، أبو علي (صاحب مفاتيح العلوم) :
١/٢٢

الخوارزمي ، محمد بن العباس أبو بكر = أبو بكر الخوارزمي .
خواستی (جلد أبي شيبة قاضي واسط) : ت ٩/٧٤
الخياط ، عبد الرحمن بن محمد بن عثمان : ت ٣/١٠٥

(د)

الدارمي ، علي بن عمرو : ت ٤/٢٤٦ .
الدائي ، أبو عمرو عثمان بن سعيد = أبو عمرو الدائي .
دكين الراجز : ت ١٢/١٧١
الدميري ، كمال الدين محمد بن موسى : ت ١٠/٣١ ؛ ١/٣٧ ؛ ٢/٥٢ ؛
١/١٠٦ ؛ ١٠/١٢٣ ؛ ٦/١٧٢ ؛ ٥/١٨٤ ؛ ٢/٢٠٥ ؛ ١٢/٢٤٥
دوزي Dozy : ت ٢/٤٨ ؛ ١٥/٧٨ ؛ ٦/١٢٦ ؛ ٤/١٥٧ ؛ ١/٢٠٥ ؛ ٥/٢٤٦
ديترتسي Dietrichi (Diet) : ت ٢/١٦٨ ؛ ٦/١٨٧
ديترتش Dietrich : ت ٣/٨
ديرنبورج Derenbourg : ت ٧/٥٠ ؛ ١١/٨١ ؛ ١/١٣٣ ؛ ١/١٨١ ؛
٢/٢٢٢
دي غويه De Goje : ت ٧/٢٧ ؛ ٧/٢٠٥ ؛ ١٥/٢١١ ؛ ٢/٢١٢ ؛ ٢/١٠٢ ؛
٣/١٦١ ؛ ١٤/١٧٨ ؛ ١/١٩٨ ؛ ٢/١٩٩ ؛ ٧/٢٠٢ ؛ ٧/٢٠٤ ؛
١/٢٠٦

ديك الجن ، عبد السلام بن رغبان : ت ٧/١٤٤
ديلم : ٧/٢٨
الدينوري : ت ٦/١١٦

(ذ)

الذهبي ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : ت ٥/٤٢ ؛ ٦/٤٢ ؛
١٢/٨٦ ؛ ٦/٧٧
ذو الإصبع العدواني ، حرثان بن الحارث : ت ٨/٩٩

ذو الرمة ، غيلان بن عقبة : ١٤/٤٩ ؛ ٤/٥٢ ؛ ١٢/٥٢ ؛ ٨/٥٣ ؛
١٥/٥٣ ؛ ٢/٥٤ ؛ ٤/٥٤ ؛ ٢/٢٤٧ ت ٧/٥٢ ؛ ١٢/٥٢ ؛ ٢/٥٤ ؛
١/٢٤٧ ؛ ٥/٢٠٢ ؛ ٤/٦٧

(ر)

الراعى النخري الشاعر : ت ٩/١٧٧
رايت Wright : ت ٢/٧٩ ؛ ٥/١٤٧ ؛ ٣/٢٤٣
راينهاردت Reinhardt : ت ٢/١١٣
رباب : ١٧/١٠٦
ربيعة الراى بن أبى عبد الرحمن ، أبو عثمان : ١٥/٧٧
رستم : ٤/٢٨ ت ٦/٢٨
الرشك ، يزيد بن أبى يزيد : ١٢/٩١
الرشيد ، هارون = هارون الرشيد
رغيب بن قيس العنبري : ت ٩/١١٢
رقبة بن مصقلة : ١٥/٧٤ ت ١٢/٧٤
ركندورف Reckendorf : ت ١٢/٤٣ ؛ ١١/٥٦ ؛ ٧/٦٨ ؛ ١٥/٨١ ؛
١٥/١١٦ ؛ ٤/١٧٦ ؛ ٦/١٧٨ ؛ ٣/١٨١ ؛ ٢/١٧٧ ؛ ٢/٢١٤
الرماح بن أبرد = ابن ميادة .
الرمادى : ت ٣/١٢٢
رمضان عبد التواب : ١٦/٤
رؤبة بن العجاج : ١٩/٣٨ ؛ ٤/٣٩ ؛ ١/٤٠ ؛ ٦/٤١ ؛ ١٧/٤١ ؛ ٨/٤٧ ؛
١١/٤٧ ؛ ١٨/٦٠ ؛ ١٧/٨٨ ؛ ٢٦/٢٥٤ ت ١٣/٣٩ ؛ ٦/٤٧ ؛
١٣/٤٧ ؛ ١٦/٤٧ ؛ ١٩/١٢٢ ؛ ٦/٢٠٢
رودوكاناكيس Rhodokanakis : ١٦/٥٧ ت ١٣/٥٧
رياح بن سنيح ، أورباح بن سنيح : ١٧/٤٥
ريتر H, Ritter : ت ١/٢١٨
ريشر O. Rescher : ت ١/١٣٠ ؛ ١٠/١٦٣ ؛ ٤/١٨٢

(ز)

زامباور Zambaur : ت ١٦/٢٦ ، ٢/٦٦ ، ٥/٧٦ ، ٣/١٣٥ ، ٢/٢٥٥
زبيدة ، أم جعفر : ٥/٩٤ ، ٦/٩٤
الزبير بن العوام : ت ٩/٨٨
الزجاج النحوى ، إبراهيم بن السرى : ١٣/١١٣
الزجاجى النحوى ، عبد الرحمن بن إسحاق : ١٢/٢٣٥ ، ٦/٣٦ ، ١/٣٨ ؛
٣/٨٠ ، ١٣/٨٥ ، ٨/٢٤٦
زر بن حبيش : ١٠/٨٦
الزرقانى ، محمد بن عبد الباقي : ت ٣/٢٣٦ ، ٥/٢٣٦ ، ٦/٢٤٤
الزريان : ت ١٣/٥١ ، ٥/٢٠٢
الزخشري ، محمود بن عمر : ت ١٠/٧٥ ، ١٧/٧٨ ، ٥/٨٣ ، ١١/١١٢ ؛
٤/١٣٤ ، ٧/٢١٩ ، ٤/٢٤٣ ، ٣/٢٤٥ ، ٦/٢٤٧ ، ١٠/٢٤٧ ؛
١٢/٢٤٨ ، ٩/٢٥٠ ، ٣/٢٥٢
زياد بن أبى حسان النبطى : ٧/٤٣
زياد بن أبيه : ٢٠/٢١ ، ١/٢٦ ، ٩/٢٦ ، ٢/٢٧ ، ٧/٢٧ ، ٨/٢٧ ؛
٦/٣٤ ، ٣/٣٤
زياد بن سلمة الأعجم : ٢١/٤٢ ، ٩/٤٣ ، ١٢/٤٣ ، ٣/٤٤ ، ١٦/٦٠
زياد بن معاوية ، أبو أمانة النابغة الذبياني = النابغة الذبياني .
زيد الخليل الطائي : ت ٦/٨٩
زيد بن على : ١٧/٤١ ت ٨/٤٤

(سن)

سالم بن محمد بن أبى بكر : ٧/٣٥
سبخت = أبو عبيدة معمر بن المثنى .
سحيم عبد بنى الحسحاس : ١١/٢٣ ت ٧/٩٩
سناو E.Sachau : ت ٦/٢٥ ، ١٠/٢٥ ، ١٠/١١٣ ، ١٠/٢١٩ ؛
سراقة الباهلى : ت ١/٦٧
سرجويه الطبيب : ٢/٩١

- سعد بن أبي وقاص : ٥/٢٨ ت ٧/٢٨
سعد بن عبادة : ١٢/٢٥٠
سعد بن معاذ : ١٢/٢٥٠
سعيد بن أوس بن ثابت = أبو زيد الأنصاري .
سعيد بن جبير : ٥/٤٢
سعيد بن سلم بن قتيبة : ٢٤/٩٨
سعيد بن عبد العزيز التنوخي الدمشقي : ١/٨١
سعيد بن مسعدة المجاشعي = الأخفش الأوسط .
السفاح ، أبو العباس عبد الله بن محمد : ٤/٧٥ ؛ ٤/٩٣
سفيان بن عيينة : ٣/٨٢ ؛ ٦/٨٢ ؛ ٢١/١٠٧
سفيح بن رياح : ١١/٤٥
السكرى ، أبو سعيد الحسن بن الحسين : ٥/٨٩ ؛ ١٢/٢٤٥
سكوس B. Skoss : ٥/١١٢ ؛ ٥/١١٧
سلامة ، قينة يزيد بن عبد الملك : ١٠/٢٤٦
سلم بن عمرو الخاسر : ٦/١٠٦ ؛ ٩/١٠٦
سلم بن قتيبة الباهلي : ٣/٦٦
سليمان بن سليم بن كيسان الكلبي : ١٣/٤٤ ؛ ١٤/٤٤
سليمان بن عبد الله بن طاهر : ١٦/١٤٧
سليمان بن عبد الملك : ٧/٣٧
سليمان بن علي : ١/٦٤
سليمان بن مهران الأعمش = الأعمش .
سليمي : ٢٠/١٢٨
السمتي ، يوسف بن خالد الليثي السمتي الحنفي (صاحب أبي خنيفة) :
١١/٩٥ ت
السمعاني ، عبد الكريم بن محمد بن منصور : ٩/٨٣ ؛ ٢/٢١٩
سمية : ١٧/٣٣ ؛ ٨/٣٤
السندوبي : ٢/٥٦
سنيح بن رياح : ١٨/٤٥ ت ١٠/٤٥

سهل بن محمد أبو حاتم السجستاني = أبو حاتم السجستاني .

سهل بن هارون : ٨/١٢٨

سوار بن المضرب : ت ١٥/٢٤٥

سويد بن عمرو بن سلسلة الطائي : ت ٣/١٣٣

سيديويه ، عمرو بن عثمان بن قنبر : ١٣/٢٢ ؛ ٢٤/٥٩ ؛ ٢/٦٠ ؛ ٦/٦١ ؛

٩/٦١ ؛ ١٢/٦١ ؛ ١٦/٦١ ؛ ١٧/٧٠ ؛ ٣/٧٤ ؛ ١١/٧٨ ؛ ٧/٨١ ؛

٥/١٣٤ ؛ ٥/١٧٩ ؛ ١٧/٢٢٦ ؛ ١٢/٢٣٥ ؛ ٩/١٠ ؛ ٤/٢٢ ؛

٧/٥٠ ؛ ١٢/٥٦ ؛ ١/٦٠ ؛ ٢/٦٠ ؛ ٣/٦٠ ؛ ١/٦٣ ؛ ١٢/٨١ ؛

١٢/٩٠ ؛ ١/٩٥ ؛ ١/١٣٣ ؛ ١/١٨١ ؛ ٥/٢٣٥

السيد الحميري ، إسماعيل بن محمد بن يزيد : ٨/١٠١

السيرافي ، أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان : ت ٢/٤١ ، ٤/٦٩ ؛

٦/٦٩ ؛ ١٥/٧١ ؛ ٤/٩٤ ؛ ٧/٩٤

سيف الدولة ، علي بن عبد الله بن حمدان : ٤/١٧٥ ؛ ١٥/١٨٢

سيلجزون Seligsohn : ت ١٠/٨٨

سيمون Simon : ت ٤/٣٢

السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن محمد بن عثمان : ٢٠/١١١ ؛ ت ٨/٨ ؛

٩/٨٥ ؛ ٩/٨٦ ؛ ٣/١٥٢ ؛ ٢/١٦٧ ؛ ١/٢٣٥ ؛ ١١/٢٤٥ ؛ ٣/٢٤٧

(ش)

الشار : ٥/١٧٥

شبتا بك Spitta Bey : ت ٨/٨٣ ؛ ٤/١١٦ ؛ ١/٢١٤ ؛ ١٠/٢١٩

شبيب بن البرصاء : ت ٦/١٣٤

شبيب بن شيبه : ١/٧٥ ؛ ٤/٧٥ ؛ ٩/٧٥

شبيتالر A. Spitaler : ١٠/٣ ؛ ٦/٤ ؛ ٢/٥ ؛ ت ٣/١٩ ؛ ١٢/٢٣ ؛ ٥/٢٧ ؛

٨/٢٩ ؛ ١١/٣١ ؛ ١/٥٣ ؛ ٦/٥٣ ؛ ٥/٦٧ ؛ ١٥/٧٦ ؛ ١٤/٩٠ ؛

١١/١٠٠ ؛ ١١/١١٦ ؛ ٧/١٢٥ ؛ ١٦/١٢٧ ؛ ٤/١٣٣ ؛ ٧/١٣٣ ؛

٦/١٤٧ ؛ ٣/١٦٨ ؛ ١٤/١٧١ ؛ ٥/١٨١ ؛ ٤/١٨٤ ؛ ٥/١٩٢ ؛

٢/٢١٢ ؛ ٢/٢١٤ ؛ ٤/٢١٧ ؛ ٢/٢١٨ ؛ ٤/٢٢٢ ؛ ٢/٢٢٣ ؛
٤/٢٤٤ ؛ ١٦/٢٤٥

شبيجلبرج Spiegelberg : ت ٢/٣٢

شبرنجر Springer : ت ١٠/١٨٧

شتراك Strack : ت ٣/٢٠٦

شرف الدين ، الملك المعظم : ١٧/٧٣ ؛ ٧/٧٤

الشريف الرضى ، محمد بن الحسين بن موسى : ٨/١٨٨ ت ٤/١٢٧ ؛ ٥/١٢٧

الشريف المرتضى ، على بن الحسين بن موسى : ١١/١٨٧ ت ٤/٢٤٧ ؛

١٤/٢٤٨ ؛ ٣/٢٤٩ ؛ ٣/٢٥٠ ؛ ٩/٢٥٠ ؛ ٢/٢٥١

شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي مولا هم : ت ١٣/٨٥ ؛ ٨/١٢٢

الشعبي ، عامر بن شراحيل الحميري الكوفي : ١/٨٠ ؛ ١٤/٩٤

شليفير J. Schleifer : ت ٣/١٦٣

الشتيمري ، أبو الحجاج الأعلم يوسف بن سليمان : ت ١/٤٦

الشهاب الخفاجي ، أحمد بن محمد بن عمر = الخفاجي .

شهاب الدين ، محمد بن إسماعيل (صاحب سفينة الملك) : ت : ١/١٠٤

شوخارت Schuchardt : ت ٢/٣٠

شوشى (صاحب عبد الله بن خالد الأموى) : ٦/١٢٢

شوكر : ت ٥/٧٧ ؛ ٦/٧٧

الشوكرى : ت ٤/٧٧

شيخ بن رياح : ت ٩/٤٥

شيرويه : ١٣/٢٥ ت ١٢/٢٥ ؛ ١٤/٢٥ ؛ ١٥/٢٥

(ص)

الصاحب بن عباد : ٢٢/١٥٧ ؛ ٢٢/١٧٠ ؛ ١/١٧١ ؛ ٣/١٧١ ؛ ٦/١٧١ ؛

٣/١٧٣ ؛ ٢٠/١٧٣ ؛ ٥/١٧٥ ؛ ١١/١٨١ ؛ ١٢/١٨١ ؛ ١٤/١٨١ ؛

١/١٨٢ ؛ ٦/١٨٢ ؛ ٩/١٨٢ ؛ ١٩/١٨٢ ؛ ٢١/١٨٢ ؛ ١٠/١٨٣ ؛

٦/١٨٤ ؛ ت ٥/١٤٣ ؛ ٣/١٧٠ ؛ ٤/١٧١ ؛ ٩/١٧٢ ؛ ٣/١٧٩ ؛

١/١٨٢

الصاوى (ناشر ديوان الفرزدق) : ت ٣/٤٦ ؛ ٣/٥٦ ؛ ٨/٥٦

صبيح بن رباح : ١٨/٤٥ .
صخر بن حرب = أبو سفيان .
صديق A. Siddiqi : ت ٦/٢٩ ؛ ٣/١٢٤ ؛ ٨/٢٠٣
صفاء خلوصي : ت ٨/١٨٥
الصفدي ، خليل بن أيك : ٤/١٧٧ ؛ ٦/١٧٧
صلاح الدين الأيوبي ، يوسف بن أيوب : ١٤/٢٣٧
صالحاني : ت ٤/٤٥
صهيب بن سنان الصحابي : ٩/٢٣ ت ٣/٢٣
الصولي ، أبو بكر محمد بن يحيى = أبو بكر الصولي .
(ط)

طالب الحق الخارجي : ت ٢/٧٦
طاهر بن الحسين : ٤/١٤٦ ؛ ٨/١٤٦ ؛ ١٠/١٤٦
طه محسن : ت ٨/١١١
طاوس بن كيسان ، أبو عبد الرحمن : ٥/٤٢
الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : ت ١/٢٧ ؛ ٥/٣٩ ؛ ٨/٤٤ ؛ ٤/٤٧ ؛
١/١٢١ ؛ ١/١٤٦ ؛ ٤/١٤٦ ؛ ٤/١٥٦
طرفة بن العبد : ١٦/٨٨
الطرماع بن حكيم : ٣/٤٧ ؛ ٦/٤٧ ؛ ١٠/٤٧ ؛ ١/٤٨ ؛ ٢٢/٤٨ ؛
٥/٤٩ ؛ ٦/٥١ ؛ ١٦/٦٠ ؛ ١٤/٩٦ ؛ ١٥/٢٥١ ت ١١/٤٧ ؛ ١٦/٤٧
طفيل الغنوي : ت ١١/٤٧
الطوسي : ت ١٠/١٨٧
الطيالسي ، أبو داود سليمان بن داود بن الجارود الفارسي : ت ١١/٦٦
طيفوز بن عيسى بن آدم = أبو يزيد البسطامي .
(ع)

عامر بن شراحيل = الشعبي .
عامر بن طفيل : ٢٢/٦٧
عائشة بنت طلحة : ١٥/٨٣ .

- عباد بن زياد : ١/٢٧ ت ٥/٢٦
عبادة بن ماء السماء : ٢٠/١٩٣ ؛ ٢٣/١٩٥
العباس بن الأحنف : ٧/١٠٩
العباس بن عبد المطلب : ٩/٦٣
العباس بن الفرّج = أبو الفضل الرياشي .
عبد الأعلى بن عبد الأعلى السامي البصري : ٥/٨٤
عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد العيشي : ١٦/٨٣
عبد الرحمن بن عنبسة : ٣/٥٠
عبد الرحمن بن عيسى الهمداني : ٢/١٥٦ ؛ ١٠/١٥٦ ؛ ١٣/١٥٧ ؛ ٢١/١٥٧ ،
٧/١٥٨ ؛ ١٢/١٥٩ ، ت ٢/١٥٦ ؛ ٣/١٥٦ ؛ ١/١٥٨
عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله = أبو البركات بن الأنباري .
عبد الرحمن بن محمد بن عثمان ، جلال الدين السيوطي = السيوطي .
عبد السلام هارون : ت ٤/٢١٨
عبد الصمد بن المعتدل : ١٥/١٣٣
عبد العزّي بن عبد المطلب = أبو لهب .
عبد الكريم الدجيلي : ت ٤/١٨٧
عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي النحوي = ابن أبي إسحاق .
عبد الله بن أبي عوف الخزاعي : ت ٨/٣١
عبد الله بن أحمد = ابن الخشاب البغدادي .
عبد الله بن أحمد بن محمد بن غلاب الباهلي = غلام خليل .
عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي : ١٢/٨١
عبد الله بن إسماعيل = ابن زينب المراكبي .
عبد الله بن بري بن عبد الجبار المصري = ابن بري .
عبد الله بن الحارث السهمي ، المعروف بالمهريق : ت ١٢/٥١
عبد الله بن خالد الأموي : ٦/١٢٢
عبد الله بن الزبير : ١٧/٨٩
عبد الله بن سخبرة ، أبو معمر = أبو معمر .
عبد الله بن طاهر : ١٢/١٤٦ ؛ ١٢/١٤٧

- عبد الله بن عباس : ٢/٢٢٥ ت ٦/٢١٧
عبد الله بن عبد الرحمن الإصفهاني ، أبو القاسم : ١٤/١٨٧
عبد الله بن عتيق : ١٣/١١٠
عبد الله بن عمر : ١٧/٤٢
عبد الله بن محمد الأموي الأسباني : ١٤/١٩٣
عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي = البطليوسي .
عبد الله بن مسعود : ٥/٨٦ ؛ ٨/٨٦
عبد الله بن مسلم بن قتيبة = ابن قتيبة الدينوري .
عبد الله بن مسلم الهذلي : ٦/١٠٠
عبد الله بن المقفع = ابن المقفع .
عبد الله بن يحيى أبو محمد بن كناسة = ابن كناسة .
عبد الملك بن بشر بن مروان (والي البصرة) : ٢/٢٥٥
عبد الملك بن قريب = الأصمعي .
عبد الملك بن مروان : ت ٧/١٣٤
عبد الملك بن هشام = ابن هشام .
عبد مناف : ١٣/٣٥
عبد الوارث بن سعيد : ٣/٨١
عبد الوهاب الثقفي : ٥/٩١
عبيد بن الأبرص : ت ١/٥٣
عبيد بن أيوب ، أحد لصوص العرب : ٤/٢٤٧
عبيد الله بن أبي طاهر : ت ١٩/١٩٠
عبيد الله بن أحمد ، أبو القاسم بن خرداذبة = ابن خرداذبة .
عبيد الله بن زياد : ١٢/٢٥ ؛ ١/٢٦ ؛ ٥/٢٦ ؛ ١١/٢٦ ؛ ٣/٢٧ ؛ ١٢/٢٧
عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : ٨/١٤٥ ؛ ١٩/١٤٧
عبيد الله بن قيس الرقيات : ١٤/٥٧
عبيد الله بن محمد العيشي : ١٥/٨٣
عتبان بن وصيلة = أبو المنهال .
عتبة بن غزوان : ٢/٣٤

- عثمان بن أبي العاص الثقفي : ١٦/٣٤
عثمان بن جنى ، أبو الفتح = ابن جنى .
عثمان بن عفان : ٣/٢٥١
العجاج الراجز : ١١/١٠٠ ت ١٤/٥١ ؛ ١٢/١٧٩ ؛ ٢/١٨٥
العجلي (صاحب كتاب الجرح والتعديل) : ت ٨/٨٠
العديل بن الفرخ العجلي : ١٤/٨٩ ، ت ١٣/٥١
عدى بن زيد : ١٢/٦٠
عروة بن الورد : ت ٥/١٧٢
عريب الخادم : ١/٢٠٦
العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل = أبو هلال العسكري .
عضد الدولة ، أبو شجاع فناخسرو : ٥/١٧٥ ؛ ٧/١٨٨
عقبة بن ربيعة : ٦/٦٦
العقيلي : ت ٤/٢٣٤
العكبرى ، أبو البقاء عبد الله بن الحسين البغدادي : ت ٢/١٦٨ ؛ ٩/١٧٨ ؛
١/١٧٩ ؛ ٤/١٧٩ ؛ ٣/١٨٠ ؛ ٦/١٨١ ؛ ٦/١٩٠
العلاء بن هلال : ت ١٣/٨٦
علي بن أبي زيد الفصيحى = الفصيحى .
علي بن أبي طالب : ٢١/٢١ ؛ ٦/٣٥
علي بن أحمد بن محمد الواحدى = الواحدى .
علي بن بسام أبو الحسن = ابن بسام .
علي بن الجهم : ١١/١٢٩
علي بن الحسن بن علي الباخرزى = الباخرزى .
علي بن الحسين الإصبهاني ، أبو الفرج = أبو الفرج الإصفهاني .
علي بن الحسين بن موسى = الشريف المرتضى .
علي بن حمزة أبو الحسن الكسائي = الكسائي .
علي بن الخليل = البردخت .
علي زين العابدين : ٦/٣٥
علي بن سليمان (شارح سفر التكوين) : ت ٥/١١٢

- على بن سليمان الأنخفش = الأنخفش الأصغر .
على القارى بن سليمان الفاسى : ١/١١٢ ؛ ١٤/١١٧
على بن العباس بن جريج = ابن الرومى .
على بن عبد الله بن حمدان = سيف الدولة .
على بن محمد الحماني العلوى : ١٣/١٤٤ ؛ ١٦/١٤٤
على بن محمد بن خروف النحوى = ابن خروف .
على بن محمد بن العباس التوحيدى = أبو حيان التوحيدى .
على بن محمد بن عبد الله المدائنى = المدائنى .
على بن محمد الإسكافى ، أبو القاسم = الإسكافى .
على بن يحيى المنجم = ابن المنجم .
عمار الكلبي : ١٦/١٦٨
عمار الكلابى : ت ٣/١٦٨
عمارة بن عقيل : ٢٠/١٣٠
العماني ، محمد بن ذؤيب : ١٣/١٠١
عمر بن أبى ربيعة : ١٧/٥٤
عمر بن الخطاب : ٩/١٩ ؛ ١٢/١٩ ؛ ٨/٣٥ ؛ ١١/٨٥ ؛ ٤/٨٦ ؛ ١٩/٢٣٣ ،
١/٢٤٨
عمر بن شبة : ت ٥/٧٧
عمر بن عبد العزيز : ١٣/٣٧ ؛ ٣/٨٦
عمر بن عبد الملك ، أبو النضير الشاعر = أبو النضير .
عمر بن هبيرة : ١٥/٣٨
عمرو بن الأهتم : ت ٤/٧٥
عمرو بن شراحيل ، أو شرحبيل الصبحاني = أبو ميسرة .
عمرو بن عبيد : ١٣/٦٧ ؛ ٢٠/٦٧ ؛ ٣/٦٨ ؛ ١/٨٨ ؛ ٥/١٥٤
عمرو بن عثمان بن قنبر = سيديوه .
عمرو بن مسلم ، أخو قتبية بن مسلم : ١١/٣٧
عنيسة بن معدان : ت ٧/٥٦
عنزة : ١٤/٩٠ ، ت ٩/٥٦

عوانة ، أبو الحكم بن الحكم بن عياض الكلبي : ت ٣/٣٨
عوف بن الأحوص : ت ٨/١٣٤
عويمر بن مالك = أبو الدرداء .
عيسى بن عمر الثقفي : ت ١٣/١٢٧
عيسى بن يزيد بن دأب : ٥/٧٦ ؛ ١/٧٧ ؛ ٦/٧٧
عيشة (بدلا من عائشة) : ١٢/٨٣
العيشي : ١٤/٨٣
العيني ، محمود بن أحمد العنتابي الحنفي : ت ١٧/٥١ ؛ ٦/٧٣ ؛ ٥/١٦٣

(غ)

الغزالي ، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد = أبو حامد الغزالي .
غلام خليل ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن غلاب الباهلي : ٨/٨٧
غنية ، أم الهيثم الأعرابية = أم الهيثم .
غيلان بن عقبة = ذو الرمة .

(ف)

الفاسي ، أبو عمران موسى بن عيسى : ت ٥/١١٣
فان فلو تن Van Vloten : ت ٦/٤٥ ؛ ٩/٤٥ ؛ ٨/٦٢ ؛ ٩/١٢١ ؛ ٦/١٢٤ ؛ ٧/١٢٤ ؛ ١٢/١٢٤ ؛ ١/١٢٨ ؛ ٢/١٣٧ ؛ ٥/٢١٣
فايل G. Weil : ت ٣/٢٣٥
الفتح بن خاقان : ١٨/١٣٦ ؛ ٧/١٣٧ ت ٥/١٣٧
الفراء ، يحيى بن زياد أبو زكريا : ١٤/٩٣ ؛ ٢١/٩٣ ؛ ١٢/١٤٧ ؛ ١٣/١٤٧ ؛ ٢/١٧٩ ت ١٥/١٦ ؛ ١٧/١٦ ؛ ٢١/١٦ ؛ ٢٧/١٦ ؛ ١/١٦
فران G. Ferrand : ت ٥/٢٥
فرايتاج Freitag : ت ٩/٨٩ ؛ ٩/١٠٠ ؛ ١/٢٤٤
الفرزدق ، همام بن غالب : ١٢/٣٠ ؛ ١٩/٣٠ ؛ ٢٠/٣٠ ؛ ٤/٣١ ؛ ٣/٤٦ ؛ ١٠/٤٦ ؛ ١٦/٤٦ ؛ ١٠/٥٢ ؛ ١٠/٥٦ ؛ ٧/٥٦ ؛ ٩/٩٥ ؛ ١/١٣١ ؛ ٢/٢٠٣ ت ١/٢٣ ؛ ٦/٥٦ ؛ ٧/٥٦ ؛ ٣/٩٥ ؛ ٧/٩٩
١٠/١٠٣ ؛ ٣/١٢١ ؛ ٣/٢٤٧ ؛ ١/٢٥١
فرنكل Fraenkel : ت ١/٢٠٣ ؛ ٢/٢٠٤ ؛ ٥/٢٠٤

- فريدلندر Friedländer : ت ١/١١٣
فستنفلد Wüstenfeld : ت ٢/٥٠ ؛ ٥/٦٠ ؛ ٢/١٠٨
فسخراء ، جلد أبي صفرة : ت ١١/٣٤
الفصيحى ، على بن أبي زيد : ٣/٢١٩ ؛ ٤/٢١٩
الفضل بن الحباب = أبو خليفة الجمحي .
الفضل الرقاشي : ت ٣/٧٨
الفضل بن سهل ، ذو الرياستين : ١/٩٢
الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب : ١٢/٣٥
الفضل بن محمد القصباني النحوى : ١٤/٢٢٠
الفضل بن مروان الكاتب وزير المعتصم : ١٨/١٣٥ ؛ ٢/١٣٦
فك J. Fück : ٧/٤ ؛ ٣/٥ ؛ ٩/٥ ؛ ١٣/٥ ؛ ١٨/٥ ؛ ١/٧ ؛ ٩/١٠ ؛
٨/١١ ؛ ١/١٢ ؛ ٥/١٢ ؛ ١٦/١٢ ؛ ت ٣/٨ ؛ ٦/١٠ ؛ ١٤/١٢٧ ؛
٣/١٣٣
فلوجل G. Flügel : ت ٦/١٣٧ ؛ ١/٢١٣
فلهاوزن J. Wellhausen : ت ٥/١٩ ؛ ٦/٢٦ ؛ ٤/٣٣ ؛ ٢/٣٤ ؛
١٢/٣٥ ؛ ٣/٤٠ ؛ ٥/٤٣ ؛ ٩/٤٧ ؛ ٩/٥٤ ؛ ١٨/٧٦ ؛ ١٥/٨١ ؛
٤/٩١ ؛ ١/٩١
فليشر Fleischer : ت ٦/٥٧ ؛ ١٣/٨١ ؛ ٣/١١٧ ؛ ٥/١٧٧ ؛ ٦/١٧٨ ؛
٦/١٨٠ ؛ ١/٢١٠ ؛ ٩/٢١٣
فنسنك Wensinck : ت ٥/٩٠ ؛ ٣/١٠٨ ؛ ٢/١٢٧ ؛ ٢/٢٠٠ ؛ ٤/٢١٧ ؛
١/٢٤٤ ؛ ٧/٢٤٤
فوللرز K. Vollers : ت ٢٢/٧ ؛ ٤/٧ ؛ ١٠/٨ ؛ ١/١٦ ؛ ١٠/٢٨ ؛
١/٣٢ ؛ ٧/٣٥ ؛ ٢/١١٣ ؛ ١٤/١٧١
فون كريم Von Krämer : ت ٣/٢٢٢
فيت G. Wiet : ٤/٣٢
فير H. Wehr : ت ٢/٢١٤
فيشر A. Fischer : ت ١٠/٦ ؛ ٢/٨ ؛ ٣/٥٢ ؛ ٢/٥٣ ؛ ١٢/٥٦ ؛ ٧/٦١ ؛
٨/٨٥ ؛ ١٠/١٠١ ؛ ٢/١٠٣ ؛ ٣/١١١ ؛ ١٢/١١٦ ؛ ٦/١٢٧ ؛
٣/١٧٦ ؛ ٢/١٨٥ ؛ ٣/٢٠٥

فيل الغزو : ٣/٢٦

(ق)

القاسم التمار : ١٨/١٢٨

القاسم بن عبد الله ، وزير المعتضد : ٨/١٤٨

القاسم بن علي الحريري = الحريري .

القاسم بن عيسى بن معقل = أبو دلف العجلي .

القاسم بن محمد بن أبي بكر : ٦/٣٥

القاسم بن محمد الثقفي : ت ٤/٣٩

القاسم بن محمد بن القاسم : ١١/٣٩ ت ٣/٣٩

قالون ، عيسى بن مينا : ٥/٧٩

القالى ، أبو علي إسماعيل بن القاسم : ت ١١/٢٦ ؛ ٦/٤٠ ؛ ٤/٤١ ؛ ٩/٤٣ ؛

٤/٤٩ ؛ ٦/٥١ ؛ ٦/٧٦ ؛ ٣/١٢٧ ؛ ٢/١٣٣ ؛ ٢/١٧٥ ؛ ٢/١٧٩ ؛ ١٣/١٧٩ ؛

٧/١٨٣ ؛ ٥/٢٤٤ ؛ ٦/٢٤٥ ؛ ١١/٢٤٥ ؛ ١/٢٤٦ ؛ ٢/٢٤٦ ؛

٦/٢٤٧ ؛ ١٠/٢٤٧ ؛ ١١/٢٤٧ ؛ ١٣/٢٤٧ ؛ ١/٢٤٨ ؛ ١٠/٢٤٨ ؛

٢/٢٥١ ؛ ٣/٢٥١

القتال الكلابي ، عبد الله بن المضرحى : ٦/٢٤٨

قتيبة بن مسلم : ١١/٣٧ .

قدامة بن جعفر : ١٦/١٥٠ ؛ ١٥/١٥١ ؛ ٢٥/١٥١ ؛ ١/١٥٢ ؛ ١٠/١٥٢ ؛

٧/١٥٣ ؛ ١٦/١٥٤ ؛ ٥/١٥٤ ؛ ١٠/١٥٤ ؛ ٨/١٥٥ ؛ ١٧/١٥٥ ؛

١٩/١٥٥ ؛ ١٤/١٥٥ ؛ ٤/١٥٦ ؛ ١٠/١٥٦ ؛ ١٣/١٥٧ ؛ ١/٢٥٠ ؛

ت ٦/٣٧ ؛ ٤/٤٨ ؛ ١/١٥٠ ؛ ١٩/١٥٤ ؛ ٢٥/١٥٤ ؛ ٢/١٥٦ ؛

٣/١٥٦ ؛ ٦/٢٥٠

القدسى ، حسام الدين : ت ١٠/٩٤

القرزاز القيرواني : ت ١٣/١٨١

القسطلاني ، أحمد بن محمد بن أبي بكر : ت ٨/٨٢ ؛ ١/٢٢٢ ؛ ٢/٢٣٧

القطامي ، عمير بن شليم : ت ١/٥٢

قطرب ، أبو علي محمد بن المستنير : ٢٠/١٤٥ ت ١٠/٧٦ ؛ ١٢/٧٦ ؛

٧/١١٢ ؛ ٥/٢٥٢

قعنبن بن أم صاحب : ١٠/٢٤٤ ت ١١/١٧٩
القلقشندی ، أبو العباس أحمد بن علی : ت ٦/٣٧ ؛ ١٠/٧٨
قیس بن عاصم : ت ٥/٧٥

(ك)

کاله P. Kahle : ت ٧/١٦ ، ٩/١٦ ؛ ١٥/١٦ ؛ ٨/١٧
کامل (من زعماء بدو المنتفق) : ٤/٥٣
الکتبی = ابن شاکر .

کثیر بن أبی کثیر البصری : ٣/٣٨

کثیر عزة : ١٢/٥٨ ؛ ١٥/٩٠

کراتشکوفسکی Kratschkowsky : ت ١٠/٥٤

کرسٹسن Christensen : ت ١/٦٤

کرنکو Krenkow : ت ٤/٣٩ ؛ ٧/٤٥ ؛ ١١/٤٥ ؛ ١١/٤٧ ؛

١٣/٤٧ ؛ ٤/٦٩ ؛ ٦/٦٩ ؛ ٦/٢٥١

الکسائی ، أبو الحسن علی بن حمزة : ١٦/٦١ ؛ ١٨/٦٩ ؛ ٢١/٦٩ ؛

٧/٧٠ ؛ ١٣/٧٠ ؛ ١٤/٩٣ ؛ ٤/٩٥ ؛ ١٣/٩٥ ؛ ١٧/٩٥ ؛ ٥/٩٧ ؛

٧/٩٧ ؛ ١٥/٩٧ ؛ ١/٩٨ ؛ ٣/٩٨ ؛ ٨/٩٨ ؛ ١٤/٩٨ ؛ ١٥/٩٨

کعب الأشقر : ٣/٣٥ ت ٩/٣٤

کعب بن زهیر : ت ١٢/١٧٨

کلر H. Keller : ت ٢/١٤٣

الکیت بن زید : ٦/٤٧ ؛ ١٠/٤٧ ، ٥/٤٩ ؛ ٦/٤٩ ؛ ١٥/٤٩ ؛

٢/٥٠ ؛ ٨/٥٠ ؛ ١٤/٥٠ ؛ ١١/٥١ ؛ ٧/٥٢ ؛ ١٦/٦٠ ؛ ٣/٧١ ؛

١٤/١٧٨ ؛ ١١/١٨٠ ت ١٥/٤٧

الکتوری ، السید حسین بن السید محمد القولی النیسابوری (صاحب

کشف الحجب) : ت ٩/١٨٧

کندرمان Kindermann : ت ٩/٢٠٢

کندری : ٥/٥٣

کوفلر H. Koffler : ت ١/١٩ ؛ ٤/٢٥٢

(ل)

- ليبد بن ربيعة العامري : ٦/٢٤٤ : ت ٣/١٨١
ليبرت Lippert : ت ٣/٩٢
اللمحياني علي بن المبارك : ت ٤/١٨٥
لذزبارسكي Lidsbarsky : ت ١٠/٢٠٢
لغده الإصيهاني : ٤/١٣٠
لويس شيخو : ت ١/١٥٥
ليتمان E. Littmann : ت ١/٣٢
الليث بن المظفر : ٧/٢٣١ : ت ١/٦٢
ليلي العامرية : ٤/٥٥ ؛ ٨/٥٥
لين Lane : ت ١٢/٢٩ ؛ ٥/٥٤ ؛ ٢/٦٢
ليني بروفنسال Lévy Provençal : ت ٦/٣١
ليني دلا فيدا Levi Della Vida : ت ٢/٥٥

(م)

- المأمون : ١٧/٦٩ ؛ ١٤/٨٢ ؛ ١٨/٩١ ؛ ٨/٩٤ ؛ ١/١١٩ ؛ ١٠/١١٩ ؛
١٠/١٣٣ ؛ ٣/١٣٥ ؛ ٦/١٣٥ ؛ ٧/١٣٥ ؛ ١٤/١٣٥ ؛ ١٦/١٣٥ ؛
٥/٢٤٦ ؛ ٤/١٣٦ ؛ ٩/١٣٨ ؛ ١١/١٤٦ : ت ٥/٢٤٦
مارسيي Marcais : ت ١/٢٠٠
ماركوارت Marquart : ت ٦/٢٥ ؛ ١٢/٣٤
المازني ، أبو عثمان بكر بن محمد : ت ٦/٧٩
ماكدونالد Macdonald : ت ٦/٢١٣
مالك بن أسماء ، صهر الحجاج : ٩/٢٤٨ ؛ ٩/٢٥٣
مالك بن أنس التميمي القرشي : ١٧/٤٢ ؛ ١٢/٧٧ ؛ ١٥/٧٧ ؛ ١٣/٨٢ ؛
ت ٣/٢٣٦
مالك بن الريب : ت ١٠/٥٦
المبرد ، محمد بن يزيد ، أبو العباس : ١٦/٤٥ ؛ ١/٤٦ ؛ ٢٤/٤٨ ؛
١٤/١٢٩ ؛ ٢٢/١٣٠ ؛ ١/١٣٤ ؛ ٥/١٣٤ ؛ ١٤/١٤٩ ؛ ١٩/٢٢٦ ؛
ت ٥/٢٣ ؛ ٢/٢٦ ؛ ١/٣٦ ؛ ٦/٣٧ ؛ ١/٤٠ ؛ ٢/٤٣ ؛ ١٢/٥١ ؛

٨/٥٧ ؛ ١٠/٥٧ ؛ ١١/٥٧ ؛ ٣/٨٢ ؛ ٣/٩٥ ؛ ٧/٩٩ ؛ ١٨/١٢٢ ؛
٢/١٣٠ ؛ ٤/١٣١ ؛ ٧/١٣١ ؛ ١/١٨١ ؛ ٣/٢٤٣ ؛ ١٣/٢٤٥ ؛
١٢/٢٥٠

المبرق = عبد الله بن الحارث السهمي .

Mez : ت ١٤/١٢٤ ؛ ٢/١٥٢

المتقى (صاحب كنز العمال) : ت ١٣/٣١

المتلمس ، جرير بن عبد المسيح : ت ١٠/٥١

المتنبي ، أحمد بن الحسين ، أبو الطيب : ٢٢/١٧٠ ؛ ٩/١٧٥ ؛ ١٤/١٧٦ ؛
٩/١٧٧ ؛ ١٢/١٧٨ ؛ ١٠/١٧٩ ؛ ٣/١٨١ ؛ ١٠/١٨١ ؛ ١١/١٨١ ؛
٢/١٨٢ ؛ ١٢/١٨٢ ؛ ٢١/١٨٢ ؛ ٢٢/١٨٢ ؛ ١/١٨٤ ؛ ٢/١٨٤ ؛
٧/١٨٤ ؛ ١٨/١٨٤ ؛ ٤/١٨٥ ؛ ٦/١٨٥ ؛ ٨/١٨٥ ؛ ١٨/١٨٥ ؛
٢/١٨٦ ؛ ١٨/١٨٦ ؛ ٢٠/١٨٦ ؛ ١٠/١٨٧ ؛ ٢/١٨٨ ؛ ٤/١٨٨ ؛
١٤/١٨٨ ؛ ٧/١٩٠ ت ٤/٥٣ ؛ ٢/١٦٨ ؛ ٣/١٧٠ ؛ ١/١٧٨ ؛
٣/١٧٩ ؛ ٧/١٨١ ؛ ٨/١٨١ ؛ ١٠/١٨١ ؛ ١٣/١٨١ ؛ ٦/١٨٧ ؛
٩/١٨٧ ؛ ١١/١٨٧

المتوكل : ١٢/١٢٩ ؛ ١٦/١٤٦

Meg : ت ١٣/٧٨

المجنون : ٥/٥٥ ؛ ٦/٥٥ ؛ ٧/٥٥

محب الدين أفندي (شارح الكشاف) : ت ١٣/٢٤٨

محمد أمين الخانجي : ت ٣/١٤٩

محمد بن إبراهيم الفزاري : ١٣/١٠٥

محمد البلعمي ، أبو علي = البلعمي

محمد بن أبي عون الحاجب : ٢٠/١٤٦

محمد بن أبي مؤمل : ٩/١٢٨

محمد بن أحمد ، أبو عبد الله بن ثوبة = ابن ثوبة .

محمد بن أحمد بن فورجة = ابن فورجة .

محمد بن أحمد المقدسي ، أبو عبد الله = المقدسي .

محمد بن إسحاق بن النديم (صاحب الفهرست) = ابن النديم .

- محمد بن بشير : ت ١/١٠٣
محمد بن الحارث التغلبي : ٦/١٣٧ ت ٤/١٣٧
محمد بن حازم الباهلي : ت ٥/٢٤٦
محمد بن حبيب : ٢/١٣٧
محمد بن الحسن الأحول النحوي : ١٠/١٤٩
محمد بن الحسن ، أبو بكر بن دريد = ابن دريد .
محمد بن الحسين ، أبو الفضل بن العميد = ابن العميد .
محمد بن الحسين بن موسى = الشريف الرضي .
محمد بن حميد الطوسي : ١١/١٣٢
محمد الديباجة : ١٤/١٤٤
محمد بن ذؤيب = العاني .
محمد الراوية ، المعروف بالبيدق = البيدق .
محمد بن زياد الكوفي = ابن الأعرابي .
محمد بن سعد كاتب الواقدي = ابن سعد .
محمد بن سلام الجمحي = ابن سلام .
محمد بن سيرين = ابن سيرين .
محمد بن شاذان الكندي = ابن شاذان الكندي .
محمد بن شاذان : ت ١/١٠٤
محمد صالح التكريتي : ت ٩/٢١٨
محمد بن العباس أبو بكر الخوارزمي = أبو بكر الخوارزمي .
محمد بن عبد الله الجعفي = الجعفي البصري .
محمد بن عبد الله بن مالك النحوي .
محمد بن عبد الله بن طاهر : ١٤/١٤٦ ؛ ٦/١٤٧ ؛ ١٤/١٤٧
محمد بن عبد الله أبو جعفر بن قادم = ابن قادم النحوي .
محمد بن عبد الله الكاتب البصري = المنفجع .
محمد بن عبد الله بن ظفر = ابن ظفر .
محمد بن عبد الملك الزيات = ابن الزيات .
محمد بن عبد الملك بن قزمان = ابن قزمان .

- محمد عبد المنعم خفاجي : ت ٥/١٤٩
محمد بن عبد الوهاب الثقفي : ٣/٩١ ؛ ٥/٩١
محمد بن عبدوس الجهشياري = الجهشياري .
محمد بن العساف الشجري الأعرابي : ٦١/١٦٧
محمد علي : ٨/٢٣٩
محمد بن عمر بن واقد ، أبو عبد الله الواقدى = الواقدى .
محمد بن عمران أبو عبد الله المرزباني = المرزباني .
محمد فؤاد عبد الباقي : ت ١٢/٢٣٥
محمد بن القاسم الثقفي : ت ٦/٣٩
محمد بن القاسم بن بشار ، أبو بكر بن الأنباري = أبو بكر بن الأنباري .
محمد بن محمد بن محمد الغزالي = أبو حامد الغزالي .
محمد بن محمود المقبري الضريس : ١٤/١٩٣
محمد بن المستنير ، أبو علي قطرب النحوي = قطرب .
محمد بن مناذر = ابن مناذر .
محمد بن يسير : ١/١٠٣
محمد بن يحيى بن أبان : ٧/١٣٠
محمد بن يحيى الصولي = أبو بكر الصولي .
محمود حمدي البولاتي : ت ٢/١٩٧
محمود بن محمد (السلطان) : ١/٢١٦
محمود بن عمر الزمخشري = الزمخشري .
المدائني ، علي بن محمد بن عبد الله ، أبو الحسن : ١٢/٤٠ ت ٦/٢٨
مرداذا ، أبو أبي صفرة : ت ١١/٣٤
مرجانة : ١٣/٢٥ ت ١٥/٢٥
مرجليوث Margoliouth : ت ٨/١٧١
المرزباني ، محمد بن عمران ، أبو عبد الله : ت ٥/٥٦ ؛ ٧/٥٦ ؛ ٦/٧٠ ؛
٥/٩٤ ؛ ٩/١١٢ ؛ ٤/١٢٩ ؛ ١/١٣٤ ؛ ٣/٢٤٩
المرزوقي ، أحمد بن محمد بن الحسن : ٥/٤٨ ت ٣/٢١٨
المرقس الأصغر ، ربيعة بن سفيان ، أو عمرو بن حرملة : ٦/٧٢ ؛ ١٠/٧٢

- مروان بن أبي حفصة : ٢٠/٧٠
مروان بن الحكم : ٧/٢٤٨
مزدك : ٤/١٠٥
مساور الوراق : ٨/٧٢
مسعر بن كدام : ٣/٢٨
مسعر بن مهلهل الينبوعي = أبو دلف الخزرجي .
المسعودي ، أبو الحسن علي بن الحسين : ت ٤/٣٥ ؛ ١٠/١٢٣ ؛ ١٠/١٤٤ ؛
٤/٢٠٣ ؛ ٣/١٤٨
مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري : ٤/٢٣٦ ت ٨/٨٢ ؛ ٣/٢٣٦ ؛
١/٢٣٧
مسلم بن الوليد ٥/١٠٢ ت ٣/٢٠٣
مسلمة بن عبد الملك : ١٥/٣٥ ؛ ١٠/٣٧
المطرزي ، أبو الفتح ناصر بن عبد السيد : ت ١٠/٧٥
معاوية بن أبي سفيان : ٩/٢٦ ؛ ١٠/٢٦ ؛ ٨/٢٨ ؛ ٦/٣٤ ؛ ٧/٣٤
معاوية بن بكر العمليقي : ٧/٢٤٦
معاوية بن عبيد الله الأشعري ، وزير المهدي : ٥/١٢٩
المعتصم : ١٠/١٣٣ ؛ ١٨/١٣٥ ؛ ٣/١٣٦ ؛ ١٤/١٣٦ ؛ ١٩/١٣٦ ؛
١٣/١٣٨ ؛ ٩/١٣٨
المعتضد : ٧/١٤٨
معد بن عدنان : ١٤/٦٢
المعلوط : ت ١٥/٢٤٥
المغيرة بن حَبْشَاء : ٢/٤٣
المغيرة بن سعيد الشيعي : ١١/٤٠
المغيرة بن شعبة : ت ١/٩١
المغيرة بن عبد الرحمن بن الحارث : ٩/٣٧ ت ٨/٣٧
المغيرة بن المهلب : ١٣/٤٣
المفجع ، محمد بن عبد الله الكاتب البصري : ١٧/١٤٩
المفضل الضبي : ٦/٧١ ت ٧/٧١

المفضل بن سلمة : ت ١١/٢٣ ؛ ٨/٣٥
المقدسى ، أبو عبد الله محمد بن أحمد : ١٤/١٧٤ ؛ ٢٣/١٧٥ ؛ ٤/١٩٨ ؛
٢٣/١٩٩ ؛ ١١/٢٠٠ ؛ ١٨/٢٠٠ ؛ ٩/٢٠١ ؛ ٢/٢٠٢ ؛ ٩/٢٠٣ ؛
١٤/٢٠٣ ؛ ٩/٢٠٤ ؛ ٦/٢٠٥ ؛ ١٧/٢٠٥ ؛ ١/٢٠٦ ؛ ٤/٢٠٦ ؛
١١/٢٠٦ ؛ ١٣/٢٠٦ ؛ ١/٢٠٧ ؛ ١٣/٢٠٨ ؛ ١٩/٢٠٨ ؛ ٢٥/٢٠٨ ؛
٢/٢٠٩ ؛ ١١/٢١٢ ؛ ١٦/٢١٢ ؛ ١٨/٢١٢ ؛ ت ٧/١١٣ ؛
٩/١٩٠ ؛ ٦/٢٠٤

المقرى ، أبو العباس أحمد بن محمد : ت ١/٢٣٦

مكارتنى Macartny ت ٨/٥٢ ؛ ١/٢٤٧

مكحول الدمشقى : ١٤/٤٢

ملك شاه : ٢١/٢١٥

المنصور : ٨/٦٢ ؛ ١٦/٦٨ ؛ ١٨/٦٨ ؛ ٥/٩٣ ؛ ٧/٩٤

المهدى : ٨/٦٢ ؛ ٩/٦٢ ؛ ٢١/٦٤ ؛ ٤/٩١ ؛ ٦/٩٣ ؛ ٥/١٢٩

المهدى شيخ أبي بكر بن على الصنهاجى : ت ٦/٣١

مهدى بن مهلهل : ٨/٨٤

المهلب بن أبي صفرة : ٢٢/٤٢ ؛ ١٠/٤٣ ؛ ت ١/١٠٢

المهلبى ، أبو محمد الحسن بن محمد ، الوزير : ٢٠/١٧٣

المهلهل ، عدى بن ربيعة : ت ١١/٥١

مورتنس B. Moritz : ت ٦/٢٢

موسى بن سيار الأسوارى : ١٤/١٢٠

موسى بن ميمون : ٢/١١٣

موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف الطيب : ٤/١٩١

مولر A. Müller : ت ٢/١١٧ ؛ ٢/١٦٥ ؛ ٣/٢٣٧

موهوب بن أحمد ، أبو منصور الجوالقى = الجوالقى .

الميدانى ، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابورى : ت ٥/٥١ ؛ ٢/٥٢ ؛

٣/١٠١ ؛ ٣/٢٤٦ ؛ ١٤/٢٤٨ ؛ ٩/٢٥٠

ميلك P. Mielck : ت ٥/٢٣٢

الميمنى ، عبد العزيز الراجكوتى : ت ٨/٣٧ ؛ ٦/٩٧ ؛ ١٢/٩٧

ميمون بن قيس = الأعشى .

ميمون بن هارون ، كاتب إسحاق بن إبراهيم المصعبي : ٥/١٣٥
(ن)

الناطقة الذبياني ، زياد بن معاوية : ١٣/٥٦ ت ١/٥٢ ؛ ١/٥٦
بالبليون : ٦/٢٣٩

ناصرى خسرو (الرحالة الفارسي) : ١٨/١٨٨

نافع بن أبي نعيم المديني القاريء : ١٦/٤٢ ؛ ١٧/٤٢ ؛ ٦/٧٨ ؛ ٧/٧٩ ؛
٥/٧٩ ت

نافع بن الأزرق : ت ٥/٢١٧

نافع بن جبير : ١٠/٣٧

نافع ، أبو عبد الله مولى ابن عمر : ١٧/٤٢

النجاد ، الفقيه الحنبلي ، أبو بكر أحمد بن سليمان بن الحسن : ١٧/٨٦

النجار ، عبد الحلیم النجار : ٤/٣ ؛ ٥/٤ ت ١١/١٧ ؛ ٥/٢٠ ؛ ٢/٤٥ ؛
٤/٥٧ ؛ ١٢/٥٧ ؛ ٣/٩٠ ؛ ١٢/٩٧ ؛ ٨/١٠٢ ؛ ١٢/١٠٣ ؛

١١/١٨١ ؛ ٣/١٦٩

نجيب الخانجي : ٨/٣

النحاس النحوي المصري ، أبو جعفر أحمد محمد بن إسماعيل : ١٢/٤١

النسائي ، أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب : ١٦/٨٤ ت ٤/٢٣٦

نشوان الحميري : ت ٨/١٦٣

نصر بن سيار : ١/٤٠ ؛ ٢/٤٠ ؛ ١٠/٤٤ ؛ ١٢/١١١

النضر بن شميل : ١١/١١٣

نظام الملك ، الحسن بن علي الطوسي : ٢١/٢١٥

النعمان بن ثابت = أبو حنيفة .

نفظويه ، إبراهيم بن محمد بن عرفة العتكي الأزدي : ١١/١٤٩

نفيع بن سمية ، أبو بكرة : ٢١/٣٣

النوبختي ، أبو محمد الحسن بن موسى : ت ٢/٤٠

نولدكه Th. Nöldeke : ١/٨٩ ؛ ت ٣/٧ ؛ ١/٨ ؛ ٨/١٠ ؛ ١١/١٠ ؛
٥/١٦ ؛ ٩/٢٣ ؛ ١/٢٤ ؛ ١/٢٥ ؛ ١٢/٢٥ ؛ ٣/٢٧ ؛ ٤/٣٥ ؛
٨/٣٨ ؛ ٥/٥٢ ؛ ١٤/٥٧ ؛ ٤/٦٧ ؛ ٥/٧٤ ؛ ١٥/٧٦ ؛ ١٤/٧٨ ؛
٧/٨٦ ؛ ٥/٩٩ ؛ ١/١٠٠ ؛ ٨/١٠٠ ؛ ٥/١٠٣ ؛ ٢/١١١ ؛ ١١/١٣٤ ؛
١/٢٠٥ ؛ ٥/٢٠٩ ؛ ٢/٢١٠ ؛ ٩/٢١٢ ؛ ١/٢٢٣ ؛ ١/٢٢٦ ؛
١/٢٣٢ ؛ ٢/٢٣١

النوى ، محي الدين يحيى بن شرف : ت ١٤/٣١ ؛ ١/٢٣٧

(ه)

الهادي : ٩/٦٢ ؛ ١/٧٧ ؛ ٩/٩٣ ؛ ٧/١٠٦

هارتمان M. Hartmann : ت ١/٨ ؛ ١٢/١٠ ؛ ٢/٩٣ ؛ ١/١٩٦

هارون الرشيد : ٥/٩١ ؛ ١/٩٣ ؛ ٩/٩٣ ؛ ٢١/٩٣ ؛ ١٠/٩٤ ؛

١٩/٩٤ ؛ ٧/٩٧ ؛ ١٦/٩٨ ؛ ٨/٩٩ ؛ ١٣/١٠١ ؛ ٢/١٠٢ ؛

٤/١٠٤ ؛ ٦/١٠٤ ؛ ١٨/١٠٤ ؛ ٩/١٠٥ ؛ ١٤/١٠٧ ؛ ٩/١١٢ ؛

١٠/١١٣ ؛ ٤/١١٩ ؛ ٨/١١٩ ؛ ٢/١٢ ؛ ت ٣/٣١

هبة الله بن جعفر = ابن سناء الملك .

هبة الله بن علي بن محمد بن حمزة العلوي ، أبو السعادات الشجري =

ابن الشجري .

هرمز الفارسي ، أبو إسماعيل بن أبي خالد الكوفي : ٢/٨٤

هشام بن حسان : ٧/٨٤

هشام بن عبد الملك : ٩/٤٣ ؛ ١١/٤٦ ؛ ١٦/٨٩

هشام بن معاوية النحوي الضرير : ١٤/١٣٥

هشام بن محمد بن السائب = ابن الكلبي .

هشيم بن بشير : ١٢/٨٢ ؛ ٥/٨٣ ؛ ٧/٨٣ ؛ ٩/٨٣

هلال بن العلاء الرقي : ١٥/٨٦ ؛ ت ١/٨٧

هل J. Hell : ت ٣/٥٥ ؛ ٥/٧٠

الهمداني ، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب : ٤/١٦١ ؛ ٦/١٦١ ؛

٢٠/١٦١ ؛ ٨/١٦٢ ؛ ٢٣/١٦٢ ؛ ٣/١٦٣ ؛ ٥/١٦٣ ؛ ١/١٦٤ ؛

٩/١٦٤ ؛ ٢٠/١٦٤ ؛ ٨/١٦٥ ؛ ٩/١٦٦ ؛ ١٦/١٦٦ ؛ ت ٥/٤٩ ؛

٤/١٠٧ ؛ ٤/١٠٨ ؛ ١/١٦٣ ؛ ١١/١٦٣ ؛ ١/١٦٤ ؛ ٢/١٦٤ ؛

٥/١٦٤ ؛ ١/١٦٥ ؛ ٣/١٦٥ ؛ ٤/١٦٥ ؛ ١/١٦٦ ؛ ٨/٢٤٦ ؛

Horn : ت ٨/٢٥ ؛ ١/٢٩ ؛ ١١/٢٩

الهيثم بن عدى = ابن عدى .

(و)

الواحدى ، على بن أحمد بن محمد : ١٨/١٧٦ ؛ ٧/١٧٩ ؛ ٧/١٨٧ ؛

ت ١/١٦٨ ؛ ٤/١٧٧ ؛ ١/١٧٨ ؛ ٥/١٧٨ ؛ ٨/١٧٨ ؛ ٤/١٧٩ ؛

٦/١٧٩ ؛ ١٠/١٧٩ ؛ ٣/١٨٠ ؛ ٦/١٨١ ؛ ٢/١٨٣ ؛ ٦/١٨٧ ؛

واصل بن عطاء : ٨/١٢٢

الواقدى ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد : ت ٤/٣٣ ؛ ١/١١٠ ؛

١١/٢٥٠

ورش ، عثمان بن سعيد المصرى : ٥/٧٩

ورقاء بن زهير : ت ٤/٩٦

وكيع بن الجراح : ٩/٨٣ ؛ ١١/٨٣

الوليد بن عبد الملك : ٥/٣٧ ؛ ٩/٤٣ ؛ ١٤/٤٦ ؛ ١١/٢٤٤ ؛

الوليد بن عبيد ، أبو عبادة البحتري = البحتري .

الوليد بن عقبة : ت ٨/٤٧

الوليد بن يزيد : ٧/٣٦

وهب بن جرير : ١٣/٨١

(ى)

ياقوت بن على الحموى الرومى : ت ٣/٢٥ ؛ ٧/٣١ ؛ ١٠/٣٤ ؛

٤/٥٤ ؛ ١/٥٧ ؛ ١٦/٦٧ ؛ ٥/٧٧ ؛ ١٠/٨١ ؛ ١١/٨٢ ؛ ٩/١١٣ ؛

١٢/١١٣ ؛ ١١/١٢٧ ؛ ٢/١٤٤ ؛ ٢/٢١٩ ؛ ٨/٢٣٤ ؛ ١٣/٢٤٥ ؛

يحيى بن آدم بن سليمان : ت ٨/٣٣

يحيى بن خالد البرمكى : ١٦/٦١ ؛ ٢٣/٦٤

يحيى بن زياد ، أبو زكريا الفراء = الفراء .

يحيى بن المبارك ، أبو محمد اليزيدى = أبو محمد اليزيدى .

- يحيى بن نوفل الحميري : ٦/٤٠ ؛ ١٧/٤٠ ؛ ٢٦/٢٥٤
يحيى بن يعمر : ٣/١٢٧ ؛ ٦/١٢٧ .
يزيد بن أبي يزيد المعروف بالرشك = الرشك .
يزيد بن خالد بن عبد الله القسري : ٧/٥١
يزيد بن ربيعة بن مفرغ = ابن مفرغ .
يزيد بن عبد الملك : ١٠/٣١ ؛ ١٧/٣٥ ؛ ١٠/٢٤٦ ت ٤/٣١
يزيد بن المهلب : ٣/٣٥ ؛ ١٣/٤٨ ؛ ٤/١٢٧
يعقوب بن إبراهيم بن حبيب = أبو يوسف القاضي .
يعقوب بن السكيت = ابن السكيت .
يعمر السعدي = أبو نخيلة .
يعيش بن علي بن يعيش = ابن يعيش النحوي .
يهودا هليفي : ١/١٩٧ ت ٤/٢٤٥
يوسف بن خالد اليتيم : ١/٨٨ ؛ ٤/٨٨
يوسف بن عمر : ت ٧/٤٤
يونس بن حبيب الفارسي النحوي : ١/٥٨ ؛ ١٦/٧٠ ؛ ١١/٧١ ؛
١٢/٧١ ت ٥/١٧٩
اليونيني ، علي بن محمد البعلی الحنبلي الحافظ : ١٤/٢٣٥

فهرس مصادر الكتاب

(أ) المصادر العربية

(الهمزة)

- ١ - الإثقان فى علوم القرآن ، للسيوطى - نشر سديد الدين خان - كلكنا . ١٨٥٦ م .
- ٢ - أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم ، للمقدسى - نشر دى غويه - ليدن . ١٩٠٦ م .
- ٣ - الأحكام السلطانية ، للماوردى - نشر لإنجر - بون ١٨٥٣ م .
- ٤ - أخبار النحويين البصريين ، للسيرافى - نشر كرنكو - بيروت ١٩٣٥ م .
- ٥ - أدب الكاتب ، لابن قتيبة - نشر ماكس جرونرت - ليدن ١٩٠١ م .
- ٦ - أدب الكاتب ، للصولى - القاهرة ١٣٤١ هـ .
- ٧ - إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، لياقوت الحموى - نشر مرجليوث - ليدن ١٩٠٧ - ١٩٢٦ م .
- ٨ - أساس البلاغة ، للزمخشري - القاهرة ١٢٩٩ هـ .
- ٩ - الاستيعاب فى أسماء الأصحاب ، لابن عبد البر - على هامش : الإصابة لابن حجر - القاهرة ١٣٢٨ هـ .
- ١٠ - الاشتقاق لابن دريد - نشر فستفلد - جوتنجن ١٨٥٤ م .
- ١١ - أشعار الحاسة ، لأبى تمام ، بشرح التبريزى - نشر فرايتاج - بون . ١٨٢٨ م .
- ١٢ - الإصابة فى تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلانى - القاهرة ١٣٢٨ هـ .
- ١٣ - الأصمعيات ، للأصمعى - نشر أهلورت فى مجموع أشعار العرب - برلين ١٩٠٢ م .
- ١٤ - الأضداد ، لأبى بكر بن الأنبارى - القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- ١٥ - إعجاز القرآن ، للباقلانى - القاهرة ١٣٤٩ هـ .
- ١٦ - الأغانى ، لأبى الفرج الإصبهاني - بولاق ١٢٨٥ هـ . والجزء الحادى والعشرون نشر برونو - ليدن ١٨٨٨ م (طبعة القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٢٧ م يشار إليها فى أماكنها) .

- ١٧ - الاقتضاب فى شرح أدب الكتاب ، للبطلوسى - بيروت ١٩٠١ م .
١٨ - ألف باء ، للبلوى - القاهرة ١٢٨٧ هـ .
١٩ - الألفاظ ، لابن السكيت تهذيب التبريزى - نشر لويس شيخو -
بيروت ١٨٩٥ م .
٢٠ - الألفاظ الكتابية ، للهمدانى - بيروت ١٨٨٥ م .
٢١ - الأمالى ، لأبى على القالى - القاهرة ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٦ م .
٢٢ - أمالى الزجاجى - القاهرة ١٣٢٤ هـ .
٢٣ - أمالى ابن الشجرى ، نشر كرنكو - حيدرآباد الدكن بالهند ١٣٤٩ هـ .
٢٤ - أمالى المرتضى - نشر الشنقيطى - القاهرة ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م .
٢٥ - الأمثال ، لأبى عكرمة الضبى - تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب -
مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤ م .
٢٦ - الانتصار ، للخياط - نشر نيبرج - القاهرة ١٩٢٥ م .
٢٧ - الأنساب ، للسمعانى - نشر مرجليوث - ليدن ١٩١٢ م .
٢٨ - الإنصاف فى مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين :
لأبى البركات بن الأنبارى - نشر فايل - ليدن ١٩١٣ م .

(ب)

- ٢٩ - البخلاء ، للجاحظ - نشر فان فلوتن - ليدن ١٩٠٠ م .
٣٠ - بغية الوعاة فى طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطى - القاهرة ١٣٢٦ هـ .
٣١ - البلدان ، لابن الفقيه الهمدانى - نشر دى غويه - ليدن ١٨٨٥ م .
٣٢ - البيان والتبيين ، للجاحظ - القاهرة ١٣١١ هـ .

(ت)

- ٣٣ - التاج فى أخلاق الملوك ، المنسوب للجاحظ - نشر أحمد زكى باشا -
القاهرة ١٩١٤ م .
٣٤ - تاج العروس من جواهر القاموس ، للزبيدى - القاهرة ١٣٠٦ -
١٣٠٧ هـ .
٣٥ - تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادى - القاهرة ١٣٤٩ هـ / ١٩٣١ م .
٣٦ - تاريخ البلاذرى - نشر أهلورت - ليبزج ١٨٨٣ م .
٣٧ - تاريخ الحكماء ، لابن القفطى - نشر ليبرت - ليبزج ١٩٠٣ م .

- ٣٨ - تاريخ الطبرى - نشر دى غويه - ليدن ١٨٧٩ - ١٩٠١ م .
٣٩ - تاريخ مكة ، للأزرقى - نشر فستنفلد - ليبزج ١٨٥٨ م .
٤٠ - تذكرة الحفاظ ، للذهبي - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٣٣ هـ .
٤١ - تمييز الطيب من الخبيث ، لابن الديبع - القاهرة ١٣٤٧ هـ .
٤٢ - تهذيب لإصلاح المنطق ، للتبريزى - القاهرة (بدون تاريخ) .
٤٣ - تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلانى - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٥ هـ .
٤٤ - التيسير فى القراءات السبع ، لأبى عمرو الدانى - نشر برنسل -
إستانبول ١٩٣٠ م .

(ث)

- ٤٥ - ثلاث رسائل للمحافظ - نشر فان فلوتن - ليدن ١٩٠٣ م .
٤٦ - ثلاث رسائل للمحافظ - نشر يوشع فنكل - القاهرة ١٩٢٦ م .
٤٧ - ثمار القلوب فى المضاف والمنسوب ، للثعالبي - القاهرة ١٣٢٦ هـ .

(ج)

- ٤٨ - جامع الألفاظ ، للفاسى ، نشر سكوس - نيوهافن ١٩٣٦ م .
٤٩ - جامع الترمذى - كاونبور ١٣٤١ - ١٣٤٣ هـ .
٥٠ - الجامع الصحيح ، لمسلم - على هامش القسطلانى - بولاق ١٣٠٤ هـ .
٥١ - الجامع الصغير للسيوطى = السراج المنير فى شرح الجامع الصغير -
القاهرة ١٣٢٤ هـ .
٥٢ - جهرة أشعار العرب ، للقرشى - القاهرة ١٣٤٥ / ١٩٢٦ م .
٥٣ - جواهر الألفاظ ، لقدامة بن جعفر - القاهرة ١٣٥٠ / ١٩٣٢ م .
٥٤ - الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ، لابن أبى الوفاء - حيدر آباد الدكن
بالهند ١٣٣٢ هـ .

(ح)

- ٥٥ - حكاية أبى القاسم البغدادى - نشر آدم متز - هايدلبرج ١٩٠٢ م .
٥٦ - حساسة البحترى - نشر لويس شيخو - بيروت ١٩١٠ م .
٥٧ - حياة الحيوان ، للدميرى - القاهرة ١٣٤٧ هـ .
٥٨ - الحيوان ، للمحافظ - القاهرة ١٣٢٣ هـ .

(خ)

٥٩ - خزائن الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبد القادر البغدادي -
بولاقي ١٢٩٩ هـ .

٦٠ - الخصائص الكبرى ، للسيوطي - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣١٩ هـ .

٦١ - خبريات أبي نواس ، نشر أهلورت - جريفسفالد ١٨٦١ م .

(د)

٦٢ - درة الغواص في أوهاام الخواص ، للحريري - نشر توربيكه -
لينزج ١٨٧١ م .

٦٣ - دمية القصر ، للباخرزي - حلب ١٣٤٩ / ١٩٣٠ م .

٦٤ - ديوان أبي العتاهية - نشر لويس شيخو - بيروت ١٩١٤ م .

٦٥ - ديوان أبي نواس - القاهرة ١٨٩٨ م .

٦٦ - ديوان الأعشى - نشر جاير - ليدن ١٩٢٨ م .

٦٧ - ديوان امرئ القيس (ضمن العقد الثمين) نشر أهلورت - لندن
١٨٧٠ م .

٦٨ - ديوان جرير ، نشر محمد إسماعيل الصاوي - القاهرة ١٣٥٣ هـ .

٦٩ - ديوان الخطيئة - نشر جولدتسيهر في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية -
المجلد ٤٦ - ٤٧ .

٧٠ - ديوان ذى الرمة - نشر مكارتنى - كمبردج ١٩١٩ م .

٧١ - ديوان رؤبة - نشر أهلورت في مجموع أشعار العرب - برلين
١٩٠٣ م .

٧٢ - ديوان الزفيان - نشر أهلورت في مجموع أشعار العرب - برلين
١٩٠٣ م .

٧٣ - ديوان طفيل الغنوى والطرماح بن حكيم الطائي - نشر كرنكو - ليدن
١٩٢٨ م .

٧٤ - ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات - نشر رود و كانا كيس - فينا ١٩٠٢ م .

٧٥ - ديوان العجاج والزفيان - نشر أهلورت في مجموع أشعار العرب -
برلين ١٩٠٣ م .

٧٦ - ديوان عروة بن الورد - نشر نولدكه - جوتنجن ١٨٦٣ م .

- ٧٧- ديوان علقمة (ضمن العقد الثمين) نشر أهلوت - لندن ١٨٧٠ م .
٧٨- ديوان عمر بن أبي ربيعة - نشر باول شفارتس - ليزج ١٩٠٢ م .
٧٩- ديوان عنتره (ضمن العقد الثمين) - نشر أهلوت - لندن ١٨٧٠ م .
٨٠- ديوان الفرزدق - نشر محمد إسماعيل الصاوي - القاهرة ١٣٤٥ هـ / ١٩٣٦ م .

- ٨١- ديوان القطامي - نشر بارت - ليدن ١٩٠٢ م .
٨٢- ديوان كثير عزة - نشر بريس - الجزائر ١٩٢٨ - ١٩٣٠ م .
٨٣- ديوان المتلمس - نشر كارل فولرز - ليزج ١٩٠٣ م .
٨٤- ديوان المتنبي ، بشرح الواحدى - نشر ديتريشى - برلين ١٨٦١ م .
٨٥- ديوان مسلم بن الوليد - نشر دى غويه - ليدن ١٨٧٥ م .
٨٦- ديوان المعاني ، لأبى هلال العسكري - القاهرة ١٣٥٢ هـ .
٨٧- ديوان النابغة الذبياني (ضمن العقد الثمين) نشر أهلوت - لندن ١٨٧٠ م .

(ر)

- ٨٨- الرسالة الحاتمية ، لخاتمي - نشر البستاني - بيروت ١٩٣١ م .
٨٩- الروض الأنف فى تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية ،
للسهيلي - القاهرة ١٣٣٢ هـ / ١٩١٤ م .

(ز)

- ٩٠- زينة الفضلاء فى الفرق بين الضاد والطاء ، لأبى البركات بن الأنبارى -
تحقيق الدكتور رمضان عبد التواب - بيروت ١٩٧١ م .

(س)

- ٩١- سفينة الملك ونفيسة الفلك ، لشهاب الدين محمد بن إسماعيل بن عمر -
القاهرة ١٢٨١ هـ .

- ٩٢- سمط الآلى فى شرح أمالى القالى ، لأبى عبيد البكرى - تحقيق عبد العزيز
الميمنى - القاهرة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ هـ .

- ٩٣- سنن ابن ماجه - القاهرة ١٣٤٩ هـ .

- ٩٤- سنن أبى داود - كاونبور ١٣٤٥ هـ .

- ٩٥- سنن النسائى - القاهرة ١٣٤٨ هـ .

- ٩٦- سيرة رسول الله ، لابن هشام - نشر فستنفلد - جوتنجن ١٨٥٨ م .

(ش)

٩٧- شرح أدب الكاتب ، للجوالقي - نشر مصطفى صادق الرافعي -
القاهرة ١٣٥٠ هـ .

٩٨- شرح درة الغواص ، للخفاجي - القسطنطينية ١٢٩٩ هـ .

٩٩- شرح سفر التكوين ، لعلي بن سليمان - نشر سكوس - فيلادلفيا
١٩٢٨ م .

١٠٠- شرح الشواهد الكبرى ، للعيني - علي هامش الخزانة - بولاق ١٢٩٩ هـ .

١٠١- شرح شواهد الكشف ، لمحّب الدين أفندي - بولاق ١٢٨١ هـ .

١٠٢- شرح شواهد المغني ، للسيوطي - القاهرة ١٣٢٢ هـ .

١٠٣- شرح المفصل ، لابن يعيش - نشر يان - ليزج ١٨٨٢ - ١٨٨٦ م .

١٠٤- شرح موطأ مالك بن أنس ، للزرقاني - بولاق ١٢٨٠ هـ .

١٠٥- الشعر والشعراء ، لابن قتيبة - نشر دي غويه - ليدن ١٩٠٤ م .

١٠٦- شعر الهلاليين - نشر كوز جارتن - جريفسفالد ١٨٥٤ م .

(ص)

١٠٧- صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، للقلقشندي - القاهرة ١٣٣١ -
١٣٣٨ هـ .

١٠٨- صفة جزيرة العرب ، للهمداني - نشر داود مولر - ليدن ١٨٨٤ -
١٨٩١ م .

(ط)

١٠٩- طبقات الحنابلة ، لابن أبي يعلى - نشر أحمد عبيد - دمشق ١٣٥٠ هـ .

(ع)

١١٠- العقد الفريد ، لابن عبد ربه - القاهرة ١٣١٦ هـ .

١١١- العمدة في صناعة الشعر ونقده ، لابن رشيق - القاهرة ١٣٤٤ هـ /
١٩٢٥ م .

١١٢- عيون الأخبار ، لابن قتيبة - القاهرة ١٩٢٥ - ١٩٣٠ م .

١١٣- عيون الأنباء ، لابن أبي أصيبعة - القاهرة ١٨٨٢ م .

(غ)

١١٤- غاية النهاية في طبقات القراء ، لابن الجزري - نشر برجشتراسر -
ليزج ١٩٣٣ م .

(ف)

- ١١٥ - الفائق في غريب الحديث والأثر ، للزخشرى - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٤ هـ .
- ١١٦ - الفاخر ، للمفضل بن سلمة - نشر ستورى - ليدن ١٩١٥ م .
- ١١٧ - فتح البارى ، بشرح صحيح البخارى ، لابن حجر العسقلانى - القاهرة ١٣٠٠ هـ .
- ١١٨ - فتوح البلدان ، للبلاذرى - نشر دى غويه - ليدن ١٨٦٦ م .
- ١١٩ - فرق الشيعة ، للنوبختى - استانبول ١٩٣١ م .
- ١٢٠ - فريدة العصر في جداول يتيمة الدهر ، لأحمد الحق - كلكتا ١٩١٥ م .
- ١٢١ - فصول في فقه العربية ، للدكتور رمضان عبد التواب - القاهرة ١٩٧٣ م .
- ١٢٢ - فهرست الطوسى ، نشر شبرنجر - كلكتا ١٨٥٣ م .
- ١٢٣ - الفهرست ، لابن النديم - نشر فلوجل - ليزج ١٨٧١ م .
- ١٢٤ - فوات الوفيات ، لابن شاکر الكتبي - بولاق ١٢٩٩ هـ .

(ك)

- ١٢٥ - الكامل في التاريخ ، لعز الدين بن الأثير - نشر تورنبرج - ليدن ١٨٦٧ - ١٨٧١ م .
- ١٢٦ - الكامل في اللغة والأدب ، لأبى العباس المبرد - نشر رايت - ليزج ١٨٦٤ - ١٨٩٢ م .
- ١٢٧ - الكتاب ، لسيبويه - بولاق ١٣١٦ - ١٣١٧ هـ (الاقتباس من نشرة ديرنبورج - باريس ١٨٨١ - ١٨٨٩ م يشار إليه في مواضعه) .
- ١٢٨ - كتاب البديع في القراءات الشاذة - مختصر نشره برجستراسر - ليزج ١٩٣٤ م .
- ١٢٩ - كتاب الخراج ، ليحيى بن آدم - نشر أحمد شاكر - القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ١٣٠ - كتاب الطبقات الكبير ، لابن سعد - نشر إدوارد سناو - ليدن ١٩٠٥ - ١٩٤٠ م .
- ١٣١ - كتاب الفصيح ، لثعلب - نشر بارت - ليزج ١٨٧٨ م .
- ١٣٢ - الكشف عن حقائق التنزيل ، للزخشرى - كلكتا ١٨٥٦ م .

١٣٣ - كشف الحجب والأستار عن الكتب والأسفار - نشر محمد هدايت -
كلكتا ١٩١٤ م .

١٣٤ - كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون ، لحاجى خليفة -
إستانبول ١٣١١ هـ .

١٣٥ - الكشف عن مساوئ شعر المتنبي ، للصاحب بن عباد - القاهرة
١٣٤٩ هـ .

١٣٦ - الكشكول ، للعاملى - القاهرة ١٢٨٨ هـ .

١٣٧ - كثر العمال فى سنن الأقوال والأفعال ، للمتقى الكندى - حيدر آباد
الدكن بالهند ١٣١٢ - ١٣١٧ هـ .

(ل)

١٣٨ - اللبأ واللبن ، لأبى زيد الأنصارى (ضمن البلغة فى شذور اللغة)
نشر هفتر ولويس شيخو - بيروت ١٩١٤ م .

١٣٩ - لحن العامة والتطور اللغوى ، للدكتور رمضان عبد التواب -
دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٧ م .

١٤٠ - لسان العرب ، لابن منظور الإفريقى - القاهرة ١٢٩٩ - ١٣٠٨ هـ .

١٤١ - لسان الميزان ، لابن حجر العسقلانى - حيدر آباد الدكن بالهند
١٣٢٥ هـ .

(م)

١٤٢ - المثل السائر ، لضياء الدين بن الأثير - بولاق ١٢٨٢ هـ .

١٤٣ - المحازات النبوية ، للرضى - بغداد ١٣٢٨ هـ .

١٤٤ - المجتبى ، لابن دريد - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٤٢ هـ .

١٤٥ - مجمع الأمثال ، للميدانى - القاهرة ١٣٤٢ هـ .

١٤٦ - المحاسن والأضداد ، المنسوب للجاحظ - القاهرة ١٣٢٤ هـ (الاعتباس
من نشرة فان فلوطن - ليدن ١٨٩٨ م يشار إليه فى مواضعه) .

١٤٧ - المحاسن والمساوئ ، للبيهقى - نشر شفاى - جيسن ١٩٠٢ م .

١٤٨ - المختسب فى القراءة الشاذة ، لابن جنى - نشر برجشتراسر -
ميونخ ١٩٣٣ م .

١٤٩ - محيط المحيط ، لبطرس البستاني - بيروت ١٢٨٦ هـ .

- ١٥٠ - المختار من شعر بشار ، اختيار الخالدين - نشر محمد بدر الدين العلوى - القاهرة ١٣٥٣هـ / ١٩٣٤م .
- ١٥١ - مختارات شعراء العرب ، لابن الشجرى - القاهرة ١٣٠٦هـ .
- ١٥٢ - مروج الذهب ، للمسعودى - القاهرة ١٣٤٦هـ .
- ١٥٣ - المنزه فى علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطى - القاهرة ١٣٢٥هـ .
- ١٥٤ - مسالك الممالك ، للإصطخرى - نشر دى غويه - ليدن ١٨٧٠م .
- ١٥٥ - المستطرف فى كل فن مستظرف ، للإبشيبى - القاهرة ١٣٥٢هـ / ١٩٣٣م .
- ١٥٦ - مسند أبى داود الطيالسى - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢١هـ .
- ١٥٧ - مسند أحمد بن حنبل - القاهرة ١٣١٣هـ .
- ١٥٨ - مسند الدارمى - على هامش المتنقى ، لابن تيمية - دلهى ١٣٣٧هـ :
- ١٥٩ - المعارف ، لابن قتيبة - نشر فستنفلد - جوتنجن ١٨٥٠م (الاقباس من طبعة القاهرة ١٣٠٠هـ يشار إليه فى مواضعه) .
- ١٦٠ - معانى الشعر ، للأشناندانى - دمشق ١٣٤٠هـ / ١٩٢٢م .
- ١٦١ - المعتزلة ، مختصر من كتاب ابن المرتضى - نشر أرنولد - ليبزج ١٩٠٢م .
- ١٦٢ - معجم البلدان ، لياقوت الحموى - نشر فستنفلد - ليبزج ١٨٦٦ - ١٨٧٠م .
- ١٦٣ - المغرب للجوالقى - نشر إدوارد سخاو - ليبزج ١٨٦٧م .
- ١٦٤ - المغازى ، للواقدى - نشر فلهاوزن - برلين ١٨٩٢م .
- ١٦٥ - المغرب فى ترتيب المغرب ، للمطرزى - حيدر آباد الدكن بالهند ١٣٢٨هـ .
- ١٦٦ - مفاتيح العلوم ، للخوارزمى - نشر فان فلوتن - ليدن ١٨٩٥م .
- ١٦٧ - المفصل ، للزخشرى - نشر بروخ - كريستيانيا ١٨٧٩م .
- ١٦٨ - المفضليات ، للمفضل الضبى - نشر تشارلس لايل - أكسفورد ١٩١٨ - ١٩٢١م .
- ١٦٩ - مقالات الإسلاميين ، للأشعرى - نشر هلموت ريتز - إستانبول ١٩٢٩ - ١٩٣٢م .
- ١٧٠ - المقنع فى رسم المصاحف ، لأبى عمرو الدانى - نشر برتسل - إستانبول ١٩٣٢م .

- ١٧١ — الملاحن ، لابن دريد — القاهرة ١٣٤٧ هـ .
- ١٧٢ — الممدود والمقصود ، لأبي الطيب الوشاء — تحقيق الدكتور رمضان ، عبد التواب — القاهرة ١٩٧٩ م .
- ١٧٣ — من كتاب الديارات ، للشابستى — نشر إدوارد سناو — برلين ١٩١٩ م .
- ١٧٤ — منتخبات من كتاب شمس العلوم ، لنشوان الحميرى — نشر عظيم الدين أحمد — ليدن ١٩١٦ م .
- ١٧٥ — الموشح فى مأخذ العلماء على الشعراء ، للمرزبانى — القاهرة ١٣٤٣ هـ .
- ١٧٦ — الموطأ ، للإمام مالك بن أنس ، بشرح الزرقانى — بولاق ١٢٨٠ هـ .
- ١٧٧ — ميزان الاعتدال فى نقد الرجال للذهبي — القاهرة ١٣٢٥ هـ .
- (ن)
- ١٧٨ — نزهة الألباء فى طبقات الأدباء ، لأبي البركات بن الأنبارى — القاهرة ١٢٩٤ هـ .
- ١٧٩ — نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقرئ — نشر دوزى وكريل ورايت — ليدن ١٨٥٥ — ١٨٦١ م .
- ١٨٠ — نقائص جرير والفرزدق — تحقيق أنطونى بيفان — ليدن ١٩٠٥ — ١٩١٢ م .
- ١٨١ — نقد الشعر ، لقدامة بن جعفر — إستانبول ١٣٠٢ هـ .
- ١٨٢ — نقد النثر ، المنسوب لقدامة بن جعفر — نشر طه حسين والعبادى — القاهرة ١٣٥١ هـ / ١٩٣٣ م .
- ١٨٣ — النوادر فى اللغة ، لأبي زيد الأنصارى — نشر سعيد الشرتونى — بيروت ١٨٩٤ م .

(هـ)

- ١٨٤ — الهاشميات ، للكفيت — نشر يوسف هوروفيتس — ليدن ١٩٠٤ م .

(و)

- ١٨٥ — الوافى بالوفيات ، للصفدى — نشر هلموت ريتير — إستانبول ١٩٣١ م .
- ١٨٦ — الوزراء للجبهشيارى — نشر متشك — ليزج ١٩٢٦ م .
- ١٨٧ — وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، لابن خلكان — بولاق ١٢٩٩ هـ .

(ى)

- ١٨٨ — يتيمة الدهر فى شعراء أهل العصر ، للتحالى — دمشق ١٣٠٢ هـ .

(ب) المصادر الإفرنجية

AKM = Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes.
Arthur Christensen, L'Iran sous les Sassanides, Kopenhagen
1936.

Fr. Baethgen, Fragmente syrischer und arabischer Historiker, Leipzig 1884.

BAHG = Bibliothek arabischer Historiker und Geographen,
hg. v. H. v. Mzik, Leipzig 1926.

BGA = Bibliotheca Geographorum arabicorum, ed. M. J.
de Goeje, I - VIII, Leiden 1870 - 1894.

Bibl. Isl. = Bibliotheca Islamica, hg. v. H. Ritter, Leipzig
1929 ff.

Bräunlich, The Well in Ancient Arabia, Leipzig 1925.

C. Brockelmann, GLA (S) = Geschichte der arabischen
Literatur, Bd. I.II Leiden 1943 - 49 und Suppl.
I - III Leiden 1937 - 42.

Dozy, Supplément aux dictionnaires arabes, Leiden 1927.

EI = Enzyklopädie des Islam, Leiden 1913 - 1934.

Festschrift Ed. Sachau, hg. v. G. Weil, Berlin 1915.

Fischer und Bräunlich, Schwâhid - Indices, Leipzig 1945.

H.L. Fleischer, Beiträge zur arabischen Sprachkunde,
Leipzig 1863.

S. Fraenkel, Die aramäischen Fremdwörter im Arabischen,
Leiden 1886.

Friedlaender, Der Sprachgebrauch des Maimonides I.,
Frankfurt/M. 1902.

GMS = Gibb Memorial Series.

I. Goldziher, Abhandlungen zur arabischen Philologie,
Leiden 1896 - 1899.

- I. Goldziher, Muhammedanische Studien, Halle 1889.
G. Graf, Der Sprachgebrauch der ältesten christlich arabischen Litteratur, Leipzig 1905.
JNES = Journal of Near Eastern Studies.
JRAS = Journal of the Royal Asiatic Society.
E. Lane, An Arabic English Lexicon, London 1863 – 1893.
E. Lévi - Provençal, Documents inédits d'histoire almohade, Paris 1928.
LSS = Leipziger Semitistische Studien.
M. Mez, Die Renaissance des Islams, Heidelberg 1932.
MO = Le Monde Oriental.
B. Moritz, Arabien, Hannover 1923.
MSOS = Mitteilungen des Seminars für orientalische Sprache in Berlin.
Th. Nöldeke, BSSW = Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1904.
Th. Nöldeke, NBSS = Neue Beiträge zur semitischen Sprachwissenschaft, Strassburg 1910.
Th. Nöldeke, Zur Grammatik des klassischen Arabisch, Wien 1896.
OLZ = Orientalistische Literaturzeitung.
Orientalische Studien, Theodor Nöldeke gewidmet, Giessen 1906.
Reckendorf, Arabische Syntax, Heidelberg 1921.
Reckendorf, Die Syntaktischen Verhältnisse des Arabischen, Leiden 1898.
SMA = Sitzungsberichte der bayr. Akademie der Wissenschaften, philol. hist. Klasse, München.
W. Spitta, Grammatik des arabischen Vulgärdialects von Aegypten, Leipzig 1880.
SWA = Sitzungsberichte der Akademie der Wissenschaften zu Wien.

- Wellhausen, Das arabische Reich und seine Sturz, Berlin 1902.
- Wellhausen, Skizzen und Vorarbeiten, Berlin 1884 – 99.
- A. Wensink, Concordance de la tradition musulmane Leiden 1936.
- W. Wright, A Grammar of the Arabic Language, Cambridge 1896 – 98.
- F. Wüstenfeld, Genealogische Tabellen der Arabischen Stämme und Familien, Göttingen 1852 – 53.
- WZKM = Wiener Zeitschrift für die Kunde des Morgenlandes.
- ZA = Zeitschrift für Assyriologie.
- E. de Zambaur, Manuel de genealogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam, Hannover 1927.
- ZDMG = Zeitschrift der deutschen Morgenländischen Gesellschaft.
- ZA = Zeitschrift für Semitistik.



كتب للمترجم
General Organization of the Alexandria Library (GOAL)
Bibliotheca Alexandrina

تأليف :

- ١ - لحن العامة والتطور اللغوى - القاهرة ١٩٦٧
- ٢ - فصول فى فقه العربية - القاهرة ١٩٧٣
- ٣ - اللغة العبرية: قواعد ونصوص ومقارنات باللغات السامية - القاهرة ١٩٧٧
- ٤ - نصوص من اللغات السامية، مع الشرح والتحليل والمقارنة - القاهرة ١٩٧٩
- ٥ - بحوث ومقالات فى اللغة (تحت الطبع) .
- ٦ - مشكلات العربية وتحديات العصر (تحت الطبع) .
- ٧ - التطور اللغوى فى عربية القرون الأولى (تحت الطبع) .

ترجمة :

- ١ - اللغات السامية ، لتيودور نولدكه - القاهرة ١٩٦٣
- ٢ - الأمثال العربية القديمة ، لرودلف زلهام - بيروت ١٩٧١
- ٣ - تاريخ الأدب العربى ، لكارل بروكلمان (الرابع والخامس) - القاهرة ١٩٧٥
- ٤ - فقه اللغات السامية ، لكارل بروكلمان - الرياض ١٩٧٧
- ٥ - العربية - دراسات فى اللغة واللهجات والأساليب ، ليوهان فلك - القاهرة ١٩٨٠

تحقيق :

- ١ - لحن العوام ، لأبى بكر الزبيدى - القاهرة ١٩٦٤
- ٢ - البلاغة ، لأبى العباس المبرد - القاهرة ١٩٦٥
- ٣ - قواعد الشعر ، لأبى العباس ثعلب - القاهرة ١٩٦٦

- ٤ - ما يذكرو ويؤنث من الإنسان واللباس ، لأبي موسى الحامض - القاهرة ١٩٦٧
- ٥ - الحروف ، للخليل بن أحمد الفراهيدى - القاهرة ١٩٦٩
- ٦ - المذكر والمؤنث ، لابن فارس - القاهرة ١٩٦٩
- ٧ - الحروف التى يتكلم بها فى غير موضعها ، لابن السكيت - القاهرة ١٩٦٩
- ٨ - المذكر والمؤنث ، لأبي العباس المبرد (بالاشتراك) - القاهرة ١٩٧٠
- ٩ - كتاب الثلاثة ، لابن فارس اللغوى - القاهرة ١٩٧٠
- ١٠ - البلغة فى الفرق بين المذكر والمؤنث ، لابن الأنبارى - القاهرة ١٩٧٠
- ١١ - كتاب البئر ، لابن الأعرابى - القاهرة ١٩٧٠
- ١٢ - كتاب الأمثال ، لمؤرخ السدوسى - القاهرة ١٩٧١
- ١٣ - زينة الفضلاء فى الفرق بين الضاد والطاء ، لابن الأنبارى - بيروت ١٩٧١
- ١٤ - القوافى وما اشتقت ألقابها منه ، لأبي العباس المبرد - القاهرة ١٩٧٢
- ١٥ - مختصر المذكر والمؤنث ، للمفضل بن سلمة - القاهرة ١٩٧٢
- ١٦ - كتاب الأمثال ، لأبي عكرمة الضبي - دمشق ١٩٧٤
- ١٧ - المذكر والمؤنث ، لأبي زكريا الفراء - القاهرة ١٩٧٥
- ١٨ - الوافى بالوفيات ، للصفدى (الجزء الثانى عشر) - فيسبادن ١٩٧٩
- ١٩ - الممدود والمقصود ، لأبي الطيب الرشيد - القاهرة ١٩٧٩
- ٢٠ - ذم الخطأ فى الشعر ، لابن فارس اللغوى - القاهرة ١٩٨٠
- ٢١ - اشتقاق الأسماء ، للأصمعى (بالاشتراك) - القاهرة ١٩٨٠
- ٢٢ - الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (تحت الطبع) .
- ٢٣ - فضائل القرآن ، لأبي عبيد القاسم بن سلام (تحت الطبع بالاشتراك) .
- ٢٤ - شرح كتاب سيبويه ، للسيرافى (تحت الطبع بالاشتراك) .

رقم الإيداع ٣١٥٧/١٩٨٠

المطبعة العربية الحديثة

٨ شارع ٧ بالمنطقة الصناعية بالعباسية

تليفون : ٨٢٦٢٨٠ القاهرة

● هذا الكتاب :

تتبع فيه مؤلفه حياة اللغة العربية ، منذ أقدم نصوصها .
ودرس العوامل المختلفة التي أثرت في نموها وتطورها عبر
التاريخ . وتعقب الأخبار التي تروى عن وقوع اللحن في
العربية من الشعراء والخلفاء والعلماء وغيرهم في جميع
العصور . كما وضع جهود علماء العربية في تنقية اللغة من
شوائب هذا اللحن . وأبرز السر في خلود العربية الفصحى
على الزمن ، لارتباطها بالقرآن الكريم كتاب الاسلام الخالد .

● وهذه الترجمة

الجديدة :

تمتاز بالدقة وكثرة التعليقات والتصحيحات والمناقشات
لبعض القضايا المهمة في الكتاب ، كما تزدان بالمقدمة العلمية
التي كتبها شيخ مستشرقى العصر المستشرق الألماني
انطون شبيتالر .